تنوير العينين بشرح تفسير الجلالين

شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره

تأليف

أبي سهيل أنور عبد الله بن عبد الرحمن الفضفري

تقديم

الشيخ عبد الرحمن بن معاضة الشهري

المجلد الثالث

(من سورة مريم إلى سورة ص)

دار الإداوة للنشر

مكتبة دار الحجاز

تنوير العينين

بشرح تفسير الجلالين

٣

(ح) دار الإداوة للنشر، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفضفري، أنور عبدالله بن عبدالرحمن

تنوير العينين بشرح تفسير الجلالين - ٤أجزاء . / أنور عبدالله بن عبدالرحمن الفضفري– ط١- الرياض، ١٤٤٣هـ

٤ مج

ردمك ٣-٨٤٧٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٨٤٧٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- القرآن - تفسير　　٢- القرآن - ألفاظ　　أ- العنوان

ديوي ٢٢٧،٣　　١٤٤٣/١٢١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١٢١

ردمك: ٣-٨٤٧٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٤-٨٤٧٥-٠٣-٦٠٣- ٩٧٨(ج٣)

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - شارع السويدي العام - شرق النفق

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٩٦٦٥٦٥٦١٥٠٠٥٨ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣

الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١

القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/٢٥١٠٧٤٧٢

جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩

البريد الإلكتروني: d.alhijaz@gmail.com

 00966540040650

 @ALEDAWAH

 ALEDAWAH@GMAIL.COM

 الرياض - حي الشفا - شارع ابن طولون



دار الإداوة للنشر

تنوير العينين
بشرح تفسير الجلالين

شرح موجز على تفسير الجلالين يكشف دقائقه وأسراره

تأليف
أبي سهيل أنور عبد الله بن عبد الرحمن الفضفري

تقديم
الشيخ عبد الرحمن بن معاضة الشهري

المجلد الثالث

(من سورة مريم إلى سورة ص)

مكتبة دار الحجاز
دار الإداوة للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

١٩- سورة مريم[(١)]

مكية[(٢)] إلا سجدتها فمدنية، أو إلا ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾[(٣)] [٥٩-٦٠] الآيتين فمدنيتان، وآياتها ثمان أو تسع وتسعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ الله أعلم بمراده بذلك[(٤)].

(٢)- هذا[(٥)] ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ﴾ مفعول «رَحۡمَتِ»، ﴿زَكَرِيَّآ ٢﴾ بيان له.

---

(١) قوله: (سورة مريم). سميت بذلك لذكر اسمها وقصتها فيها، قال الصاوي: «ولم يذكر اسم امرأة بصريح اسمها في القرآن إلا مريم، فذكرت فيه في ثلاثين موضعًا، وفيه الرد على من زعم من الكفار أنها زوجة؛ لأن الزوج يأنف عن ذكر اسم زوجته».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (مكية). أي: كلها، وعليه درج ابن جرير وغيره.

(٣) وقوله: (أو إلا...). ذكر هنا قولين آخرين:

١- أن آية السجدة مدنية وهي الآية (٥٨).

٢- أن الآيتين (٥٩-٦٠) مدنيتان. ولم أجد هذين القولين معزوّين.

(٤) قوله: (الله أعلم بمراده...). كما تقدم في أوائل السور، فإن الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مشى على ما مشى عليه الإمام المحلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في ذلك، أي: القول بأن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه، وهو قول الجمهور كما سلف.

(٥) قوله: (هذا). قدره ليكون مبتدأ، وما بعده خبرًا.

تنبيه: ﴿ذِكۡرُ﴾ مبتدأ وهو مضاف إلى ﴿رَحۡمَتِ﴾ وهو مضاف إلى «رب»، وهو مضاف إلى ضمير المخاطب، ففيه تتابع الإضافات، واستدل البلاغيون بذلك على أن تتابع الإضافات لا تخل بالفصاحة، كما قيل بذلك.

(٣)- ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ«رَحْمَتِ»[١] ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً﴾ مشتملًا على دعاء ﴿خَفِيًّا (٣)﴾ سرًّا جوف الليل[٢]؛ لأنه أسرع للإجابة.

(٤)- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ﴾ جميعه[٣] ﴿مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل[٤]، أي: انتشر الشيب في شعره[٥]، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك[٦] ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدعائي إياك[٧] ﴿رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾ أي: خائبًا فيما مضى، فلا تُخيِّبني فيما يأتي.

(٥)- ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب كبني العم[٨] ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: بعد موتي، على الدين[٩]: أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل

---

(١) قوله: (متعلق ...) أي: فهو ظرف لـ﴿رَحْمَتِ﴾.

(٢) قوله: (في جوف الليل). كما تقدم في آل عمران.

(٣) قوله: (جميعه). أفاد أن «أل» للاستغراق، أو للجنس الدال على الاستغراق.

وقوله: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ فيه إجمال وتفصيل، وفيه نوع إطناب. فهو أبلغ من «وهن عظمي»، والمقام يقتضي ذلك.

(٤) قوله: (تمييز محول). أي: كان هذا التمييز هو الفاعل في المعنى، فحول إلى التمييز وجعل ما بعده فاعلًا، والأصل: اشتعل شيب الرأس.

(٥) وقوله: (أي: انتشر...). فيه إشارة إلى أن ﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ من باب الاستعارة.

(٦) وقول المفسر: (وإني أريد...). دخول إلى ما بعده. فما بعده معطوف على هذا المقدر.

(٧) قوله: (بدعائي إياك). أفاد أن المصدر «دعاء» مضاف إلى المفعول به.

(٨) قوله: (كبني العم). بنو العم يسمَّون موالي، وهذا أحد المعاني التي يطلق عليها المولى. وتقدم في آخر سورة البقرة بعض إطلاقاته.

(٩) قوله: (على الدين:...) متعلق بـ﴿خِفْتُ﴾.

وقوله: (ن يضيعوه). بدل اشتمال من الموالي، فالمعنى: خفت تضييعهم الدين.

من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ لا تلد ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيّٗا ۝٥﴾ ابنًا.

۝٦- ﴿يَرِثُنِي﴾ بالجزم: جواب الأمر[1]، وبالرفع: صفة «وَلِيّٗا»، ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ﴿مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ﴾ جدِّي، العلم والنبوة[2] ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾ أي: مرضيًّا عندك. قال تعالى في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته[3].

۝٧- ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧﴾ أي: مسمى بـ«يحيى»[4].

۝٨- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ

---

(١) قوله: (بالجزم). بيان للقراءتين ووجهها الإعرابي، قرأ بالجزم في ﴿يَرِثُنِي﴾ و﴿وَيَرِثُ﴾: أبو عمرو، والكسائي. وبالرفع فيهما الباقون. ووجه الجزم أنه جواب الأمر: ﴿فَهَبۡ﴾. ووجه الرفع: أن الجملة ﴿يَرِثُنِي﴾ نعت لـ﴿وَلِيّٗا﴾ في محل نصب. ومعلوم من علم النحو أن المضارع الواقع بعد الطلب، يجزم إذا قصد به الجواب، وإلَّا يرفع، وهذا إذا كان المضارع خاليًا عن الفاء، أما لو دخلت الفاء عليه كان منصوبًا بـ«أن» مضمرة وجوبًا، نحو: «ولا تطغوا فيَحِلَّ».

(٢) قوله: (العلم والنبوة). مفعول به لـ«يرث». أفاد به أن المراد بالإرث: إرث العلم والنبوة لا إرث المال؛ لأن الأنبياء لا يورّثون، كما صح به الحديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**». [الترمذي]. نبه على ذلك ابن كثير، والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (الحاصل به رحمته). إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾.

(٤) قوله: (أي: مسمى بـ«يحيى»). أي: لم يسم أحد قبله بهذا الاسم، كما قال قتادة، وابن جريج، وابن زيد، واختاره ابن جريج، وعن مجاهد: «نظيرًا».

بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ من عتا: يبس[١]، أي: نهاية السن، مائة وعشرين سنة[٢]، وقد بلغت امرأته ثماني وتسعين سنة. وأصل عتي: عتوّ، كسرت التاء تخفيفًا، وقلبت الواو الأولى ياءً؛ لمناسبة الكسرة، والثانية ياء؛ لتدغم فيها الياء.

﴿٩﴾ - ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾[٣] من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أرد عليك قوة الجماع[٤]، وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدلّ عليها[٥]، ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به[٦]:

---

(١) قوله: (من: عتا). يقال: عتا الشيخ يعتو، عتيًّا: كبر وولّى، ذكره القرطبي. فهو واويّ ولذا قال المفسر: وأصله: «عتوّ» أي: بوزن فُعُول، فهو مصدر. نقل القرطبي: الضم، والكسر في العين: عُتيًا، وعِتِيًّا. والكسر لمناسبة ما بعدها. والضم على الأصل. وإذا كان «فعول» جمعًا واويّ اللام فالأكثر فيه الإعلال نحو: عصًا، وعِصِيّ. أصله: عُصُوو، قلبت الواو الثانية ياءً ثم الأولى كذلك، وأدغمت ثم كسرت فاء الكلمة كما يعلم من علم الصرف.

(٢) وقوله: (مائة وعشرين سنة). كما تقدم في تفسير آل عمران، الآية (٤٠)، وعزوه إلى ابن عباس، والضحاك.

(٣) قوله: (الأمر) قدره ليكون مبتدأ وما بعده خبرًا.

(٤) قوله: (بأن أرد...). أي: فخلق يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان على الكيفية المعتادة لا كخلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا أنه بعد كبر الوالدين بقدرة الله تعالى العظيمة.

(٥) قوله: (ولإظهار...). يعني: أن الله ألهم زكريا سؤال الولد ليجاب عليه بذلك الذي يدل على القدرة العظيمة. فقوله: (ليجاب...). بدل اشتمال من قوله (ولإظهار الله...إلخ).

(٦) قوله: (تاقت). أي: اشتاقت، والمبشر به هو الولد، وكلام المفسر هذا دخول إلى الآية التالية.

(١٠)- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم، بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ أي: بأيامها كما في آل عمران: «ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ». ﴿سَوِيًّا (١٠)﴾ حال من فاعل «تُكَلِّمَ»، أي: بلا علة[١].

(١١)- ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد[٢]، وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشار[٣] ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى وبعد ولادته بسنتين قال الله تعالى له[٤]:

(١٢)- ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد[٥] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ النبوة[٦] ﴿صَبِيًّا (١٢)﴾ ابن ثلاث سنين.

---

(١) قوله: (بلا علة). أي: بلا مرضٍ يمنع من الكلام.

(٢) قوله: (المسجد). كما فسر به السيوطي في آل عمران الآية (٣٩)، وروي نحوه عن ابن زيد قال: «مصلّاه».

(٣) قوله: (أشار). كذا فسره به ابن جرير، ورواه عن مجاهد، وقتادة، ووهب بن منبه. وعن مجاهد أيضًا: «كتب لهم في الأرض». و﴿أَن﴾ في ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ تفسيرية.

(٤) قوله: (وبعد ولادته...) دخول إلى الآية التالية.

وقوله: (بسنتين). عزا القرطبي هذا إلى قتادة. قال: «كان ابن سنتين أو ثلاث سنين».

(٥) قوله: (بجدّ). روي ذلك عن مجاهد.

(٦) قوله: (النبوة). جمهور المفسرين كابن جرير وابن كثير والقرطبي وغيرهم فسروا الحكم بالفهم والعلم ونحو ذلك. وحكى البيضاوي القول بأنه النبوة، بـ«قيل»، بدون عزو.

﴿١٣﴾- ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس[١] ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾ صدقة عليهم[٢] ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها[٣].

﴿١٤﴾- ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبّرًا ﴿عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ عاصيًا لربّه.

﴿١٥﴾- ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا[٤] ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يُرى فيها ما لم يره قبلها[٥]، فهو آمن فيها.

﴿١٦﴾- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خبرها[٦] ﴿إِذِ﴾ حين ﴿ٱنتَبَذَتْ

---

(١) قوله: (رحمة). عزاه القرطبي إلى جمهور المفسرين، كما رواه ابن جرير، عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم. وهو معطوف على ﴿ٱلْحُكْمَ﴾، أي: وآتيناه حنانًا، وكذا ﴿زَكَوٰةً﴾، كما يعلم من كتب الإعراب، ولكن ظاهر كلام المفسر أنهما معطوفان على ﴿صَبِيًّا﴾؛ فهما حالان.

(٢) وقوله: (صدقة). عزاه القرطبي إلى ابن قتيبة، قال: «صدقة به على أبويه».اهـ. وعن ابن عباس: «بركة»، وعن قتادة: «العمل الصالح».

(٣) وقوله: (روي...) تقدم هذا في آل عمران، ونقله القرطبي عن قتادة.

(٤) ﴿وَسَلَٰمٌ﴾. فسره ابن جرير، وابن كثير بالأمان.

(٥) وقوله: (في هذه الأيام). نقل ابن كثير نحوه عن سفيان بن عيينة، وابن جرير عن ابن عطية.

(٦) قوله: (أي: خبرها) أفاد تقدير مضاف.

فائدة: قال ابن كثير: «عطف قصة مريم على قصة زكريا عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ هنا وفي سورة آل عمران لما بينهما من المناسبة فإن في كل منهما آية على باهر قدرته تعالى، وأنه على ما يشاء قدير».اهـ. ملخصًا.

ومريم بنت عمران من سلاسلة داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كما تقدم في آل عمران.

﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦﴾ أي: اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار[١].

١٧- ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ أرسلت سترًا تستتر به لتفل رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ جبريل[٢] ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ تام الخلق.

١٨- ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ فتنتهي عني بتعوذي[٣].

١٩- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾ بالنبوة.

٢٠- ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾ بتزوج ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠﴾ زانية.

٢١- ﴿قَالَ﴾ الأمر[٤] ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه[٥] ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحۡمَةٗ

---

(١) قوله: (نحو الشرق من الدار). قال ابن كثير: «شرقي المسجد المقدس»، وعن السدي: «شرقي المحراب».اهـ. ولا منافاة بين هذه الأقوال، كما يظهر بالتأمل.

(٢) قوله: (جبريل). وبه فسر ابن جرير وابن كثير وغيرهما، كما روي ذلك عن قتادة، وابن جريج، ووهب بن منبه.

(٣) قوله: (فتنتهي عني). أي: تبتعد مني. وفيه إشارة إلى جواب الشرط: ﴿إِن كُنتَ...﴾.

(٤) قوله: (الأمر). قدره ليكون مبتدأ كما تقدم في الآية (٩).

(٥) قوله: (ولكون ما ذكر...). وهوقوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ فهو يفيد التعليل، فالمعنى: يخلق منكِ غلام؛ لأنه هيّن علينا ولنجعله آية. وقال القرطبي: «﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ونخلقه لنجعله...».اهـ.

﴿مِنَّاۚ﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾ به في علمي فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوّرًا.

٢٢- ﴿۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ﴾ تنحت ﴿بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢﴾ بعيدًا عن أهلها[١].

٢٣- ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ جاء بها[٢] ﴿ٱلۡمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ لتعتمد عليه، فولدت. والحمل والتصوير والولادة في ساعة[٣] ﴿قَالَتۡ يَٰـ﴾ للتنبيه[٤] ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر[٥].

---

(١) قوله: (بعيدًا). كما قال ابن عباس: «مكانًا نائيًا».

(٢) قوله: (جاء بها). أشار به إلى أن أجاء: أفعل من «جاءَ»، والمعنى: اضطرها وألجأها المخاض إلى جذع النخلة، كما روي نحوه عن ابن عباس وغيره، وكما يدل على ذلك العطف بالفاء هنا، وفي إسناد الفعل إلى المخاض مجاز عقلي، من إسناد الفعل إلى السبب.

(٣) قوله: (والحمل والتصوير...). روى ابن جرير نحوه عن ابن عباس، قال: «ما هي إلا أن حملت فوضعت»، وفي رواية: «فولدت».اهـ. ومن هذا نعلم ترجيح المفسر قول السدي من أن المراد بالمكان القصي: المكان الشرقي من محرابها التي تصلي يه. وروى ابن جرير عن وهب بن منبه: ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق، وفي رواية: كان ذلك على ثمانية أميال. وفي أخرى على ستة أميال، من بيت المقدس تسمى بيت لحم، ومال إليه ابن كثير؛ لأنه اشتهر ذلك عند النصارى أن ولادة عيسى كانت ببيت لحم، وروى ذلك البيهقي عن شداد بن أوس، كما يعلم من ابن كثير.

(٤) قوله: (للتنبيه). وذلك لأن النداء مختص بالاسم ومن علاماته، و«يا» هنا داخلة على الحرف «ليت» فتكون للتنبيه، لا للنداء.

(٥) قوله: (شيئًا متروكًا). النسي: بفتح النون وكسرها: لغتان، بمعنى: الشيء المتروك المنسي، كما ذكره ابن جرير وغيره. وبالفتح: قرأ حفص، وحمزة. وبالكسر: الباقون.

﴿٢٤﴾- ﴿فَنَادَىٰهَا مَن تَحْتِهَآ﴾ أي: جبريل، وكان أسفل منها[1] ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ نهر ماءٍ كان قد انقطع[2].

﴿٢٥﴾- ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة[3]. والباء زائدة[4] ﴿تَسَّاقَطْ﴾ أصله بتاءين قلبت الثانية سينًا وأدغمت في السين[5]، وفي قراءةٍ تركها[6]. ﴿عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ صفته.

---

(١) قوله: (أي: جبريل). تفسير للاسم الموصول ﴿مَن تَحْتِهَآ﴾ بفتح الميم: وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وشعبة، ورويس. وقرأ الباقون بكسر الميم: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ حرف جر، ففاعل «نادى»: الضمير المستتر العائد إلى جبريل. وروي عن ابن عباس: «أن المنادي هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ»، وعن ابن وهب، وابن جبير، وابن زيد: «هو عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

(٢) قوله: (نهر ماء). روي ذلك عن البراء، وابن عباس، ومجاهد وغيرهم، رجحه ابن جرير. وقال ابن زيد، والحسن: «المراد بالسري: عيسى»، أي: فالسريّ بمعنى: الشريف.

(٣) قوله: (كانت يابسة). أي: فلذلك قال تعالى: ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾، ولم يقل النخلة. أفاده القرطبي.

(٤) وقوله: (زائدة). أي: اصطلاحًا، ومؤكدة معنى.

(٥) قوله: (أصله بتاءين). هذا على قراءة الجمهور: ﴿تَسَّاقَطْ﴾: بفتح التاء وتشديد السين. أصله: تتساقط. وفاعله: الضمير المستتر فيه العائد إلى الجذع. و﴿رُطَبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل. وهذا الذي ذكره المفسر أولًا.

(٦) وقوله: (وفي قراءة...). يشير إلى قراءة حفص: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ من باب المفاعلة، وعلى هذا يكون ﴿رُطَبًا﴾ مفعولًا به. وقرأ حمزة: ﴿تَسَاقَطْ﴾. ويعقوب: ﴿يَسَّاقَطْ﴾. ووجههما واضح. والجني: ما صلح للقطف.

وقول المفسر: (وتركها). أي: ترك التاء الثانية.

(٢٦)- ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ من السري[١] ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ بالولد، تمييز محول من الفاعل، أي: لتقر عينك به، أي: تسكن فلا تطمح إلى غيره[٢] ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة[٣] ﴿تَرَيِنَّ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه[٤]، وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير؛ لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ فيسألْكِ عن ولدكِ ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي: إمساكًا عن الكلام[٥] في

(١) قوله: (من السري). الأمر بالشرب مما يدل على أن المراد بالسري: النهر. كما تقدم التفسير به في كلامه.

(٢) قوله: (أي: تسكن). يشير إلى أن معنى قرة العين: سكونها واطمئنانها، فهو مأخوذ من القرار، وقد عزاه القرطبي إلى بعض أهل اللغة. وقيل: مأخوذ من القرّ، وهو البرد، قيل: لأن دمع السرور يكون باردًا، ودمع الحزن يكون حارًّا. وعلى كل حال فهو كناية عن السرور.

(٣) قوله: (فيه إدغام). أي «إمَّا» هنا مركبة من «إن» الشرطية الجازمة و«ما» المزيدة المؤكدة.

(٤) وقوله: (حذفت...). توضيح لمسألة صرفية، فأصل ﴿تَرَيِنَّ﴾ قبل دخول الجازم ونون التوكيد: ترأيين على وزن: تفعلين، من الرؤية: فالهمزة عين الكلمة، والياء الأولى لام الكلمة، فنقلت حركة الهمزة إلى الراء ثم حذفت، ثم حذفت كسرة الياء التي هي لام الكلمة لثقلها ثم حذفت الياء، فصار: تَرَيْن على وزن تَفَيْنَ. ثم دخل الجازم «إن» الشرطية فحذفت النون للجزم، فصار: إمَّا تَرَيْ. ثم دخلت نون التوكيد المثقلة، فالتقى الساكنان الياء والنون المدغمة، ولم تحذف الياء لعدم كسر ما قبلها فحركت بالكسر، فوزنه: إما تَفِينَّ، وعند الإعراب نقول: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون، والياء ضمير متصل في محل رفع فاعل، والنون حرف تأكيد، هذا وقد فصلنا القواعد المهمة في هذه المسألة الصرفية في كتاب «الثنائيات».

(٥) قوله: (أي: إمساكًا). روي ذلك عن ابن عباس قال: «الصمت»، وكذا عن أنس، =

شأنه وغيره من الأناسي بدليل ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ أي: بعد ذلك[١].

﴿٢٧﴾- ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ حال[٢]، فرأوه ﴿قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ عظيمًا حيث أتيت بولد من غير أب[٣].

﴿٢٨﴾- ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ وهو رجل صالح[٤]، أي: يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانيًا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ أي: زانية، فمن أين لكِ هذا الولد؟

﴿٢٩﴾- ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلِّموه[٥] ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وجد[٦] ﴿فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾.

= وقال قتادة: «صامت من الطعام والشراب والكلام»، وعلى هذا فالصوم بالمعنى الشرعي، وعلى الأول: بالمعنى اللغوي.

(١) قوله: (بعد ذلك). أي: بعد هذا الكلام.

(٢) قوله: (حال). أي الجملة ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿فَأَتَتْ﴾.

(٣) وقوله: (عظيمًا). روي ذلك عن مجاهد، وقتادة، والسدي. و«فري» فعيل من فَرَيَ، يفري: خلق وافترى.

(٤) قوله: (هو رجل صالح). أي: ليس هو هارون الذي هو أخو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما ذكره المفسر مروي عن قتادة وغيره، واختاره ابن جرير وروى فيه حديثًا مرفوعًا، وعن السدي: «المراد هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ أخو موسى». والمعنى: أنها كانت من ذريته كما يقال: يا أخا تميم ويا أخا بني فلان، إذا كان واحدًا منهم.

(٥) قوله: (أن كلموه). أي: كلموا عيسى، و«أن» تفسيرية.

(٦) قوله: (وجد). أشار به إلى أن ﴿كَانَ﴾ هنا تامة، و﴿صَبِيًّا﴾ حال. وبمثله فسر ابن جرير. ولم يجعل «كان» ناقصة، نظرًا للمعنى؛ لأن الناقصة توهم أن الكلام عن حالٍ سابقة، =

(٣٠)- ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[١] أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾.

(٣١)- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نفَّاعًا للناس إخبار بما كتب له[٢] ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)﴾.

(٣٢)- ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ منصوب بـ«وَجَعَلَنِي» مقدرًا ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاظمًا ﴿شَقِيًّا (٣٢)﴾ عاصيًا لربه.

(٣٣)- ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ من الله[٣] ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

= كما تقول: كان زيد كذا وكذا. ولكن يصح إعرابها هنا ناقصة فيكون ﴿صَبِيًّا﴾ خبرها، ويكون المعنى اتصاف الاسم بالخبر في الحاضر كما في ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء: ٩٦] ونحو ذلك، ويحتمل كون «كان» زائدة والجار والمجرور صلة الموصول، وذكر الاحتمالات كلها البيضاوي.

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ...﴾ أي: قال عيسى لهم: إني عبد الله...

قال ابن جرير: «معنى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أن الله قضى أن يؤتيني الكتاب». ورواه عن عكرمة، وكذا فسر به القرطبي، يعني أنه ليس المراد أنه أنزل إليه الكتاب وجعله نبيًّا في الحال، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: «إخبار بما كتب له».

(٢) قوله: (أي: نفّاعًا...). كذا فسره به مجاهد، وعنه أيضًا: «معلمًا للخير».

(٣) قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾. نقل القرطبي عن الزجاج، قال: «ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام فحسن في الثانية ذكر الألف واللام».اهـ. كأنه يشير إلى أن «أل» هنا عهدية. وقال البيضاوي: «والأظهر أن الألف واللام للجنس والتعريض باللعن على أعدائه، فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧)﴾ [طه: ٤٧]».اهـ.

(٣٤)- قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلُ ٱلۡحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر[١]، أي: قول ابن مريم وبالنصب بتقدير: قلت. والمعنى: القول الحق[٢] ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ (٣٤)﴾ من المرية، أي: يشكون[٣]، وهم النصارى: قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا.

(٣٥)- ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ تنزيهًا له عن ذلك[٤] ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥)﴾ بالرفع[٥]، بتقدير هو، وبالنصب: بتقدير «أن»، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب[٦].

---

(١) قوله: (بالرفع). بيان للقراءتين وتوجيههما، فقد قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بالنصب ﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾ على أنه مفعول مطلق لـ(قلت) المقدر، وقرأ غيرهم بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وقيل: نعت لعيسى.

(٢) وقوله: (والمعنى:...). أفاد به أن إضافة ﴿قَوۡلَ﴾ إلى ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة، والمعنى: القول الحق.

(٣) قوله: (يشكون). كما فسر به القرطبي وغيره. وعن قتادة: «يختلفون»، فإن النصارى اختلفوا فيه فقالت اليعقوبية: هو الله، وقالت النسطورية: هو ابن الله، وقالت الإسرائيلية الملكانية منهم: هو ثالث ثلاثة، وقالت طائفة منهم، وهم المسلمون: عبد الله ورسوله».اهـ. ملخصًا من القرطبي. وعن ابن جريج نحوه، وروى ابن جرير عن قتادة: «امترت فيه اليهود والنصارى، فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب، وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإله، وكذبوا كلهم...».اهـ.

(٤) قوله: (تنزيهًا). أشار به إلى أن «سبحان» مفعول مطلق، وقد تقدم في أول سورة البقرة.

(٥) قوله: (بالرفع). قراءة الجمهور. وبالنصب: ﴿فَيَكُونَ﴾: قراءة ابن عامر. ووجههما كما ذكر المفسر.

(٦) قوله: (ومن ذلك). أي: من الأمر الذي أراد إيجاده.

﴿٣٦﴾- ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ بفتح «أَنَّ»[(١)] بتقدير: (اذكر)، وبكسرها[(٢)] بتقدير: (قل)، بدليل: « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » [المائدة: ١١٧]، ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ مؤد إلى الجنة.

﴿٣٧﴾- ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النصارى في عيسى: أهو ابن الله[(٣)]، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله[(٤)].

﴿٣٨﴾- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب[(٥)] بمعنى: ما أسمعهم وما

(١) قوله: (بفتح «إن»). قرأ به نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس. وقرأ الباقون بكسر الهمزة: ﴿وَإِنَّ﴾. ووجه الفتح: قال المفسر بتقدير: (اذكر). وقال بعض المعربين: بتقدير حرف الجر: أي: وبأن الله. أو ولأن الله، نسب إلى الخليل وسيبويه، وعن الفراء: «جواز كون المصدر المؤول من ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ معطوفًا على «الصلاة»، أي: وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم». ذكر ذلك كله القرطبي.

(٢) وقوله: (وبكسرها...). بيان لوجه كسر الهمزة، قال: بتقدير: (قل). ويصح أيضًا كونه معطوفًا على: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. فيكون من مقول عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في المهد. كما يحتمل كون الواو استئنافية.

(٣) قوله: (أهو ابن الله...) كما تقدم ذكر اختلافهم وعزوه إلى فرقهم، كما نقله أئمة التفسير مع اختلاف يسير في السياق.

(٤) قوله: (أي: حضور...). أشار إلى أن ﴿مَّشْهَدِ﴾ مصدر ميميّ، ويحتمل كونه ظرفًا، و﴿مِن﴾ الداخلة عليه بيانية. وتقدم شرح كلمة الويل في سورة البقرة.

(٥) قوله: (صيغتا تعجب...). كما هو معروف في النحو، أن التعجب له صيغتان مطردتان: «ما أفعله»، و«أفعل به». و«أفعِلْ» فعل ماضٍ حُول إلى صيغة الأمر، والمجرور بالباء فاعله عند البصريين. والباء زائدة لازمة، وحذف فاعل ﴿وَأَبْصِرْ﴾ لعطفه على مثله، =

أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر[(١)] ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ أي: بيّن به صموا عن سماع الحق، وعموا عن إبصاره، أي: اِعجب منهم[(٢)] يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًّا عميًا.

﴿٣٩﴾- ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ خوّف يا محمد كفار مكة[(٣)] ﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة[(٤)]، يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب[(٥)] ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ به.

= وهو من مواضع جواز حذف الفاعل، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في شرح «الثلاثيات» وغيره. فنعرب ﴿أَسْمِعْ﴾: فعل ماض مبني على الفتح المقدر منع من ظهوره السكون لمجيئه على صورة الأمر. والباء: زائدة مؤكدة. وما بعدها فاعل في محل رفع هنا.

(١) قوله: (من إقامة الظاهر...)، أي: فالمعنى: لكنهم. فأقيم مقامه ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لفائدة بلاغية.

(٢) قوله: (أي: اعجب منهم). أشار به إلى أن التعجب هنا من جهة المخاطبين، لا للمتكلم. وذلك بناءً على أن معنى التعجب استعظام أمر خفي سببه، فهذا المعنى لا ينسب إلى الله تعالى؛ لأنه لا يخفى عليه شيء، ولذلك أوله من أوّله بأن المراد بالتعجب: تعجيب المخاطب، أي: إيقاعه في العجب، كما أشار المفسر. ولكن ثبت العجب صفةً لله تعالى، بمعنًى يليق به كسائر صفاته تعالى.

(٣) قوله: (كفار مكة). تفسير للضمير الغائب «هم». وبذلك فسر ابن جرير وغيره.

(٤) وقوله: (هو يوم القيامة). أي: فهو من أسماء يوم القيامة، كما قاله ابن عباس، وله أسماء كثيرة وردت في القرآن الكريم، ومنها: القارعة، يوم الدين، يوم التغابن، الساعة، الآزفة، وتعدّد الأسماء للشيء يدل على عظمته. وقد جمعناها في نظم.

(٥) قوله: (فيه بالعذاب). أي: في ذلك اليوم قضي بالعذاب، قال ابن كثير والقرطبي: «أي: فرغ من الحساب، وفصل بين أهل الجنة وأهل النار»، ونقل ابن جرير عن ابن جريج:=

﴿٤٠﴾- ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد[١] ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم[٢]، بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فيه للجزاء.

﴿٤١﴾- ﴿وَٱذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغًا في الصدق[٣] ﴿نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ ويبدل من خبره[٤]:

﴿٤٢﴾- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر[٥] ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة[٦]، ولا يجمع بينهما[٧]،

= ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، قال: «ذبح الموت».اهـ. كما ورد في البخاري ما حاصله: «أن الموت يجاء به يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بحيث ينظره أهل الجنة وأهل النار».اهـ. وقول المفسر هنا (بالعذاب) يشمل كل ما ورد في معنى ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

(١) قوله: (تأكيد). أي: لضمير المتكلم، فيكون في محل نصب، و﴿نَحْنُ﴾ وإن كان في الأصل ضمير رفع لكنه يقع في محل نصب وجر تبعًا؛ لأنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في الأصل. وكذلك سائر ضمائر الرفع المنفصلة، نحو: أنت، وأنا.

(٢) قوله: (من العقلاء...). أشار به إلى أن في استعمال «مَن» تغليبًا للعقلاء، والباء في (بإهلاكهم) للتصوير، أي: صورة إرثهم إهلاكهم.

(٣) قوله: (مبالغًا في الصدق). أفاد أن ﴿صِدِّيقًا﴾ صيغة مبالغة من الصدق على وزن: فِعِّيل.

(٤) قوله: (ويبدل من خبره). أي: خبر إبراهيم، يبدل منه ما بعده بدل اشتمال، فتكون جملة ﴿إِذْ قَالَ﴾ في محل نصب بدلًا من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

(٥) قوله: (آزر). تقدم الكلام فيه في تفسير سورة الأنعام الآية (٧٤).

(٦) قوله: (التاء عوضًا). أي: فالتاء حرفٌ عوضٌ عن ياء المتكلم، وهو المراد بقوله: (ياء الإضافة) أي: ياء المتكلم المضاف إليه.

(٧) قوله: (ولا يجمع بينهما). أي: بين الياء والتاء، فلا تقول: يا أبتي.اهـ. على الأصح، =

وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ[1] تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ من نفع أو ضرّ.

﴿٤٣﴾ - ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا﴾ طريقًا ﴿سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ مستقيمًا.

﴿٤٤﴾ - ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ بطاعتك إياه[2] في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ كثير العصيان[3].

﴿٤٥﴾ - ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ[4] أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ ناصرًا وقرينًا في النار.

= ويجوز في نداء الأب والأم المضافين إلى ياء المتكلم ثمانية أوجه، ووجهان شاذان، فالمجموع عشرة: فالمطردة: يا أبي، يا أبِيَ، يا أبِ، يا أبَا، يا أبَ، يا أبُ، يا أبتِ، يا أبتُ. والوجهان الشاذان: يا أبتي، يا أبتا. وقس عليه نداء الأم، ويجوز في غيرهما إذا أضيف إلى ياء المتكلم: الستة الأوجه الأولى، والتفصيل في كتب النحو.

(١) وقوله: ﴿لِمَ﴾ «ما»: اسم استفهام. حذفت ألفها وجوبًا لَمّا دخل عليها حرف جر.

(٢) قوله: (بطاعتك...). الباء للتصوير. أي: صورة عبادة الشيطان: طاعته في عبادة الأصنام.

(٣) قوله: (كثير العصيان). أفاد به أن ﴿عَصِيًّا﴾ فعيل محوّل عن فاعل «عاص» للمبالغة. فإن «فعيلًا» إذا كان محوّلًا عن فاعل كان من صيغة المبالغة؛ كالفَعَّال والفَعول والمفعال والفَعِل. وإن لم يكن فعيل محوّلًا عن فاعل، أي: إن لم يكن له فاعل فهو صفة مشبهة نحو: كريم، وعظيم. ويأتي «فعيل» بمعنى: اسم مفعول، نحو: قتيل وجريح، ويأتي مصدرًا يدل على صوت أو سير، نحو: صهيل ورحيل. والتفصيل في كتب النحو. وتقدم ذكرها في تفسير سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٤) قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾. قال ابن جرير: «الخوف هنا: بمعنى العلم، كما في ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الكهف: ٨٠]».

٤٦- ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[١] فتعيبها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح[٢]، فاحذرني[٣] ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ٤٦﴾ دهرًا طويلًا[٤].

٤٧- ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ مني، أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ من حفي[٥]، أي: بارًّا فيجيب دعائي، وقد وفَى بوعده

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾. يجوز إعراب ﴿أَنتَ﴾ فاعلًا سد مسد الخبر، أي: أغنى عن الخبر. و﴿أَرَاغِبٌ﴾ مبتدأ، لأنه وصف اعتمد على الاستفهام، ومعلوم في علم النحو، أن المبتدأ إن كان وصفًا معتمدًا على استفهام أو نفي يكون ما بعده فاعلاً للمبتدأ أو نائب فاعل أغنى عن الخبر. كقوله: «أقائم الزيدان؟»، فإن كان الوصف والمرفوع مفردين جاز إعراب الوصف مبتدأ وما بعده سد مسدّ الخبر، وجاز كون الوصف خبرًا مقدمًا وما بعده مبتدأ مؤخرًا نحو: أقائم زيد. وكما في الآية: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾؛ فيجوز كون ﴿أَرَاغِبٌ﴾ مبتدأ، و﴿أَنتَ﴾ فاعلًا أغنى عن الخبر، كما يجوز كون «راغب» خبرًا مقدمًا، و﴿أَنتَ﴾ مبتدأ مؤخرًا، ولكن إعرابه فاعلًا سد مسدّ الخبر أولى؛ لأنه إذا أعرب مبتدأ كان فاصلًا بين العامل ﴿أَرَاغِبٌ﴾ ومعموله ﴿عَنْ ءَالِهَتِي﴾. والفصل بين العامل ومعموله بأجنبي غير جيّد.

(٢) قوله: (بالحجارة). عزا القرطبي هذا التفسير إلى الحسن.

وقوله: (بالكلام). تفسير آخر للمراد بالرجم هنا. وهذا عزاه القرطبي إلى الضحاك، ورواه ابن جرير عنه وعن السدي وابن جريج.

(٣) وقوله: (فاحذرني). قدره ليعطف عليه ﴿وَٱهْجُرْنِي﴾، ففي الكلام إيجاز بالحذف.

(٤) قوله: (دهرًا طويلًا). روى نحوه عن الحسن، ومجاهد، وابن إسحٰق، وروي عن ابن عباس، وقتادة: «سويًا، سالمًا». أي: اجتنبني قبل أن يصيبك مني عقوبة. ذكره ابن جرير.

(٥) قوله: (من حفي). أي: ﴿حَفِيًّا﴾ مأخوذ من حَفِيَ، أي: من مصدره، فهو صفة مشبهة منه.

بقوله المذكور في الشعراء[(١)] ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ [الشعراء: ٨٦]، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في براءة[(٢)].

(٤٨)- ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ﴾ تعبدون[(٣)] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰٓ أَ﴾ ن[(٤)] ﴿لَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيّٗا ٤٨﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام[(٥)].

(٤٩)- ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة[(٦)] ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ ابنين[(٧)]، يأنس بهما ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا﴾ منهما ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩﴾.

---

(١) وقوله: (وقد وفى...). أي: وفى إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعده بالدعاء لأبيه، وذلك كما ذكر في سورة الشعراء: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾.

(٢) قوله: (في براءة). أي: سورة التوبة الآية (١١٤).

(٣) قوله: (تعبدون). أفاد أن الدعاء هنا بمعنى العبادة، كما فسر به ابن كثير، وكما يناسب ما في الآية التالية: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾.

(٤) قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ﴾، ﴿عَسَىٰٓ﴾ هنا تامة، والمصدر المؤول من «أن» والفعل فاعلُ ﴿عَسَىٰٓ﴾ عند الجمهور خلافًا لابن مالك. وفي بعض النسخ ﴿أَلَآ أَكُونَ﴾ بدون إظهار النون.

(٥) قوله: (كما شقيتم...). يفيد أن في هذا الكلام تعريضًا بهم.

(٦) قوله: (بأن ذهب...). وكان ذلك بعد أن ألقاه ملك بابل وأهلها في النار فنجاه الله منها، وكانت بردًا وسلامًا عليه. فبعد ذلك تركهم واتجه إلى الشام مع لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١].

(٧) قوله: (ابنين). يعني: ابنًا وابن ابن. إسحٰق وابنه يعقوب. كما بشر بهما في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود: ٧١].

٥٠- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد[١] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ رفيعًا، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

٥١- ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام وفتحها[٢]، من أخلص في عبادته، وأَخْلَصَه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾.

٥٢- ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ بقول[٣]: يا موسى إني أنا الله ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين[٤] ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ مناجيًا بأن أسمعه الله تعالى كلامه[٥].

---

(١) قوله: (المال والولد). وبمثله فسر ابن جرير. وكذا قوله: (هو الثناء الحسن). فسر بنحوه ابن جرير، ورواه عن ابن عباس. وإطلاق اللسان على الثناء من المجاز المرسل؛ لأن اللسان آلة للثناء.

(٢) قوله: (بكسر اللام...) أي: بصيغة اسم الفاعل، هذه قراءة الجمهور، وبالفتح: بصيغة اسم المفعول: قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. ووجهها كما قال المفسر.

(٣) قوله: (بقول...). كما في سورة طه الآية (١٤).

(٤) قوله: (أي: الذي يلي...) وبنحوه فسره ابن جرير وغيره، قال: «لأن الجبل لا يمين له ولا شمال».اهـ. فالمراد ما ذكره.

(٥) قوله: (مناجيًا). وبه فسر ابن جرير. فالظاهر أن التقريب هنا تقريب تشريف، كما صرح به البيضاوي. لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في مكانه. وقيل: مرتفعًا من النجوة، وهي الارتفاع، أي: إنه رفع إلى السمٰوات. حكاه البيضاوي بـ«قيل».

وقوله: (بأن أسمعه كلامه). كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وفي كلام المفسر إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأنه سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الحقيقة. وبمثل ما فسر به فسر ابن كثير، فيكون ذلك تفسيرًا لمعنى المناجاة، أي: يعني إسماعه كلام الله تعالى، وروى ابن جرير عن ابن عباس وغيره في تفسير ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾، قال: «أدني حتى سمع صريف القلم».اهـ. وظاهره: أن التقريب: رفعه إلى السماء. والمناجاة: إسماعه صريف الأقلام. والله أعلم.

(٥٣)- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ نعمتنا[(١)] ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيًّا (٥٣)﴾ حال[(٢)]، هي المقصودة بالهبة؛ إجابة لسؤاله[(٣)] أن يرسل أخاه معه، وكان أسن منه[(٤)].

(٥٤)- ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لم يَعِدْ شَيْئًا إلا وفى به[(٥)] وانتظر[(٦)] مَنْ وَعَدَهُ ثلاثة أيام أو حولًا حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم[(٧)] ﴿نَّبِيًّا (٥٤)﴾.

---

(١) قوله: (نعمتنا). فسر به الرحمة؛ لأن المراد هنا الرحمة المجاوزة.

(٢) قوله: (حال). أي: ﴿نَبِيًّا﴾ حال من هارون. وجعله نبيًّا هو المراد بالهبة.

(٣) وقوله: (إجابة لسؤاله...). وذلك ما في سورة طه: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى (٢٩) هَٰرُونَ أَخِى (٣٠)﴾ [٢٩-٣٠]، وغيرها من الآيات.

(٤) قوله: (أسن منه). أكبر من موسى في العمر بسنة، وقيل: بأربع سنوات. ذكره الصاوي.
فائدة: نقل ابن كثير عن بعض السلف قال: «ما شفع أحد في أحد شفاعةً في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبيًّا...».اهـ.

(٥) قوله: (لم يَعِدْ...). هكذا رواه ابن جرير عن ابن جريج. قال القرطبي: «خصه الله تعالى بصدق الوعد وإن كان موجودًا في غيره من الأنبياء، تشريفًا له وإكرامًا كالتلقيب بنحو الحليم والأوّاه والصديق، ولأنه المشهور من خصاله».اهـ.

(٦) وقوله: (وانتظر...). أي: انتظر إسماعيل شخصًا كان وعده اللقاء بمكان، فانتظره فيه ثلاثة أيام، وقد روى ابن جرير عن عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن إسماعيل وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه فنسي الرجل، فانتظره فيه إسماعيل يومًا.اهـ. ملخصًا. وبنحوه نقل القرطبي، وفيما نقله: انتظره ثلاثة أيام، وذكر الزمخشري عن ابن عباس أنه وعد صاحبًا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة.اهـ. ذكره القرطبي.

(٧) قوله: (جرهم). هم قبيلة عربية أتوا مكة بعد استقرار إسماعيل وأمه هاجر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بمكة، فتزوج إسماعيل منهم وبعث إليهم نبيًّا، قال البيضاوي: «كان أولاد إبراهيم =

٥٥- ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي: قومه[١] ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ أصله: مرضوو[٢]، قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة.

٥٦- ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ هو جد أبي نوح[٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦﴾.

٥٧- ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ هو حي[٤] في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة[٥] أُدْخِلها[٦] بعد أن أذيق الموت وأُحْيِيَ، ولم يخرج منها.

= على شريعته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ». واستدل من الآية على أن الرسول لا يلزم كونه صاحب شريعة جديدة. أفاده البيضاوي.

(١) قوله: (أي: قومه). هذا مروي عن الحسن، كما في القرطبي، ويدخل فيهم زوجته وأولاده.

(٢) قوله: (أصله: مرضوو...). أي: لأنه اسم مفعول من: رضي، ورضي أصله: رَضِوَ بالواو؛ لأنه من الرضوان، قلبت الواو الأخيرة -لام الكلمة- ياءً تبعًا للفعل الماضي، فاجتمعت الواو والياء وأولاهما ساكنة فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها، وقلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء، كما فُصِّل في علم الصرف.

(٣) قوله: (هو جد أبي نوح). كذا ذكره البيضاوي، ونقل القرطبي عن أهل السيرة: «أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ابن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، وهو ابن يرد بن مهلائيل ابن قينان بن يانش بن شيث بن آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».اهـ. وإدريس ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية.

(٤) قوله: (هو حي...). أقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ﴾. فروى ابن جرير عن مجاهد قال: «إدريس رفع فلم يمت، كما رفع عيسى».اهـ. وعن ابن عباس، والضحاك: «رفع إلى السماء السادسة ومات بها»، وعن مجاهد: «رفع إلى الرابعة»، وكذا عن أبي سعيد الخدري. وقد ثبت في «صحيح البخاري» -في حديث الإسراء- أنه ﷺ مرّ بإدريس وهو في السماء الرابعة. والقول بأنه في السابعة لم أره معزوًّا.

(٥) وقوله: (أو في الجنة...). تفسير آخر للمكان العلي. عزاه ابن كثير إلى الحسن وغيره.

(٦) وقوله: (أدخلها...). هذا ملخص ما روي عن وهب بن منبه في سبب دخول إدريس =

(٥٨) - ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ[١] ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ صفة له[٢] ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان له[٣]، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط[٤] صفة لـ«ٱلنَّبِيِّـۧنَ»، فقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة، أي: إبراهيم ابن ابنه سام[٥] ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب[٦] ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب، أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي: من جملتهم، وخبر «أُولَٰٓئِكَ»[٧]، ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ

= في الجنة. وحاصلها: أنه جاءه ملك الموت لزيارة له لكثرة ما يرفع له من الصالحات، فطلب إدريس من ملك الموت أن يقبض روحه، ففعل، ثم طلب منه أن يرفعه إلى الجنة، ففعل، فلما دخل إدريس الجنة أبى الخروج منه؛ لأن من دخل الجنة لا يخرج منها، وقد ذاق الموت قبل ذلك، فهو حي في الجنة».اهـ. ذكره القرطبي، وغيره، ويُذكر أن تلك القصص من الإسرائيليات، فالله أعلم.

(١) قوله: (مبتدأ). أي: اسم الإشارة: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ في محل رفع مبتدأ.

(٢) وقوله: (صفة له). أي: الاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل رفع صفة لـ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾، ويصح كونه بدلًا أو عطف بيان، كما يصح إعرابه خبرًا لـ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾.

(٣) وقوله: (بيان له). أي: للاسم الموصول، فيكون ﴿مِّنَ﴾ بيانية لا تحتاج إلى متعلق، ويصح كون الجار والمجرور حالًا، فيكون متعلقًا بمحذوف، أي: كائنين من النبيين.

(٤) قوله: (إلى جملة الشرط). وهي جملة: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾، واسم الإشارة ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الأنبياء العشرة المذكورين في هذه السورة.

(٥) قوله: (ابن ابنه سام). المراد أن إبراهيم من أولاد سام بن نوح، وليس أنه ابن ابنه القريب؛ لأن بين إبراهيم وسام عشرة قرون. ذكره الصاوي.

(٦) قوله: (ويعقوب). أي: فهو ابن إسحٰق بن إبراهيم، كما هو معلوم.

(٧) قوله: خبر ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾) يعني أن الجملة الشرطية ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ في محل رفع خبر ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾،=

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ جمع ساجد وباك، أي: فكونوا مثلهم[١]، وأصل بكيّ: بكُوي[٢]، قلبت الواو ياءً والضمة كسرة.

﴿٥٩﴾- ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ[٣] أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها[٤]، كاليهود والنصارى ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ هو وادٍ في جهنم[٥]، أي: يقعون فيه.

= هذا على ما أعربه المفسر، وإذا أعربنا ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ خبرًا تكون الجملة الشرطية مستأنفة لا محل لها من الإعراب، أو خبرًا ثانيًا في محل رفع.

(١) قوله: (فكونوا...). هذا الموضع الخامس من مواضع سجود التلاوة.

(٢) وقوله: (وأصل بكيّ). أي: على وزون فُعُول، فالواو حرف زائد والياء لام الكلمة، لما اجتمعت الواو والياء في كلمة وأولاهما ساكنة قلبت الواو ياءً وأدغمت فيها، كما هو معروف في علم الصرف.

(٣) ﴿خَلْفٌ﴾ بسكون اللام يستعمل في الشر، و«خَلَف» بفتح اللام يستعمل في الخير. كما في «الكشاف»، والفعل منهما: خَلَفَه، يخلُفه. ونقل في «إعراب القرآن» للدرويش عن اللحياني: «الخَلَف: بفتحتين: الولد الصالح، والخلْف بفتح فسكون: الرديء». اهـ.

(٤) قوله: (بتركها). يعني: أن المراد بإضاعة الصلاة: تركها، وهو الذي اختاره ابن جرير، بعد أن روى عن القاسم بن مخيمرة أن المراد بالإضاعة: إضاعتها عن مواقيتها، أي: تأخيرها عن الوقت لا تركها.

(٥) قوله: (هو وادٍ...). كذا رواه ابن جرير عن عبدالله بن عمرو وعبدالله بن مسعود، وفي رواية عن ابن مسعود أنه نهر في جهنم. وفي أخرى عن أبي أمامة مرفوعًا: «أن الغي والأثام بئران في أسفل جهنم، يسيل فيهما صديد أهل النار...». نعوذ بالله من ذلك، وعن ابن عباس: «غيًّا: خسرانًا».

(٦٠)- ﴿إِلَّا﴾ لكن[١] ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيۡـًٔا (٦٠)﴾ من ثوابهم.

(٦١)- ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إقامة، بدل من «ٱلۡجَنَّةَ»، ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ حال[٢]، أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي: موعوده[٣] ﴿مَأۡتِيًّا (٦١)﴾ بمعنى آتيا[٤]، وأصله: مأتوي[٥]، أو موعوده[٦] هنا الجنة يأتيه أهله.

(٦٢)- ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن[٧] يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض[٨] ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (٦٢)﴾

---

(١) قوله: (لكن). أشار إلى أن الاستثناء منقطع، وهو اختيار الزجاج. ويصح كونه متصلًا، كما هو ظاهر كلام ابن جرير، واختيار أبي حيان.

(٢) قوله: (حال). أي: الجار والمجرور ﴿بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ حال من ﴿عِبَادَهُۥ﴾. على تأويله باسم الفاعل،وبمثله فسر ابن جرير.

(٣) وقوله: (أي: موعوده). أفاد أن الوعد هنا مصدر بمعنى اسم المفعول، وبذلك فسر ابن جرير.

(٤) وقوله: (بمعنى: آتيا). يعني: أن اسم المفعول ﴿مَأۡتِيًّا﴾ بمعنى اسم الفاعل مجازًا. وهذا الوجه عزاه القرطبي إلى العبتي.

(٥) قوله: (وأصله: مأتوى). أي: على وزن مفعول قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها، كما هو معروف في علم الصرف، وكما تقدم في ﴿بُكِيًّا﴾ آنفًا.

(٦) وقوله: (أو موعوده...). بيان لوجه آخر لمعنى ﴿مَأۡتِيًّا﴾، أي: هو اسم مفعول، ومعناه: أنه يأتيه أهله. وباعتبار المعنى كلاهما مستعمل؛ لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه، تقول: أتت عليّ ستون سنة وأتيت على ستين سنة.اهـ. كما في القرطبي، وابن جرير، وغيرهما.

(٧) قوله: (لكن). أي: فالاستثناء منقطع.

(٨) وقوله: (من الملائكة...، أو من بعضهم...). كذا ذكره القرطبي، وعزاه إلى مقاتل وغيره.

أي: على قدرهما في الدنيا[١]، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا.

﴿٦٣﴾- ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ بطاعته.

﴿٦٤﴾- ونزل[٢] لما تأخر الوحي أيامًا، وقال النبي ﷺ لجبريل: «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟**»: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ أي: أمامنا[٣] من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ بمعنى ناسيًا، أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك[٤].

---

(١) قوله: (على قدرهما...). روى نحو ذلك ابن جرير عن قتادة، ومجاهد. قال قتادة: «كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيًّا قدر ذلك الغداء والعشاء».اهـ.

وقد مر في تفسير سورة الكهف: أن الغداء ما يؤكل أول النهار. [الآية: ٦٢]، وأما العشاء بفتح العين: فهو ضد الغداء، ما يؤكل في العشيّ. والعشي من الزوال إلى الغروب، فإذا غربت الشمس سمي عِشاءً. على ما قاله الأزهري. وقيل: العشي من الغروب إلى الفجر. كما في «مختار الصحاح».

(٢) قوله: (ونزل...). أي: الآية التالية. وما ذكره من سبب النزول رواه البخاري في «صحيحه» عند تفسير هذه الآية.

(٣) قوله: (أمامنا...). يعني: المراد بـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين الدنيا والآخرة. هذا مرويّ عن ابن عباس، وابن جبير، والضحاك، وغيرهم. واختاره ابن جرير. وقال أبو العالية، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم: «﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النفختين».اهـ. وعلى كلا التفسيرين يفيد الكلام تعميم الأزمان والأحوال كما هو واضح.

(٤) قوله: (أي: تاركًا...). بمثله فسر ابن جرير، وروى عن مجاهد، قال: «ما نسيك =

﴿٦٥﴾- هو ﴿رَّبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ أي: مسمًّى بذلك؟ لا[1].

﴿٦٦﴾ - ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ المنكر للبعث: أُبَيّ بن خلف أو الوليد بن المغيرة[2] النازل فيه الآية: ﴿أَءِذَا﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها[3] وإدخال ألف بينها

= ربك».اهـ. وقوله: أي (تاركًا) فيه إشارة إلى أن النسيان إذا أسند إلى الرب تعالى يكون معناه الترك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ [السجدة: ١٤]، وهذا من التأويل الصحيح.

تنبيه: بعض منكري القياس الفقهي يتعلق بهذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾﴾، على إنكار القياس، من حيث إن حكم المقيس لو كان مثل المقيس عليه لصرّح به الشارع ولم يسكت، وما كان ربك نسيًّا، وهذا الكلام منهم ظاهر البطلان وغني عن الإجابة.

(١) قوله: (مسمًّى بذلك). نقل القرطبي هذا المعنى عن قتادة، والكلبي، وعن ابن عباس: «ليس أحد يسمّى الرحمن غيره تعالى»، وعن ابن عباس أيضًا، ومجاهد، وقتادة: «هل تعلم للرب مثلًا أو شبهًا».

وقوله: (لا). جواب الاستفهام. أفاد به أن الاستفهام للنفي.

(٢) قوله: (أُبَيّ بن خلف...). هما من مشركي مكة. قال القرطبي: «الإنسان هنا: أُبَي بن خلف. قاله الكلبي، والواحدي، والقشيري، وعن ابن عباس: «هو الوليد بن المغيرة وأصحابه».اهـ. ملخصًا. وعلى كلا القولين يكون «أل» في ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ عهدية، وفي حكمهما كل من ماثلهما.

(٣) قوله: (بتحقيق...). ذكر أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين بلا إدخال ألف بينهما.

٢- تحقيقهما بإدخال ألف بينهما.

٣- تسهيل الثانية مع ألف بينهما. =

بوجهيها وبين الأخرى ﴿مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ من القبر كما يقول محمد؛ فالاستفهام بمعنى النفي، أي: لا أحيى بعد الموت، و«مَا» زائدة للتأكيد[١]، وكذا اللام[٢]، وردّ عليه بقوله تعالى:

﴿٦٧﴾- ﴿أَوَلَا يَذَّكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أصله «يتذكر»[٣]، أبدلت التاء ذالًا وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

﴿٦٨﴾- ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نجمع كلًّا منهم وشيطانه في سلسلة[٤] ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ على الركب، جمع جاثٍ، وأصله: جُثُوو أو جثُوي[٥]، من: جثا، يجثو، أو يجثي، لغتان.

٤- تسهيلها بلا ألف. كما تقدم في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]. فقوله: (بوجهيها) أي: التحقيق والتسهيل.

(١) قوله: (و﴿مَا﴾ زائدة). أي: في ﴿أَءِذَا مَا﴾، وكذلك ﴿مَا﴾ بعد ﴿إِذَا﴾ تكون زائدة مؤكدة أبدًا كما تقدم ذلك في تفسير آية الدين من سورة البقرة الآية (٢٦٧).

(٢) وقوله: (وكذا اللام). أي: في ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾.

(٣) قوله: (أصله «يتذكر»). أي: على قراءة: ﴿يَذَّكَّرُ﴾: بتشديد الذال: وهي قراءة الجمهور.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم: ﴿يَذْكُرُ﴾: بوزن الثلاثي المجرد. وإليه أشار المفسر بقوله: (وفي قراءة: تركها...). أي: ترك التاء المدغمة.

(٤) قوله: (أي: نجمع...). فيه إشارة إلى أن الواو في ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ للمعية، كما يصح كونها عاطفة، وما ذكره من المعنى فسر بنحوه ابن جرير، قال: «... مقرنين بأوليائهم من الشياطين».اهـ.

(٥) قوله: (وأصله: جثوو). أي: على وزن: فُعُول.

٦٩- ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ[١] عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾ جراءة.

٧٠- ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم الأشد وغيره منهم ﴿صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾ دخولًا واحتراقًا[٢]، فنبدأ بهم، وأصله: صُلُوي من صَلِيَ بكسر اللام وفتحها.

٧١- ﴿وَإِن﴾ أي: ما[٣] ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد[٤] ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل جهنم[٥] ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ حتمه وقضى به، لا يتركه.

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾. «أيّ» هنا اسم موصول بمعنى: الذي، مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لـ﴿نَنزِعَنَّ﴾. بنيت على الضم لإضافتها وحذف صدر صلتها، والتقدير: أيهم هو أشدّ. فـ﴿أَشَدُّ﴾ خبر لمبتدأ محذوف والجملة لا محل لها من الإعراب، صلة أيّ. و«أي» الموصولة لها أربعة أحوال، تبنى في حالةٍ وتعرب في البواقي، وهن:

١- ذكر المضاف إليه مع ذكر صدر الصلة نحو: أكرم أيَّهم هو ناجح.

٢- حذف المضاف إليه وصدر الصلة، نحو: أكرِمْ أيًّا ناجح.

٣- حذف المضاف إليه وذكر صدر الصلة، نحو: أكرم أيًّا هو ناجح. وقد ذكرنا تفصيل ذلك واستعمالات «أي» في الشرح الثري على «الثلاثيات».

(٢) قوله: (دخولًا). أفاد أن ﴿صِلِيًّا﴾ مصدر على وزن «فُعُول»، بخلاف ﴿جِثِيًّا﴾ فكان جمعًا.

(٣) قوله: (ما). أفاد أن ﴿إِن﴾ نافية ويدل على ذلك ذكر ﴿إِلَّا﴾.

(٤) قوله: (أحد). قدره لبيان المستثنى منه، وعلى تقديره يصح كون ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ نعتًا له، وهو أي (أحد) مبتدأ و﴿مِّنكُمْ﴾ خبر مقدم. وإذا لم يقدر (أحد) يكون ﴿وَارِدُهَا﴾ مبتدأ مؤخرًا، والاستثناء يكون مفرغًا. والله أعلم.

(٥) قوله: (أي: داخل جهنم). ظاهر كلامه: أن كل بر وفاجر يدخل جهنم، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا، وعلى الكافرين عذابًا. روي ذلك عن ابن عباس، وجابر، وخالد بن معدان، وغيرهم. والذي رجحه ابن كثير، وابن جرير، وغيرهما: أن الورود بمعنى:=

٧٢- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشددًا ومخففًا[١] ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشرك والكفر، منها[٢] ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ على الركب.

٧٣- ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، حال[٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلًا ومسكنًا، بالفتح من قام[٤]، وبالضم من أقام ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ بمعنى النادي[٥]، وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون: نحن، فنكون خيرًا منكم.

٧٤- قال تعالى: ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرًا[٦] ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أمَّة من

= المرور على الصراط. وروي أيضًا عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار، والسديّ، وغيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١]. وعن مجاهد: «الورود ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمّى والمرض»، قال: «الحمّى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾».

(١) قوله: (مشددًا...). قراءتان: ﴿نُنْجِي﴾: من الإنجاء: قراءة الكسائي، ويعقوب. و﴿نُنَجِّي﴾: من التنجية: قراءة الباقين. وهما بمعنى واحد. من باب الإفعال والتفعيل، كالإكرام والتكريم.

(٢) قوله: (الشرك...) مفعول به لـ﴿اتَّقَوا﴾، و(منها) متعلق بـ﴿نُنَجِّي﴾، و﴿جِثِيًّا﴾ تقدم قريبًا.

(٣) قوله: (حال). أي: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ منصوب على أنه حال من ﴿آيَاتُنَا﴾.

(٤) قوله: (بالفتح...): قراءتان: قرأ ابن كثير بضم الميم ظرفًا لـ(أقام). والباقون: بفتحها ظرفًا لـ(قام)؛ لأن الظرف من الثلاثي المجرد يكون بوزن «مَفعل»، ومن غيره يكون بوزن اسم المفعول منه.

(٥) وقوله: (بمعنى النادي...). كما قال ابن عباس: «النديّ: المجلس».

ومعنى الآية: إذا تتلى على الناس الآيات قال الكفار للمؤمنين أيّنا -نحن أم أنتم- أوسع عيشًا، وأنعم بالًا، وأفضل مسكنًا، وأحسن مجلسًا، وأكثر عددًا في النادي.اهـ. ملخصًا مما قاله ابن جرير.

(٦) قوله: (كثيرًا). أفاد أن ﴿كَمْ﴾ خبرية. في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

الأمم الماضية ﴿هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا﴾ مالًا ومتاعًا ﴿وَرِءۡيٗا ٧٤﴾ منظرًا[(١)]، من الرؤية، فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

٧٥- ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ شرط[(٢)]، جوابه ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾ بمعنى الخبر[(٣)]، أي: يمدّ ﴿لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥﴾ أعوانًا، أهم أم المؤمنون، وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين عليهم الملائكة.

٧٦- ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾ بالإيمان ﴿هُدٗىۗ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات[(٤)] ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها[(٥)] ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ

---

(١) قوله: (مالًا... منظرًا). كما قال ابن عباس: «الرئي: المنظر، والأثاث: المتاع».اهـ.
وتفسير القرن بالأمة مضى في سورة الأنعام الآية (٦).

(٢) قوله: (شرط). أي: ﴿مَن﴾ هنا اسم الشرط مبتدأ، وجواب الشرط: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾.

(٣) وقوله: (بمعنى الخبر). أي: جملة ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ﴾ وإن كانت بلفظ الأمر لكن معناه الخبر.
فالخبر هنا ضد الإنشاء، أفادت الآية أن ما يفتخر به الكفار على المؤمنين من أموالهم وعددهم وعُدَدهم كل ذلك استدراج، ومآلهم العذاب في الدنيا والآخرة أو في الآخرة. كما يعلم من كلام أئمة التفسير.

(٤) قوله: (بما ينزل عليهم...) كما قال تعالى: ﴿...فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤]، وفي الآية دليل على زيادة الإيمان، كما هو قول أهل السنة خلافًا للمرجئة، وقد سبق ذكر ذلك.

(٥) قوله: (هي الطاعات...). تقدم تفسيره بـ«سبحان الله...». في الكهف الآية (٤٦). وهنا فسر بما هو أعمّ، وكلاهما وارد، كما تقدم هناك.

ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار. والخيرية هنا في مقابلة قولهم: «أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا»[(١)].

﴿٧٧﴾- ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القائل هو: العاص بن وائل[(٢)] ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت القائل له: تبعث بعد الموت[(٣)]، والمطالب له بمال[(٤)]: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث[(٥)] ﴿مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ فأقضيَنَّك.

﴿٧٨﴾- قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: أعَلِمَه وأن يؤتى ما قاله؟ واستغنى

---

(١) قوله: (والخيرية هنا...) جواب إشكال، حاصله: أن ﴿خَيْرٌ﴾ اسم التفضيل، يقتضي المشاركة في الخيرية والزيادة مع أن ما عليه الكفار لا خير فيه قط، فأجاب بأن ذكر ﴿خَيْرٌ﴾ هنا في مقابلة قوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾ لا لوجود الخير فيهم.

(٢) قوله: (العاص بن وائل). أي: السهمي، من كفار مكة، وفيه إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات، روى ابن جرير ذلك عن مسروق، وابن عباس، ومجاهد بسياقٍ متقارب، فعن مسروق، عن خباب، قال: «كنت رجلًا قينًا، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، فقال: فإذا أنا مت ثم بعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ...﴾ الآية». وفي رواية ابن عباس: «قال العاص بن وائل: ألستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهبًا وحريرًا ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: إن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتين مالًا وولدًا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به...».

فقول المفسر: (القائل له). صفة لخباب، والضمير في (له) عائد إلى العاص بن وائل.

(٣) وقوله: (تبعث بعد الموت). مقول القول.

(٤) وقوله: (المطالب له...). معطوف على القائل له فهو نعت لخباب أيضًا.

(٥) وقوله: (على تقدير البعث). أفاد أن قوله هذا كان على سبيل التهكم، فإنه لا يؤمن بالبعث.

بهمزة الاستفهام[١] عن همزة الوصل فحذفت ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ بأن يؤتى ما قاله.

﴿٧٩﴾- ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتى ذلك[٢] ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب[٣] ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ نزيده بذلك عذابًا فوق عذاب كفره.

﴿٨٠﴾- ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ لا مال له ولا ولد[٤].

﴿٨١﴾- ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿آلِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا[٥].

﴿٨٢﴾- ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفونها كما في آية أخرى[٦]: «مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾» [القصص: ٦٣]،

---

(١) قوله: (واستغنى...). أي: فالهمزة في ﴿أَطَّلَعَ﴾ للاستفهام، وأصله: أاطّلع، فقوله: أعلمه) الهمزة استفهامية أي: أعلِمَ الغيب.

(٢) قوله: (أي: لا يؤتى ذلك). فيه إشارة إلى أن ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وإنكار، ليس له محل إعراب، وهذا مذهب الخليل وسيبويه وجمهور البصريين، كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

(٣) وقوله: (نأمر بكتب). أشار به إلى أن إسناد الكتابة إلى الله تعالى هنا من المجاز العقليّ؛ لأن الكتبة هم الملائكة، إلا التوراة فكتبها بيده. كما في الحديث.

(٤) قوله: (لا مال له...). قاله قتادة.

(٥) قوله: (شفعاء...). كما قال البيضاوي: «ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله وشفعاء عنده».اهـ.

(٦) قوله: (في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا...﴾ من سورة القصص الآية (٦٣).

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ۝٨٢﴾ أعوانًا وأعداءً[١].

٨٣- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ سلّطناهم ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ﴾ تهيجهم إلى المعاصي[٢] ﴿أَزّٗا ۝٨٣﴾.

٨٤- ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس[٣] ﴿عَدّٗا ۝٨٤﴾ إلى وقت عذابهم.

٨٥- اذكر ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم[٤] ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ۝٨٥﴾ جمع وافد[٥]، بمعنى: راكب[٦].

---

(١) قوله: (أعوانًا...). قال ابن عباس: «أعوانًا»، وقال الضحاك: «أعداءً»، وجمع المفسر بين القولين، وعن ابن عباس وقتادة أيضًا: «قرناء في النار». كما في ابن جرير، وكل الأقوال متلازمة.

(٢) قوله: (تهيجهم). بمثله روي عن ابن عباس قال: «تغريهم إغراءً»، وعن قتادة، قال: «تزعجهم إزعاجًا في معصية الله».

(٣) قوله: (الأيام...) مفعول به لـ﴿نَعُدُّ﴾ نقل القرطبي هذا عن الكلبي، وعن الضحاك: «الأنفاس»، وعن ابن عباس نحوه.

(٤) قوله: (بإيمانهم) متعلق بـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. والباء للسببية أو للتصوير، وكذا قوله الآتي: (بكفرهم).

(٥) قوله: (جمع: وافد). هذا على قول بعض النحاة، فإن الجمع ما دل على أكثر من اثنين وله مفرد من لفظه، وعند بعضهم هو اسم جمع؛ لأن ما دل على الجماعة إن لم يكن على الوزن القياسي يعدونه اسم جمع، فاسم الجمع عندهم نوعان، ما لا مفرد له من لفظه، أو له مفرد ولكن ليس ذلك على الوزن القياسي.

(٦) وقوله: (بمعنى راكب). أي: فيكون معنى ﴿وَفۡدٗا﴾: ركبانًا. كما روى ابن جرير عن ابن عباس، وروى عن أبي هريرة، قال: «على الإبل»، وعن ابن جريج: «على النجائب»، =

﴿٨٦﴾- ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦﴾ جمع وارد[١]، بمعنى: ماش عطشان[٢].

﴿٨٧﴾- ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾ أي: الناس[٣] ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله[٤].

﴿٨٨﴾- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾. قال تعالى لهم:

= قال قتادة: «وفدًا إلى الجنة». وعلى هذا يكون المضاف مقدرًا أي: إلى جنة الرحمن، وذكره القرطبي، وقال أيضًا: «هذا عند حشرهم من الموقف إلى الجنة، وأما من القبر إلى المحشر فيكون كلهم حفاة عراة غرلًا، ويحتمل كونه في الحالتين للسعداء».اهـ. ملخصًا. وقد روى ابن جرير عن عمرو بن قيس ما يفيد أن الركوب يكون في خروجهم من القبور إلى المحشر.اهـ.

تنبيه: الوفد في الأصل من قولهم: وفد، يفِدُ، وفدًا، فهو وافد وهم وفود، أو وفد، بمعنى: أتى إلى مَلِكٍ لأمر خطير، ويكون غالبًا على المَرْكب، ومن هذا الوجه فسر بالراكب، كما يعلم من القرطبي.

(١) قوله: (جمع وارد). كما يعلم من «مختار الصحاح»، وقال ابن جرير: «هو مصدر: وَرَدَ، يردُ»، أي: بمعنى اسم الفاعل.

(٢) وقوله: (ماش...). قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن: «عطاشًا». ونقل القرطبي عن الأزهري وغيره: «مشاة عطاشًا»، وأصله: المجيء إلى الماء، ولا يكون غالبًا إلا للعطش، ومن هذا الوجه فسر به (عطاشًا)، كما يعلم من القرطبي والبيضاوي.

(٣) قوله: (الناس). على هذا التقدير يكون الاستثناء متصلًا، وإذا أريد بالضمير في ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ﴾ الكفار، فيكون الاستثناء منقطعًا، كما ذهب إليه ابن جرير، والقرطبي.

(٤) قوله: (أي شهادة...). روي كذلك عن ابن عباس.

٨٩- ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ أي: منكرًا عظيمًا(١).

٩٠- ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء(٢) ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ﴾ بالنون(٣)، وفي قراءة: بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق، ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ أي: تنطبق عليهم من أجل:

٩١- ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ قال تعالى:

٩٢- ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ أي: ما يليق به ذلك.

٩٣- ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ذليلًا خاضعًا يوم القيامة منهم عزير وعيسى(٤).

٩٤- ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم.

٩٥- ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه(٥).

---

(١) قوله: (أي: منكرًا...). به فسر ابن عباس وغيره. قال الجوهري: «الإِدُّ والإِدّة: الداهية والأمر الفظيع».اهـ.

(٢) قوله: (بالتاء...). بالياء: قرأ نافع، والكسائي، وبالتاء: الباقون.

(٣) وقوله: (بالنون). أي: ﴿يَنفَطِرْنَ﴾ من باب الانفعال: قرأ به الجمهور. وبالتاء: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ من باب التفعّل: قرأ به نافع، وابن كثير، وحفص، والكسائي، وأبو جعفر.

قال ابن عباس: «إن الشرك فزعت منه السمٰوات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين...». ابن جرير.

(٤) قوله: (منهم عزير...). فعزير عبده اليهود، وعيسى عبده النصارى.

(٥) قوله: (بلا مال...). كذا فسره القرطبي، واستدل بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

٩٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ فيما بينهم[1] يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى.

٩٧- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربيّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ النار[2] بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾ تخوّف ﴿بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ جمع ألدّ، أي: جدِل بالباطل[3]، وهم كفار مكة[4].

٩٨- ﴿وَكَمۡ﴾ أي: كثيرًا[5] ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾ أي: أمة من الأمم

---

(١) قوله: (فيما بينهم...). روى نحوه عن ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: «يحبهم ويحبّبهم». وقال مجاهد: «يحبّهم ويحبّبهم إلى المؤمنين». أي: يحبهم الله ويجعلهم محبوبين عند المؤمنين. وفي قول المفسر: (يحبهم الله) إثبات صفة المحبة لله تعالى بدون تأويل، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وأورد ابن كثير وغيره هنا حديث مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحِبّه، فينادى في السماء، ثم يُنزل له المحبة في أهل الأرض**»، فذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾».اهـ. وروى البخاري نحوه.

(٢) قوله: (النارَ). مفعول به لـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. ويكون (بالإيمان) متعلقًا بـ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، والباء للسببية أو للتصوير.

(٣) قوله: (أي: جدِل...). بكسر الدال، صفة مشبهة من: جَدِلَ، يجْدَلُ، جدَلًا، والجدلُ: شدة الخصومة.

(٤) وقوله: (وهم كفار مكة). خصوا بالذكر موافقة لزمن نزول الآية، فكذلك غيرهم.

(٥) قوله: (كثيرًا). أفاد أن ﴿كَمۡ﴾ خبرية مفعول مقدم لـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾ كما تقدم نظيره.

وقرن بمعنى: الأمة، كما تقدم في سورة الأنعام الآية (٦). وفي (٧١) من هذه السورة.

الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ[١] أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ صوتًا خفيًّا[٢]، لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.



(١) وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾. «من» في ﴿مِنْهُم﴾ تبعيضية متعلقة بـ﴿تُحِسُّ﴾. وفي ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ مزيدة للتوكيد، فلا تحتاج إلى متعلق.

(٢) قوله: (صوتًا خفيًّا). نقل القرطبي نحوه عن أبي عبيدة، واليزيدي: «الركز ما لا يفهم من صوت أو حركة».اهـ.

وروى ابن جرير عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك: «ركزً: أي صوتًا».

٢٠- سورة طه

مكية[١]، وآياتها: مائة وخمس وثلاثون، أو أربعون أو واثنتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿طه (١)﴾ الله أعلم بمراده بذلك[٢].

(٢)- ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَىٰٓ (٢)﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل[٣]، أي: خفف عن نفسك.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول الجميع، نزلت قبل إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم أورد ما رواه الدارقطني من أن عمر خرج متقلدًا سيفه يريد رسول الله، فقيل له: إن ختنك وأختك قد صبَوْا، فتوجه إليهما، وكانا يقرآن سورة طه، حتى سمعها عمر، وتسبب ذلك لإسلامه».اهـ. باختصار.

وفي بعض النسخ: إلا آيتي (١٢٠، ١٢١)، فمدنيتان، وكذا في بعض نسخ القرطبي.

وقوله: (وآياتها...). ذكر المفسر ثلاثة أقوال في عداد الآيات:

١- أنها مائة وخمس وثلاثون آية، وهذا الذي يوجد في ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرها.

٢- أنها مائة وأربعون آية.

٣- أنها مائة واثنتان وثلاثون آية، كما صرح به في شرح الدكتور فخرالدين قباوة، ولم أجد عزو هذه الأقوال إلا أن القول الأول أشهر، وسبب الاختلاف هو اختلاف العلماء في رؤوس بعض الآيات.

(٢) قوله: (الله أعلم...). كما تقدم في نظائره. وعزا القرطبي هذا القول إلى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وعن ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وعكرمة، وغيرهم معناه: يا رجل، بالسريانية، أو بلغة عُكْل أو بلغة عكّ، اختاره ابن جرير، وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (من طول قيامك...). فيه إشارة إلى سبب النزول، نقل القرطبي عن مقاتل، والضحاك، لما نزل القرآن على النبي ﷺ قام به هو وأصحابه، فقال كفار قريش: ما أنزل=

(٣)- ﴿إِلَّا﴾ لكن أنزلناه[١] ﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ يخاف الله.

(٤)- ﴿تَنزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له[٢] ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ جمع عليا، ككبرى وكُبَر.

(٥)- هو[٣] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ استواء يليق به[٤].

(٦)- ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾ هو التراب الندي، والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته[٥].

= الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله طه... وروى نحوه ابن كثير. وعن الكلبي، لما نزل الوحي على النبي ﷺ اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل كله، فأمره الله أن يخفف على نفسه بهذه الآية، فهي ناسخة لقيام الليل. اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (لكن). يعني: أن الاستثناء منقطع؛ لأن التذكرة ليست من جنس المشقة.

(٢) قوله: (بدل...). يعني أن ﴿تَنزِيلًا﴾ مصدرٌ نُزِّل منزلة الفعل بعد حذفه، فهو بدل من النطق بالفعل «نزّل»، وليس المراد بالبدل هنا: أن إعرابه البدل التابع، بل إعرابه أنه مفعول مطلق، لكن حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي هذه الحالة لا يفيد التوكيد عند ابن مالك؛ لأن حذف العامل ينافي التوكيد، وعند الجمهور يفيد التوكيد؛ لأن المقدر كالمذكور، كما يعلم من ألفية ابن مالك وشروحها.

(٣) قوله: (هو). قدره ليكون مبتدأ، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبرًا له، فيكون ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ خبرًا ثانيًا. ويمكن إعراب ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ خبرًا له، كما ذكره المعربون.

(٤) قوله: (استواء يليق به). أثبت المفسر الاستواء على العرش لله تعالى كما يليق به تعالى، كما هو مذهب السلف، وسلك الإمام السيوطي أيضًا هذا المسلك، كما تقدم في سورة الأعراف، ولم يؤولاه بـ«استولى»، كما فعله المؤولون.

(٥) قوله: (لأنها تحته). أي: لأن الأرضين السبع تحت الثرى.

(٧)- ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به[١] ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى (٧)﴾ منه[٢]، أي: ما حدثت به النفس[٣] وما خطر ولم تحدث به[٤]، فلا تجهد نفسك بالجهر.

(٨)- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ (٨)﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث[٥]، و«ٱلۡحُسۡنَىٰ» مؤنث الأحسن.

(٩)- ﴿وَهَلۡ﴾ قد[٦] ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩)﴾.

(١٠)- ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ﴾ لامرأته ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ هنا، وذلك في مسيره من مدين طالبًا مصر[٧] ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أبصرت ﴿نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾

---

(١) قوله: (فالله غني...). قدره ليكون جواب الشرط ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ...﴾، فحذف الجواب وأقيمت علته مقامه، وهي ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ...﴾ وذلك كثير في الكلام، وقد تقدم نظائره.

(٢) قوله: (منه). أي: من السر. قدره لأن ﴿أَخۡفَى﴾ اسم التفضيل، وهو مجرد من «أل» والإضافة هنا فيذكر بعده المفضل عليه مجرورًا بـ«من»، وحذف هنا لوجود القرينة.

(٣) قوله: (أي ما حدثت...). تفسير لـ﴿ٱلسِّرَّ﴾.

(٤) وقوله: (وما خطر...) تفسير لـ﴿وَأَخۡفَى﴾، وروى ابن جرير هذا المعنى عن ابن جبير، وقتادة، وروى عن ابن عباس وغيره، قال: «السر: ما عملته أنت، وأخفى: ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله».اهـ.

(٥) قوله: (التسعة والتسعون...). تقدم ذكرها في آخر سورة الإسراء.

(٦) قوله: (قد). قدره ليفليد أن هذا الاستفهام للتقرير، وليس للحقيقة. وقد ذكرنا أن كل استفهام من كلام الله تعالى لا يكون حقيقة؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء.

(٧) قوله: (في مسيره...). كما لخصنا ذلك في تفسير الآية (٥١) من سورة البقرة.

بشعلة في رأس فتيلة أو عود[1] ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ أي: هاديًا يدلني على الطريق[2]، وكان أخطأها لظلمة الليل[3]، وقال «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

١١- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ وهي شجرة عوسج[4] ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١﴾.

١٢- ﴿إِنِّيٓ﴾ بكسر الهمزة[5] بتأويل «نُودِيَ» بـ«قيل» وبفتحها: بتقدير الباء

---

(١) قوله: (بشعلة...). كذا فسره ابن جرير وغيره، قال ابن جرير: «القبس: هو النار في طرف العود أو القصبة».اهـ.

(٢) قوله: (هاديًا). وبمثله فسره ابن عباس وغيره؛ ففيه إطلاق المصدر بمعنى اسم الفاعل.

(٣) وقوله: (وكان أخطأها...). ذكره ابن عباس وغيره. وقال ابن عباس: «وكان في الشتاء».اهـ. كما في آية أخرى: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧﴾ [النمل: ٧]، وكان ذلك من نور الله تعالى، وظن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنها نار، وكان يحتاج إلى النار للإضاءة والاصطلاء، كما احتاج إلى من يدل على الطريق.

(٤) قوله: (وهي شجر عوسج). يعني: أن النار التي رآها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت على شجرة، والشجرة كانت عوسجًا، والعوسج: مفرده عوسجة، جنس شجرة من فصيلة الباذنجانيات، أغصانه شائكة، وأزهاره مختلفة الألوان، ذكره في «المنجد». روى ابن جرير عن وهب بن منبه: «فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتب يقول: في عوسجة».اهـ. وقال المفسر في سورة القصص: «وهي شجر عناب أو عليق أو عوسج». .وبهذا نعلم أن تحديد هذه الشجرة لم يثبت مقطوعًا، والله أعلم.

(٥) قوله: (بكسر الهمزة). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: بفتح الهمزة، وفتح ياء المتكلم. وقرأ نافع: ﴿إِنِّيَ أَنَا﴾ بكسر الهمزة وفتح ياء المتكلم. وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون ياء المتكلم. ووجه كسر الهمزة وفتحها كما قال المفسر، وأما فتح ياء المتكلم وسكونها فهما لغتان.

﴿أَنَا۠﴾ تأكيد لياء المتكلم[(١)] ﴿رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ[(٢)] إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوٗى ١٢﴾ بدل أو عطف بيان، بالتنوين وتركه[(٣)]، مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العَلَمِيَّة.

١٣- ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ إليك مني.

١٤- ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ فيها[(٤)].

---

(١) قوله: (تأكيد). أي: فهو في محل نصب، وتأتي الضمائر المنفصلة المرفوعة في محل نصب أو جر تأكيدًا؛ لأن التأكيد تابع، ويغتفر في التوابع ما لا يغتفر في الأصل. وقد تقدم التنبيه على ذلك.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾. روى ابن جرير عن مجاهد، وابن جريج: أن خلع النعلين كان لتصل إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بركة الأرض، واختار هذا القول. وروى عن قتادة، وعكرمة: لأن نعليه كان من جلد حمار، كما روى الترمذي في ذلك حديثًا مرفوعًا عن ابن مسعود. قال ابن جرير: «في إسناده نظر».اهـ. وضعف كذلك الترمذي.

فائدة: قال بعض العلماء: يشرع في حقنا خلع النعلين إذا دخلنا تلك البقعة، بناءً على أن شرع من قبلنا شرع لنا. وهي مسألة أصولية مفصلة في كتب الأصول، والفاء في ﴿فَٱخۡلَعۡ﴾ الفاء الفصيحة.

(٣) قوله: (بالتنوين...) بالتنوين: قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وبلا تنوين: قرأ الباقون. ووجههما كما ذكر المفسّر. ويجوز الصرف وعدمه في أسماء البلدان الخالية من تاء التأنيث، كمصر وبدر، فالمنع من الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة، والصرف بإلغاء التأنيث، وذلك باعتبارها مكانًا.

(٤) قوله: (فيها). أي: في الصلاة. والمعنى: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني. كما قاله ابن جرير، ونقله عن مجاهد. وروى عن إبراهيم: «أن المعنى: يصليها حين يذكرها». وكما في الحديث المتفق عليه عن أنس مرفوعًا: «**من نسي فليصلها إذا ذكرها:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾».اهـ.

﴿١٥﴾- ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس[(١)]، ويظهر لهم قربها بعلاماتها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾[(٢)] فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ به من خير أو شر[(٣)].

---

(١) قوله: (عن الناس). وعلى هذا التقدير يكون المعنى: أكاد أخفيها عن الناس، ولكن أخبرتهم بإتيانها لما فيه من اللطف وقطع الأعذار، كما يعلم من البيضاوي. وعن ابن عباس وغيره: «أكاد أخفيها من نفسي» فيكون الكلام كناية عن المبالغة في إخفاء أمرها، أي: وقت وقوعها. كما ذكره ابن جرير.

فائدة: لفظ «كاد» يفيد ثبوت الخبر إذا كان الكلام منفيًا، ويفيد نفي الخبر إذا كان الكلام مثبتًا، مثلًا إذا قلت: كدتّ أذهب أفاد أنك لم تذهب. وإذا قلت: ما كدت أذهب أو كدت لا أذهب، أفاد أنك ذهبت، وقد نبهنا على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٧١].

(٢) وقوله تعالى: ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ متعلق بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

(٣) قوله: (به من خير وشر). قدر الجار والمجرور (به) ليكون الضمير (الهاء) عائدًا على الاسم الموصول أي: «ما»، وعلى هذا يكون فيه حذف العائد المجرور بالحرف بدون استيفاء شروط الحذف، والشروط هي: كون الاسم الموصول مجرورًا بمثل ذلك الحرف الجار للعائد بنفس معناه ومتعلقه. كما تقول: مررتُ بالذي مررتَ، أي: مررت به. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣٣] أي: منه. وههنا: الجار للاسم الموصول: الباء متعلق بـ﴿تُجۡزَىٰ﴾، والجار للعائد متعلق بـ﴿تَسۡعَىٰ﴾ فاختلف المتعلقان، ولكن قال بعض النحاة كالخضري: إنه قد يحذف العائد المجرور بالحرف بدون استيفاء الشروط إذا كان المعنى واضحًا وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣] أي: يبشر به. وعلى ذلك يحمل ما ذكره المفسر. ويجوز هنا كون «ما» مصدرية: فالمعنى: لتجزى كل نفس جزاء سعيه. كما ذكره المعربون، والله أعلم. ونبهنا على هذه المسألة في مواضع.

١٦- ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنك ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: فتهلك إن صددت عنها.

١٧- ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة[١] ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ الاستفهام للتقرير[٢]؛ ليرتب عليه المعجزة فيها.

١٨- ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟﴾ أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾ أخبط[٣] ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط[٤] ﴿عَلَىٰ غَنَمِى﴾ فتأكله ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ جمع مأربة، مثلث الراء[٥]، أي: حوائج ﴿أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام، زاد في الجواب بيان حاجاته بها[٦].

---

(١) قوله: (كائنة). قدره ليفيد أن الجار والمجرور ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال متعلق بالمحذوف. و﴿مَا﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ، و﴿تِلْكَ﴾: في محل رفع خبر، أو بالعكس.

(٢) قوله: (للتقرير). أي: ليس استفهامًا حقيقيًّا، كما تقدم.

(٣) قوله: (أخبط). أي: أسقط. وفي «المصباح»: «هش الرجل هشًّا من باب ردَّ: صال بعصاه...، وهش الشجر هشًّا: ضربها ليتساقط ورقها».اهـ.

(٤) قوله: (ليسقط). قدره لتوضيح المعنى، وعلى هذا التقدير يتعلق به الجار والمجرور على ﴿غَنَمِى﴾.

(٥) قوله: (مثلث الراء). أي: مأرَبة بفتح الراء وضمها وكسرها: لغات.

(٦) قوله: (زاد في الجواب...). إشارة إلى مسألة بلاغية، وهي أن الزيادة في الجواب هنا من باب الإطناب، وهو الزيادة في الكلام على القدر الذي يؤدى به المراد لفائدة.

والمقام هنا مقام الإطناب؛ لأنه فرصة للخطاب مع الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا أجاب بأربعة أمور مع أن الجواب يحصل بأمرٍ واحدٍ، بل لو قال: عصًا، بدون إضافة ولا ذكر مبتدأ لتم الجواب، ولكن تفوت فائدة الإطناب المناسب للمقام.

١٩- ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

٢٠- ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ تمشي على بطنها سريعًا، كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان المعبر به فيها في آية أخرى[(١)].

٢١- ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فأدخل يده في فمها، فعادت عصا، فتبين أن موضع الإدخال[(٢)] موضع مسكها بين شعبتيها، وأري ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

٢٢- ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف[(٣)] ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها[(٤)] ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من

(١) قوله: (المعبر به فيها). أي: قد عبر عن الحية بالجان في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ٩]، كما عبر بالثعبان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء: ٣٢]، ومراد المفسر: الجمع بين هذه الألفاظ، بأن المعنى: أنها حية عظيمة في الجسم وسريعة كالجانّ، والجان: الحية الصغيرة.

(٢) قوله: (موضع الإدخال). أي: إدخال اليد عندما يمسكها وهو فمها، ونقل القرطبي قريبًا مما ذكره المفسر حيث قال: «وقيل لما قال له ربه: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها».اهـ.

(٣) قوله: (بمعنى: الكف). كما قاله مجاهد وغيره، فهو من باب المجاز المرسل الشائع.

(٤) قوله: (وأخرجها). قدره ليكون ﴿تَخْرُجْ﴾ جوابًا لهذا المقدر باعتبار المعنى؛ لأن الكف ترى مضيئة عند إخراجها من جانب الإبط.

الأُدمة[١] ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص[٢]، تضيء كشعاع الشمس تُغشِي البصر ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴿٢٢﴾﴾ وهي[٣] و«بَيۡضَآءَ»، حالان من ضمير «تَخۡرُجۡ».

﴿٢٣﴾- ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية[٤] ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴿٢٣﴾﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها[٥] إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه، كما تقدم وأخرجها.

﴿٢٤﴾- ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ رسولًا ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴿٢٤﴾﴾ جاوز الحدّ في كفره إلى ادعاء الإلهية.

﴿٢٥﴾- ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴿٢٥﴾﴾ وَسِّعْه لتحمُّلِ الرسالة.

﴿٢٦﴾- ﴿وَيَسِّرۡ﴾ سهّل ﴿لِيٓ أَمۡرِي﴿٢٦﴾﴾ لأبلغها.

---

(١) قوله: (الأدمة). أي: السمرة، وكانت لون موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما في ابن جرير.

(٢) قوله: (برص). قاله ابن عباس وغيره. والبرص: داء يبيضّ به الجلد ثم لا يزول. وهو معروف.

(٣) قوله: (وهي) أي: قوله ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴿٢٢﴾﴾ و﴿بَيۡضَآءَ﴾ حالان من ضمير ﴿تَخۡرُجۡ﴾، أي: فهما حالان مترادفان، والحال المترادفة أن يأتي حالان من صاحب حالٍ واحدٍ، وإذا كان الحال الثاني من ضمير الحال الأول سمي حالًا متداخلة. وقد فصلنا ذلك في «الثنائيات».

(٤) قوله: (الآية). قدره ليكون مفعولًا ثانيًا لـ﴿لِنُرِيَكَ﴾، ويكون ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ نعتًا له. فيكون ﴿مِنۡ﴾ تبعيضية، كما قال ابن عباس، فيما نقله القرطبي: «يد موسى أكبر آياته».اهـ.

(٥) وقوله: (وإذا أراد...) أي: إذا أراد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إعادة اليد إلى لونها الأصلي ضمها إلى ما تحت الإبط ثم أخرجها، فتكون على لونها.

الخلاصة: إذا أراد إضاءة اليد ضمها إلى نحو الإبط وأخرجها، ثم إذا أراد إطفاءها ضمها كذلك مرة أخرى وأخرجها.

﴿٢٧﴾- ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾﴾ حدثت من احتراقه[١] بجمرة وضعها بفيه وهو صغير.

﴿٢٨﴾- ﴿يَفۡقَهُواْ﴾ يفهموا[٢] ﴿قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ عند تبليغ الرسالة.

﴿٢٩﴾- ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ معينًا عليها ﴿مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾﴾.

﴿٣٠﴾- ﴿هَٰرُونَ﴾ مفعول ثان ﴿أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ عطف بيان.

﴿٣١﴾- ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾﴾ ظهري[٣].

---

(١) قوله: (حدثت...). أي: وقعت تلك العقدة بسبب احتراقٍ أصاب لسانه في صباه، وذلك أنه لما كان يتربّى في حضن فرعون أمسك بلحية فرعون وفتقها، فغضب ونادى الذبّاحين، فقالت آسية: إنه صبي لا يميز ودَعت بحلي من ياقوت وجمرة، فإذا أخذ الياقوت فهو مميز فاقتله، وإذا أخذ الجمرة فإنما هو صبي لا تقتله، فأخذ موسى الجمرة ووضعها بفيه.اهـ. وفي بعض الروايات: وضع بين يدي موسى جمرة وتمرة، كما في ابن كثير. ملخصًا من رواية ابن جرير عن السدي، ورواه مختصرًا عن ابن جبير، وأبي نجيح، وذكره ابن كثير وغيره من المفسرين، نقل القرطبي: احترقت فمه وإصبعه. واختلف هل زالت تلك العقدة أم بقي منها شيء. فقيل: زالت لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾، وقيل: بقي منها باقٍ؛ لقول فرعون: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٢]. ومال إلى هذا ابن كثير، والقرطبي. والله أعلم. فيكون المراد من دعاء موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إزالة بعض العقدة بقدر الحاجة، كما في ابن كثير.

(٢) قوله: (يفهموا) الفقه في اللغة: هو الفهم، وهو المراد هنا. أما في الاصطلاح: فهو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن الاجتهاد، كما فصله الأصوليون.

(٣) قوله: (ظهري). الأزر الظهر، ويطلق على القوة كما في القرطبي، وشد الأزر كناية عن التقوية.

(٣٢)- ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢)﴾ أي: الرسالة، والفعلان[١] بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم، وهو جواب الطلب.

(٣٣)- ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحًا[٢] ﴿كَثِيرٗا (٣٣)﴾.

(٣٤)- ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ ذِكرًا ﴿كَثِيرًا (٣٤)﴾.

(٣٥)- ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا (٣٥)﴾ عالمًا، فأنعمت بالرسالة.

(٣٦)- ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦)﴾ منًّا عليك[٣].

(٣٧)- ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧)﴾.

(٣٨)- ﴿إِذۡ﴾ للتعليل[٤] ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا[٥] لما ولدتك

---

(١) قوله: (والفعلان). هما: «اشدُدْ» و«أشرِكْ». ومراد المفسر بيان القراءتين. فقد قرأ ابن عامر فيهما بصيغة المضارع: ﴿أَشۡدُدۡ﴾: بقطع الهمزة؛ لأنها همزة المتكلم. و﴿أُشۡرِكۡ﴾ بضم الهمزة من الإشراك، وهما مجزومان لوقوع الأول جواب الأمر، والثاني معطوفًا. وقرأ الجمهور بصيغة الأمر أي: الدعاء فيهما. فيكونان مبنيَّين على السكون، ولكن قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء من أخي: ﴿أَخِيَ (٣٠) ٱشۡدُدۡ﴾.

(٢) قوله: (تسبيحًا). قدره ليفيد أن ﴿كَثِيرٗا﴾ مفعول مطلق نعت للمصدر المحذوف. نائب عن المصدر، واختار ابن هشام في بعض كتبه أن مثل ذلك حال، لا مفعول مطلق.

(٣) قوله: (منًّا). أي: تفضّلًا وإنعامًا. قدره ليناسب لما بعده من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧)﴾.

(٤) قوله: (للتعليل). ظاهره أنه حرف تعليل فلا محل له من الإعراب، ويحتمل أن يريد أن ﴿إِذۡ﴾ هنا ظرف ضمن معنى التعليل، وكون «إذ» ظرفًا أغلب. وقد ذكرنا وجوه الاتفاق والافتراق بينه وبين «إذا» في «الثنائيات».

(٥) قوله: (منامًا). أي: فالإيحاء هنا ليس بطريق الملَك؛ لأنه لم تبعث أنثى نبيًّا، لقوله تعالى:=

وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ ٣٨﴾ في أمرك، ويبدل منه[(١)]:

٣٩- ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾[(٢)] ألقيه ﴿فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِي ٱلۡيَمِّ﴾ بحر النيل[(٣)] ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخبر[(٤)] ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ﴾ وهو فرعون[(٥)] ﴿وَأَلۡقَيۡتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ لتُحَب

= ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ [يوسف: ١٠٩]، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «أوحى إليها كما أوحى إلى النبيين».اهـ.

(١) قوله: (ويبدل منه). أي: من ﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾. فيكون ذلك تفصيلًا بعد إجمال، وهو من باب من الإطناب، والإطناب من محاسن الكلام كما فصله البلاغيون.

(٢) ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾: ﴿أَنِ﴾ هنا تفسيرية، لسبق الفعل الذي فيه معنى القول دون حروفه وهو: ﴿أَوۡحَيۡنَآ﴾. واقذفي أمر من: قذف، مسند إلى ياء المخاطبة، والهاء في محل نصب مفعول به عائد إلى موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

(٣) قوله: (بحر النيل). كما فسر به ابن جرير، ونقله عن السدي، وسمي النيل -وهو نهر- بحرًا، لسعته.

(٤) قوله: (والأمر بمعنى الخبر). أي: قوله ﴿فَلۡيُلۡقِهِ﴾ فعل أمر غائب لفظًا، والمراد الخبر، فيكون من باب المجاز المرسل.

(٥) قوله: (وهو فرعون). أي: العدو. فإنه عدو لله وعدو لموسى، فهٰهنا أعيد النكرة ﴿عَدُوّٞ﴾ بلفظ النكرة، والمراد بهما واحد. فيكون مستثنى من قولهم: النكرة إذا أعيد نكرة، فالمراد بالثاني غير الأول، نحو: اشتريت كتابًا وبعت كتابًا، وإذا أعيد بلفظ المعرفة يراد بالثاني نفس الأول نحو: اشتريت كتابًا وبعت الكتاب، فهذه القاعدة أغلبية ذكرناها في «الاستثناءات». ولعل فائدة إعادة اللفظ ﴿عَدُوّٞ﴾ هنا الإشارة إلى اختلاف نوع عداوته لله وعدواته لموسى؛ فهما نوعان، والله أعلم. وقد سبق ذكر هذه القاعدة في تفسير سورة النساء الآية (١٢٨).

في الناس[١]، فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ٣٩﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك[٢].

٤٠- ﴿إِذْ﴾ للتعليل[٣] ﴿تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرف خبرك[٤]، وقد أحضروا مراضع، وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فأُجيبت[٥]، فجاءت بأمه، فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطيّ بمصر[٦]، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك[٧] بالإيقاع في غير

(١) قوله: (لتُحب). بصيغة المبني للمفعول، أي: لتكون محبوبًا عند الناس، نقل ابن جرير هذا المعنى عن ابن عباس وغيره. قدره ليفيد أن ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ معطوف على هذا المقدر.

(٢) قوله: (تُربّى على رعايتي). ذكر ابن جرير نحو هذا المعنى ورواه عن قتادة، وابن زيد، ونقل ابن كثير عن أبي عمر الجوني: «لِتُرَبَّى بعين الله».اهـ.

(٣) قوله: (للتعليل). كما تقدم في الآية (٣٨).

(٤) وقوله: (لتتعرف خبرك). وذلك أنه لما ألقت أم موسى التابوت في النهر قالت لأخته مريم: قصيه ماذا سيكون أمره! كما قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [١١] الآية.

(٥) قوله: (فأجيبت...) بصيغة المبني للمفعول، أي: أجيبت أخته أي: قبل فرعون قولها، فجاءت أخته بأمه إلى فرعون.

(٦) قوله: (هو القبطي). أي: النفس المقتولة، كما قال تعالى في سورة القصص: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾ الآيات [١٥، وما بعدها].

(٧) قوله: (اختبرناك...) قد أورد ابن كثير تفصيل ذلك بعنوان حديث الفتون. وهو حديث طويل عن ابن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون التي ابتلي بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والتي أشار إليها في الآية الكريمة، وكذا أورده ابن جرير بدون ذكر العنوان.

ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشرًا ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر، عند شعيب النبيّ وتزوجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة، وهو أربعون سنة[1] من عمرك ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿٤١﴾ - ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ اخترتك[2] ﴿لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ بالرسالة.

﴿٤٢﴾ - ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ التسع[3] ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا[4] ﴿فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ بتسبيح وغيره.

﴿٤٣﴾ - ﴿ٱذْهَبَآ[5] إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ بادعائه الربوبية.

---

(١) قوله: (وهو أربعون...). نقل القرطبي نحوه عن ابن عباس، وقتادة، وعبدالرحمن بن كيسان. وعن مجاهد، ومقاتل: «على موعدٍ». وعن محمد بن كعب: «ثم جئت على القدر الذي قدرت لك أنك تجيء فيه». قال القرطبي: «والمعنى واحد، أي: جئت في الوقت الذي أردنا إرسالك فيه».اهـ. وقال: «لأن الأنبياء لا يبعثون إلا أبناء أربعين سنة».اهـ.

(٢) قوله: (اخترتك). وبنحوه ورد عن ابن عباس، قال: «أي: اصطفيتك لوحيي ورسالتي». نقله القرطبي، وبنحو ذلك فسر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (التسع). ذكر ذلك ابن عباس، أي: «أن المراد بالآيات: هي الآيات التسع». وتقدم ذكرها في تفسير سورة الإسراء [الآية: ١٠١] وغيرها.

(٤) وقوله: (تفترا). أي: تضعفا، كما ورد عن ابن عباس، وهو فعل مضارع مجزوم مسند لألف الاثنين، من: ونى، يَني، ونيًا، الونيُ: الضعف والفتور. ووزن ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: ولا تعلا. حذفت فاء الكلمة الواو على القاعدة الصرفية.

(٥) قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ﴾. قال هنا ﴿ٱذْهَبَآ﴾ وفي الآية الأولى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾؛ فقيل: خاطب أولًا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تشريفًا ثم أمرهما بالذهاب إلى فرعون. وقيل: الأول أمر بالذهاب إلى جميع الناس، والثاني إلى فرعون. وإلى ذلك يشير قول المفسر.

٤٤- ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ الله فيرجع. والترجي بالنسبة إليهما[١] لعلمه تعالى بأنه لا يرجع.

٤٥- ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ بأن يعجل بالعقوبة[٢] ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾ علينا، أي: يتكبر.

٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ بعوني[٣] ﴿أَسۡمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ ٤٦﴾ ما يفعل.

٤٧- ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشام[٤] ﴿وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ﴾ أي: خلِّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة[٥]، كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَۖ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ أي: السلامة له من العذاب[٦].

---

(١) قوله: (والترجي...). فسر كذلك القرطبي وغيره. وعن ابن عباس: «﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾، أي: هل يتذكر». وقيل: لكي يتذكر. كما في ابن جرير، الخلاصة: في «لعلّ» ثلاثة أوجه هٰهنا.

(٢) قوله: (بأن يعجل...). كذا روي عن الضحاك، وابن زيد.

(٣) قوله: (بعوني). أفاد أن المعية هنا معية خاصة.

(٤) قوله: (إلى الشام). أفاد أن رسالة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تتركز على أمرين: دعوة فرعون وقومه وبني إسرائيل، وإنجاء بني إسرائيل من مصر إلى الشام، كما نبهنا على ذلك في تفسير سورة البقرة.

(٥) قوله: (في أشغالك الشاقة). وبنحوه فسر القرطبي وغيره.

(٦) قوله: (والسلام...). أفاد أن هذه ليست تحية بل إخبار بأن السلامة لمن اتبع الهدى. كما نقله القرطبي عن الزجاج، قال ابن جرير: «يقال: والسلامة لمن اتبع أو على من اتبع»، كما نقله القرطبي عن الفراء، أي: تتعدى السلام باللام وبـ«على».

٤٨- ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝٤٨﴾ أعرض عنه فأتياه[1]، وقالا جميع ما ذكر.

٤٩- ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ اقتصر عليه[2]؛ لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية.

٥٠- ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه[3]، متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك.

٥١- ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ ۝٥١﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان[4].

٥٢- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّى فِى

---

(١) قوله: (فأتياه...). أي: أتى موسى وهارون فرعون وقالا له ما ذكر كلّه. وهذا دخول إلى الآية التالية، وإشارة إلى أن في الكلام إيجاز حذف.

(٢) قوله: (اقتصر عليه). أي: اقتصر فرعون في ندائه على موسى، ولم يناد هارون؛ لأن موسى هو الأصل وهارون تابع له، ولأن لفرعون على موسى نعمة التربية في صغره.

(٣) قوله: (الذي هو عليه). روي عن مجاهد مثل ما قال المفسر، قال مجاهد: «سوّى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها، فعلمها إياه».اهـ. وعن ابن عباس: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾، يقول: «خلق لكل شيء زوجه ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومولده». اهـ. وفي كلام المفسر جمع بين القولين في معنى الآية حيث فسر قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ كما في قول مجاهد، وفسر ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ كما في قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) قوله: (في عبادتهم...). وبنحوه فسر ابن جرير وغيره.

كِتَٰبٍۖ﴾ هو اللوح المحفوظ[(١)]، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ يغيب[(٢)] ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ ربي شيئًا.

﴿٥٣﴾- هو[(٣)] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشًا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا، قال تعالى[(٤)] تتميمًا لما وصفه به موسى وخطابًا لأهل مكة ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾ صفة «أَزْوَٰجًا»، أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و«شَتَّىٰ»: جمع شتيت كمريض ومرضى، من شت الأمر: تفرق.

﴿٥٤﴾- ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ﴾ فيها، جمع نَعَمٍ، وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها[(٥)]، والأمر للإباحةِ وتذكيرِ النعمة[(٦)]، والجملة

---

(١) قوله: (هو اللوح المحفوظ) فسره به ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٢) قوله: (يغيب). نقل القرطبي هذا المعنى بدون عزو، في جملة أقوال أخرى، وعن ابن عباس: «لا يخطئ ربي ولا ينسى»، وعن مجاهد: «لا يضل ولا ينسى هما شيء واحد». وكل المعاني متلازمة.

(٣) قوله: (هو). بهذا التقدير يكون الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ خبرًا لهذا المقدر وهو أحد الأوجه في الإعراب، ويجوز كونه نعتًا لـ﴿رَبِّي﴾، وكونه في محل نصب بـ«أعني»، كما ذكره القرطبي، وجملة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ إما مستأنفة، أو نعت لـ﴿كِتَٰبٍۖ﴾.

(٤) قوله: (قال تعالى:...). وبنحوه فسره ابن جرير، حيث قال: «وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه...».

(٥) قوله: (يقال: رعت...). أفاد به أن رعى يستعمل لازمًا ومتعديًا، وهٰهنا متعدٍ.

(٦) وقوله: والأمر للإباحة...). أي: الأمر في ﴿كُلُوا۟﴾ و﴿وَٱرْعَوْا۟﴾ للإباحة، كما أشار له القرطبي. ولتذكير نعمته تعالى بذلك، فقوله: (وتذكير) بالجر معطوف على (الإباحة).

حال[١] من ضمير «فَأَخْرَجْنَا»، أي: مبيحين[٢] لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَٰتٍ﴾ لعبرًا ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ لأصحاب العقول، جمع نهية، كغرفة وغرف، وسمي به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

﴿٥٥﴾- ﴿۞ مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها[٣] ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾[٤] مرة ﴿أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم[٥].

﴿٥٦﴾- ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أبصرنا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسع[٦] ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها

---

(١) قوله: (والجملة حال). يعني جملة ﴿كُلُواْ﴾.

(٢) قوله: (أي: مبيحين...) قدر بذلك لأن الجملة الإنشائية لاتقع حالًا كما لا تقع صفة ولا صلة، إلا بنوع تأويل، وما ذكره المفسر هو التأويل، مستفاد من كون الأمر للإباحة، فالمعنى: أخرجنا لكم ذلك مبيحين وآذنين للأكل والرعي.

(٣) قوله: (بخلق أبيكم). الباء للتصوير، أي: صورة خلقكم من الأرض هي خلق أبيكم منها. وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين، وقال القرطبي: «قيل: كل نطفة مخلوقة من التراب»، وقال: «على هذا يدل ظاهر القرآن»، ونقل فيه رواية عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ما من مولود إلا وقد ذرّ عليه من تراب حفرته**» رواه أبو نعيم الحافظ.

فائدة: يسن لمن حضر دفن الميت أن يحثو على القبر ثلاث حثوات، يقول في الأولى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾، وفي الثانية ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، وفي الثالثة ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. كما رواه أصحاب السنن، وذكره الفقهاء.

(٤) قوله تعالى: ﴿تَارَةً﴾. منصوب على الظرفية.

(٥) وقوله: (كما أخرجناكم...). بيان لكون هذا الإخراج مرة ثانية، فالأولى ابتداء خلقكم، والأخرى الحشر للحساب.

(٦) قوله: (التسع). كما ذكره البيضاوي. وهذا يفيد أن واقعة إحضار السحرة كانت متأخرة عن أول لقاء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بفرعون بمدة.

وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾ أن يوحّد الله تعالى.

٥٧- ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧﴾.

٥٨- ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ يعارضه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾[1] لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ منصوب بنزع الخافض[2] «في»، ﴿سِوًى ۝٥٨﴾ بكسر أوله وضمه[3]، أي: وسط تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين[4].

٥٩- ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم[5] يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى ۝٥٩﴾ وقته[6] للنظر فيما يقع.

٦٠- ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة[7] ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾ بهم الموعد.

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَوْعِدًا ﴾. الموعد إما مصدر ميمي أو ظرف مكان أو زمان كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (منصوب...). أي فالمعنى: فاجعل بيننا وبينك موعدًا في مكانٍ سوي، وقيل: مكانًا بدل من ﴿مَوْعِدًا ﴾ على أن ﴿مَوْعِدًا ﴾ ظرف. ويحتمل غير ذلك من الإعراب.

(٣) قوله: (بكسر أوله...). قراءتان: بكسر السين: ﴿سِوًى﴾: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، والكسائي. وبضمها: قراة الباقين. وهما لغتان.

(٤) وقوله: (أي: وسط...). بمثله روي عن ابن عباس، ومجاهد. وروي عن ابن زيد: «مكانًا مستويًا يتبين للناس ما فيه».اهـ. أي: لا ارتفاع فيه ولا انحطاط.

(٥) قوله: (يوم عيد...). عزاه القرطبي إلى قتادة والسدي وغيرهما. وقيل غير ذلك.

(٦) قوله: (وقته). تفسير لـ﴿ضُحًى﴾، بالنصب، أي: وقت الضحى، أفاد به تقدير مضاف.

(٧) قوله: (أي: ذوي كيده). فسر قريبًا منه ابن جرير، وغيره. وفيه تقدير مضاف.

﴿٦١﴾- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون[١] مع كل واحد حبل وعصًا ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي: ألزمكم الله الويل[٢] ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما[٣]، أي: يهلككم[٤] ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ كذب على الله.

﴿٦٢﴾- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ أي: الكلام بينهم فيهما.

﴿٦٣﴾- ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّ هَٰذَيْنِ﴾ لأبي عمرو[٥]، ولغيره[٦]: «هَٰذَانِ»،

---

(١) قوله: (وهم اثنان وسبعون...). عزاه القرطبي إلى ابن عباس، ونقل في عددهم أقوالًا.

(٢) قوله: (أي: ألزمكم...). بهذا التقدير يكون «ويل» مفعولًا به لفعل محذوف، وعزاه القرطبي إلى الزجاج. قال الزجاج: «ويجوز كونه منادًى، أي: بحذف حرف النداء».

(٣) قوله: (بضم الياء...). الضم: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: قراءة حفصٍ، وحمزة، والكسائي، ورويس، وخلف. وبفتحها: قراءة الباقين، من: أسحت، وسحتَ، بمعنًى. كما قاله القرطبي.

(٤) وقوله: (يهلككم). وبه فسر ابن عباس، وقال قتادة: «فيستأصلكم بعذاب».

(٥) قوله: (لأبي عمرو). يعني أن هذه القراءة ﴿هَٰذَيْنِ﴾ بالياء وتشديد ﴿إِنَّ﴾ لأبي عمرو: أحد القراء السبعة.

(٦) وقوله: (ولغيره:...). خبر مقدم، و﴿هَٰذَانِ﴾ مبتدأ مؤخر، يعني: وقرأ غير أبي عمرو: ﴿هَٰذَانِ﴾ بالألف. ثم وجّه هذه القراءة بأنها لغة من يلزم المثنى الألف في الأحوال الثلاث، أي: حال الرفع والنصب والجر، فيكون اسم ﴿إِنَّ﴾ منصوبًا بفتحة مقدرة على الألف، وهي لغة كنانة وزبيد وخثعم وبني الحرث بن كعب. ذكره القرطبي.

ومجموع القراءات هنا أربع:

١- ﴿إِنْ هَٰذَانِّ﴾: بتخفيف ﴿إِنْ﴾، وتشديد النون من ﴿هَٰذَانِّ﴾، وبالألف: لابن كثير، وتشديد النون جائز في اسم الإشارة والموصول. =

وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث ﴿لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ مؤنث أمثل بمعنى: أشرف، أي: بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما.

﴿٦٤﴾- ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ من السحر، بهمزة وصل وفتح الميم[1] من: جَمَعَ،

٢- ﴿إِنَّ هَٰذَيۡنِ﴾: بتشديد ﴿إِنَّ﴾، وبالياء في ﴿هَٰذَيۡنِ﴾: لأبي عمرو.

٣- ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ﴾: بتخفيف ﴿إِنۡ﴾، وبالألف في ﴿هَٰذَٰنِ﴾: لحفص.

٤- ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ﴾: بتشديد ﴿إِنَّ﴾، وبالألف في ﴿هَٰذَٰنِ﴾: للباقين.

وقراءة أبي عمرو لا إشكال فيها، كما تقدم. وكذلك قراءة ابن كثير، وحفص بتخفيف ﴿إِنۡ﴾ وبالألف لا إشكال؛ لأن ﴿إِنۡ﴾ مخففة، فتهمل، كما هو الأغلب، فيكون ﴿هَٰذَٰنِ﴾ مبتدأ، و﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ خبرًا للمبتدأ، واللام هي الفارقة، يجب دخولها إذا أهملت ﴿إِنۡ﴾ المخففة.

وأما قراءة الجمهور ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ﴾ بتشديد ﴿إِنَّ﴾ وبالألف، ففيها الإشكال؛ لأن ﴿إِنَّ﴾ المشددة تعمل، فيكون اسمها منصوبًا، و﴿هَٰذَٰنِ﴾ على صورة المرفوع، فأجاب المفسر: بأنه منصوب وجارٍ على لغة التزام الألف رفعًا ونصبًا وجرًّا، كما ذكرنا، وأجيب أيضًا: بأن ﴿إِنَّ﴾ هنا بمعنى: نَعَمْ، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ جملة اسمية مستقلة. وبأن اسم ﴿إِنَّ﴾ هنا ضمير الشأن المحذوف، أي: إنه، و﴿هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الجملة خبرها، وتكون اللام في ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾: لام ابتداءٍ لها الصدارة، فيقدر بعدها مبتدأ، والتقدير: لهما ساحران، وهذا عند تشديد ﴿إِنَّ﴾، أما على كونها مخففة فاللام هي اللام الفارقة، داخلة على الخبر وجوبًا، أي: للفرق بين ﴿إِنۡ﴾ المخففة والنافية، والله أعلم.

(١) قوله: (بهمزة وصل...) هما قراءتان: ﴿فَٱجۡمَعُواْ﴾: بهمزة الوصل، أمر من: جَمَعَ، بمعنى: لَمَّ: هذه قراءة أبي عمرو. و﴿فَأَجۡمِعُواْ﴾: بهمزة القطع، أمر من: أجمع، أي: أحكم: قراءة الباقين، وذكر المعنيين ابن جرير وغيره.

أي: لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم من: أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفًّاۚ﴾ حال، أي: مصطفين ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ۝٦٤﴾ غلب.

٦٥- ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك أولًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥﴾ عصاه.

٦٦- ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ فألقوا[1] ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ أصله: عصوو[2]، قلبت الواوان ياءين وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا﴾ حيات ﴿تَسۡعَىٰ ۝٦٦﴾ على بطونها.

٦٧- ﴿فَأَوۡجَسَ﴾ أحسّ ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم يكون من جنس معجزته[3] أن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به.

---

(١) قوله: (فألقوا). بصيغة الماضي «فألقَوْا»، قدره ليفيد أن في الكلام إيجازًا بحذف جملة، وأن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ﴾ الجملة معطوفة على الجملة المقدرة.

(٢) قوله: (أصله: عصوو). إشارة إلى مسألة صرفية، فالعصيّ: أصله: عُصوو جمع عصا، على وزن فعول، لما تطرفت الواو قلبت ياءً فصار عُصُوي، فاجتمعت الواو والياء في كلمة وأولاهما ساكنة، فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها فصارت: عُصُيّ، ثم قلب الضمان -ضم الصاد والعين- كسرين لمناسبة الياء، وكل ذلك معروف في علم الصرف، وقد تقدم في تفسير سورة الأعراف الآية (١١٦).

(٣) قوله: (أي: خاف من جهة...). ماذا كان سبب خوف موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؟ ذكر القرطبي في ذلك أقوالًا بدون عزو، وما ذكره المفسر من أنه خاف من افتنان الناس بسحرهم هو الذي ذكره ابن كثير، وهو قوي، وقيل: كان ذلك خوفًا طبيعيًا بشريًا. وقيل: خاف تأخر الوحي وافتراق الناس قبل ظهور آيته، وقيل غير ذلك.

(٦٨)- ﴿قُلْنَا﴾ له ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (٦٨)﴾ عليهم بالغلبة[١].

(٦٩)- ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه[٢] ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ[٣] كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ أي: جنسه[٤] ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩)﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه[٥].

(٧٠)- ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ خروا ساجدين لله تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)﴾.

(٧١)- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَآمَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين[٦]، وإبدال الثانية ألفًا

---

(١) قوله: (بالغلبة). أشار أن العلو المستفاد من ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (٦٨)﴾ علو معنويّ لا حسيّ، كما هو واضح.

(٢) قوله: (وهي عصاه). أي: المراد بما في يمينه: عصاه. .ولم يذكر: «وألق عصاك»، قال القرطبي: «إما تعظيمًا لشأنها، أي: ما في يمينك أعظم من كل ما جاؤوا به، أو لتقصيرها، أي: ألق العويد الذي بيدك فإنه بقدرة الله يتلقف كل ما صنعوا، وإن كثرت».اهـ. ملخصًا.

(٣) ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾. «ما» هنا اسم موصول اسم «إنّ»، و﴿كَيْدُ﴾ خبرها. وكتبت «ما» مشبوكة مع «إنّ» على الرسم العثماني، والخط العادي أن «ما» الموصولة تفصل في الخط «إنّ ما» والكافة تشبك «إنّما».

(٤) قوله: (أي: جنسه). أفاد به أن المراد بـ﴿سَٰحِرٍ﴾ الجنس، ولذا أفرد مع أنهم جماعة. كما أشار لذلك البيضاوي، وكذلك المراد بالساحر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ...﴾. أفاده البيضاوي.

(٥) قوله: (فتلقفت). أي: ابتعلت، قدره لإفادة أن في الكلام إيجازًا بحذف الجملة، والآية التالية ﴿فَأُلْقِيَ...﴾ معطوفة على هذا المقدر.

(٦) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). كما تقدم في الأعراف الآية (١٢٣).

﴿لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا[١] ﴿لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ معلّمكم[٢] ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ حال[٣]، بمعنى: مختلفة، أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: عليها[٤] ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني: نفسه ورب موسى[٥] ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ۝٧١﴾ أدوم على مخالفته.

۝٧٢- ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ خلقنا، قسم أو عطف على «مَا»[٦]، ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ

---

(١) قوله: (أنا). قدره ليفيد أن ﴿ءَاذَنَ﴾ صيغة المضارع المتكلم كما تقدم في الأعراف (١٢٣).

(٢) قوله: (معلّمكم). بمثله فسر القرطبي، قال: «رئيسكم في التعليم»، وقال ابن جرير: «عظيمكم».اهـ. وكله متقارب، وفي سورة الأعراف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ...﴾ [١٢٣]، ولا منافاة بينه وبين ما هنا؛ لأن فرعون قال كل ذلك.

(٣) قوله: (حال). أي: الجار والمجرور ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ حال من الأيدي والأرجل بمعنى مختلفة.

(٤) قوله: (عليها). أشار به إلى أن حرف الجر ﴿فِي﴾ من الاستعارة في الحروف، فهو مجاز بمعنى «على»، كما فصله البلاغيون، وحرف ﴿فِي﴾ هنا أبلغ من «على» لدلالة ﴿فِي﴾ على المبالغة في التصليب وتمكنّه.

(٥) قوله: (يعني نفسه...). بمثله فسر القرطبي، وقال ابن جرير: «﴿أَيُّنَآ﴾، أي: أنا وموسى». و«أي» هنا استفهامية مبتدأ مرفوع، والخبر: ﴿أَشَدُّ﴾، و«أيّ» معلقة لـ﴿تَعۡلَمُنَّ﴾، فجملة ﴿أَيُّنَآ﴾ سدت مسدّ مفعوليه. ويجوز كون «أيّ» موصولة في محل نصب مفعول به لـ﴿تَعۡلَمُنَّ﴾.

(٦) قوله: (قسم...). أي: الواو في ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾ إما للقسم، أو للعطف على ﴿مَا جَآءَنَا﴾، وعلى كلا التقدير الاسم الموصول في محل جر.

قَاضٍۖ[١]﴾ أي: اِصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ النصب على الاتساع[٢]، أي: فيها. وتُجْزَى عليه في الآخرة[٣].

٧٣- ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾[٤] تعلّمًا وعملًا لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثوابًا إذا أطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ منك عذابًا إذا عُصِي.

٧٤- قال تعالى[٥]: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ كافرًا كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤﴾ حياة تنفعه.

٧٥- ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ جمع عليا، مؤنث أعلى.

---

(١) قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، والعائد محذوف تقديره: قاضيه. هذا من مواضع جواز حذف العائد المجرور كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (النصب على الاتساع). أي: نصب ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ على الاتساع في الكلام بنزع الخافض.

(٣) وقوله: (وتجزى...). خطاب لفرعون معطوف على ﴿تَقۡضِي﴾. وفي بعض النسخ (ونُجزى) بالنون.

(٤) ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا﴾: ﴿مَآ﴾: اسم موصول معطوف على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾.

(٥) قوله: (قال تعالى:...). أشار به إلى أن هذه الآية وما بعدها ليست مما وعظ بها السحرة بل كلام مستأنف، وهذا أحد وجهين، والوجه الثاني: أنها من تمام وعظ السحرة، فالكلام متصل، ورجحه ابن كثير، ولم يذكر ابن جرير إلا هذا الوجه. والقرطبي ذكر الوجهين بدون ترجيح. والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ للشأن، وهم اسم «إن»، والجملة التي بعدها خبرها.

٧٦- ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: إقامة، بيان له[١] ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ تطهر من الذنوب.

٧٧- ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ بهمزة قطع[٢]، من أسرى، وبهمز وصل وكسر النون من: سرى؛ لغتان، أي: سِر بهم ليلًا من أرض مصر ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ اِجعل ﴿لَهُمۡ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا﴾ أي: يابسًا[٣]، فامتثل ما أمر به، وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ غرقًا.

٧٨- ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾[٤] فأغرقهم.

٧٩- ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله[٥]: «وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩» [غافر: ٢٩].

---

(١) قوله: (بيان له). أي: لما ذكر من الدرجات العلى، فـ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾، ويمكن كونه عطف بيان وإن كان نكرة؛ لأنه نكرة موصوفة، والنكرة الموصوفة، أو المخصوصة تقوم مقام المعرفة.

(٢) قوله: (بهمزة قطع...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: بهمزة الوصل وكسر نون ﴿أَنۡ﴾ أمر من «سرى»؛ لالتقاء الساكنين: ﴿أَنِ اسۡرِ﴾. وقرأ الباقون: بقطع الهمزة: ﴿أَنۡ أَسۡرِ﴾: أمر من «أسرى»، ووجهها كما قال المفسر.

(٣) قوله: (أي: يابسًا). اليَبَس: بفتح الباء، «المكان كان رطبًا ثم يبس».اهـ. فقول المفسر تفسير بالمراد، وبه فسر مجاهد، كما رواه ابن جرير.

(٤) ﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ هنا أبهم صلة الموصول لإفادة التهويل، كما ذكره البلاغيون.

(٥) قوله: (خلاف قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ...﴾). كما في سورة غافر الآية (٢٩).

(٨٠)- ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ (٨٠)﴾ هما الترنجبين والطير السماني[١]، بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود[٢] زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم[٣]:

(٨١)- ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي: المنعم به عليكم ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ بكسر الحاء[٤]، أي: يجب، وبضمها، أي: ينزل ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ بكسر اللام وضمها ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ (٨١)﴾ سقط في النار[٥].

---

(١) قوله: (هما الترنجبين...). تقدم ذكر ذلك في سورة البقرة الآية (٥٧). وتقدم المراد بـ«الطور».

(٢) قوله: (والمنادى...) أي في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ...﴾.

(٣) قوله: (توطئة...) تعليل لقوله (خوطبوا). أي: خوطب اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ بما أنعم الله على أسلافهم، وذلك تمهيدًا لما يذكر في الآية التالية، وهي ﴿كُلُواْ﴾، وعلى هذا يكون الخطاب في الآيتين موجهًا إلى اليهود الذين كانوا في زمن نزول القرآن، وهذا أحد وجهين ذكرهما البيضاوي، والوجه الثاني: أن الخطاب فيهما لمن في زمن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، بتقدير: وقلنا لهم، يا بني إسرائيل... وعلى هذا جرى ابن جرير وابن كثير وغيرهما.

(٤) قوله: (بكسر الحاء...). وهي قراءة الجمهور، من: حلَّ، يَحِلُّ، على وزن: ضرب، يضرب. ومعناه: يجب أي: يثبت. وقرأ الكسائي: بضم الحاء: ﴿فَيَحُلَّ﴾: مضارع «حلّ، يحلّ» من باب نصر، ومعناه: ينزل. كما قال المفسر، وكذلك القراءتان في ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ﴾ بكسر اللام وضمها.

(٥) قوله: (سقط...). وبمثله فسر ابن جرير، قال: «تردّى فشقي».اهـ. نعوذ بالله من ذلك.

٨٢- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ وحّد الله[١] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يَصْدُقُ بالفرض والنفل[٢] ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته[٣].

٨٣- ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ[٤] عَن قَوْمِكَ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾.

٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ﴾ أي: بالقرب مني يأتون[٥] ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ عني، أي: زيادة في رضاك، وقبل الجواب أتى بالاعتذار[٦]

---

(١) قوله: (وحّد الله....). كذا فسره ابن عباس، فالمراد بالإيمان هنا: التوحيد، لعطف العمل عليه.

(٢) قوله: (يصدق). يعني أن العمل الصالح هنا يصدق بالفرض والنفل، أي: يقع عليهما، ويرادان منه.

(٣) قوله: (باستمراره...). روى نحوه عن قتادة، قال: «ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه».اهـ. كما في ابن جرير، وفسر بغير ذلك أيضًا لكن كل ذلك متقارب ومتلازم.

(٤) ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾. الواو استئنافية، ﴿مَآ﴾: استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿أَعْجَلَكَ﴾ خبرها، وليست ﴿مَآ﴾ تعجبية، والقوم هم بنو إسرائيل، استخلف موسى عليهم أخاه هارون ثم تقدم إلى الطور لقَبول التوراة بعد صيام أربعين، كما تقدم في الأعراف الآية (١٤٣) وما بعدها. والطور هو الجبل الذي وعده الله أن يؤتي التوراة هناك. وهذا الجبل يسمى الآن بـ«جبل اللوز»، واقع الآن شمال المملكة العربية، يبعد عن تبوك نحو (١٤٠) كلم.

(٥) قوله: (أي: بالقرب...). تفسير للمراد حيث لم تذكر كاف البُعد في اسم الإشارة أي لم يذكر «أولئك». و﴿أُوْلَآءِ﴾: اسم إشارة خبر المبتدأ ﴿هُمْ﴾. و﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ خبر ثان أو حال. وقدَّر الفعل (يأتون) ليتعلق به الجار والمجرور ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾.

(٦) قوله: (وقبل الجواب...). يعني أن جواب السؤال هو قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾. وقدم عليه الاعتذار وهو ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ على حسب ظنه أنهم على أثره، ولكن تخلف هذا المظنون فلم يأتوا خلفه، بل افتتنوا بالبقرة التي ساغها السامري، وتقدم تفسير كل ذلك في سورة الأعراف الآيات (١٤٣) وما بعدها.

بحسب ظنه، وتخلّف المظنون لما[١]:

(٨٥)- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا[٢] قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ (٨٥)﴾ فعبدوا العجل.

(٨٦)- ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفٗاۚ﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ أي: صدقًا أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ[٣] أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي (٨٦)﴾ وتركتم المجيء بعدي.

(٨٧)- ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ مثلث الميم[٤]، أي: بقدرتنا أو أمرنا

---

(١) قوله: (لِمَا). مرتبط بما بعده، و«ما» مصدرية، أدخلها على ﴿قَالَ﴾. والمعنى: وتخلف مظنونه لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا﴾ الآية.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا﴾. أي: ابتلينا، نسب الفعل إلى الله تعالى؛ لأن الخير والشر كله بيده وقضائه، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، فإسناد الفعل هنا حقيقي.

(٣) وقوله تعالى: ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ﴾. ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعة إضرابية، وإن سبقتها همزة الاستفهام؛ لأن الهمزة هنا ليست للتعيين ولا للتسوية، وإنما يكون «أم» متصلة عاطفة إذا كانت الهمزة للتعيين أو التسوية، كما فصلنا في «الثلاثيات».

(٤) قوله: (مثلث الميم). ثلاث قراءات:

١- بفتح الميم: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾: قراءة نافع، وعاصم، وأبي جعفر، ومعناه: بقدرتنا. قاله مجاهد، والسدي. أي: كنا مضطرين لذلك.

٢- بضم الميم: ﴿بِمُلۡكِنَا﴾: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، أي: بسلطاننا.

٣- وقرأ الباقون بالكسر: ﴿بِمِلۡكِنَا﴾، مصدر: مَلَك الشيء مِلْكًا: تملك، ومعنى الجميع متقارب.

﴿وَلَٰكِنَّا حَمَلْنَا﴾ بفتح الحاء مخففًا[١]، وبضمها وكسر الميم مشددًا[٢] ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالًا ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: حلي قوم فرعون، استعارها منهم[٣] بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي[٤].

﴿٨٨﴾- ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحليّ[٥] ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا[٦] ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوت يُسمع، أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما

---

(١) قوله: (بفتح الحاء). أي: ﴿حَمَلْنَآ﴾: الثلاثي المجرد: قراءة أبي عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورَوْح.

(٢) وقوله: (وبضمها...). أي: ﴿حُمِّلْنَآ﴾: بتشديد الميم مبنيًّا للمفعول: قراءة الباقين، ومعناهما واضح.

(٣) قوله: (استعارها منهم...). تقدم ذكر ذلك وما فيه بشيء من التفصيل في تفسير الأعراف الآية (١٤٨).

(٤) قوله: (على الوجه الآتي...) أي: في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ...﴾ الآية (٩٦) من هذه السورة.

(٥) قوله: (صاغه). أي: السامريّ.

(٦) قوله: (لحمًا ودمًا). كما تقدم في سورة الأعراف، أن المراد بالجسم: العجل الذي له دم ولحم، وهو قول الحسن، وقتادة، والسدي، وكما يدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾، فإن التحريق والنسف لا يناسبُ جوهر الذهب عادةً. والله أعلم. وعن مجاهد، وابن عباس: «بل كان مجسمًا من ذهب يصوت بسبب دخول الهواء فيه وخروجه منه».

يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿فَقَالُواْ﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾ موسى ربه[1] هنا، وذهب يطلبه، قال تعالى:

٨٩- ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَن﴾ مخففة من الثقيلة[2]، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّا يَرۡجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ أي: لا يرد لهم جوابًا ﴿وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفۡعٗا ٨٩﴾ أي: جلبه، أي: فكيف يتخذ إلهًا؟

٩٠- ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل أن يرجع موسى ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠﴾ فيها.

٩١- ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ﴾ نزال[3] ﴿عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١﴾.

٩٢- ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢﴾ بعبادته.

---

(١) قوله: (موسى). توضيح للضمير المستتر في ﴿فَنَسِيَ﴾، فيكون هذا من جملة مقولهم معطوفًا على جملة ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾. فالمعنى: قالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى ربه هنا... روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم. واختاره ابن جرير. وروي عن ابن عباس أن ﴿فَنَسِيَ﴾: إخبار من الله تعالى عن السامري، أنه نسي وترك الدين الحق. وعلى هذا يكون معطوفًا على ﴿فَقَالُواْ﴾.

(٢) قوله: (مخففة...). أي: لسبق ما يدل على اليقين، وهو ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾، والمخففة من الثقيلة تعمل وجوبًا ويكون اسمه ضمير الشأن محذوفًا، كما فصله النحاة، وقد تقدم لنا نظيره.

(٣) قوله: (نزال). أفاد أن ﴿لَن نَّبۡرَحَ﴾ ناقصة من أخوات «كان»، اسمها الضمير المستتر وخبرها: ﴿عَٰكِفِينَ﴾.

﴿٩٣﴾- ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَتَّبِعَنِ﴾[١] «لَّا» زائدة[٢] ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى[٣].

﴿٩٤﴾- ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها[٤]، أراد أمّي، وذِكْرُها[٥] أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضبًا ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولابد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل[٦] ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب عليّ ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ فيما رأيته في ذلك.

---

(١) ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: «أن»: مصدرية، و«تتبع» منصوب بـ«أن»، والنون للوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة مفعول به. وأظهر المفسر النون للتوضيح، وإلا فإن نون «أن» المصدرية تكتب مشبوكة مع «لا»، أي: تدغم وتكتب اللام المشددة، ولا تكتب النون، وإن كانت «أن» مخففة كتبت النون مظهرة: «أن لا». وفي بعض النسخ: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بدون إظهار النون.

(٢) وقوله: (﴿لَّا﴾ زائدة). أي: حرف «لا» في ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ مزيدة للتوكيد؛ لأن المعنى: ما منعك عن اتباعي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢].

(٣) قوله: (بإقامتك). الباء لتصوير العصيان فهو متعلق بـ﴿عَصَيْتَ﴾، أي: أفعصيت بإقامتك معهم بدون إنكار؟ الهمزة استفهامية، والفاء عاطفة على محذوف.

(٤) قوله: (بكسر الميم...). كما تقدم في الأعراف (١٥٠)

(٥) قوله: (وذِكْرها...). أي: ذِكر الأم حيث قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ مع أنه شقيقه، ليكون ألطف وأرقّ لقلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٦) قوله: (ولابد أن يتبعني...). يعلم من ذلك أن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتبر مصلحة أعظم وذلك عدم إيجاد التفريق والشقاق في المجتمع، وقبل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا العذر منه، ومن ذلك يعلم أهمية جمع الكلمة وسد وسائل الشقاق والخلاف في المجتمع، ولو كان بتحمل بعض الصعوبات، وما أكثر النزاع والشقاق بين الأمة المسلمة في هذا الزمان، بل يستأنس بذلك قوم ويسعون في تمديده وتغليظه، فالله المستعان.

(٩٥)- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ فما شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ (٩٥)﴾.

(٩٦)- ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ بالياء والتاء[١]، أي: علمتُ[٢] ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في صورة العجل المصوغ ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لِى نَفْسِى (٩٦)﴾ وألقي فيها[٣] أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها[٤] على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا، فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم.

(٩٧)- ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تقربني[٥]، فكان

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). بالتاء: ﴿تَبْصُرُواْ﴾: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وبالياء: ﴿يَبْصُرُواْ﴾: قراءة الباقين.

(٢) وقوله: (علمتُ...). وبه فسر ابن جرير، وفسر القرطبي: «رأيت ما لم يروا».اهـ. وكلاهما متقارب.

(٣) قوله: (وألقي فيها). أي: ألقي في نفسي، بمعنى: وقع في نفسي ذلك.

(٤) وقوله: (ألقيها). أي: ألقي وأضع تلك القبضة من التراب، وهو فعل مضارع منصوب معطوف على (آخذ). وأشار المفسر بقوله (تراب) و(حافر فرس) إلى تقدير مضافات.
تنبيه: ما ذكره المفسر من أن الرسول هو جبريل وأثره هو التراب الذي أخذه السامريّ من موضع حافر فرسه، أي: حين جاء لإهلاك فرعون إلى آخر ما قاله هو الذي عليه عامة المفسرين من السلف والخلف، وبذلك فسر ابن جرير، وعزاه إلى أهل التأويل بألفاظ متقاربة، فلا داعي لعزو هذه الأمور إلى الإسرائيليات، والشك فيها، كما يفعله بعض المعاصرين، وقد نبهنا على ذلك في تفسير سورة الأعراف.

(٥) قوله: (لا تقربني). كما قال ابن جرير: «لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ».اهـ. نقل القرطبي عن الحسن: «جعل الله عقوبة السامري ألا يماسّ الناس ولا يماسّوه...».اهـ.

يهيم في البرية، وإذا مسّ أحدًا أو مسه أحد حُمّا جميعًا[١] ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّن تُخۡلَفَهُۥ﴾ بكسر اللام[٢]، أي: لن تغيب عنه، وبفتحها[٣]، أي: بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ﴾ أصله: ظللت[٤] بلامين، أولاهما مكسورة حذفت تخفيفًا، أي: دمت ﴿عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ﴾ أي: مقيمًا تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار[٥] ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧﴾ نذرينّه[٦] في هواء البحر، وفعل

---

(١) وقوله: (وإذا مسّ أحدًا...). نقل القرطبي نحوه عن الحسن.

وقوله: (حُمّا). بضم الحاء مبني للمفعول، أي: أصابهما مرض الحُمّى جميعًا.

(٢) قوله: (بكسر اللام). وهي قراة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب: ﴿لَّن تَخۡلِفَهُۥ﴾: أي: لن تغيب عنه.

(٣) وقوله: (وبفتحها). أي: فتح اللام بصيغة المبني للمفعول: قراءة الباقين. أي: إن الله لن يخلفك إياه بل يبْعثك إليه. كما أشار لذلك المفسر.

(٤) قوله: (أصله: ظللت). فهو مضاعف، والمضاعف قد يعتريه الحذف والإبدال، ولذا جعل قسيمًا للصحيح السالم، وإن كان حروفه صحيحة غير معتلة، كما ذكره العزّي في تصريفه.

(٥) قوله: (بالنار). أشار به إلى أن المراد بالتحريق هو التحريق بالنار، كما عليه جمهور المفسرين. وهو المروي عن ابن عباس.

وقرأ ابن وردان: ﴿لَنَحۡرُقَنَّهُۥ﴾: بضم الراء من الثلاثي المجرد، ومعناه: لنبردنّه بالمبارد، أي: نجعله قطعًا فتاتًا، كما يعلم من القرطبي. وقال القرطبي: «يمكن الجمع بينهما بأن حرقه أولًا بالمبراد ثم حرقه بالنار».اهـ. ملخصًا.

ونقل عن السدي، قال: «ذبح العجل فسال منه كما يسيل من العجل إذا ذبح، ثم برد عظامه بالمبرد وحرّقه».اهـ.

ومعنى ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: لنذرينه ونطيّرنّه... كما قال المفسر وغيره من المفسرين.

(٦) قوله: (نذرينَّه). إما بفتح النون، من: ذرى يذري، مضارع مؤكد مسند للمتكلمين، على وزن: نَرْمِيَنَّه. أو بضم النون، من: أذْرَى يُذْرِي، من الثلاثي المزيد، أو بضم النون وتشديد =

موسى بعد ذبحه ما ذكره.

٩٨- ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ تمييز محوّل عن الفاعل[١]، أي: وسع علمه كل شيء.

٩٩- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ ۚ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ من عندنا[٢] ﴿ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ قرآنًا.

١٠٠- ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ حملًا ثقيلًا من الإثم.

١٠١- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ تمييز مفسر[٣] للضمير في «سَآءَ»، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: وزرهم،

= الراء من: ذرَّى يُذَرِّي، من الثلاثي المزيد أيضًا، وكل ذلك بمعنى واحدٍ، والياء مفتوحة على جميع الأوجه، فتح بناءٍ لاتصال نون التوكيد بالفعل.

(١) قوله: (تمييز محول...). ومعنى كونه محولًا عن الفاعل أنه كان فاعلًا في الأصل ثم جعل تمييزًا وجعل ما بعده (المضاف إليه) فاعلًا، فالمعنى: وسع علمه، كما قال المفسر. وقد ذكرنا ذلك سابقًا، وكما فصلنا مسائل التمييز في شرح «الثنائيات».

(٢) قوله: (عندنا). تفسير لـ﴿لَّدُنَّا﴾. وبين «عند» و«لدن» وجوه اتفاق وافتراق ذكرناها في «الثنائيات»، وسبق التنبيه عليه في أول سورة آل عمران.

(٣) قوله: (تمييز مفسّر). ساء: أصله متعدٍ إلى المفعول، كما تقول: ساءني كذا وعين الكلمة منه مفتوحة. ثم حُوِّل إلى فَعُلَ واستعمل في الذم كأفعال المدح والذم، ومعلوم أن فاعل: نعم، وبئس يأتي على ثلاثة أوجه: محلًى بـ«ال» الجنسية، نحو: نعم الرجل زيد، أو مضافًا إلى ما فيه «ال»، نحو: نعم طالب العلم زيد، أو ضميرًا مبهمًا يفسره التمييز بعده، نحو: نعم رجلًا زيد. وما في هذه الآية من هذا القبيل.

واللام للبيان(١)، ويبدل من «يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ»(٢):

(١٠٢)- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)﴾ عيونهم مع سواد وجوههم(٣).

(١٠٣)- ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارون ﴿إِن﴾ ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا (١٠٣)﴾ من الليالي بأيامها(٤).

(١٠٤)- ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾ يستقلون(٥) لبثهم في الدنيا جدًّا لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

---

(١) قوله: (واللام للبيان). أي: اللام في ﴿لَهُمْ﴾ لبيان المستحق للذم، والمعنى: الذم مستحق لهم. فالجار والمجرور متعلق بالخبر: مستحق..

(٢) قوله: (ويبدل ...). أي الآية التالية ﴿يَوْمَ يُنفَخُ...﴾ فهي بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

(٣) قوله: (عيونهم) بدل بعض من الضمير المستتر في ﴿زُرْقًا﴾، وهو جمع أزرق أو زرقاء. والمعنى: أن أعينهم تكون زرقًا، كما قال ابن جرير، والقرطبي وغيرهما. وعن الكلبي: «﴿زُرْقًا﴾: عميًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧]».اهـ. وعن الزجاج: «زرقًا أعينهم من شدة العطش».اهـ.

وقوله: (مع سواد الوجوه). كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. اللهم بيض وجوهنا يوم الحشر.

(٤) قوله: (من الليالي). قدره بالليالي؛ لأن ﴿عَشْرًا﴾ بدون التاء يكون إذا كان المعدود مؤنثًا، ولكن يجوز هنا تقدير الأيام؛ لأنه إذا لم يذكر المعدود يجوز موافقة اسم العدد للمعدود تذكيرًا وتأنيثًا، كما سبق أن ذكرنا في سورة البقرة الآية (٢٣٤) وغيرها.

(٥) قوله: (يستقلون). أي: يعدّون لبثهم قليلًا، وبنحو ما قال المفسر فسر ابن جرير وغيره.

(١٠٥)- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ[١] عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ﴾[٢] لهم ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥)﴾ بأن يفتتَها كالرمل السائل ثم يُطيِّرَها بالرياح.

(١٠٦)- ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطًا[٣] ﴿صَفْصَفًا (١٠٦)﴾ مستويًا[٤].

(١٠٧)- ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا (١٠٧)﴾ ارتفاعًا[٥].

(١٠٨)- ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال[٦] ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلى المحشر بصوته، وهو إسرافيل[٧] يقول:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾. قال ابن جرير: «أي: يسألك قومك».

(٢) وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ﴾. جاء هنا بالفاء ﴿فَقُلْ﴾، وكل سؤال في القرآن بغير الفاء ﴿قُلْ﴾. وذلك لتضْمين معنى الشرط هنا، أي: إن يسألوك فقل؛ لأن هذا إعلام بالإجابة قبل وقوع سؤالهم، بخلاف المواضع الأخرى، فكان سؤالهم متقدمة فجاء الجواب عقب السؤال، ولذا كان بغير فاء ﴿قُلْ﴾. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (منبسطًا). تفسير للقاع، كما ذكره الجوهري: «المستوي من الأرض».اهـ. ونقل القرطبي عن ابن الأعرابي: «القاع: الأرض الملساء بلا نبات ولا بناء».اهـ. والفاء في ﴿فَيَذَرُهَا﴾ عاطفة، و«يذر»: مضارع مرفوع، والماضي: «وَذَرَ»، لكنه مهجور الاستعمال.

(٤) قوله: (مستويًا). روي عن ابن زيد، ومجاهد.

(٥) (انخفاضًا) تفسير العوج بالانخفاض، والأمت بالارتفاع، عزاه القرطبي إلى ابن عباس في إحدى الروايات عنه. وفسر بغير ذلك، وكل ما فسر به متقارب في المعنى.

(٦) قوله: (أي: يوم إذ...). أفاد به أن التنوين في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوين عوض عن جملة مضاف إليها، وكسر الذال لالتقاء الساكنين، وهما: سكون الذال والتنوين، كما هو معلوم من كتب النحو.

(٧) قوله: (وهو إسرافيل). كما قاله القرطبي. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١)﴾ [قٓ: ٤١]. والمنادي جبريل، وقيل: إسرافيل. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي.اهـ.

هلموا[1] إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لاتباعهم[2]، أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت[3] ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ صوت وطء الأقدام[4] في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

١٠٩- ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحدًا[5] ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له[6] ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ بأن يقول[7]: لا إله إلا الله.

---

(١) قوله: (يقول: هلموا...). ذكره المفسرون كالقرطبي بسياقٍ مفصل في تفسير سورة قٓ.

(٢) قوله: (لاتباعهم). أي: الضمير المجرور في ﴿لَهُۥ﴾ عائد إلى المصدر المعلوم من الفعل، وذكره القرطبيّ وجهًا.
وقيل: المعنى: لا معدل لهم عنه. فاللام بمعنى: عن، كما هو ظاهر ابن كثير، وابن جرير.

(٣) قوله: (سكنت). قاله ابن عباس.

(٤) قوله: (صوت وطء الأقدام). قاله ابن عباس، وعنه أيضًا: «الصوت الخفي»، ومعنى الهمس في الأصل: الصوت الخفي. قاله ابن جرير. والمآل واحد.

(٥) قوله: (أحدًا). لتوضيح المراد.

(٦) قوله: (أن يشفع). بدل اشتمال من الضمير المجرور في ﴿لَهُ﴾، وعلى هذا يكون المستثنى ﴿مَنْ﴾ في محل نصب.
والمعنى: لا تشفع الشفاعة أحدًا إلا شخصًا أذن الله في الشفاعة له.
وقيل: ﴿مَنْ﴾ بدل من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ بتقدير مضاف، فيكون في محل رفع، والمعنى: لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذِنَ له. ذكرهما البيضاوي، وغيره من المفسرين.

(٧) قوله: (بأن يقول...). عزاه القرطبي إلى ابن عباس.

(١١٠)- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة[1] ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ لا يعلمون ذلك.

(١١١)- ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ خضعت[2] ﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي: الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ أي: شركًا[3].

(١١٢)- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته[4] ﴿وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ بنقص من حسناته.

(١١٣)- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معطوف على «كَذَٰلِكَ نَقُصُّ»، أي: مثل إنزال ما ذكر[5] ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشرك[6] ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ﴿ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم، فيعتبرون.

---

(١) قوله: (من أمور الآخرة... من أمور الدنيا). ما فسر به مرويّ عن قتادة، وقد تقدم شيء من التفصيل في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤].

(٢) قوله: (خضعت). قريب مما روي عن ابن عباس: «ذلت»، وعن مجاهد: «خشعت»، وعن ابن الأعرابي: «ذلت وخضعت».

(٣) قوله: (أي: شركًا). فسر به ابن جرير، ورواه عن قتادة وابن زيد، قال ابن زيد: «الظلم هنا الشرك»، وبذلك فسر القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (بزيادة في سيئاته). تفسير الظلم بذلك، والهضم بنقص الحسنات، رواه ابن جرير عن ابن عباس وغيره، وفسر به هو وغيره من المفسرين. وإطلاق الظلم على ذلك يكون فيه نوع من المجاز؛ لأنه لا يجب على الله شيء، إلا أنه وعد بفضله، فصار كالواجب بسبب الوعد.

(٥) قوله: (أي: مثل إنزال...). أفاد أن الجار والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل نصب مفعول مطلق.

(٦) قوله: (الشرك). مفعول به لـ﴿يَتَّقُونَ﴾.

١١٤- ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ عما يقول المشركون(١) ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه(٢) ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ أي: بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه(٣).

١١٥- ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل أكله منها(٤) ﴿فَنَسِيَ﴾ ترك عهدنا(٥) ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه(٦).

---

(١) قوله: (عما يقول...). متعلق بـ﴿فَتَعَٰلَى﴾، وبنحوه فسر ابن جرير.

(٢) قوله: (أي: يفرغ جبريل...). كما قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾... [القيامة: ١٦] الآيات.

كان ﷺ إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه، أي: الإنصات، فيكون محفوظًا في صدره.اهـ. من ابن كثير ملخصًا، وفي «الصحيح» عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا ما يفيد هذا المعنى.

(٣) قوله: (فكلما أنزل...). كما نقل ابن كثير عن ابن عيينة، قال: «ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عَزَّ وَجَلَّ».اهـ.

(٤) قوله: (قبل أكله). كذا فسره القرطبي وغيره.

(٥) وقوله: (ترك عهدنا). تفسير لـ﴿فَنَسِيَ﴾. وبه فسر ابن عباس، ومجاهد، وأكثر المفسرين، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «نسي هنا بمعنى: سها». قال القرطبي: «فيحتمل أن النسيان ليس عذرًا في ذلك الوقت».اهـ.

(٦) قوله: (حزمًا وصبرًا). تفسير لـ﴿عَزۡمٗا﴾. عن ابن عباس، وقتادة: «صبرًا»، وعن الضحاك: «عزيمة أمر»، وعن ابن عباس أيضًا، وعطية: «حفظًا». وكلها متقاربة.

(١١٦)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن[(١)]، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ (١١٦)﴾ عن السجود لآدم «قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ» [الأعراف: ١٢، صَ: ٧٦].

(١١٧)- ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ (١١٧)﴾ تتعب[(٢)] بالحرث والزرع والحصد والطحن والخَبْز[(٣)] وغير ذلك، واقتصر على شقائه[(٤)]؛ لأن الرجل يسعى على زوجته.

(١١٨)- ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨)﴾.

(١١٩)- ﴿وَأَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة وكسرها[(٥)]، عطف على اسم «إن» وجملتها ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩)﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى؛ لانتفاء الشمس في الجنة.

---

(١) قوله: (وهو أبو الجن). كما تقدم في سورة البقرة وغيرها.

(٢) قوله: (تتعب). أي: فالمراد بالشقاوة الكدّ للمعيشة. كما قال ابن جرير: «فيكون عيشك من كدّ يدك»، وكما يدل على ذلك الآيات التالية.

(٣) قوله: (والخَبز). بفتح الخاء، مصدر: خبز، يخبز، خبزًا، أي: صنع الخُبْز، والخُبز معروف.

(٤) قوله: (واقتصر على شقائه...). أي: خوطب آدم فقط بـ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾، ولم يقل: «فتشقيا» بالتنثية، أي: آدم وحواء، لما ذكر المفسّر، أو لأن آدم هو المخاطب وهو المقصود. ذكرهما القرطبي.

(٥) قوله: (بفتح الهمزة...). قراءتان: بكسر الهمزة: قراءة نافع، وشعبة. وبفتحها: قراءة الباقين. وجه الفتح: أنها معطوفة على اسم «إن» بمعنى: إن لك عدم الجوع وعدم الظمأ. ووجه الكسر: أنها جملة مستقلة معطوفة على ما قبلها. وإلى ذلك أشار المفسر بقوله: (على اسم «إن») وهذا وجه الفتح، وقوله: (وجملتها) وهذا وجه الكسر.

﴿١٢٠﴾- ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: التي يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا يفنى، وهو لازم الخلد.

﴿١٢١﴾- ﴿ فَأَكَلَا ﴾ أي: آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره(١)، وسمي كل منهما سوأة؛ لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يُلزِقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾(٢) بالأكل من الشجرة.

﴿١٢٢﴾- ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قرّبه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِلَ توبته ﴿وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ أي: هداه إلى المداومة على التوبة.

﴿١٢٣﴾- ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا ﴾ أي: آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما(٣) ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضًا ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام(٤) نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى

---

(١) قوله: (أي: ظهر لكل...). كما تقدم في سورة الأعراف، وقد تقدم فيها وفي سورة البقرة ما يتعلق بهذه القصة من فوائد وتفاسير فليراجع ذلك.

(٢) وقوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ قال القرطبي: «أي: فسد عليه عيشة»، قال: «وحكاه النقاش، واختاره القشيري، ونقل عن شيخه أبي جعفر القرطبي: ففسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا، والغي: الفساد».اهـ.

(٣) قوله: (بما اشتملتما...) فيه إشارة إلى التوفيق بين صيغة التثنية هنا ﴿ٱهْبِطَا﴾ وصيغة الجمع في البقرة ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [٣٦].

(٤) قوله: (فيه إدغام...). أي: كلمة ﴿فَإِمَّا﴾ مؤلفة من الفاء الفصيحة و«إن» الشرطية و«ما» المزيدة المؤكدة، وجواب الشرط جملة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ...﴾.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا[١] ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ في الآخرة.

﴿١٢٤﴾- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بالتنوين[٢] مصدر، بمعنى: ضيقة، وفسّرت[٣] في حديث بعذاب الكافر في قبره ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي: المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ أي: أعمى البصر[٤].

﴿١٢٥﴾- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا[٥] وعند البعث.

---

(١) قوله: (في الدنيا...) كما نقل القرطبي عن ابن عباس، قال: «ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة». وتلا الآية.اهـ.

(٢) قوله: (بالتنوين...). اتفق القراء على ذلك، وهو مصدر بمعنى الوصف، ولذا يستوي فيه الواحد وغيره، والمذكر والمؤنث، كما يعلم من القرطبي وغيره، وقرئ شذوذًا ﴿ضَنكَىٰ﴾ بصفة الوصف.

(٣) قوله: (وفسرت...) أي: المعيشة الضنك فسرت بعذاب القبر في حديث، والحديث الذي أشار إليه المفسر رواه ابن جرير عن أبي سعيد الخدري بطرق، كما روى ذلك عن أبي هريرة، والسّدي، وأبي صالح، وروى عن الضحاك: «أنها الكسب الحرام، والعمل الخبيث، والرزق السيء». وعن الحسن، وقتادة: «أنها تكون للكفار في جهنم». واختار ابن جرير أنها عذاب القبر.

(٤) قوله: (أي: أعمى البصر). مرويّ عن مجاهد. وروي عنه أيضًا، وعن أبي صالح: «أعمى الحجة، أي: ليس له حجة». اختاره ابن جرير.

(٥) قوله: (في الدنيا...). هذا يناسب تفسير العمى بعمى البصر، كما هو المروي عن مجاهد، وأما على تفسيره بفقد الحجة، فيقال كذلك هنا، أي: وقد كنت بصيرًا بالحجة في الدنيا وعالمًا بها، كما روي عن مجاهد أيضًا. ذكر الوجهين ابن جرير، وعزاهما إلى مجاهد.

﴿١٢٦﴾- ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها[١] ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ تترك في النار.

﴿١٢٧﴾- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك[٢] ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ أدوم.

﴿١٢٨﴾- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبين[٣] ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كثيرًا إهلاكنا[٤] ﴿قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي: الأمم الماضية بتكذيب الرسل ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لَهُمْ». ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا[٥]، وما ذكر[٦] من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف

---

(١) قوله: (تركتها). فالنسيان هنا في الموضعين بمعنى الترك لا بمعنى الذهول، كما يعلم من ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (أشرك). تفسير للمراد بالإسراف، والإسراف في الأصل: تجاوز الحد.

(٣) قوله: (يتبين) وبه فسر ابن جرير، والقرطبي. وعلى هذا يكون ﴿يَهْدِ﴾ لازمًا. وفاعله: المصدر المؤول من ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: إهلاكنا.

و﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾. والمعنى: أفلم يتبين لهم إهلاكنا كثيرًا من القرون السابقة، وهذا ما مشى عليه المفسر وكما ذكره المعربون.

(٤) قوله: (أي: كثيرًا إهلاكنا). (كثيرًا) تفسير لـ﴿كَمْ﴾ الخبرية الواقعة مفعولًا به لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و(إهلاكنا) تفسير لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ باعتبار وقوعه بمعنى المصدر، وفاعلًا لـ﴿يَهْدِ﴾، ومراد المفسر توضح معنى ﴿كَمْ﴾، وفاعل ﴿يَهْدِ﴾، وإلا فالمصدر لا يعمل في المتقدم، فلا يقال: (كثيرًا إهلاكُنا).

(٥) قوله: (فيعتبروا). معطوف على ﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾.

(٦) قوله: (وما ذكر). مبتدأ خبره قوله: (لا مانع منه)، يعني: أن تأويل الفعل ﴿أَهْلَكْنَا﴾ =

مصدري لرعاية المعنى لا مانع منه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبرًا ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ لذوي العقول.

﴿١٢٩﴾- ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازمًا لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ مضروب لهم(١)، معطوف(٢) على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيد.

= بالمصدر (إهلاكنا) بدون حرف مصدري جائز لا مانع منه، وإن كان الأكثر كون تأويله بالمصدر إن كان عليه حرف مصدري: «أن، وما، وكي، ولو، وأنّ»، ولكن قد يؤول بالمصدر بدون حرف مصدري فيكون المسوّغ معنويًا، أي: توقف المعنى على ذلك: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، أي: إنذارك وعدم إنذارك، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِۦ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الروم: ٢٤]، أي: إراءتكم، وقولهم: تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراه: أي: سماعك. وتقدم ذكر المسألة إجمالًا في سورة البقرة الآية (٦).

(١) قوله: (مضروب لهم). تفسير لـ﴿مُّسَمًّى﴾.

(٢) قوله: (معطوف). يعني: أن ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على الضمير المستتر في ﴿لَكَانَ﴾ الراجع إلى الإهلاك العاجل، وعطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل -أو المستتر- المرفوع يحتاج إلى فصلٍ والفصل يكون غالبًا بالضمير المنفصل، كما تقول: قمت أنا وزيدٌ، زيد سافر هو وعمرو. وقد يوجد الفصل بغير الضمير كقوله تعالى: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، الفاصل «لا» المؤكدة، وهٰهنا قد فصل بخبر «كان» وهو ﴿لِزَامًا﴾. والمعنى: ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العقوبة إلى الآخرة لكان العذاب المعجّل والأجل المسمى لذلك لزامًا لهم. وهذا المعنى لا غبار فيه، وهذا الوجه الإعرابي ذكره البيضاوي احتمالًا، واختار أن ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾. والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزامًا، فيكون في الكلام تقديم وتأخير كما ذكر ابن جرير، ورواه عن قتادة، وابن زيد. وعلى هذا يكون المعنى واضحًا=

(١٣٠)- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال[1] ﴿وَسَبِّحۡ﴾ صلِّ ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ حال، أي: ملتبسًا به ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ صلاة الصبح[2] ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحۡ﴾ صل المغرب والعشاء ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عطف على محل «وَمِنۡ ءَانَآيِٕ» المنصوب، أي: صل الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ (١٣٠)﴾ بما تعطى من الثواب.

(١٣١)- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافًا[3] ﴿مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ

= أيضًا؛ فقول المفسر: (وقام الفصل بخبرها...) يعني الفصل بين الضمير المعطوف عليه وبين المعطوف حاصل هنا بخبر «كان» وهو ﴿لِزَامٗا﴾، وهو قائم مقام الفصل بالضمير المنفصل الذي هو الأكثر.

(١) قوله: (منسوخ...) ذكره القرطبي وجهًا، ورجح أنها ليست منسوخة لبقاء أكثر الكفار بعد نزول آية السيف.

(٢) قوله: (صلاة الصبح). تطبيق هذه الآية على الصلوات الخمس على النحو الذي قاله المفسر مرويّ عن قتادة، كما في ابن جرير، وقال القرطبي: «قال أكثر المتأولين: هذا إشارة إلى الصلوات الخمس».اهـ. ويؤيد ذلك ما رواه الشيخان عن جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا ا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**». ثم تلا هذه الآية».اهـ.

(٣) قوله: (أصنافًا). تفسير ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾. وفسره ابن كثير بالأغنياء، والمعنى: لا تمدن عينيك إليهم فقد آتاك خيرًا مما آتاهم.اهـ. و﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ مفعول به لـ﴿مَتَّعۡنَا﴾، و﴿زَهۡرَةَ﴾ منصوب على أنه حال من ﴿مَا﴾، أو بفعل الذم المحذوف تقديره: أذم، أو غير ذلك من الوجوه التي ذكرها المعربون.

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ بأن يطغوا ﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيۡرٞ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾ أدوم.

١٣٢- [(١)] ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ اصبر ﴿عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ﴾ نكلفك ﴿رِزۡقٗاۖ﴾ لنفسك ولا لغيرك[(٢)] ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ لأهلها.

١٣٣- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: المشركون ﴿لَوۡلَا﴾ هلّا[(٣)] ﴿يَأۡتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم﴾ بالتاء والياء[(٤)] ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣﴾ المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

١٣٤- ﴿وَلَوۡ[(٥)] أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ قبل محمد الرسول[(٦)] ﴿لَقَالُواْ﴾

---

(١) قال القرطبي: «وهذا خطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أمته ﷺ».اهـ. وقال ابن كثير في تفسير الآية: «استنقذهم من عذاب الله بإقامة الصلاة، واصبر أنت على فعلها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ...﴾ [التحريم: ٦]».اهـ.

(٢) قوله: (لنفسك...). وبمثله فسر القرطبي. وقال ابن كثير: «يعني: إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب».اهـ.

(٣) قوله: (هلّا). أشار به إلى أن ﴿لَوۡلَا﴾ هنا تحضيضية.

(٤) قوله: (بالتاء والياء). قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص، وابن جماز، وروح، ورويس: بالتاء. والباقون: بالياء. ورويس ضم الهاء: ﴿تَأۡتِهُمۡ﴾.

(٥) ﴿وَلَوۡ﴾: شرطية، وفعل الشرط محذوف، تقديره: ولو ثبت، و«أن» ومعمولاها في تأويل مصدر فاعل للفعل، وقد تقدم نظير ذلك.

(٦) قوله: (قبل محمد الرسول). ﷺ، كما قال القرطبي: «من قبل بعثة محمد ﷺ ونزول القرآن».اهـ. =

يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ في جهنم.

﴿١٣٥﴾- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم؟!



= روى ابن جرير عن أبي سعيد الخدريّ مرفوعًا: «يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير؛ فيقول المغلوب على عقله: لم تجعل لي عقلًا أنتفع به، ويقول الهالك في الفترة: لم يأتني رسول ولا نبيّ، ولو أتاني لك رسول أو نبيّ لكنت أطوع خلقك لك، وقرأ ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، ويقول الصبي الصغير: كنت صغيرًا لا أعقل، قال: فترفع لهم نار، ويقال لهم: رِدُوها، قال: فيُردها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي، فيقول: إياي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم».اهـ.



٢١- سورة الأنبياء(١)

مكية، وهي إحدى أو اثنتا عشرة آية(٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة(٣)، منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ عن التأهب له بالإيمان.

(٢)- ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئًا فشيئًا(٤)، أي: لفظ القرآن(٥) ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ يستهزؤون.

---

(١) قوله: (سورة الأنبياء). وفي بعض النسخ: عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

(٢) وقوله: (وهي إحدى أو اثنتا...). سبب هذا الخلاف أن غير الكوفيين يعدون الآيتين (٦٦، ٦٧) آية واحدة، كذا في بعض الشروح، ولم يذكر أكثر المفسرين الخلاف بل جزموا بـ(١١٢) آية. كما هو المثبت في المصاحف المتداولة.

روى البخاري عن ابن مسعود، قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء هن من العتاق الأول، وهي من تلادي».اهـ. [٤٧٣٩]، يعني: من قديم ما كسب وحفظ من القرآن كالمال التلاد. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (أهل مكة). روي نحوه عن ابن عباس، قال: «هم المشركون، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ...﴾ إلى ﴿...وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾».اهـ. والواو في ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ حالية، والجملة في محل نصب حال.

(٤) قوله: (شيئًا فشيئًا). تفسير للمراد بـ﴿مُّحْدَثٍ﴾.

(٥) وقوله: (أي: لفظ القرآن). تفسير لـ﴿ذِكْرٍ﴾ يعني: أن لفظ القرن منزل شيئًا فشيئًا، محدث نزوله، كما قال ابن كثير: «جديد نزوله».اهـ، لا أن القرآن مخلوق محدث، كما يعتقده المعتزلة.

﴿٣﴾- ﴿لَاهِيَةً﴾[١] غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ الكلام ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدل من واو[٢] «أَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى»، ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر[٣] ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ تعلمون أنه سحر.

﴿٤﴾- ﴿قُلْ﴾[٤] لهم ﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ كائنًا[٥] ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ به.

---

(١) ﴿لَاهِيَةً﴾ حال من الواو في ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أو ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾، و﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل ﴿لَاهِيَةً﴾.

(٢) قوله: (بدل من واو...). أي: الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الواو في ﴿أَسَرُّواْ﴾، والواو فاعل، وليس الاسم الموصول هو الفاعل؛ لأنه لو كان فاعلًا لقيل: «وأسرّ» بصيغة الإفراد، ومعلوم أن الفاعل إذا كان اسمًا ظاهرًا مثنًى أو جمعًا لا يثنى ولا يجمع الفعل بل يبقى على حالة الإفراد، نحو: قام رجلان أو رجال، ولا يقال: قاما أو قاموا، وما ورد بخلاف ذلك فمؤول، فيقال هنا: الواو هنا الفاعل، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل منه. أو يقال: الاسم الموصول مبتدأ مؤخر وجملة ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ خبر مقدم، وذهب طائفة إلى أن الاسم الظاهر المرفوع هو الفاعل، والواو -أو الألف- علامة جمع أو تثنية ليس لها محل من الإعراب، وتلقب هذه اللغة بلغة: «أكلوني البراغيث»، كما هو معروف في كتب النحو، وهي لغة أزد شنوءة، كما ذكره ابن هشام في «قطر الندى».

(٣) قوله: (فما يأتي به). فسر به بقرنية ما بعده، أي: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾.

(٤) قوله: ﴿قُلْ﴾ بصيغة الخطاب: قراءة الجمهور. وقرأ الكسائي، وحفص، وحمزة، وخلف: بصيغة الماضي: ﴿قَالَ﴾ أي: محمد ﷺ.

(٥) قوله: (كائنًا). أشار به إلى أن ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ...﴾ حال من القول. والمعنى: أنه لا يخفى عليه شيء مما يقال في السمٰوات والأرض. كما قاله القرطبي.

(٥)- ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر[١] في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوٓاْ﴾ فيما أتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ أخلاط رآها في النوم[٢] ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (٥)﴾ كالناقة والعصا واليد.

(٦)- قال تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها[٣] ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بتكذيبها ما أتاها[٤] من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ لا[٥].

(٧)- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰٓ﴾، وفي قراءة[٦]: بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل[٧] ﴿إِن كُنتُمْ

---

(١) قوله: (للانتقال...). يعني أن ﴿بَلْ﴾ هنا وفي الموضعين التاليين للإضراب والانتقال، وليست للإبطال، وقد يأتي «بل» للإضراب الإبطالي، أي: لإبطال الكلام الذي قبل «بل»، وإثبات ما بعدها نحو: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقد تقدم.

(٢) قوله: (أخلاط). كما تقدم في سورة يوسف الآية (٤٤).

(٣) قوله: (أي: أهلها). أشار إلى تقدير مضاف، فيكون من باب الإيجاز أو يقال أطلق المحل وأريد الحال، فيكون من باب المجاز المرسل.

(٤) وقوله: (ما أتاها). «ما»: اسم موصول مفعول به لـ(تكذيب).

(٥) وقوله: (لا). قدره ليكون جوابًا للاستفهام.

(٦) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالنون وكسر الحاء على صيغة المبني للفاعل: حفص: ﴿نُّوحِىٓ﴾.
وقرأ الباقون بالياء، أي: بصيغة المبني للمفعول: ﴿يُوحَىٰٓ﴾، ولكن قرأ حمزة، ويعقوب بضم الهاء: ﴿إِلَيْهُمْ﴾. وغيرهما بكسرها: ﴿إِلَيْهِمْ﴾.
وقول المفسر: (لا ملائكة) معطوف على مقدر، والتقدير: بل أرسلنا رجالًا لا ملائكة.

(٧) قوله: (العلماء بالتوراة). فسر به القرطبي، وابن كثير وغيرهما، وعزاه القرطبي إلى سفيان، ونقل عن ابن زيد، المراد بأهل الذكر: أهل القرآن.

﴿لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

٨- ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدٗا﴾ بمعنى: أجسادًا[١] ﴿لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾ في الدنيا.

٩- ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي: المصدقين لهم[٢] ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ المكذبين لهم.

١٠- ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾[٣] لأنه بلغتكم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ فتؤمنون به.

١١- ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا﴾[٤] أهلكنا ﴿مِن قَرۡيَةٖ﴾ أي: أهلها[٥] ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةٗ﴾ كافرة ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ١١﴾.

١٢- ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك[٦] ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢﴾ يهربون مسرعين.

---

(١) قوله: (بمعنى: أجسادًا). يعني: أن ﴿جَسَدٗا﴾ اسم جنس يراد به الواحد وغيره، كما هنا.

(٢) قوله: (أي: المصدقين). على هذا يكون الاسم الموصول ﴿مَن﴾ للعهد، أي: الإشارة إلى المعهودين، فإن الاسم الموصول يأتي مثل «أل» للعهد والجنس والاستغراق. كما يأتي لهذه المعاني الثلاثة: المضاف.

(٣) قوله: ﴿فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾. الذكر بمعنى: الشرف، قاله ابن عباس. وعن مجاهد: «حديثكم»، وعن الحسن: «دينكم».

(٤) ﴿كَمۡ﴾ هنا خبرية في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿قَصَمۡنَا﴾.

(٥) وقوله: (أي: أهلها). كما تقدم قبل آيات.

(٦) قوله: (شعر...). أي: علم، والركض: العَدْوُ بشدة الوطء. قاله القرطبي.

(١٣)- فقالت لهم الملائكة استهزاءً: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نُعِّمْتُم[١] ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)﴾ شيئًا من دنياكم على العادة[٢].

(١٤)- ﴿قَالُوا يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤)﴾ بالكفر.

(١٥)- ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ أي: كالزرع المحصود بالمناجل[٣] بأن قتلوا بالسيوف[٤] ﴿خَامِدِينَ (١٥)﴾ ميتين كخمود النار إذا طفئت.

(١٦)- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)﴾ عابثين[٥]، بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا.

(١٧)- ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أي: ما يلهى به[٦] من زوجة أو ولد ﴿لَّاتَّخَذْنَاهُ

---

(١) قوله: (نُعِّمْتُم). بضم النون، وتشديد العين المكسورة، بصيغة المبني للمفعول.

(٢) قوله: (شيئًا من دنياكم). مفعول ثان لـ﴿تُسْأَلُونَ﴾، وهذا المعنى عزاه القرطبي إلى قتادة، وقيل: لعلكم تسألون عن العقوبة فتجزون به، وعلى كل حال قيل لهم ذلك استهزاءً وتقريعًا. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (كالزرع...) أفاد به أن الكلام من التشبيه البليغ، أي: حُذفت أداة التشبيه، وليس من الاستعارة لذكر المشبه وهو الضمير: «هم».

(٤) وقوله: (بأن قتلوا...). الباء لتصوير جعلهم كالحصيد، وهذا المعنى قاله مجاهد. وقال الحسن: «أي: بالعذاب».اهـ. والعذاب أعم من القتل بالسيف.

(٥) قوله: (عابثين). بمثله فسره المفسرون. قال القرطبي: «أي:عبثًا وباطلًا، وهو حال، والحال من الفضلة في اصطلاح النحاة، والمراد بالفضلة: ما ليس ركنًا للجملة، أي: ما ليس مسندًا ولا مسندًاإليه، ولو توقف المعنى عليه، كما هنا، فهذه ﴿لَاعِبِينَ﴾ فضلة مع أنه لا يصح إسقاطه.

(٦) قوله: (ما يلهي به). فيه جمع بين ما فسر به اللهو هنا، فعن قتادة، والحسن، وغيرهما: «اللهو: المرأة» بلسان أهل اليمن، وعن ابن عباس وعكرمة، والسدي: «اللهو: الولد».

﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ ذلك[١]، لكنا لم نفعله[٢]، فلم نرده.

١٨- ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾ نرمي ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الإيمان[٣] ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ يذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ ذاهب. ودَمَغَهُ في الأصل: أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل[٤] ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿ٱلۡوَيۡلُ﴾ العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ الله به من الزوجة والولد.

١٩- ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالى ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مِلكًا[٥] ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي: الملائكة[٦]، مبتدأ، خبره: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾ لا يُعْيون[٧].

---

(١) قوله: (ذلك). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿فَٰعِلِينَ﴾.

(٢) وقوله: (ولكنا لم نفعله). يفيد أن «إن» هنا شرطية. كما فسر به البيضاوي وغيره، وعن قتادة، ومقاتل، والحسن، وابن جريج، وغيرهم: ﴿إِن﴾ هنا نافية، أي: ما كنا فاعلين ذلك. وعلى هذا تم الكلام على ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾، وعلى أنها شرطية يكون الجواب محذوفًا دل عليه ما قبله كما هو واضح.

نقل ابن كثير عن مجاهد: «كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار».اهـ.

(٣) قوله: (الإيمان). فسر الحق والباطل هنا بتفاسير كلها متقاربة كما قاله القرطبي، ومن ذلك ما قاله المفسر.

(٤) قوله: (وهو مقتل). أي: الدماغ مقتل، فإصابته تؤدي إلى الهلاك. وتقدم تفسير الويل في سورة البقرة (٧٩).

(٥) قوله: (ملكًا). تمييز للنسبة، أي: نسبة الخبر ﴿لَهُۥ﴾ إلى المبتدأ ﴿مَن﴾. وأفاد به أن اللام في ﴿لَهُۥ﴾ للملكية، وكان السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفسر بقوله: «ملكًا وخلقًا وعبيدًا».

(٦) قوله: (أي: الملائكة...). كما فسر بذلك عامة المفسرين.

(٧) قوله: (لا يُعْيون). قاله قتادة، وهو بضم الياء وسكون العين، مضارع: أَعْيَا بوزن أَفْعَلَ،=

﴿٢٠﴾- ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ عنه، فهو منهم[١] كالنفَس منا لا يشغلنا عنه شاغل.

﴿٢١﴾- ﴿أَمِ﴾ بمعنى: بل للانتقال[٢]، والهمزة للإنكار ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمۡ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: يحيون الموتى؟ لا[٣]، ولا يكون إلهًا إلا من يحيي الموتى[٤].

﴿٢٢﴾- ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي: السموات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غيره[٥]

= بمعنى: تعب. قال القرطبي: «﴿يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ مأخوذ من الحسير، وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب، يقال: حسر البعير، يحسر، حسورًا: أعيا، وكلّ، واستحسر وتحسر مثله».اهـ.

(١) قوله: (فهو منهم...). أي: التسبيح منهم كالتنفس منا، وهذا التشبيه مأخوذ مما رواه ابن جرير وغيره عن عبدالله بن الحارث أنه سأل كعب الأحبار: أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل؟ فأجاب: «إنه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (بمعنى: بل). يعني أن ﴿أَمِ﴾ هنا منقطعة، للإضراب ولمعنى الاستفهام الإنكاري. فقوله: (والهمزة). بالجر معطوف على قوله (بل)، أي: بمعنى: بل والهمزة.

(٣) قوله: (لا). قدره ليكون جوابًا للاستفهام الإنكاري.

(٤) وقوله: (ولا يكون إلهًا...). فيه إشارة إلى قياسٍ منطقي، تحريره: لو كانت آلهة لأحيت الموتى ولكنها لا تحيي الموتى، فليست آلهة. أفاد نفيُ التالي نفيَ المقدَّم.

(٥) قوله: (أي: غيره). أفاد به أن ﴿إِلَّا﴾ هنا بما بعدها نعت لـ﴿ءَالِهَةٌ﴾، فهي بمعنى: غير، ولذا رفع ما بعدها، وليست للاستثناء، لفساد المعنى؛ لأنها لو كانت للاستثناء لكان مفهوم الكلام: لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا. وهذا المفهوم باطل، و﴿إِلَّا﴾ في الأصل أداة استثناء، وقد تستعمل بما بعدها نعتًا، ولفظة (غير) بخلافها فهي في الأصل يأتي نعتًا، وقد يستعمل للاستثناء. وقد فصلنا هذه المسألة في شرح الثلاثيات والثنائيات. =

﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ أي: خرجتا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم[١] على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾ تنزيهَ ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾ خالق ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ الكرسي[٢] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ أي: الكفار الله به من الشريك له وغيره.

٢٣- ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ عن أفعالهم[٣].

٢٤- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: سواه ﴿ءَالِهَةًۖ﴾ فيه استفهام توبيخ[٤] ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ على ذلك، ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: أمتي، وهو

= تنبيهات:

١- لا يخفى أن المراد بالآلهة هنا: مستحق العبادة، لا المعبود مطلقًا؛ لأن ﴿لَوۡ﴾ تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، أي: أن كلّا من الشرط والجواب لم يحصل. والآلهة بمعنى: المعبودات مطلقًا موجودة، وإنما المعدوم الممتنع تعدد الآلهة المستحقة للعبادة.

٢- هذا الكلام ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ ينتظم قياسًا منطقيًا بأن يقال: لو كان فيهما آلهة إلا الله، أي: لو تعددت الآلهة لفسدتا، ولكنهما لم تفسدا، ينتج: فلم تتعدد.

(١) قوله: (لوجود التمانع). التمانع: لفظ اصطلاح كلاميّ، والمراد به: احتمال إرادة أحدهما شيئًا ويريد الآخر خلافه؛ فهذا احتمال جائز يترتب عليه محال، وهو الفساد، وما أدى إلى المحال محال أيضًا، فهذا دليل التمانع مستفاد من هذه الآية الكريمة، وإلى ذلك أشار المفسر.

(٢) قوله: (الكرسي). تفسير العرش بالكرسي قول مرجوح مشى عليه المفسر. وقد نبهنا عليه سابقًا في سورة الأعراف وغيرها.

(٣) قال القرطبي: «هذه الآية قاصمة للقدرية وغيرهم».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (فيه استفهام). أي: في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ أفاد المفسر أن ﴿أَمِ﴾ منقطعة تفيد استفهامًا توبيخيًّا، الآية السابقة ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١﴾ كانت احتجاجًا بالمعقول، وهذه الآية بالمنقول على التوحيد. أفاده القرطبي.

القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلهًا مما قالوا، تعالى عن ذلك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ توحيد الله ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾ عن النظر الموصل إليه.

٢٥- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يُوحَىٰٓ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء[١] ﴿إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ أي: وحِّدوني.

٢٦- ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة[٢] ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ﴾ هم[٣] ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة[٤].

٢٧- ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ أي: بعده[٥].

٢٨- ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: ما عملوا وما هم عاملون[٦]

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿نُوحِيٓ﴾: بالنون على صيغة المعلوم. وقرأ الباقون: ﴿يُوحَىٰٓ﴾: بالياء وبصيغة المبني للمفعول، فتكون جملة ﴿أَنَّهُۥ...﴾ نائب فاعل.

(٢) قوله: (من الملائكة). خصهم بالذكر؛ لأن الآية مكية نزلت في خزاعة الذين قالوا: الملائكة بنات الله... كما يعلم من القرطبي، وإلا فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، كما تقدم في سورة التوبة.

(٣) وقوله: (هم). قدره ليكون ﴿عِبَادٞ﴾ خبرًا للمبتدأ المقدر، و﴿بَلۡ﴾ هنا للإضراب الإبطالي، وليست ﴿بَلۡ﴾ هنا عاطفة؛ لأنها وما بعدها ليست من مقولهم.

(٤) قوله: (والعبودية تنافي...). كما تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١١٦) وغيرها.

(٥) قوله: (أي: بعده). يعني: بعد أمره.

(٦) قوله: (أي: ما علموا). تفسير لـ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾. =

﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ تعالى[1] أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ أي: خائفون.

٢٩- ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: الله، أي: غيره، وهو إبليس[2] دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ أي: المشركين.

٣٠- ﴿أَوَلَمۡ﴾ بواو وتركها[3] ﴿يَرَ﴾ يعلم[4] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ

= وقوله: (وما هم عاملون). تفسير لـ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾. وهذا التفسير مروي عن ابن عباس، وعنه أيضًا: «﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: الدنيا». قاله القرطبي وغيره.

(١) قوله: (تعالى). أفاد به أن الضمير المستتر في ﴿ٱرۡتَضَىٰ﴾ يراد به الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.
قال ابن عباس: «هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله».اهـ. يعني المؤمنين. وقال مجاهد: «هم كل من رضي الله عنه».اهـ. والقولان متقاربان.قاله القرطبي. والملائكة يشفعون غدًا في الآخرة كما في «صحيح مسلم» وغيره، وفي الدنيا أيضًا فإنه يستغفرون للمؤمنين ومن في الأرض، نص عليه في التنزيل.اهـ.

(٢) قوله: (وهو إبليس). الضمر هو عائد إلى ﴿مَن﴾ الشرطية. وعلى هذا يكون المراد بها: المعهود. وهذا مروي عن قتادة، والضحاك. فيكون المراد بـ﴿مِنۡهُمۡ﴾، أي: ممن كان في جملتهم وإن لم يكن منهم حقيقة؛ لأن إبليس يخالف الملائكة في الحقيقة والماهية عند الجمهور، وظاهر ابن كثير أن المراد بـ﴿وَمَن يَقُلۡ﴾ بعض الملائكة، ولكن هذه جملة شرطية، ولا يلزم منها وقوع الشرط.

(٣) قوله: (بواو...). بدون واو: ﴿أَلَمۡ﴾: قراءة ابن كثير. وبالواو: ﴿أَوَلَمۡ﴾: قراءة الباقين. والواو عاطفة على محذوف، على رأي الزمخشري ومن تبعه، واستئنافية على رأي غيره كما تقدم نظائر لذلك.

(٤) وقوله: (يعلم). أشار به إلى أن ﴿يَرَ﴾ هنا علمية لا بصرية، فلها مفعولان سدّ مسدّهما جملة ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾.

كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: سدًّا، بمعنى مسدودةً[١] ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ أي: جعلنا السماء سبعًا والأرض سبعًا[٢]، وفتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض[٣] ﴿كُلَّ

---

(١) قوله: (أي: سدًّا) أفاد به أن ﴿رَتْقًا﴾ مصدر بمعنى: اسم المفعول وأن معناه: السدّ ضد الفتق. ومنه الرتقاء: المرأة المنضمة الفرج.

(٢) قوله: (أي: جعلنا السماء...). ذكر المفسر هنا وجهين في معنى الآية، الأول: أن السموات والأرض كانت كلها متصلًا بعضها ببعض وكانت شيئًا واحدًا ففصل الله بينهما بالهواء، وجعل السموات سبعًا والأرض سبعًا. روي نحوه عن ابن عباس، وقتادة، والحسن، والضحاك وغيرهم. وعن مجاهد، وأبي صالح: «كانت السمٰوات واحدة ففتق منها سبع سمٰوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين، قال مجاهد: «ولم تكن السماء والأرض متماستين».اهـ. فهذا قول آخر مخالف للقول الأول في كون السماء والأرض ملتزقتين. ويحتمل كون هذا هو مراد المفسر.

والوجه الثاني الذي ذكره المفسر: كانت السماء لا تمطر فأمطرت والأرض لا تنبت فأنبتت. روي هذا عن ابن عباس أيضًا، وعطية العوفي. كما يعلم من ابن كثير وغيره، والفلسفة الحديثة توافق الرأي الأول. ورجح ابن جرير القول الأخير؛ لأنه قال تعالى بعده: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، ولأن فيه الاعتبار مشاهدةً ومعاينةً.

(٣) قوله: (النازل من السماء). أشار به إلى أن «أل» في ﴿ٱلْمَآءِ﴾ جنسية. قال القرطبي: «فيه ثلاث تأويلات، أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء. قاله قتادة.

الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء.

الثالث: جعلنا من ماء الصلب كل شيء حيّ. قاله قطرب. اهـ.

وعلى هذا الثالثِ تكون «أل» في ﴿ٱلْمَآءِ﴾ عهدية. ورجح ابن كثير المعنى الأول لما روى أحمد عن أبي هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ، فأجاب: «**كل شيء خلق من ماء**».اهـ. موجزًا. =

شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ من نبات وغيره، أي: فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ بتوحيدي.

٣١- ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا ثوابت لِـ﴿أَن﴾ لا[1] ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا﴾ أي: الرواسي[2] ﴿فِجَاجٗا﴾ مسالك ﴿سُبُلٗا﴾ بدل، أي: طرقًا نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

٣٢- ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ عن الوقوع[3] ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ لا يتفكرون فيها، فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ تنوينه عوض عن

= تنبيه: جعل في الآية بمعنى: خلَق، فله مفعول واحد، وهو: ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾، ويحتمل كونه بمعنى: صيّر، فله مفعولان الأول: ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾، والثاني: ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، ذكره المعربون. وتقدم معاني «جعل» في تفسير سورة البقرة الآية (٢٢).

(١) قوله: (لا). أفاد تقدير (لا) وهو مذهب الكوفيين، وقال البصريون: المعنى: كراهة أن تميد، بلا تقدير حرف النفي، ولكن بتقدير: مضاف، كما في القرطبي.

(٢) قوله: (أي: الرواسي). أفاد أن الضمير المجرور «ها» راجع إلى الرواسي؛ لأنها أقرب مذكور. روي عن ابن عباس، وقيل: راجع إلى الأرض. والمعنى: وجعلنا في الأرض مسالك. رجحه ابن جرير.

تنبيه: كون الجبال موضوعة لئلا تتحرك الأرض، بحيث إذا أزيلت تسبب للزلزلة أمر ثابت بالفلسفة الحديثة. تقدم الكلام عنه في النحل (١٥).

(٣) قوله: (عن الوقوع). كما قال تعالى: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحج: ٦٥]، وقيل: محروسًا أن يُنال. وقال مجاهد: «مرفوعًا». وقيل: محفوظًا عن الشرك. ذكر الأوجه القرطبي.

المضاف إليه[(١)]، أي: كلٌّ من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أي: مستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ يسيرون بسرعة[(٢)] كالسابح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل[(٣)].

٣٤- ونزل لما قال الكفار إن محمدًا سيموت[(٤)]: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ

---

(١) قوله: (تنوينه عوض). تنوين العوض: أحد أنواع التنوين الأربعة التي هي من علامات الاسم، والبواقي: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة؛ فتنوين العوض، أي العوض عن المحذوف ثلاثة أقسام:

١- عوض عن حرف نحو: جوارٍ وغواشٍ، فهو عوض عن الياء المحذوفة، والأصل: «جواري» «غواشي».

٢- وعوض عن كلمة محذوفة كما هنا.

٣- وعوض عن الجملة المحذوفة، نحو: حينئذٍ. وكل ذلك مفصل في علم النحو، وضحناه بتفصيل في «شرح الثلاثيات».

(٢) قوله: (يسيرون...). كما فسر به القرطبي. والفلك في الأصل من الدوران، ومنه فلكة المعزل.

فائدة: ذكر بعض علماء الفلك: إن في قوله تعالى: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ﴾ إشارة إلى أن حركة الأفلاك دورية؛ لأن هذا اللفظ دائر على نفسه بمعنى أنه إذا قرئ من الآخر يوجد نفس اللفظ باعتبار الحروف، ويسميه البلاغيون جناس القلب، وهو من المحسنات البديعية.

(٣) وقوله: (وللتشبيه به...) يعني أن صيغة ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ للعقلاء، فلما شبهت الكواكب بالسابحين جيء بهذا اللفظ، ففيه تنزيل غير العاقل منزلة العقلاء، وذلك من الأساليب الأدبية، والله أعلم.

(٤) قوله: (ونزل...). ذكر ذلك القرطبي وغيره.

قل ابن كثير: «استدل بهذه الآية من يقول بأن الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد مات».اهـ. ومن يقول بحياته فيكون مستثنًى كعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. وتقدم ذلك في تفسير سورة الكهف.

﴿ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ أي: البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مُّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ فيها؟ لا[١]، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري[٢].

٣٥- ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الدنيا[٣] ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ كفقر وغنى وسقم وصحة ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾ مفعول له[٤]، أي: لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا[٥] ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ فنجازيكم.

٣٦- ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءًا به يقولون ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: يعيبها ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ لهم[٦] ﴿هُمۡ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ به إذ قالوا ما نعرفه.

---

(١) قوله: (فيها) أي: في الدنيا.

وقوله: (لا). جواب الاستفهام.

(٢) وقوله: (فالجملة الأخيرة). أي: ﴿فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾ هي محل الاستفهام، لا الجملة الأولى وهي: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾.

(٣) قوله: (في الدنيا). أما في الآخرة فأهل الجنة وأهل النار كلهم مخلدون.

(٤) قوله: (مفعول له). أي: لـ«نبلو»، ويحتمل كونه مفعولًا مطلقًا له.

(٥) وقوله: (أي: لننظر...). توضيح لكونه مفعولًا له.

وقوله: (أتصبرون) راجع إلى البلاء بالشر. و(تشكرون) راجع إلى البلاء بالخير. وقد روي عن ابن عباس ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ يقول: «نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال».اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إليه.

(٦) قوله: (لهم). أي: إذا ذكر لهم الرحمن قالوا: وما الرحمن؟ أنكروا الرحمن، وقالوا: ما نعرفه إلا رحمن اليمامة!! فعلى هذا المراد بذكر الرحمن: ذكر اسم الرحمن للكفار والإضافة بيانية.=

(٣٧)- ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ أي: إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه[(١)] ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ (٣٧)﴾[(٢)] فيه، فأراهم القتل ببدر.

(٣٨)- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالقيامة[(٣)] ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٣٨)﴾ فيه.

(٣٩)- قال تعالى: ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ (٣٩)﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب «لَوۡ»[(٤)]: ما قالوا ذلك.

= وقال القرطبي: «ذكر الرحمن، أي: القرآن».اهـ. والمعنى: هم كافرون بالقرآن، وهذا وجه آخر في التفسير. فالإضافة بمعنى: اللام.

(١) قوله: (كأنه خلق منه). يشير إلى هذا المعنى ما قال القرطبي: «أي: رُكب على العجلة فخلق عجولًا».اهـ. فتكون معنى الآية كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا (١١)﴾ [الإسراء: ١١]. كما أفاده ابن كثير. وعلى هذا يكون الكلام ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ كناية عن نسبة العجل إليه، ويكون المراد بالإنسان النوع. وعن مجاهد، والكلبي وغيرهما: «الإنسان هنا آدم» فيكون «أل» فيه عهدية. ومعنى الآية: خلق آدم يوم الجمعة في آخر النهار فلما أحيا الله رأسه استعجل وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس».اهـ. كما في القرطبي وغيره. وقيل في معنى الآية غير ذلك.

(٢) ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ (٣٧)﴾. «لا» ناهية، والفعل مجزوم بحذف النون، والنون الموجودة نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم، حذفت اختصارًا.

(٣) قوله: (بالقيامة). وقيل: بالعذاب. ذكرهما القرطبي.

(٤) قوله: (وجواب ﴿لَوۡ﴾:...). بمثله قدره ابن كثير والقرطبي وغيرهما. وقال الزجاج: «لعلموا صدق الوعد».اهـ.

٤٠- ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ القيامة ﴿بَغۡتَةٗ﴾[١] ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ تحيرهم[٢] ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٤١- ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

٤٢- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ يحفظكم[٣] ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ من عذابه إن نزل بكم[٤]، أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون[٥] لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾ أي: القرآن[٦] ﴿مُّعۡرِضُونَ ٤٢﴾ لا يتفكرون فيه.

٤٣- ﴿أَمۡ﴾ فيها معنى الهمزة[٧] للإنكار: أي: أ﴿لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم﴾ مما يسوؤهم ﴿مِّن دُونِنَاۚ﴾ أي: ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾

---

(١) ﴿بَغۡتَةٗ﴾: حال. وهي مصدر بمعنى اسم الفاعل.

(٢) وقوله: (تحيّرهم). فسر به الفراء، كما في القرطبي، وقال البيضاوي: «فتغلبهم». كما قال ابن كثير: «تذرعهم».اهـ. وكل ذلك متقارب.

(٣) قوله: (يحفظكم). من: كلأ، يكلأ، كلاءةً: حفظ وحرس.

(٤) وقوله: (من عذابه). أشار إلى تقدير مضاف. و﴿مِنَ﴾ الجارة بمعنى: التجاوز. وفسر ابن كثير: «أي: بدل الرحمن فتكون ﴿مِنَ﴾ للبدلية».

(٥) قوله: (والمخاطبون...). دخول إلى ما بعده.

(٦) قوله: (أي: القرآن). وقيل: عن مواعظ ربهم. وقيل: عن معرفته. ذكرهما القرطبي.

(٧) قوله: (فيها معنى الهمزة). أي: أن ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعة ومتضمنة معنى الاستفهام الإنكاري، كما تقدم لها نظائر.

أي: الآلهة ﴿نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ﴾ فلا ينصرونهم[(١)] ﴿وَلَا هُم﴾ أي: الكفار ﴿مِّنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يجارون[(٢)]، يقال: صحبك الله، أي: حفظك وأجارك.

﴿٤٤﴾- ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾ فاغتروا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ نقصد أرضهم[(٣)] ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ بالفتح على النبي ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾؟ لا، بل النبي وأصحابه.

﴿٤٥﴾- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ من الله لا من قِبَلِ نفسي[(٤)] ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين[(٥)] وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصمّ[(٦)].

---

(١) قوله: (فلا ينصرونهم). أي: إذا لم يستطيعوا نصر أنفسهم فلا ينصرون عابديهم بالأولى.

(٢) قوله: (يجارون). روي هذا عن ابن عباس، وعنه: «يمنعون»، وعن مجاهد: «يحفظون». وكلّ المعاني متلازمة.

(٣) قوله: (نقصد أرضهم). كما تقدم في تفسير سورة الرعد الآية (٤١).

(٤) قوله: (لا من قبل نفسي). (لا) عاطفة، و(قِبل) بكسر القاف أي: من عند نفسي.

(٥) قوله: (بتحقيق الهمزتين). أشار إلى القراءتين: والهمزتان: همزة ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ وهمزة ﴿إِذَا﴾. قرأ بتسهيل الثانية: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس. والباقون: بتحقيقهما. ومعنى التسهيل جعلها متوسطة بين الهمزة والياء، كما قال المفسر. وقرأ ابن عامر: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ﴾: بصيغة الخطاب ونصب ﴿ٱلصُّمَّ﴾، والباقون: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ بفتح الياء، ورفع ﴿ٱلصُّمُّ﴾.

(٦) قوله: (أي: هم...). بيان لوصفهم بالصمّ، والصمّ هنا استعارة، لعدم ذكر المشبه بخلاف ما في قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ [البقرة: ١٨]، فكان ذلك من التشبيه البليغ، لتقدير المشبه هناك.

٤٦- ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة[١] ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾ للتنبيه[٢] ﴿وَيْلَنَآ﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.

٤٧- ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ذوات العدل[٣] ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ زنة ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[٤] بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[٥] محصين كل شيء.

---

(١) قوله: (وقعة خفيفة). تفسير للمعنى اللغوي للـ﴿نَفْحَةٌ﴾. كما قال القرطبي: «النفحة في اللغة: الدفعة اليسيرة»، وبنحوه فسرت الكلمة هنا، فعن ابن عباس: «طرف»، وعن قتادة: «عقوبة»، وابن كيسان: «أدنى شيء، قليل». كما في القرطبي.

(٢) قوله: (للتنبيه). بيان للمعنى، لا بيان الإعراب، فالإعراب: أن «يا» للنداء، وما بعده منادًى.

(٣) قوله: (ذوات العدل). يشير إلى تقدير مضاف، أي: ذوات القسط، والقسط: العدل. ووصفت الموازين بالعدل مبالغة. قال ابن كثير: «الأكثر على أنه ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه».اهـ. وقيل: لكل شخص ميزان كما نقله القرطبي. وقال جماهير العلماء: إنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، يوزن فيه الأعمال، كما يدل عليه حديث البطاقة، وحاصله: أنه يؤتي برجل يوم القيامة وتخرج له تسعة وتسعون سجلًا كله مد البصر، فتوضع في كفة، ثم توضع بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فتوضع في الكفة الأخرى، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات.اهـ. مختصرًا. روى الحديث أحمد، والترمذي.

(٤) ﴿خَرْدَلٍ﴾ حب معروف، يضرب به المثل في الصغر والقلة.

(٥) ﴿وَكَفَىٰ بِنَا﴾. الباء داخلة في فاعل «كفى» للتوكيد، و﴿حَٰسِبِينَ﴾: تمييز أو حال.

﴿٤٨﴾ - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة[1] الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَآءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ أي: عظة بها ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿٤٩﴾ - ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ عن الناس، أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ خائفون.

﴿٥٠﴾ - ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

﴿٥١﴾ - ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: هُداه قبل بلوغه[2] ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ أي: بأنه أهل لذلك.

﴿٥٢﴾ - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام[3] ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا

---

(١) قوله: (أي: التوراة). كما قاله أبو صالح، وقتادة وغيرهما. وكما قال مجاهد: «الكتاب».
و﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ في الأصل مصدر بمعنى: الفارق. كما فسر به المفسر.
و﴿وَذِكْرًا﴾ هنا منون؛ لأنه لفظ «ذكر» منصوب، فهو منصرف، بخلاف «ذكرى» فغير منونة، فهي غير منصرفة لوجود ألف التأنيث.

(٢) قوله: (أي: هُداه) تفسير لـ﴿رُشْدَهُۥ﴾. و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر، وبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه، قدره المفسر بقوله: (قبل بلوغه). وبمثله فسر ابن كثير وغيره. قال القرطبي: «أي: قبل النبوة».اهـ. وهو قريب مما قاله المفسر. وقيل: من قبل موسى وهارون. قال القرطبي: «والأكثر على الأول»، أي فالمعنى: أن الله تعالى ألهمه الحق والحجة على قومه في صغره وقبل أن يبعث نبيًّا، كما يشهد على ذلك ما يذكر في الآيات التالية.

(٣) قوله: (الأصنام). تفسير لـ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾. وهي جمع تمثال: وهو ما صنع مشبّهًا بخلق من خلق الله، كما قاله القرطبي. ويطلق التمثال على الصورة المصورة على نحو الثوب، =

عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي على عبادتها مقيمون.

٥٣- ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فاقتدينا بهم.

٥٤- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾[1] بعبادتها ﴿فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ بيّن.

٥٥- ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ فيه[2].

٥٦- ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ ﴾ المستحق للعبادة[3] ﴿رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ به.

= كما قاله الفيومي، والصنم: هو كل ما عبد من دون الله من صورة أو تمثال. كما في «المنجد»، ويسمى الصنم: وثنًا، كما فسره به في القاموس.

الخلاصة: يعلم من كلام أهل اللغة أن الصنم: ما يعْبد، والتمثال: ما صُنع على شكل خلقٍ أو صور بصورة، سواء عُبد أم لا، فعلى هذا يكون التمثال أعم، ويكون قول المفسر هنا تفسيرًا بالمراد؛ لأن تماثيلهم كانت معبودة، والله أعلم. وقد تقدم في تفسير سورة المائدة شيء من الكلام على معنى الصنم والأنصاب، الآية (٣).

(١) ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل في محل رفع توكيد للضمير المتصل الواقع اسمًا لـ«كان» جيء به لعطف الاسم الظاهر ﴿وَءَابَآؤُكُمْ﴾ على الضمير المرفوع المتصل، كما هو معروف في النحو.

(٢) ﴿أَمْ أَنتَ﴾: ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة عاطفة، والجملة الاسمية ﴿أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ معطوفة على الفعلية ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾. والفعلية تفيد التجدد، والاسمية: الاستمرار، فكأنهم يقولون: أجئتنا بالحق جديدًا أم أنت مستمر في لعبك وصباك؟ -على زعمهم-.

(٣) قوله: (المستحق للعبادة). هنا أطلق الرب بمعنى: الإله، لأن الرب والإله الحق متفقان مصداقًا، وإن اختلفا مفهومًا.

٥٧- ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ[١] أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَاذًا﴾ بضم الجيم وكسرها[٢]: فُتاتًا، بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علق الفأس بعنقه[٣] ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فيرون ما فعل بغيره.

٥٩- ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ فيه.

٦٠- ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعيبهم[٤] ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

٦١- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهرًا[٥] ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

---

(١) ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ أي: لأمكرن بها. عزاه القرطبي لابن عباس، وقال البيضاوي: «لأجتهدنّ في كسرها».اهـ.

(٢) قوله: (بضم الجيم...). قراءتان: بضم الجيم: قراءة الجمهور. وبكسرها: قراءة الكسائي. وهما لغتان، وفيه لغة أخرى: بفتح الجيم، ولم تقع بها قراءة. فالجيم مثلثة كما في القاموس، وهو: ما تكسر من الشيء، كالفتات، وفعله: جَذّ، يجذّ، كما يعلم من القاموس، وقال القرطبي: «الجِذاذ بالكسر جمع جذيذ بمعنى: قِطَع».

(٣) قوله: (علق الفأس...). روي ذلك عن السدي، ومجاهد، وذلك ليحتج به عليهم، وكما في القرطبي، أي: ليعتقدوا أن هذا الكبير هوالذي غار نفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فانتقم منها، كما في ابن كثير.

(٤) قوله: (أي: يعيبهم). كما فسر به البيضاوي، والقرطبي وغيرهما. و﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ مرفوع على أنه نائب فاعل؛ لأن المراد هنا هو هذا الاسم، وقيل: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو إبراهيم.

(٥) قوله: (أي: ظاهرًا). أفاد به معنى ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ وأنه حال في محل نصب، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد بغير بينة، كما في شريعتنا، أفاده القرطبي.

عليه أنه الفاعل.

﴿٦٢﴾- ﴿قَالُوٓاْ﴾ له بعد إتيانه: ﴿ءَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين[١] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿٦٣﴾- ﴿قَالَ﴾ ساكتًا عن فعله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فيه تقديم جواب الشرط[٢]، وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهًا.

---

(١) قوله: (بتحقيق الهمزتين). القراءات، كما في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في أول سورة البقرة.

(٢) قوله: (فيه تقديم جواب...). ظاهره أن جملة ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ هي جواب الشرط والفاء جوابية. وهذا صحيح على مذهب الكوفيين، أما عند البصريين فلا يتقدم الجواب على الشرط، فيكون الجواب محذوفًا دل عليه ما قبل الشرط، والفاء: الفصيحة. وفي كلامه أيضًا إشارة إلى أن ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ ليست معترضة، كما قيل بذلك أي: أنها معترضة، والجواب: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ أي: إن كانوا ينطقون فعله كبيرهم، وهذا لا شك فيه تكلف، والداعي إلى هذا الإعراب: الخروج من كون كلامه كذبًا؛ لأن كبيرهم ليس هو الفاعل، ولكن الذي عليه جمهور المفسرين، والذي يدل عليه الحديث المتفق عليه أن هذا من التعريض، وسمّى كذبًا توسعًا؛ ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: **«إن إبراهيم لم يكذب غير ثلاث: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله في سارة: إنها أخته»**.اهـ. ملخصًا. وإلى كونه تعريضًا أشار المفسر بقوله: (وفيما قبله تعريض...). قال القرطبي: «وإنما لم يعدّ قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، من الكذبات، لأنه قاله حين الطفولة قبل التكليف، أو قاله لقومه مستفهمًا لهم على وجه التوبيخ، أو احتجاجًا على قومه...».اهـ.

٦٤- ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾ أي: بعبادتكم من لا ينطق.

٦٥- ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ﴾ من الله[1] ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: رُدّوا إلى كفرهم[2]، وقالوا: والله ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم.

٦٦- ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره[3] ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

٦٧- ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء وفتحها[4]، بمعنى مصدر، أي: نتنًا وقبحًا ﴿لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى.

٦٨- ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ[5]﴾ أي: إبراهيم ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِن

---

(١) قوله: (من الله). أفاد به الفاعل المحذوف من ﴿نُكِسُواْ﴾؛ لأن الخير والشر كله من الله تعالى.

(٢) وقوله: (ردّوا...). بمثله فسر القرطبي. وقال ابن كثير: «أطرقوا رؤوسهم في الأرض». قال قتادة: «أدركتهم حيرة سوء».اهـ. قال ابن عباس: «أدركتهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم».اهـ. هذا يوافقه قول المفسر.

(٣) قوله: (أي: غيره). يعني أن الاستنكار عليهم في صرف العبادة إلى غير الله تعالى، سواء كان عبدوا الله أيضًا أم لم يعبدوه بل قصروا عبادتهم إلى غيره.

(٤) قوله: (بكسر الفاء...). كما تقدم في سورة الإسراء [الآية: ٢٣]. ولكن ذكر المفسر هنا قراءتين فقط: ﴿أُفِّ﴾ ﴿أُفَّ﴾، وكانت هناك ثلاث قراءات، أي: المذكورتان، و﴿أُفٍّ﴾: بالتنوين. وهي موجودة هٰهنا أيضًا.

(٥) ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾. نقل القرطبي عن مجاهد وابن جريج: أن قائل ذلك رجل من الأكراد من أعراب فارس اسمه: هيزر، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.اهـ. وقيل: قاله ملكهم نمرود. ونقل ابن كثير أن اسم القائل: هيزن بالنون. فالله أعلم.

كُنتُمْ فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ نصرتها. فجمعوا له الحطب الكثير[(١)]، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق[(٢)]، ورموه في النار. قال تعالى:

﴿٦٩﴾ - ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه[(٣)]، وذهبت حرارتها، وبقيت إضاءتها، وبقوله: «وَسَلَـٰمًا»[(٤)] سلم من الموت ببردها.

---

(١) قوله: (فجمعوا...). ماذكره المفسر من التفصيل مرويّ عن أئمة التفسير بسياق أطول. نقلها المفسرون. روى البخاري عن ابن عباس قال: «حسبي الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل».اهـ. نقل القرطبي عن ابن إسحٰق: «جمعوا الحطب شهرًا ثم أوقدوها...».اهـ.

وعن أبي بن كعب مرفوعًا: «**إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار، قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك**».اهـ. كما في «الدر المنثور».

(٢) قوله: (في منجنيق). المنجنيق آلة يرمى بها من بُعدٍ كان يستخدم في الحروب. قال القرطبي: «يقال: إن إبليس صنع لهم المنجنيق يومئذ».اهـ.

(٣) قوله: (فلم تُحرق منه). نقله القرطبي عن قتادة وكعب الأحبار.

(٤) قوله: (بقوله: ﴿وَسَلَـٰمًا﴾). روي نحوه عن ابن عباس وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فوائد:

١- نقل ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم أن إبراهيم مكث في النار خمسين أو أربعين يومًا.

٢- وفيه أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما كنت أيامًا وليالي قط أطيب عيشًا إذ كنت فيها».اهـ.

٣- وعن كعب وقتادة والزهري: لم تبق يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ عليه، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بقتلها وسماها فويسقة».اهـ. وروى نحوه ابن أبي حاتم وأحمد وابن ماجه. كما نقله ابن كثير.

٤- نقل القرطبي عن شعيب الجبائي: «كان عمر إبراهيم ست عشرة سنة»، وعن ابن جريج: «كان عمره ستًّا وعشرين سنة». فالله أعلم. =

٧٠- ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ في مرادهم[١].

٧١- ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هاران[٢] من العراق[٣] ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ بكثرة الأنهار والأشجار، وهي الشام[٤]، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة[٥]، وبينهما يوم.

٧٢- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ أي لإبراهيم، وكان سأل ولدًا، كما ذكر في الصافات[٦]

٥- ويعلم من هذه الواقعة أن تأثير الأسباب ليس لذاتها، وإنما يخلقها الله تعالى عند مزاولتها، وإذا أراد الله ألا يخلق فلا تؤثر شيئًا.

(١) ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ نقل القرطبي عن ابن عباس: «سلط الله عليهم أضعف خلقه: البعوض، أكلت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في منخر نمرود تأكل إلى أن وصلت دماغه، وكان يُضرب رأسه بحديدة -أي للجزع الذي وقع برأسه بسبب البعوضة، فأقام بهذا نحوًا من أربعمائة سنة».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (ابن أخيه...). أي: فإبراهيم عمّ لوط عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، كما قال ابن عباس.

(٣) قوله: (من العراق). متعلق بـ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾. وكان واقعة النار بالعراق.

(٤) وقوله: (وهي الشام). أي: المراد بالأرض المباركة هنا: الشام. روي ذلك عن أبيّ بن كعب وقتادة. والبركة فيها: بكثرة الأنهار والأشجار كما قاله القرطبي وغيره، قال القرطبي: «البركة: ثبوت الخير»، وأيضًا: هي أرض المحشر وبها ينزل عيسى ويقتل الدجال، وهي معادن الأنبياء، كما يعلم من كتب التفسير.

وعن ابن عباس: «المراد بالأرض المباركة هنا: مكة»، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ [آل عمران: ٩٦].

(٥) قوله: (المؤتفكة). هي قرى قوم لوط كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ٥٣﴾ [النجم: ٥٣]، وغيرها من الآيات.

(٦) قوله: (كما في الصافات). أي: وهو قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ =

﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ أي: زيادة على المسؤول أو هو ولد الولد[١] ﴿وَكُلّٗا﴾ أي: هو وولداه[٢] ﴿جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢﴾ أي: أنبياء.

٧٣- ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ بتحقيق الهمزتين[٣] وإبدال الثانية ياء، يقتدى بهم في الخير[٤] ﴿يَهۡدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمۡرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ أي: أن تفعل وتقام[٥] وتؤتى منهم

= [١٠٠]. فسأله واحدًا فأعطى إسحٰق وابنه يعقوب. وظاهر كلام المفسر هنا: أن المسؤول بهذه الآية إسحٰق، وعزا ابن كثير هذا إلى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم. ولكن ظاهر سياق الصافات أن المسؤول هو إسماعيل؛ لأن الآية التالية هكذا: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٢]، وكما رجحه المفسر هناك.

(١) قوله: (أو هو ولد الولد) أي: معنى النافلة: ولد الولد. روي ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما.

تنبيه: التاء في ﴿نَافِلَةٗۖ﴾ زائدة لتأنيث اللفظ وليست للتأنيث المعنوي كما هو واضح. و﴿نَافِلَةٗۖ﴾ حال من ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾. وعن مجاهد: «معناه: عطيةً»، فعلى هذا يكون مفعولًا مطلقًا لـ﴿وَوَهَبۡنَا﴾.

(٢) قوله: (هو وولداه). تفسير بالمراد بـ﴿وَكُلّٗا﴾، بدون اعتبار إعرابه؛ لأن ﴿وَكُلّٗا﴾ منصوب. وتفسيره بإبراهيم وولديه أي: إسحٰق ويعقوب موافق لتفسير القرطبي وغيره. وقال البيضاوي: «﴿وَكُلّٗا﴾ يعني الأربعة».اهـ. أي: هم ولوط عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

(٣) قوله: (بتحقيق...). تحقيق الهمزتين قراءة الجمهور، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتسهيل الثانية. وهو المراد بقوله: (وإبدال الثاني ياءً). وأبو جعفر: بالتسهيل مع إدخال ألف بينهما.

(٤) قوله: (يقتدى بهم). تفسير لمعنى الأئمة؛ لأن معنى الإمام: المقتدى به.

(٥) قوله: (أي: أن تفعل) أفاد به أن المراد بفعل الخيرات وما بعده: إحداث هذه الطاعات، وعطف إقام الصلاة وما بعده من عطف الخاص على العام تنبيهًا على مزيتها.

ومن أتباعهم. وحذف هاء «إقامة» تخفيف[١] ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿٧٤﴾- ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ[٢] حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها[٣] الأعمال ﴿الْخَبَائِثَ﴾ من اللواط[٤] والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه[٥]، نقيض سره ﴿فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿٧٥﴾- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أنجيناه من قومه[٦] ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

---

(١) قوله: (وحذف) يعني أن أصل ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾: إقامة بالتاء عوضًا عن عين الكلمة أو الألف المحذوفة وحذفت التاء تخفيفًا، والأكثر إثباتها، وأصل «إقامة»: إقوام بوزن إفعال، نقلت حركة الواو إلى ما قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين، وعوض عنها التاء، وقيل: المحذوف ألف الإفعال. وعلى هذا وزنه: «إِفَعْلَة»، وعلى القول الآخر: «إِفَالَة».

(٢) ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾ المقدر فيكون من باب الاشتغال، أو بفعل محذوف تقديره: اذكر، فليس من باب الاشتغال. ذكرهما القرطبي.

(٣) قوله: (أي: أهلها). أشار إلى أن ﴿الْقَرْيَةِ﴾ من المجاز المرسل حيث أطلق المحل وأريد الحال. أو من المجاز العقلي حيث أسند الفعل إلى المكان كما يقال: جرى النهر.

(٤) قوله: (من اللواط). كما في آيات أخرى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ...﴾ [الأنفال: ٨١]، ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...﴾ [العنكبوت: ٢٩].

(٥) قوله: (مصدر ساء). أي فالمعنى: إنهم قوم يسيئون غيرهم، أي: يصيبون بالشر للآخرين.

(٦) قوله: (بأن أنجيناه). تفسير للرحمة، وقيل: النبوة، وقيل: الإسلام، وقيل: الجنة. ذكرها القرطبي.

٧٦- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله: «رَّبِّ لَا تَذَرۡ...» [نوح: ٢٦][١] ... الخ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦﴾ أي: الغرق وتكذيب قومه له.

٧٧- ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾ منعناه[٢] ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾ الدالة على رسالته أن لا يصلوا إليه بسوء[٣] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾.

٧٨- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ هو زرع أو كرم[٤] ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: رعته ليلًا[٥] بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ فيه استعمال ضمير

---

(١) قوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ﴾ أي: كما ذكر تعالى في سورة نوح، وكما دعا ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ [القمر: ١٠].

(٢) قوله: (منعناه). أفاد أن «نصر» هنا مضمن معنى منع، ولذا عدّي بـ﴿مِنَ﴾ وبنحوه فسر ابن كثير. وقيل: ﴿مِنَ﴾ بمعنى «على» قاله أبو عبيدة فيما نقله القرطبي. والمآل واحد.

(٣) قوله: (ألا يصلوا). أي: لئلا يصلوا إليه. بيان لمعنى النصر.

(٤) قوله: (هو زرع أو كرم). الكرم بسكون الراء: العنب. روى ابن جرير عن ابن مسعود أنه كرم أنبتت عناقيده. وكذا روي عن ابن عباس وشريح ومسروق. ونقل القرطبي عن قتادة: «أنه كان زرعًا».

(٥) قوله: (أي: رعته ليلًا). بيان لمعنى ﴿نَفَشَتۡ﴾. نقل ابن كثير عن قتادة وشريح والزهري: «النفش: الرعي بالليل». زاد قتادة: «والهمْل بالنهار». وذكره القرطبي وغيره، أي: رعت بلا راع، كما قال المفسر: (أي: انفلتت). وعن ابن سيده: «الهمل يقال في الإبل، ولا يقال في الغنم».اهـ. و«نفش» بابه جَلس.

الجمع لاثنين[١]. قال داود[٢]: لصاحب الحرث رقاب الغنم، وقال سليمان: ينتفع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها فيردها إليه.

٧٩- ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة[٣] ﴿سُلَيْمَٰنَۚ﴾ وحكمهما باجتهاد[٤]، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحي، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾ه[٥] ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًاۚ﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ

---

(١) قوله: (فيه استعمال...). أي: في قوله ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ وهما اثنان، استدل به على أن أقل الجمع اثنان، وأجيب بأن إطلاق الجمع على اثنين مجاز. والجمهور على أن أقل الجمع ثلاثة، وإطلاق الجمع على الاثنين والواحد مجاز. وهي مسألة أصولية لغوية.

(٢) وقوله: (قال داود...). ما ذكره المفسر مروي عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما. كما في ابن جرير وابن كثير. فقوله: (بإصلاح صاحبها). أي: صاحب الغنم يصلحون الحرث.

(٣) قوله: (أي: الحكومة). أشار إلى أن الضمير «ها» راجع إلى المعلوم من السياق. وبنحوه فسّر القرطبي وغيره. والضمير مفعول ثان، و﴿سُلَيْمَٰنَۚ﴾ مفعول أول لـ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾.

(٤) وقوله: (حكمهما). مبتدأ، خبره: باجتهاد. ذكر المفسر قولين في مصدر هذين الحُكمين؛ الأول: كان باجتهادٍ منهما، وذلك لأن قيمة الغنم والحرث كانت سواءً، فحكم بذلك داود. وكذا كانت قيمة ما ينال من الغنم وما أفسدت من الحرث سواء، فحكم به سليمان مع أن فيه مراعاةً للجانبين. عزا القرطبي هذا الرأي إلى الجمهور. والقول الثاني: كان كل من الحكمين بالوحي، فحكم سليمان ناسخ. عزاه إلى جماعة من العلماء ومنهم ابن فورك.

(٥) (﴿ءَاتَيْنَا﴾ه). بتقدير الضمير: «هُ» يكون نصب ﴿كُلًّا﴾ بفعل محذوف، من باب الاشتغال وليس تقديره ضروريًا. بل الأولى إعراب ﴿كُلًّا﴾ مفعولًا مقدمًا لـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، و﴿حُكْمًا﴾ مفعولًا ثانيًا. فلا يكون من باب الاشتغال.

﴿يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك[١]. سخرا للتسبيح معه لأمره به[٢] إذا وجد فترة لينشط له[٣] ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ تسخير تسبيحهما معه[٤]، وإن كان عجبًا عندكم: أي مجاوبته للسيد داود.

٨٠- ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس[٥]، وهو أول من صنعها[٦]، وكان قبلها صفائح ﴿لَّكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بالنون لله[٧]، وبالتحتانية لداود، وبالفوقانية لـ«لَبُوسٍ»، ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ حربكم

---

(١) قوله: (كذلك). أي: سخرناه للتسبيح معه. و﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ أو مفعول معه.

(٢) قوله: (لأمره به...) أي: لأمر داود بالتسبيح. فالمعنى: جعل الله الجبال والطير بحيث تطيعه إذا أمرها بالتسبيح.

(٣) وقوله: (إذا وجد...). أي: إذا وجد داود فتورًا وأحسّ بعدم النشاط أمر الجبال والطير بالتسبيح. وهذا المعنى نقله القرطبي عن بعض العلماء؛ بدون عزو. قال ابن كثير في تفسير الآية: «وذلك لطيب صوته بتلاوته كتابه زبور، وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وتردّ عليه الجبال تأويبًا».اهـ. فظاهر هذا أنه كانت الطير والجبال تسبح، وإن لم يجد داود فتورًا. والله أعلم.

(٤) قوله: (تسخير...). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿فَٰعِلِينَ﴾. وتقديره باعتبار السياق والمقام. وإلا فالله خالق كل شيء.

(٥) قوله: (لأنها تلبس). تعليل لتسمية الدروع باللبوس. قال القرطبي: «اللبوس عند العرب: السلاح كله».اهـ.

(٦) وقوله: (وهو أول من...). قاله قتادة. فداود عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من صنعها حِلَقًا. وكانت صفائح.

(٧) قوله: (بالنون...). ثلاث قراءات: =

مع أعدائكم[١] ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ نِعَمِي[٢] بتصديق الرسول. أي: اشكروني بذلك.

۝٨١- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، وفي آية أخرى: «رُخَآءً»[٣]، أي

= الأولى: بالنون: ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ بصيغة المتكلم والضمير لله تعالى: قرأه شعبة ورويس.

الثانية: بالتاء: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ وهي المراد بقوله: (الفوقانية): والضمير لـ﴿لَبُوسٍ﴾: قراءة ابن عامر وحفص.

الثالثة: ﴿لِيُحْصِنَكُم﴾ بالياء: والضمير لداود أو لله تعالى على الالتفات: قراءة الجمهور. ومشى المفسر هنا على غير قراءة أبي عمرو.

(١) قوله: (حربكم...). قاله الضحاك. وعن ابن عباس: «﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: من سلاحكم». ومعناهما واحد.

فائدة: قال القرطبي: «هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، فالسبب سنة الله في خلقه، وقد أخبر الله عن نبيه داود أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضًا صنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده. وكان آدم حراثًا، ونوح نجّارًا، ولقمان خياطًا، وطالوت دباغًا، وقيل: سقاءً، فالصنعة يكف بها الإنسان عن نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس».اهـ. باختصار.

(٢) قوله: (نِعَمِي). بكسر النون وفتح العين: جمع نعمة، مضاف إلى ياء المتكلم. وفي بعض النسخ: (نعمتي). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿شَٰكِرُونَ﴾.

وأفاد بقوله (أي: اشكروا) أن هذا الاستفهام بمعنى الأمر والطلب، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩١].

(٣) قوله: (وفي آية أخرى). وهي في سورة صٓ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦﴾ [٣٦]. ومقصود المفسر الجمع بين الآيتين. فمعنى ﴿عَاصِفَةً﴾: شديد الهبوب، ومعنى ﴿رُخَآءً﴾: خفيفة الهبوب، كما قال. فالجمع بينهما أن ذلك يكون حسب إرادته؛ شدة وخفة. =

شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ﴾ وهي الشام[١] ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ من ذلك: علمه تعالى[٢] بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ،ففعله تعالى على مقتضى علمه.

﴿٨٢﴾- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ يدخلون في البحر، فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: سوى الغوص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ من أن يفسدوا ما عملوا[٣] ؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

﴿٨٣﴾- ﴿۞ وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ لما ابتلي بفقد جميع

= قال ابن كثير وغيره: «كان لداود بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة، والخيل والجمال والجند والخيام وغيره، ثم يأمر الريح أن تحمله فتحمله وترفعه وتسير به إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه»اهـ. باختصار. ويمكن أن نقول: كان ذلك كالطائرة في زماننا، أي: هو مركب يحمله ومن معه وما يحتاج إليه إلى حيث يشاء.

(١) قوله: (الشام). قال القرطبي: «يروى أنها كانت تجري به وبأصحابه إلى حيث أراد ثم تردّه إلى الشام».اهـ.

(٢) قوله: (من ذلك علمه...). مراد المفسر ربط هذا العموم ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ بخصوص هذا الموضوع الذي هو قصة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وفيه إثبات الحكمة لله تعالى.

(٣) قوله: (من أن يفسدوا...) نقل القرطبي عن الفراء قريبًا مما قاله المفسر. قال: «حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم أو يهيجوا أحدًا من بني آدم في زمان سليمان». كما أشار البيضاوي إلى هذا المعنى حيث قال: «...أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم».اهـ. قال ابن كثير: «أي: يحرسه الله تعالى أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت أمره».اهـ. وكل ما فسر به صحيح لا منافاة بينها.

ماله وولده[١] وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثًا[٢] أو سبعًا أو ثماني عشرة، وضُيِّقَ عيشُه ﴿أَنِّي﴾ بفتح الهمزة بتقدير الياء ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشدة[٣] ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾.

٨٤- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له[٤] وكل من الصنفين ثلاث أو سبع

(١) قوله: (لما ابتلي...) ذكر المفسرون قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بسياق مفصل، والذي قاله المفسر هو خلاصة ذلك. وكما قاله ابن كثير: «كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال: بالجذام- ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكر بهما الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بأمره، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل...**» وقد كان أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك».اهـ.

(٢) قوله: (سنين ثلاثًا) أقوال في مدة بلائه: فعن وهب بن منبه: «ثلاث سنين»، وعن الحسن وقتادة: «سبع سنين وأشهرًا»، وكذا عن ابن عباس. وفيما رواه ابن أبي حاتم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا أنه لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة. ورجحه القرطبي.

(٣) قوله: (أي: الشدة). وذلك أنه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض، فقال: مسَّني الضر. نقله القرطبي عن أنس مرفوعًا بدون ذكر الإسناد. وذكر في معنى قوله ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ سبعة عشر قولًا للعلماء. ثم قال: قال العلماء: «ولم يكن قوله: مسني الضر، جزعًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ [صٓ: ٤٤]، بل كان ذلك دعاءً منه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾، والإجابة تتعقب الدعاء...».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (بأن أحيوا له...) أي: كانوا ماتوا فأحيوا لهم بأعيانهم، هذا مروي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والحسن وقتادة. قال ابن مسعود: «وهم سبعة من الذكور =

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ من زوجته، وزيد في شبابها، وكان له[١] أندر للقمح وأندر للشعير؛ فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الوَرِقَ حتى فاض ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول له ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ صفة ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ليصبروا فيثابوا.

﴿٨٥﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ[٢] كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

﴿٨٦﴾- ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ لها[٣]، وسمي ذا الكفل[٤]؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن

= وسبعة من الإناث». اهـ. فلما عوفي نشروا له وولدت امرأته سبعة بنين وسبع بنات». اهـ. نقله القرطبي.

(١) قوله: (وكان له...). الأندر: البيدر أي الموضع الذي يوضع فيه القمح ونحوه ليداس ويصفى. وما ذكره المفسر روي قريب منه عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادًا من ذهب فجعل يأخذ بيده ويجعله في ثوبه**». كما في ابن كثير.

تنبيه: ذكر الصاوي وغيره: أن ابتلاء الله بالأمراض الجسمية لا ينافي مقام النبوة، وكما يعلم من الحديث النبوي المذكور: «**أشد الناس بلاءً...**».

(٢) ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾. قال ابن كثير: «أما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي». اهـ. يفيد أن ذا الكفل نبي من الأنبياء لذكره في عداد الأنبياء. وعن مجاهد وأبي موسى وغيرهما: «أنه لم يكن نبيًّا بل كان رجلًا صالحًا». وعزاه القرطبي إلى الجمهور. وتوقف ابن جرير في ذلك.

(٣) قوله: (لها). أي: للنبوة.

(٤) قوله: (وسميّ ذا الكفل). هذه القصة رواها ابن جرير وأوردها ابن كثير عن مجاهد بسياق مفصل، حاصلها: أن النبي اليسع لما كبر أراد أن يستخلف على الناس رجلًا فجمعهم =

يقضي بين الناس ولا يغضب؛ فوفى بذلك، وقيل: لم يكن نبيًّا.

(٨٧)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾ صاحب الحوت، وهو يونس بن متى، ويبدل منه ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه[١]، أي: غضبان عليهم مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: نقضي عليه بما قضيناه[٢] من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك[٣] ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل[٤] وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَن﴾ أي: بأن[٥] ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ

= وقال لهم: من يتقبل مني بثلاثٍ: بصوم النهار وقيام الليل وألا يغضب، فقال رجل منهم: أنا، وفعل كذلك ثلاثة أيام، فاستخلفه...اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (لقومه). قاله الضحاك. يعني لما تمادوا في الكفر والعصيان ولم يقبلوا الهدى غضب عليهم، وخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ولم يؤذن له في الخروج. كما يعلم من ابن كثير.

(٢) قوله: (أي: نقضي عليه). هذا قول عطية العوفي.

(٣) وقوله: (أو نضيّق عليه). روي نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم، واختاره ابن جرير. وحاصله: أن قدر يقدر يأتي على ثلاثة معان:

١- بمعنى قضى يقضي.

٢- بمعنى: ضيق يضيق كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ...﴾ [الطلاق: ٧]، وهذان المعنيان ذكرهما المفسر.

٣- بمعنى: قوي يقوى، من القدرة، وهذا ليس مرادًا قطعًا؛ لأن اعتقاد ذلك كفر لا يأتي من عامة الناس فضلًا من نبيّ. كما يعلم من القرطبي.

(٤) قوله: (ظلمة الليل...). كذا روي عن ابن عباس وابن مسعود وابن جبير وغيرهم.

(٥) قوله: (بأن). بتقدير الباء تكون جملة ﴿أَن...﴾ في محل جر، والظاهر أن تكون ﴿أَن﴾ حينئذ مصدرية. ولكن لا ضرورة إلى تقدير الباء فتكون ﴿أَن﴾ تفسيرية لسبق جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو ﴿نَادَىٰ﴾. =

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

٨٨- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

٨٩- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾ ويبدل منه ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ الباقي بعد فناء خلقك(١).

٩٠- ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ولدًا ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها(٢) ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في رحمتنا

= **فائدة:** يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ بعث إلى قرية تسمى «نينوى»، فخرج منهم بعد وعدهم بالعذاب فلما رأوا علامات العذاب تضرعوا إلى الله فرفع عنهم العذاب كما تقدم في سورة يونس [٩٨] وأما يونس فركب سفينة فلججت بهم، فاقترعوا على رجل يلقونه إلى البحر، فوقعت القرعة على يونس -ثلاث مرات-. فألقى نفسه إلى البحر، فالتقمه حوت، وأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا يأكل لحمه ولا يهشم عظمه، فإن يونس ليس لك رزقًا وإنما بطنك يكون له سجنًا، كما في ابن كثير. روى ابن جرير عن سعيد بن الحسن البصري: «أنه مكث في البطن أربعين يومًا».اهـ. ثم ألقاه الحوت على الساحل كما قص الله تعالى في سورة الصافات.

تنبيه: قال القرطبي ما حاصله: «لم يكن هذا عقوبة؛ لأن الأنبياء معصومون، بل كان تأديبًا، وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافًا واستحقارًا كما قال آدم وحواء».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (الباقي). تفسير للمراد بالوارث، فليس الوارث هنا بالمعنى الفقهي الذي هو القريب الذي ينتقل إليه مال الميت. كما هو واضح.

(٢) قوله: (بعد عقمها). قاله قتادة وابن جبير وأكثر المفسرين، وعن ابن عباس وعطاء: «كانت سيئة الخلق فأصلحها الله تعالى وجعلها حسنة الخلق». ذكره القرطبي.

﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ متواضعين في عبادتهم[١].

﴿٩١﴾- ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل[٢] حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل.

﴿٩٢﴾- ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم[٣] أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة[٤] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ وحِّدون[٥].

---

(١) قوله: (متواضعين). قاله الضحاك. وعن ابن عباس: «مصدقين بما أنزل الله»، ومجاهد: «مؤمنين حقًّا»، وأبي العالية: «خائفين». قال ابن كثير: «وكل هذه الأقوال متقاربة».اهـ.

(٢) قوله: (أي: جبريل). بالرفع، تفسيرًا لفاعل النفخ، أشار إلى أن في الكلام إسنادًا مجازيًا، حيث أسند النفخ إليه تعالى؛ لأنه الآمر والمقدّر. والنفخ حصل من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فائدة: قال ابن كثير: «يقرن الله تعالى بين قصة زكريا ومريم وعيسى كما في سورة آل عمران ومريم وهٰهنا؛ لأن بينها تشابهًا، وقدّم قصة زكريا لأنها كالتمهيد لقصة مريم وعيسى، فزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد له بعد كبر السن وهو عجيب، ومريم ولدت بدون بعل وهي أعجب».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (دينكم) تفسير للأمة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير وغيرهم كما في ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (حال لازمة). الحال اللازمة هي التي يستمر معناها بدون انقطاع. وكما في قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. ومقابله: المتنقّلة، وفصلنا ذلك في شرح «الثنائيات».

(٥) قوله: (وحِّدون). كما فسر بنحوه القرطبي. لأن الآية مكية وأكثر أهلها كانوا على شرك، والنون في ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ و(وحدون) نون الوقاية. وبعدها ياء المتكلم حذفت تخفيفًا.

(٩٣)- ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى[١]، قال تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ (٩٣)﴾ أي: فنجازيه بعمله.

(٩٤)- ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ (٩٤)﴾ بأن نأمر الحفظة بكتبه[٢]، فنجازيه عليه.

(٩٥)- ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ أريد أهلها[٣] ﴿أَنَّهُمۡ لَا﴾ زائدة[٤] ﴿يَرۡجِعُونَ (٩٥)﴾ أي: ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

(٩٦)- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتۡ﴾ بالتخفيف والتشديد[٥]

---

(١) قوله: (وهم طوائف...). لعل المراد التمثيل. وإلا فالفِرق أكثر من الطائفتين. كما قال القرطبي: «فمن موحّد، ومن يهودي، ومن نصراني، ومن عابد ملك أو صنم».اهـ.

(٢) قوله: (بأن نأمر...). أشار إلى أن الكلام فيه مجاز عقلي حيث أسند الكتابة إليه تعالى وهو آمر ومقدر، والكتبة هم الملائكة. والله أعلم.

(٣) قوله: (أريد أهلها). أشار إلى أن ﴿قَرۡيَةٍ﴾ من المجاز المرسل.

(٤) وقوله: (زائدة). روي عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة فيما نقله القرطبي وغيره. وروي عن ابن عباس أيضًا وقتادة وغيرهما: «أن معنى ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ واجب أي: قدرًا مقدّرًا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا بعد هلاكهم، أو لا يرجعون إلى التوبة، أي: من قدر عليه الهلاك من أهل القرى ثبت أنهم لا يرجعون إلى التوبة فتكون اللام نافية. وجه ثالث: أي: ممتنع ألا يرجعوا للجزاء والحساب. قاله البيضاوي مع الأوجه الأخرى، فاللام نافية أيضًا. وعلى كل تقديرٍ يكون ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ خبرًا مقدمًا، والمصدر المؤول من «أن» ومعموليها مبتدأ مؤخرًا.

(٥) قوله: (بالتخفيف...). قراءتان: بالتشديد: ﴿فُتِّحَتۡ﴾: قراءة ابن عامر، وأبي جعفر، ويعقوب. والتخفيف: ﴿فُتِحَتۡ﴾: قراءة الباقين. والتشديد يفيد المبالغة.

﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه[١]، اسمان أعجميان لقبيلتين، ويقدر قبله مضاف، أي: سدّهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يسرعون.

﴿٩٧﴾- ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة[٢] ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبيه[٣] ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ أنفسنا بتكذيبنا الرسل.

﴿٩٨﴾- ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها[٤] ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ داخلون فيها.

---

(١) قوله: (بالهمز وتركه). بالهمزة: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾: قراءة عاصم. وبترك الهمزة، أي: بقلبها ألفًا: قراءة الباقين. كما تقدم في سورة الكهف، وقد تقدم هناك شيء من الكلام في شأنهم [الآية: ٩٤]، وقد أورد ابن كثير هٰهنا أحاديث وردت في خروجهم.

(٢) قوله: (القصة). أفاد أن ﴿هِيَ﴾ هنا ضمير القصة. وهو مثل ضمير الشأن لكن إذا كان الضمير مذكرًا يقال: ضمير الشأن وإذا كان مؤنثًا يقال: ضمير القصة، والمراد منهما واحد. ويفيد: نوع توكيد من حيث إن فيه إجمالًا ثم تفصيلًا. وهو من باب الإطناب عند البلاغيين.

(٣) قوله: (للتنبيه). أي: من حيث المعنى، لا باعتبار الإعراب؛ لأنه حرف نداء وما بعدها منادًى منصوب إعرابًا، كما تقدم.

(٤) قوله: (وقودها). قاله ابن عباس. أي: كقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وعنه أيضًا: «شجرها». وعن مجاهد، وعكرمة، وقتادة: «حطبها»، كما قرئ به. وعن الضحاك: «ما يرمى به فيها». قال ابن كثير: «والجميع قريب».اهـ.

(٩٩)- ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ (٩٩)﴾.

(١٠٠)- ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين[١] ﴿فِيهَا زَفِيرٌ[٢] وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾ شيئًا[٣]؛ لشدة غليانها.

(١٠١)- ونزل لما قال ابن الزبعرى[٤]: عُبد عزير والمسيح والملائكة فهم في النار على مقتضى ما تقدم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾ المنزلة[٥] ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)﴾.

---

(١) قوله: (للعابدين). يشير أن الأصنام لا يُحيون فلا يكون لهم زفير. وهذا أحد وجهين ذكرهما القرطبي. والثاني: بل تحيي فيكون لها زفير أيضًا. نعوذ بالله من جهنم.

(٢) ﴿زَفِيرٌ﴾ صوت نَفَس المغموم يخرج من القلب، وتقدم في تفسير سورة هود.

(٣) قوله: (شيئًا). روي عن ابن مسعود: «إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فلا يُرى أحد منهم يعذب في النار غيره».اهـ. ابن كثير موجزًا.

(٤) قوله: (ابن الزبعرَى). بكسر الزاء وفتح الباء وسكون العين، وبالراء المخففة المفتوحة. اسمه عبدالله السهمي، أحد الشعراء المشركين، كان يهجو المسلمين ثم أسلم وحسن إسلامه. وما ذكره من سبب النزول أورده ابن كثير وغيره بسياق مفصّل عن عكرمة عن ابن عباس. وروي كذلك عن محمد بن إسحٰق.

(٥) قوله: (المنزلة). قدره ليكون موصوفًا لـ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾. وفسر ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ بالرحمة في قول عكرمة. وبالسعادة في قول غيره. وقال القرطبي: «الجنة».اهـ. وكلها متلازمة.

وعلى ما ذكره من سبب النزول يكون المراد بالذين سبقت لهم الحسنى: الملائكة وعيسى ومن عُبد من دون الله. روي ذلك عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعكرمة، والحسن، وابن جريج، كما قاله ابن كثير. وفي كلام ابن كثير ما يدل أن المراد بهم جميع السعداء من المؤمنين بالله ورسله.

(١٠٢)- ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها[١] ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ (١٠٢)﴾.

(١٠٣)- ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار[٢] ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾ تستقبلهم ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور[٣] يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ في الدنيا.

(١٠٤)- ﴿يَوۡمَ﴾ منصوب بـ(اذكر) مقدرًا قبله ﴿نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ اسم مَلَك[٤] ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته. واللام زائدة، أو ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الصحيفة[٥]،

---

(١) قوله: (صوتها). كذا فسر البيضاوي: «الحسيس: صوت يحسّ به»، وقال القرطبي: «الحسيس والحسّ: الحركة»، وقال ابن كثير: «أي: حريقها في الأجساد».اهـ. وكلها متلازمة.

(٢) قوله: (وهو أن يؤمر...). تفسير لـ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾. وما ذكره المفسر مروي عن الحسن البصري. وقال ابن عباس: «أهوال يوم القيامة والبعث»، وعنه: «النفخة في الصور» اختاره ابن جرير. وعن ابن جريج، والضحاك، وابن جبير: «هو إذا أطبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار».اهـ.

(٣) قوله: (عند خروجهم...). مروي عن ابن عباس.

(٤) قوله: (اسم مَلَك). بفتح اللام مفرد الملائكة. روي ذلك عن السدّي. وروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر أيضًا فيما نقله القرطبي. والكتاب على هذا القول: صحيفة الأعمال. وقول المفسر: (واللام زائدة) يعني هي لام التقوية الداخلة على المفعول به، وليست زائدة محضة.

(٥) وقوله: (أو ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الصحيفة). قال ابن كثير هذا هو الصحيح عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وقتادة وغيره واحد. واختاره ابن جرير. لأنه المعروف في اللغة، وليكون المشبه به معروفًا عند المخاطبين. فالمعنى: كطيّ السجل أي: الصحيفة على المكتوب، كما قاله ابن كثير. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]،= وكما في

والكتاب بمعنى المكتوب، واللام بمعنى على. وفي قراءة[١]: «لِلْكُتُبِ» جمعًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بعد إعدامه، فالكاف[٢] متعلقة بـ«نُّعِيدُهُۥ»، وضميره عائد إلى «أَوَّلَ»، و«ما» مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ منصوب بـ(وعدنا) مقدرًا قبله، وهو مؤكد لمضمون ما قبله[٣] ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ ما وعدناه.

١٠٥- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب[٤]، أي: كُتبِ الله المنزَّلةِ ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة[٥] ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ عام في كل صالح[٦].

= «صحيح البخاري» عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السمٰوات بيمينه**».اهـ.

(١) قوله: (وفي قراءة:...). أي بصيغة الجمع: قراءة حفص، وحمزة، والكسائي. وبصيغة الإفراد: ﴿لِلْكِتَٰبِ﴾: قراءة الباقين.

(٢) قوله: (فالكاف) أي: فالمعنى: نعيد أول خلق إعادة مثل بَدْئنا له. فالجار والمجرور ﴿كَمَا بَدَأْنَآ﴾ يكون مفعولًا مطلقًا أي: نعتًا للمصدر من ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾.

(٣) قوله: (وهو مؤكد) أي: المفعول المطلق: ﴿وَعْدًا﴾ مؤكد لمضمون جملة ﴿كَمَا بَدَأْنَآ ...﴾. والمؤكد للجملة يجب حذف عامله كما ذكره النحاة.

(٤) قوله: (بمعنى: الكتاب). ما ذكره المفسر مرويّ عن مجاهد، وابن زيد، واختاره ابن جرير. أي: فالمراد بـ﴿ٱلزَّبُورِ﴾: الكتب، وبـ﴿ٱلذِّكْرِ﴾: اللوح المحفوظ. وعن ابن عباس، والحسن، وقتادة وغيرهم: «الزبور: الذي أنزل على داود، والذكر: التوراة».

(٥) قوله: (أي: أرض الجنة). مروي عن ابن عباس، ومجاهد وغيرهما، قال القرطبي: «أحسن ما قيل فيه أنه يراد بها أرض الجنة... كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤].

(٦) قوله: (عام في كل صالح). أي: من كل أمة. وكما قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبرًا عما قضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة.=

(١٠٦)- ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ (١٠٦)﴾ عاملين به.

(١٠٧)- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾ أي: للرحمة[1] ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٠٧)﴾ الإنس والجن بك.

(١٠٨)- ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته[2] ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ (١٠٨)﴾ منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

(١٠٩)- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن ذلك ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول[3]، أي: مستوين في علمه، لا أستبدّ به دونكم لتتأهبوا ﴿وَإِنۡ﴾ ما[4] ﴿أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩)﴾ من العذاب، أو

= قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١]».اهـ. ملخصًا.

ويظهر من كلامه أن ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ على إطلاقها تشمل الدنيا والجنة.

(١) قوله: (أي: للرحمة) أفاد أن ﴿رَحۡمَةً﴾ مفعول له.

تنبيه: رحمة الرسول ﷺ مما تواترت الأخبار والوقائع بها، وقد نبهنا على شيء من ذلك في كتابنا «لوامع الدرر من خصائص سيد البشر».

(٢) قوله: (أي: ما يوحى إلي...) أشار إلى أن الحصر في هذه الآية إضافيّ.

(٣) قوله: (من الفاعل والمفعول). الفاعل: التاء، والمفعول: كاف الخطاب في (أعلمتكم).

(٤) قوله: (﴿وَإِنۡ﴾ ما) أفاد أن «إن» هنا نافية. و«أم» هنا متصلة لسبق همزة التعيين، والهمزة معلقة لـ﴿أَدۡرِيٓ﴾ عن العمل في المفعول. ويجوز في «قريب» أن يعرب مبتدأ و«ما» فاعل سد مسد الخبر، أو خبرًا مقدمًا و«ما» مُبتدأ مؤخّر، على كلا التقديرين الجملة سدت مسدّ مفعولي «أدري». والله أعلم.

القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله.

١١٠- ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ والفعلِ منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ١١٠﴾ أنتم وغيركم من السر.

١١١- ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ أي: ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته(١) ﴿فِتْنَةٌ﴾ اختبار ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع به ﴿إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ أي: انقضاء آجالكم. وهذا مقابل للأول(٢) المترجى(٣) بـ«لعل»، وليس الثاني محلًّا للترجي.

١١٢- ﴿قُل﴾، وفي قراءة(٤): «قَٰلَ»، ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا ببدر وأحد وحنين والأحزاب والخندق، ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ من كذبكم على الله في قولكم: اتخذ ولدًا، وعليَّ في قولكم: ساحر، وعلى القرآن في قولكم: شعر.



---

(١) قوله: (أي: ما أعلمتكم). أي: الذي أعلمتكم به وهو العذاب. قال ابن جرير: «لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع إلى أجل مسمى».اهـ. وحكاه عون عن ابن عباس. قاله ابن كثير.

(٢) قوله: (وهذا مقابل...) يعني أن قوله: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ ذكر مقابل ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾، وكونه فتنة محتمل الوقوع وعدمه فهو محل الترجي. أما كونه متاعًا فهو متحقق الحصول فليس محل الترجّي. فقوله: (وهذا)، أي: كونه متاعًا مقابل الأول، أي: مقابل كونه فتنة.

(٣) وقوله: (المترجى). نعت لقوله (الأول). وليس الثاني: أي كونه متاعًا.

(٤) قوله: (وفي قراءة: ...) قرأ حفص: ﴿قَٰلَ﴾: بصيغة الماضي، والباقون: ﴿قُل﴾: بصيغة الأمر. وقرأ أبو جعفر: ﴿رَبُّ﴾: بضم الباء، وهي أحد الأوجه الستة في نداء المضاف إلى ياء المتكلم. نقل ابن كثير عن قتادة: «كان الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩]، وأمر رسول الله ﷺ أن يقول ذلك.اهـ.

٢٢- سورة الحج

مكية(١)، إلا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾ الآيتين

أو إلا ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ...﴾ الست آيات، فمدنيات.

وآياتها: أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض(٢) التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قرب الساعة(٣) ﴿شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾

---

(١) قوله: (مكية). أطلقه ابن كثير بدون استثناء. وذكر القرطبي: «مكية إلا ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ...﴾ إلى تمام ثلاث آيات». وعزاه إلى ابن عباس، ومجاهد، وعن ابن عباس أيضًا، والضحاك: «إنها مدنية إلا أربع آيات: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ...﴾ إلى ﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥﴾ فهن مكيات». وعزا القرطبي إلى الجمهور: «السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني»، وقال: «هذا هو الأصح؛ لأن الآيات تقتضي ذلك».اهـ. ونقل عن الغزنوي: «هي من أعاجيب السور، نزلت ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، مكيًا ومدنيًا، سلميًّا وحربيًّا، ناسخًا ومنسوخًا، محكمًا ومتشابهًا، مختلف العدد».اهـ. وتمتاز هذه السورة بأن فيها سجدتين، والاختلاف في عدد الآيات راجع إلى اختلاف السلف في رؤوس الآيات.

(٢) قوله: (أي: الحركة الشديدة...). معنى الزلزلة: شدة الحركة. وأصلها: من زلَّ عن الموضع، أي: زال عنه وتحرك. أفاده القرطبي.

(٣) وقوله: (الذي هو قرب الساعة). يعني أن المراد بهذه الزلزلة هي ما تقع قبل يوم القيامة، في آخر عمر الدنيا. قاله علقمة والشعبي كما روى ابن جرير. وعزاه القرطبي إلى =

في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.

﴿٢﴾- ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل[١] ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي: تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حُبلى[٢] ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ[٣]﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ فهم يخافونه.

﴿٣﴾- ونزل في النضر بن الحارث[٤] وجماعةٍ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ

= الجمهور، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآية؛ لأنها في الدنيا، والله أعلم. وأورد ابن جرير مستندًا لهذا القول وهو حديث الصور المفصَّل. وقال طائفة من العلماء: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور ورجحه ابن جرير، واستدل عليه بأحاديث: منها حديث الترمذي عن عمران بن الحصين، وفيه أن هذه الآية نزلت في سفر فقال ﷺ: «**أتدرون أي يوم ذلك؟**»، فقالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار...**» إلى آخر الحديث. ورواه البخاري ومسلم مفصلًا بسياق قريب، وعلى هذا يكون المراد بالزلزلة: ما يحصل للنفوس من الفزع والرعب كما قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١١]، كما يعلم من ابن كثير.

(١) قوله: (بالفعل) يعني التي تباشر الإرضاع. ولذا أطلق ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ بالتاء. وإذا أريد من لها صفة الإرضاع، قيل: مرضع بدون التاء؛ لأن الأوصاف المختصة بالنساء لا يذكر فيها التاء، كحامل ومرضع وطالق، أشار إلى ذلك في «إعراب القرآن» للدرويش. و«ما» في ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ إما موصولة أو مصدرية.

(٢) قوله: (أي: حُبلى). أفاد به أن المراد بالحمل: حمل الجنين في البطن، لا حمل المتاع على نحو الظهر.

(٣) وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ فيه تشبيه بليغ بحذف أداة التشبيه.

(٤) قوله: (ونزل). كذا قاله السدي عن أبي مالك، وابن جريج، كما في ابن كثير، وابن جرير. أي:=

﴿عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث، وإحياء من صار ترابًا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ أي: متمرد.

﴿٤﴾- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضي على الشيطان[1] ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه[2] ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ أي: النار.

﴿٥﴾- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي: لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق[3] ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ

= إن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وقال ابن كثير: «إن الآية ذامّة كل منكر قدرة الله ومكذب للبعث»، أي: أن معنى الآية عامة.

(١) قوله: (قضي على الشيطان). كما قال مجاهد: «يعني: كتب عليه كتابة قدرية».اهـ.

(٢) قوله: (يدعوه). تفسير بالمراد. وقال ابن كثير: «يضله في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب النار».اهـ.

فائدة: في قوله: ﴿يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ ما يسمّى بالطباق في علم البلاغة. وهو الجمع بين اللفظين المتنافين بالمعنى في الجملة وهو من المحسنات البديعية.

(٣) قوله: (مصوّرة تامة). ما فسّر به المخلقة وغير مخلقة موافق لما فسر به أئمة التفسير، قال ابن زيد: «المخلقة: التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير مخلقة: التي لم يخلق فيها شيء».اهـ. ونقل القرطبي: «المخلقة: الولد التام الخلقة، وغير المخلقة: الولد غير تام الخلقة». وعن ابن عباس: «المخلقة: ما كان حيًّا، وغير المخلقة: السقط»، وعن مجاهد: «هو السقط مخلوق وغير مخلوق».

تنبيه: ما بيّن الله تعالى من أطوار خلق الإنسان قد ورد به أحاديث كثيرة منها ما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:=

﴿لَكُمْۚ﴾ كمال قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف ﴿فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفۡلٗا﴾ بمعنى أطفالًا[١] ﴿ثُمَّ﴾ نعمركم[٢] ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ أي: الكمال والقوة، وهو ما بين الثلاثين إلى أربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ قال عكرمة[٣]: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ يابسة[٤] ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾ تحركت[٥] ﴿وَرَبَتۡ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتۡ مِن﴾ زائدة[٦] ﴿كُلِّ

= «إن خَلْقَ أحدِكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: بكَتْبِ رزقِه وعملِه وأجله وشقّي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح».اهـ. [«فتح الباري» (٦/ ٤١٨)، مسلم (٤/ ٢٠٣٦)].

(١) قوله: (بمعنى: أطفالًا). فهو اسم جمع، ويطلق على المفرد والجمع نقله القرطبي عن المبرد، وهو أي: الطفل من حين الانفصال إلى حين البلوغ.اهـ.

(٢) وقوله: (نعمركم). قدره ليتعلق به: ﴿لِتَبۡلُغُوٓاْ﴾.

(٣) قوله: (قال عكرمة...) تقدم في تفسير سورة النحل [الآية: ٧٠]. وهذا الأثر رواه الحاكم عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواه ابن أبي شيبة أيضًا في «مصنفه» عن عكرمة.

(٤) قوله: (يابسة). قاله ابن جريج. وعن الهروي: «جافة ذات تراب»، وعن السدي: «ميتة».اهـ. وكلها متقارب.

(٥) قوله: (تحركت). قال القرطبي: «الاهتزاز: شدة الحركة»، وإطلاق الاهتزاز من باب المجاز.

(٦) قوله: (زائدة). أي: اصطلاحًا، ومؤكدة معنى. أو يقال: التقدير: أنبتت أشياء من كل صنفٍ، فتكون «من» تبعيضية والجار والمجرور يكون نعتًا لمحذوف، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش. =

﴿زَوْجٍۭ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ ۝٥﴾ حسن.

٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور[١] من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾.

٧- ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾.

٨- ونزل في أبي جهل[٢]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ له نور معه[٣].

٩- ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ حال[٤]، أي لاوِيَ عنقه تكبُّرًا عن الإيمان. والعِطفُ[٥]:

= تنبيه: ذكر الله تعالى في الآية برهانين على قدرته وعلى البعث في كل منهما عبر كثيرة كما لا يخفى.

(١) قوله: (المذكور). أي: البرهان المذكور من بدء خلق الإنسان وتطويره، وإحياء الأرض بعد موتها كل منهما برهان على قدرة الخالق والبعث الذي أنكره الكفار. ومثل هذا يسميه المناطقة البرهان الإِنِّيّ، وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر.

(٢) قوله: (ونزل في أبي جهل). روي ذلك عن ابن عباس فيما نقله القرطبي. وقال: «إنها في النضر بن الحارث». وعزاه إلى الأكثر، فالآية الأولى -المتقدمة- وهذه الآيات كلها في النضر بن الحارث، وقد قيل: نزلت فيه بضع عشرة آية. ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (له نور). تفسير لـ﴿مُّنِيرٍ﴾. و(معه) نعت لـ﴿كِتَٰبٍ﴾ أي: بلا كتابٍ معه ذي نور.

(٤) قوله: (حال): ﴿ثَانِىَ﴾ اسم فاعل من ثَنَى يثني، بمعنى: لَوَى، وحرَّفَ. وهو هنا نكرة وإن أضيف إلى المعرفة؛ لأن هذه الإضافة لفظية لا تفيد المضاف تعريفًا ولذا وقع حالًا، والحال يجب كونها نكرة كما هو معلوم في النحو.

(٥) قوله: (والعِطفُ...). أي: الجانب من لدن رأسه إلى وركه. قاله القرطبي. و﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ كناية عن الإعراض تكبرًا.

الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيَضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها[1] ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ عذاب. فقتل يوم بدر[2] ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩﴾ أي: الإحراق بالنار. ويقال له:

١٠- ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: قدَّمْتَه، عبّر عنه بهما دون غيرهما[3]؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ أي: بذي ظلم[4] ﴿لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ أي: شك في عبادته[5]، شبّه بالحالّ[6]

---

(١) قوله: (بفتح الياء...) قراءتان: بفتح الياء، مضارع: ضَّل: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورويس. وبضمها: مضارع: أضلّ: قراءة الباقين. واللام فيه لام العاقبة.

(٢) قوله: (فقتل:...) أي: أبو جهل، وكذا النضر بن الحارث.

(٣) قوله: (عبّر عنه...). أفاد أن إطلاق اليد على الشخص من المجاز المرسل. وإذا أطلق الجزء على الكل مجازًا فلابد أن يكون لذلك الجزء مزيّة تناسب المقصود، وهذا الذي بينه المفسر بقوله: (لأن أكثر الأفعال...)، ولذا يطلق على الجاسوس: العين. ولا يطلق عليه اليد مثلًا؛ لأن العين أهمّ أعضائه في التجسس.

(٤) قوله: (بذي ظلم). أفاد أن وزن «فعّال» هنا للنسبة لا للمبالغة لئلا يوهم ثبوت أصل الظلم، و«فعّال» يأتي للنسبة كما يقال: تمّار، أي: صاحب تمر، وبقّال، وغير ذلك. وقد تقدم مثله.

(٥) قوله: (أي: شك). قاله مجاهد، وقتادة وغيرهما.

(٦) قوله: (شبه) يشير إلى أن الآية من التشبيه المركب. وهو من تشبيه غير المحسوس بالمحسوس، لزيادة الإيضاح. قال القرطبي: «حرف كل شيء: طرفه وشفيره وحدّه».اهـ. روى البخاري في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس، قال: «كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء» [٤٧٤٢]. ورُوي قريب من ذلك عن قتادة، والضحاك، وابن جريج، وغيرهم. =

على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجع إلى الكفر(١) ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ البين.

﴿١٢﴾- ﴿يَدْعُواْ﴾ يعبد(٢) ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ عن الحق.

﴿١٣﴾- ﴿يَدْعُواْ﴾(٣) ﴿لَمَن﴾ اللام زائدة(٤) ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بعبادته ﴿أَقْرَبُ﴾(٥) مِن

= وكل ذلك يفيد أن حصول الأغراض الدنيوية ليس دليلًا على السعادة، كما أن فوات الأغراض الدنيوية ليس دليلًا على الشقاوة. كما يعتقده كثير من العوام.

(١) قوله: (أي: رجع إلى الكفر). بمثله فسره مجاهد، فيكون الكلام كناية.

(٢) جملة ﴿يَدْعُواْ﴾ إما مستأنفة أو حال من فاعل ﴿يَعْبُدُ﴾.

وقوله: (يعبد) أفاد أن المراد بالدعاء هنا: العبادة، وبها فسر البيضاوي وغيره. وكما هو الواقع من حال الكفار.

(٣) جملة ﴿يَدْعُواْ﴾ بدل من ﴿يَدْعُواْ﴾ الأولى، ذكره في «إعراب القرآن» للدرويش.

(٤) وقوله: (اللام زائدة) أي: ومؤكدة في المعنى، و«مَن» مفعول به لـ﴿يَدْعُواْ﴾. وهذا أحسن وأسهل ما قيل في إعراب الآية.

(٥) وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبُ﴾. أي: لأنه يوجب القتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة، كما ذكره البيضاوي. فالضر أقرب إليهم من النفع الذي يتخيلونه في الآخرة، وهو شفاعتهن، وقول المفسر: (بتخيّله). أي: على حسب ما يتخيله عابد الأصنام لا في واقع الأمر. وأشار المفسر بهذا إلى أنه لا منافاة بين نفي النفع في الآية السابقة وبين إثباته في هذه الآية؛ لأن نفي النفع بحسب الواقع، وإثباته بحسب اعتقاد وتخيّل العُبّاد. =

﴿نَفۡعِهِۦ﴾ إن نفع بتخيله ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ هو، أي: الناصر ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾ الصاحب هو، وعقَّبَ ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في[1]:

١٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه.

١٥- ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: محمدًا نبيه[2] ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ أي: ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في «الصحاح» ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَغِيظُ ١٥﴾ ـهُ منها، المعنى: فليختنق غيظًا منها، فلابد منها.

= وقد اضطرب المعربون في توجيه اللام في ﴿لَمَن﴾ وفي إعراب هذه الآية، وما سلكه المفسر أحسن ما أعربت به الآية. واللام في ﴿لَبِئۡسَ﴾ لام الابتداء أو دالة على القسم.

(١) قوله: (وعقب...) دخول إلى الآية التالية.
وقوله: (بالخسران...) متعلق بـ(ذكر).
وقوله: (بذكر المؤمنين) متعلق بـ(عقب) يعني أنه تعالى ذكر المؤمنين وأَجْرَهُمْ عقب ذكر الكفار وخسارتهم، وذلك في الآية التالية.

(٢) قوله: (محمدًا ﷺ). أفاد أن الضمير «الهاء» في ﴿يَنصُرَهُ﴾ عائد إلى النبي ﷺ، كما هو مرويّ عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة وغيرهم. وكذلك تفسيره السبب بالحبل، والسماء بسقف بيته، وكذا ﴿لۡيَقۡطَعۡ﴾ بيختنق كل ذلك مروي عنهم، كما ذكره ابن كثير. وروي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: «﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: ليتوصل إلى بلوغ السماء، فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ ذلك عنه إن قدر على ذلك»، واستحسن هذا المعنى أبو جعفر النحاس فيما نقله القرطبي عنه.

١٦- ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن الباقي[١] ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ١٦﴾ هداه[٢]، معطوف على هاء «أَنزَلْنَٰهُ»[٣].

١٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم[٤] ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ ١٧﴾ عالم به عِلْمَ مشاهدة.

١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم[٥] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: يخضع له بما يراد منها[٦]

---

(١) قوله: (القرآن الباقي). يعني الباقي بعد الآية السابقة المشار إليها بـ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾.

(٢) قوله: (هداه) مفعول به لـ﴿يُرِيدُ﴾.

(٣) وقوله: (معطوف...) أي: «أن» ومعمولاها في تأويل مصدر معطوف على الهاء في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾؛ فالمعنى: وكذلك أنزلنا القرآن وأنزلنا أن الله يهدي من يريد. أي: هدايته تعالى من يريد.

(٤) قوله: (طائفة منهم) تفسير لـ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾. وهذا مما خالف الإمام السيوطي الإمام المحلي، فالسيوطي ذكر في تفسير سورة البقرة: «طائفة من اليهود أو النصارى». وقد تقدم هناك شرح ذلك. [الآية: ٦٢].

(٥) قوله: (تعلم). أفاد به أن الرؤية هنا قلبية.

قال ابن كثير: «إنما ذكرت الشمس والقمر والنجوم بالتنصيص؛ لأنها عبدت من دون الله، فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة». وكذلك بعض الجبال والشجر والدوابّ معبودة عند طوائف من الهندوس. قبحهم الله.

(٦) قوله: (أي: يخضع). كما سبق في تفسير سورة النحل [الآية: ٤٩].

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة[١] ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون[٢]؛ لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ يُشْقِه[٣] ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ مسعد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ من الإهانة والإكرام.

﴿١٩﴾- ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم[٤] والكفار الخمسة خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه ﴿فَٱلَّذِينَ

---

(١) وقوله: (وهم المؤمنون...). أفاد أن «مِن» في ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ تبعيضية، و﴿كَثِيرٌ﴾ معطوف على ما قبله.

قوله: (بزيادة...). أي: المؤمنون يسجدون بوضع الجبهة في الصلاة، زيادة على السجود بمعنى: الخضوع. فيكون لفظ ﴿يَسْجُدُ﴾ استعمل في معنييه: الخضوع. ووضع الجبهة. واستعمال اللفظ في معنييه جائز عند كثير من الأصوليين كالشافعية، ومن لم ير ذلك ذكروا وجوهًا. منها: أن «مِن» بيانية، والمعنى: يخضع له الكثير وهم الناس.

(٢) قوله: (وهم الكافرون). أفاد أن ﴿كَثِيرٌ﴾ الثاني مبتدأ وجملة حق عليه العذاب في محل رفع. خبره، والواو في ﴿وَكَثِيرٌ﴾ عاطفة للجملة على الجملة السابقة، وجملة ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ من باب الاشتغال، يجوز النصب في ﴿كَثِيرٌ﴾ بتقدير وأهان كثيرًا حق عليه العذاب، كما يعلم من القرطبي، ولم يثبت بالنصب قراءة.

(٣) قول: (يُشقه) بضم الياء وسكون الشين مضارع: أشقى، مجزوم.

(٤) قوله: (أي: المؤمنون...). ما ذكره من أن المراد بالخصمين: المؤمنون والكفار، مرويّ عن مجاهد وعطاء، وفي مسلم عن أبي ذر: «أنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر وهم: حمزة وعلي وعبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة. وكذا روي عن ابن عباس، وعن قتادة أنها في المؤمنين وأهل الكتاب. قال ابن كثير: «القول الأول يشمل الأقوال كلها...»، كأنه يرجحه.

﴿كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها، يعني: أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

﴿٢٠﴾- ﴿يُصْهَرُ﴾ يُذاب[(١)] ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوى به[(٢)] ﴿الْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ لضرب رؤوسهم[(٣)].

﴿٢٢﴾- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ردوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

﴿٢٣﴾- وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ[(٤)] وَلُؤْلُؤٍ﴾ بالجر[(٥)]، أي: منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب عطفًا على محل «مِنْ أَسَاوِرَ»، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ هو المحرَّم لبسه على الرجال في الدنيا.

---

(١) قوله: (يذاب). صهَر يصهر من باب قطع: أذاب.

(٢) قوله: (تشوى) أشار إلى تقدير فعل، والجملة معطوفة على الجملة السابقة؛ لأن الجلد لا تذاب بل تشوى، كما قال القرطبي.

(٣) المقامع: جمع مِقْمعة: المِطرقة. وآلة القمع أي: القهر والذل، كما يعلم من القرطبي وغيره.

(٤) ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: «من» الأولى تبعيضية والثانية بيانية. وقيل غير ذلك.

(٥) قوله: (بالجر). قرءاتان: بالنصب: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: قراءة نافع، وحفص، ويعقوب، وشعبة، وأبي جعفر، ولكن شعبة، وأبا جعفر قرآ: ﴿ولولؤ﴾ بمد اللام الأولى، أي: بقلب الهمزة واوًا، وغيرهما: بالهمزة. وقرأ الباقون بالجرّ، ووجههما ما قال المفسر.

٢٤- ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو لا إله إلا الله(١) ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: طريق الله المحمودة ودينه.

٢٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ(٢) عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن(٣) ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ منسكًا ومتعبدًا(٤) ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾ المقيم

---

(١) قوله: (وهو لا إله إلا الله). روي نحوه عن ابن عباس، وقيل: القرآن. وقيل: الأذكار المشروعة. وقيل: قولهم: الحمد لله الذي هدانا بهذا والتحية بالسلام عند دخول الجنة، وفي الجنة. ذكرها ابن كثير وغيره.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾ ففيه عطف المضارع على الماضي لنكتة بلاغية. وذلك إفادة استحضار صدهم عن المسجد الحرام، وهو أمر مذموم جدًّا، قال ابن كثير: «يقول تعالى منكرًا على الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه...».اهـ. يعني: عام الحديبية. وقال أيضًا: «في هذه الآية دليل على أنها مدنية».اهـ.

(٣) قوله: (﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) قدر حرف الجر (عن) ليفيد أن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

والمسجد الحرام هنا قيل: المسجد نفسه، وقيل: الحرم كله؛ لأنهم صدوا المسلمين عن الحرم عام الحديبية. أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (منسكًا). قدره ليكون مفعولًا ثانيًا لـ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾. وليتعلق به الجار والمجرور: ﴿لِلنَّاسِ﴾، وهذا على قراءة: ﴿سَوَآءٌ﴾ سواءٌ بالرفع، وهي قراءة الجمهور التي مشى عليها المفسر. وقرأ حفص بالنصب: ﴿سَوَآءً﴾، وعلى هذه القراءة، قيل: ﴿سَوَآءً﴾: المفعول الثاني. وقيل: ﴿سَوَآءً﴾ حال من الضمير في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾. والمفعول الثاني محذوف كما قدره المفسر. وعلى قراءة الرفع: ﴿سَوَآءٌ﴾: خبر مقدم، و﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾: مبتدأ مؤخر.

﴿فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾[(١)] الطارئ ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ﴾ الباء زائدة[(٢)] ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: بسببه[(٣)]، بأن ارتكب منهيًا، ولو شتم الخادم[(٤)] ﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ مؤلم، أي: بعضه. ومن هذا يؤخذ[(٥)] خبر «إِنَّ»: أي: نذيقهم من عذاب أليم.

---

(١) ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾. على قراءة الجمهور. أصله: البادي بالياء. حذفت تخفيفًا. والوقف بحذفها لغة فصيحة. والأكثر الإثبات في الوقف والوصل. قرأ ابن كثير ويعقوب: بإثبات الياء وقفًا ووصلًا. وأبو عمرو وأبو جعفر: بإثباتها وصلًا.

فائدة: استدل بهذه الآية بعض السلف أن دور مكة مشتركة مسبلة لا يجوز بيعها. وهذا قول عبدالله بن عمر، ومجاهد، وعطاء وغيرهم. كما هو مذهب مالك، وأبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن أحمد. ويجوز ذلك عند الشافعية؛ لأن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اشترى دارًا من صفوان بن أمية ليتخذها سجنًا، ولأدلة أخرى كما فصلها الفقهاء. وعلى هذا العمل اليوم.

(٢) قوله: (الباء زائدة). أي فالمعنى: ومن يرد فيه إلحادًا. وقيل: ضمن ﴿يُرِدۡ﴾ معنى يهمّ، فتكون الباء للتعدية.

(٣) قوله: (بسببه). أفاد أن الباء هنا للسببية، فالباءان بمعنيين، ولذلك تعلقا بفعلٍ واحدٍ ﴿يُرِدۡ﴾. وإلا فالحرفان بمعنًى واحدٍ لا يتعلقان بفعلٍ واحدٍ إلا إذا كان الثاني بدلًا أو معطوفًا. ثم الحرف الزائد لا يحتاج إلى متعلق، وعلى هذا لا إشكال أصلًا.

(٤) قوله: (ولو شتم خادم). روي ذلك عن سعيد بن جبير.

وقول المفسر بأن ارتكب معصية تفسير للظلم، روي نحوه عن ابن عباس، ومجاهد.

وعن ابن عباس أيضًا: «الظلم: الشرك».

وعن ابن عمر: «قول الإنسان: لا والله، بلى والله، وكلا والله، من الإلحاد».

وعن يعلى بن أمية مرفوعًا: «**احتكار الطعام من الإلحاد**».اهـ.

ورجح ابن كثير أن الإلحاد أعمّ من هذه. وهذه أمثلة للإلحاد. نقل القرطبي عن الضحاك، وابن زيد وغيرهما: «أن الهمّ بالسيئة بمكة يعاقب عليه، وإن لم يعمله».اهـ.

(٥) قوله: (ومن هذا) أي: من قوله ﴿نُّذِقۡهُ﴾، وهو جواب الشرط، يؤخذ منه خبر ﴿إِنَّ﴾ التي في أول الآية.

﴿٢٦﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بينا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ ليبينه، وكان قد رفع[1] زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ جمع راكع وساجد: المصلين.

﴿٢٧﴾- ﴿وَأَذِّن﴾ ناد[2] ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ فنادى[3] على جبل أبي قبيس[4]: يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتًا، وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر[5]: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاةً، جمع راجل، كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركبانًا ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي:

---

(١) قوله: (كان قد رفع). كما تقدم في تفسير سورة البقرة، الآية (١٢٧)، وآل عمران: (٩٦) وغيرهما.

(٢) قوله: (ناد). فعل أمر من: نادى، ينادي. مبني على حذف حرف العلة: الياء. والخطاب لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) قوله: (فنادى) أي: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد بناء الكعبة المشرفة.

(٤) قوله: (جبل أبي قبيس). جبل معروف قرب المسجد الحرام من جهة الشرق. يقال: هو الجبل الذي أقيم عليه قصر الملك. وقيل: قام على الصفا. وقيل: على الحجر. ذكره ابن كثير.

وما ذكره المفسر من قصة إبراهيم وندائه مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير وغيرهم بسياق مفصّل. أوردها ابن جرير وغيره. وما ذكره المفسر هو خلاصة تلك الروايات.

(٥) قوله: (وجواب الأمر). الأمر هو: ﴿وَأَذِّن﴾. جوابه: ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ فهو مضارع مجزوم، علامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأمثلة الخمسة.

بعير مهزول. وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأۡتِينَ﴾ أي: الضوامر حملًا على المعنى(١) ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ طريق بعيد(٢).

٢٨- ﴿لِّيَشۡهَدُواْ﴾ أي: يحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ في الدنيا(٣) بالتجارة، أو في الآخرة أو فيهما؛ أقوال ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة(٤)، أو يوم عرفة(٥) أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق؛ أقوال ﴿عَلَىٰ مَا

---

(١) وقوله: (حملًا على المعنى). أي: أن الضمير في ﴿يَأۡتِينَ﴾ راجع إلى ﴿كُلِّ ضَامِرٖ﴾. وهو وإن كان لفظه مفردًا لكنه في معنى الجمع، فجاء الضمير بصيغة الجمع. قال القرطبي: «وفي ردّ الضمير إلى الإبل تكرمة لها كما في ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١﴾ [العاديات: ١]».اهـ. باختصار.

(٢) قوله: (طريق بعيد). ﴿فَجٍّ﴾ بمعنى: طريق. و﴿عَمِيقٖ﴾ بمعنى: بعيد. كما قاله عامة المفسرين.

تنبيه: لا يلزم من عدم ذكر البحر عدم وجوب ركوبه؛ لأن مكة ليست على شط البحر، فكل قادم إليها يلزمه المشي أو الركوب. أفاده القرطبي. ومسألة الجوّ في زماننا كمسألة البحر.

(٣) قوله: (في الدنيا). ذكر ثلاثة أقوال في تفسير المنافع. والذي اختاره ابن كثير: أنها منافع الدنيا والآخرة، روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وغير واحد.

(٤) قوله: (أي: عشر ذي الحجة). قاله ابن عباس وغيره. كما تقدم في سورة البقرة [الآية: ٢٠٣]، وورد في فضل هذه الأيام -عشر ذي الحجة- أحاديث. منها ما روى البخاري عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه...». وفي «سنن أبي داود»: أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذا العشر. [٢٤٣٧].

(٥) وقوله: (أو يوم عرفة...). أقوال في المراد بالأيام المعلومات هنا؛ فعن ابن عباس رواية: «أنها يوم النحر، وثلاثة أيام بعده». وروى هذا عن ابن عمر، وإبراهم النخعي أيضًا. وروي عن ابن زيد ابن أسلم: «أنها يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق»؛ كما نقله كله ابن كثير. فهذه ثلاثة أقوال أوردها المفسر.

﴿رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة[(١)] ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: الشديد الفقر.

﴿٢٩﴾- ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم[(٢)] وشعثهم كطول الظفر ﴿وَلْيُوفُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد[(٣)] ﴿نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا[(٤)] ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟﴾ طواف الإفاضة[(٥)] ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي: القديم؛ لأنه أول

---

(١) قوله: (إذا كانت مستحبة). أي: أما الواجبة كالنذر وجزاء الصيد وفدية الأذى وفدية التمتع والقران كل ذلك لا يجوز لصاحبه أن يأكل منه بل يجب التصدق به. هذا مذهب الشافعية، ويجوز بل يستحب الأكل من هدي التمتع والقران عند الأئمة الثلاثة. ثم الأمر في ﴿فَكُلُوا۟﴾ للإباحة -أو الاستحباب-؛ لأن الجاهلية حرمت الأكل منها، فأحلها الله تعالى، والأمر بعد الحظر للإباحة. نقله ابن كثير عن إبراهيم النخعي. اهـ.

(٢) قوله: (يزيلوا أوساخاهم). يزيلوا: تفسير ﴿لْيَقْضُوا۟﴾. و(أوساخهم). تفسير ﴿تَفَثَهُمْ﴾. التفث: الأوساخ بترك الادهان والاستحداد. كما يعلم من «المصباح». وما ذكره المفسر مرويّ عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وغيرهم. وفي رواية عن ابن عباس: «التفث: المناسك».

(٣) قوله: (بالتشديد...). قرأ شعبة: ﴿وَلْيُوَفُّوا۟﴾: بتشديد الفاء، مضارع «وفّى». والباقون: بتخفيفها: ﴿وَلْيُوفُوا۟﴾، مضارع «أوفى». ولكن ابن ذكوان قرأ بكسر اللام في ﴿وَلِيُوفُوا۟﴾ و﴿وَلِيَطَّوَّفُوا۟﴾. والجمهور بتسكينها. وتُسكنُ لام الأمر إذا دخل عليها الواو أو الفاء أو ثمّ.

(٤) قوله: (من الهدايا...). روي عن مجاهد، وعن ابن عباس مثله، قال: «يعني: نحر ما نذروا من البُدن».اهـ. فالنذر هنا يحتمل كونه بالمعنى الفقهي، وكونه بمعنى الأمور المتحتمة في الحج. ذكرهما البيضاوي.

(٥) قوله: (طواف الإفاضة). وهو من أركان الحج، يدخل وقته بانتصاف ليلة النحر، ويشترط تقدم الوقوف بعرفة، كما فصله الفقهاء. =

بيت وضع للناس[١].

(٣٠)- ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر[٢]، أي: الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه[٣] ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلًا بعد الذبح[٤] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمها في «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ» [المائدة: ٣][٥] الآية؛ فالاستثناء منقطع[٦]، ويجوز أن يكون متصلًا، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه. ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾

= وطواف النسك ثلاثة: طواف القدوم، وهو سنة، وطواف الإفاضة، وهو ركن، وطواف الوداع، وهو واجب. ويسن الطواف المطلق في أي وقت شاء.

(١) قوله: (لأنه أول بيت). تعليل لتسمية الكعبة بالبيت العتيق. قاله الحسن البصري. وعن مجاهد، وقتادة: «لأنه أعتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه». وروى الترمذي هذا الوجه مرفوعًا. [٣١٧٠]، وعلى كلٍّ، المراد بالبيت العتيق: الكعبة المشرفة. ولا خلاف في ذلك ذكره ابن جرير.

(٢) قوله: (خبر مبتدأ). ذكر نحوه البيضاوي، وقال: «يؤتى به للفصل بين كلامين»، ويجوز كونه منصوبًا بفعل محذوف، نحو: امتثلوا ذلك. كما قاله القرطبي.

(٣) قوله: (هي ما لا يحل). ذكر نحوه مجاهد. قال: «الحرمة: مكة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه عن معاصيه كلها». اهـ.

(٤) قوله: (أكلًا). تمييز محول عن نائب الفاعل، والمعنى: أحل لكم أكلها أي: بعد الذبح.

(٥) قوله: (في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾...). الآية (٣) من المائدة.

(٦) وقوله: (فالاستثناء منقطع). الاستثناء المنقطع ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه، وضده: الاستثناء المتصل. كما هو معروف في النحو. وقد تقدم ذلك والوجهان المذكوران في تفسير سورة المائدة الآية (١).

«مِنَ» للبيان[١]، أي: الذي هو الأوثان ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾[٢] أي: الشرك بالله في تلبيتهِمْ، أو شهادة الزور.

۝٣١- ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مسلمين عادلين عن كل دينٍ سوى دينه ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ تأكيد لما قبله[٣]، وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي: تأخذه بسرعة ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تسقطه[٤] ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ بعيد؛ فهو لا يرجى خلاصه.

۝٣٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله: الأمر[٥]، مبتدأ ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾

---

(١) قوله: (﴿مِنَ﴾ للبيان). «من» البيانية، ما صح جعل ما قلها مبتدأ وما بعدها خبرًا. كما هنا.

(٢) ﴿ٱلزُّورِ﴾. الباطل. سمي به؛ لأنه أميل عن الحق، وأصله: الميلان كما يعلم من القرطبي. ذكر المفسر قولين في المراد به:

١- الشرك بالله في التلبية. وفي الجاهلية كانوا يقولون فيها: لا شريك لك إلا شريكًا هو لك. ولم أجد هذا القول معزوًا، إلا أنه يعلم من كلام المفسرين كالبيضاوي.

٢- شهادة الزور. وبها فسر ابن كثير.

(٣) قوله: (تأكيد). أي: باعتبار المعنى، وهو حال مترادفة إعرابًا كما قال المفسر.

(٤) قوله: (أي: تسقطه). أشار إلى أن الباء في ﴿بِهِۦ﴾ للتعدية.

وفي حديث البراء: «إن الكافر إذا توفته الملائكة وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح لها أبواب السماء، فيرمى بها إلى الأرض ثم قرأ هذه الآية...». وهو يدل على أن هذا ليس مجرد تمثيل بل أمر واقعي. أعاذنا الله من تلك الحالة. والحديث رواه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٣/ ٥٤٦)، والنسائي (٤/ ٧٨)، وابن ماجه (١/ ٤٩٤) بسياق مفصل.

(٥) قوله: (يقدر) كما تقدم قريبًا. فيكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر ذلك.

أي: فإن تعظيمها[١]، وهي البدن التي تهدى للحرم[٢]، بأن تستحسن وتستسمن[٣] ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ منهم، وسميت شعائر[٤]؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هديٌ كطعن حديدة بسنامها.

﴿٣٣﴾- ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها[٥] ما لا يضرها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي مكان حلّ نحرها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ أي: عنده، والمراد: الحرم جميعه[٦].

---

(١) قوله: (أي: فإن تعظيمها) أشار به إلى تقدير مضاف، فيكون الكلام من إيجاز الحذف.

(٢) وقوله: (وهي...). أي: الشعائر: البدنُ: جمع بَدنة. الإبل.

(٣) وقوله: (بأن تستحسن). تصوير للتعظيم. أي: صورة تعظيمها: أن تستحسن وتستسمن. روى ذلك عن ابن عباس.

(٤) قوله: (وسميت شعائر...). فالشعائر: جمع شعيرة، بمعنى: مشعورة. وهي في الأصل: كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أُشعِرَ به وأعلم، ومنه إشعار البدنة، كما يعلم من القرطبي، وقد تقدم الكلام عليه في سورة المائدة الآية (١).

(٥) قوله: (كركوبها...). أي: ولبنها وصوفها وغير ذلك. عن ابن عباس وغيره: «له تلك المنافع إلى أن يبعثها هديًا، فإذا بعثها هديًا فلا ينتفع بها»، فالمراد بالأجل المسمى على هذا القول بعثها هديًا، وقال عطاء بن أبي رباح وغيره: «بل له الركوب وإن بعثها هديًا»، لحديث «الصحيحين» عن أنس: أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يسوق بدنة، قال: «**اركبها**»، قال: إنها بدنة، قال: «**اركبها، ويحك**...»، ويجوز الركوب للحاجة في قول الأئمة الأربعة على تفصيل، فالمراد بالأجل المسمى على هذا القول: وقت نحرها، كما قال المفسر، وقال كذلك القرطبي.

(٦) قوله: (والمراد...) فالكعبة والمسجد الحرام والبيت العتيق كل ذلك يطلق في عرف الشرع على الحرم كله، ولذا ذكر العلماء أن مضاعفة الحسنات عامة في كل الحرم.

(٣٤)- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين مصدر، وبكسرها اسم مكان[1]: أي: ذبحًا قربانًا أو مكانه ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها[2] ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ المطيعين المتواضعين[3].

(٣٥)- ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾ يتصدقون.

(٣٦)- ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بَدَنة، وهي الإبل[4] ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

---

(١) قوله: (بفتح السين...): قراءتان: بكسر السين: ﴿مَنْسِكًا﴾: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وبفتحها: قراءة الجمهور. فالفتح على أنه مصدر ميمي. وبكسرها: اسم مكان، كما قال المفسر. وهو من: نسَكَ ينسُك، بوزن: قتل يقتُل، فظرفه القياسي بفتح السين، والكسر سماعيّ، كمسجد، وتفسيره بالذبح: مروي عن مجاهد. نقله القرطبي. وروي عن ابن عباس: «﴿مَنسَكًا﴾: عيدًا». كما في ابن كثير. وروي عن زيد بن أسلم: «أن المنسك مكة لم يجعل الله لأمة قط منسكًا غيرها».اهـ. ابن كثير.

(٢) قوله: (عند ذبحها). كما فسر كذلك ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما.

(٣) قوله: (المطيعين). روي نحوه عن أئمة التفسير، فقال مجاهد: «المطمئنين»، والضحاك، وقتادة: «المتواضعين»، والسدي: «الوجِلين»، وقال عمرو بن أوس: «الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا». كما في ابن كثير.

(٤) قوله: (وهي الإبل). ظاهره أنها لا تطلق على غير الإبل كما تدل عليه الآية، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود، وعطاء، والشافعي. وقال مالك وأبو حنيفة: «تطلق على غير الإبل».اهـ. ونقل ابن كثير عن عطاء، وابن عمر، وابن المسيب، هي: البقرة، والإبل»، وعن مجاهد: «الإبل»، ورجح ابن كثير أنها تطلق على البقرة.اهـ.

أعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم، وأجر في العقبى[١] ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَافَّ﴾ قائمة على ثلاث[٢] معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت[٣] إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم[٤] ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض[٥] ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ السائل أو المتعرض ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ بأن تنحر وتركب، وإلا لم تطق[٦] ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ إنعامي عليكم.

---

(١) قوله: (نفع...، وأجر...). كما روي عن مجاهد، وقاله القرطبي.

(٢) قوله: (قائمة على ثلاث). أي: ثلاث قوائم، كما ورد التفسير بذلك عن ابن عباس. وكما روى أبو داود عن جابر: أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى، قائمة على ما بقي من قوائمها».اهـ. [١٧٦٧].

(٣) قوله: (سقطت). كما روي عن ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. وعن ابن عباس أيضًا: «نحرت». وعن زيد بن أسلم: «ماتت». ومعنى «وجب» في اللغة: سقط. يقال: وجبت الشمس: إذا سقطت أي: غربت، ووجب الحائط: إذا سقط. أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (إن شئتم). أفاد أن الأمر ليس للوجوب. ويندب من الهدي التطوع، ولا يجوز من الواجب كما سبق. والأمر في ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ أيضًا للإباحة على ما نقله القرطبي عن مجاهد وغيره. والتصدق بشيء من لحمه واجب عند الشافعية.

(٥) قوله: (الذي يقنع) هذا المعنى للقانع، مروي عن ابن عباس، وكذا تفسير المعتر: بالسائل مروي عنه. وروي أيضًا: القانع: الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتر: الذي يعتريك يتضرع ولا يسألك. وروي هذا عن الحسن، وزيد بن أسلم كما في ابن كثير. ونحوه اختار ابن جرير، وفسر اللفظان بغير ذلك أيضًا.

(٦) قوله: (وإلا لم تطق). أي: وإن لم يسخرها الله تعالى لنا لم نطق على ذلك لأنها أعظم منا أبدانًا وأقوى منا أعضاءً كما ذكره القرطبي.

(٣٧)- ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: لا يرفعان إليه[١] ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾ أي: الموحدين.

(٣٨)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ غوائل المشركين[٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ (٣٨)﴾ لنعمته، وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم[٣].

(٣٩)- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي: للمؤمنين أن يقاتِلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد[٤] ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب[٥] أنهم ﴿ظُلِمُوا۟﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾.

---

(١) قوله: (أي: لا يرفعان...) أفاد به أن المراد بالنيل هنا القبول، مجازًا. كما قاله القرطبي، ونقل عن ابن عباس: «أن الجاهلية يضربون البيت بدماء البدن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية».اهـ. وبنحوه روى ابن أبي حاتم عن ابن جريج.

(٢) قوله: (غوائل) جمع غائلة، بمعنى: الشر، مفعول به لـ﴿يُدَٰفِعُ﴾.

(٣) قوله: (المعنى: أنه...) فيه إشارة إلى تأويل صفة الرحمة بلازمها، كما تقدم نظير ذلك.

فائدة: قال البلاغيون: لفظ العموم نحو «كل» إذا دخل على النفي أفاد عموم النفي، أي: السلب الكلي، نحو: كل عاملٍ لم يحضر، بمعنى: أنه لم يحضروا ولا واحد منهم، وإذا دخل النفي على «كل» أفاد نفي العموم. نحو: لم يحضر كل شخص، أي: لم يقع حضور الجميع فيمكن حضور بعضهم، ولكن هذه القاعدة أغلبية. فهٰهنا دخل النفي على «كل» مع أنه لعموم النفي. وتقدم التنبيه على هذه القاعدة في تفسير سورة البقرة الآية (٢٧٥).

(٤) قوله: (هذه أول آية...). روي ذلك عن ابن عباس وغيره كما في ابن جرير وابن كثير، نقل القرطبي عن ابن عباس، وابن جبير: «أنها نزلت عند هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة».اهـ.

(٥) قوله: (بسبب). أفاد أن الباء للسببية.

﴿٤٠﴾- هم ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، فما أخرجوا[١] ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ أي: بقولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ وحده، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم[٢]﴾ بدل بعض من «ٱلنَّاسَ»، ﴿بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ﴾ بالتشديد للتكثير وبالتخفيف[٣] ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان[٤] ﴿وَبِيَعٞ﴾ كنائس[٥] للنصارى ﴿وَصَلَوَٰتٞ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية[٦] ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا﴾ أي: المواضع المذكورة[٧] ﴿ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾

---

(١) قوله: (فما أخرجوا). قدّره للدخول إلى ما بعده وبهذا التقدير يكون الاستثناء: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ مفرغًا مع تقدير حرف الجر، ويجوز كون الاستثناء منقطعًا، والمستثنى منه ﴿حَقٍّ﴾، فلا يحتاج إلى هذا التقدير، والمعنى: اخرجوا بغير حق لكن لقولهم ربنا الله. نقله القرطبي عن سيبويه.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾. قال القرطبي: «أي: لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطّلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات».اهـ. وقال: «أي: لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد ﷺ المساجد».اهـ.

(٣) قوله: (بالتشديد...). أي: تشديد الدال: قراءة الجمهور. وبالتخفيف: ﴿لَهُدِمَتۡ﴾: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي جعفر. والتشديد لإفادة التكثير والمبالغة.

(٤) قوله: (للرهبان). جمع راهب: عباد النصارى؛ فالصوامع: المعابد الصغار للنصارى أي: لرهبانهم. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم. ومفردها: صومعة.

(٥) قوله: (كنائس). جمع كنيسة. وهي معابد النصارى أوسع من الصومعة. روي عن الضحاك، وقتادة، ومقاتل، وغيرهم. ومفرد البيع: بِيعة بكسر الباء.

(٦) وقوله: (وكنائس لليهود) روي عن ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، وغيرهم. واليهود يسمونها: صلُوتًا، أي: بالعبرانية. كما قاله القرطبي. فهي جمع صلوتٍ، أو صلاة بمعنى: موضع صلاةٍ مجازًا كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش.

(٧) قوله: (أي: المواضع المذكورة). أفاد أن الضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على الجميع، كما قاله الضحاك، واختاره ابن جرير. وقيل: إلى ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ خاصة لأنه أقرب مذكور.

وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: ينصر دينه[١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ منيع في سلطانه وقدرته.

٤١- ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ جواب الشرط[٢]، وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله: «هم»[٣] مبتدأ. ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ أي: إليه مرجعها في الآخرة.

٤٢- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ[٤] قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى[٥] ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودُ ۝٤٢﴾ قوم صالح.

---

(١) قوله: (أي: ينصر دينه). أفاد أن فيه تقدير مضاف، أو المراد: أن نصر الله معناه: نصر دينه ونبيه.

(٢) قوله: (جواب الشرط). يعني قوله ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ جواب الشرط ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ وما بعده معطوفات.

(٣) وقوله: (ويقدر قبله...). أي: قبل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ليكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبرًا لهذا المقدر، وهذا أحد أوجه الإعراب. وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿مَن﴾ السابق. فهو في محل نصب، وقيل: نعت لـ﴿لِلَّذِينَ﴾ في قوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ فهو في محل جر، وما ذكر المفسر أقرب. وذكر القرطبي هذه الأوجه. ونقل عن ابن عباس: «إن هذه الآية في المهاجرين والأنصار والتابعين». وروى ابن أبي حاتم عن عثمان أنها نزلت في الصحابة، وكذا قال قتادة.

(٤) ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ﴾ جواب الشرط. وهو في الأصل علة للجواب المحذوف، والتقدير: وإن يكذبوك فلا تحزن -مثلًا- فقد كذبت. والله أعلم. فهو من باب الإيجاز.

(٥) قوله: (تأنيث قوم...). «قوم»: اسم جمع، أي يدل على الجماعة، وليس له مفرد من لفظه. وجمع التكسير وأسماء الجموع يجوز تذكيرها وتأنيثها فيجوز في الفعل الماضي: التاء وتركها. والتذكير بتأويل أنها جمع. والتأنيث باعتبار أنها جماعة. كما بينه النحاة.

(٤٣) - ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣)﴾.

(٤٤) - ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذبه القبط، لا قومه بنو إسرائيل[١]: أي: كذّب هؤلاء رسلهم، فلك أسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾ أي: إنكاري[٢] عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم[٣]، والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعه.

(٤٥) - ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي: كم[٤] ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا﴾ وفي قراءة: «أَهْلَكْنَاهَا»[٥]، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أهلها بكفرهم[٦] ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها[٧] ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ

---

(١) قوله: (لا قومه). لا: عاطفة. أي: لم يكذبه قومه بنو إسرائيل، بل آمنوا به، ولذلك لم يقل: «وقوم موسى».

(٢) قوله: (إنكاري). أفاد أن ﴿نَكِيرِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم؛ حذفت تخفيفًا، وهو اسم مصدر لأنكر.

(٣) قوله: (بتكذيبهم). الباء للسببية. متعلق بـ(إنكاري). والباء في (بإهلاكهم) للتصوير، متعلقة به أيضًا، أي صورة إنكاري عليهم: إهلاكهم. فالحرفان بمعنيين، ولذا تعلقا بشيءٍ واحدٍ.

(٤) قوله: (أي: كم). كأي اسم بمعنى: كم الخبرية. وأجاز ابن مالك وغيره مجيئها للاستفهام، وهي هنا خبرية مبنية على الكسر في محل رفع مبتدأ. والخبر: جملة ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾، وقد فصلنا الكلام عن «كأي» وغيرها في رسالتنا «إحكام العُدد في أحكام العَدد».

(٥) قوله: (وفي قراءة...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بالتاء للمتكلم: ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾. وقرأ الباقون: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

(٦) قوله: (أي: أهلها). أشار به إلى أن في الكلام مجازًا مرسلًا، أو مجازًا عقليًّا، أو تقدير مضاف.

(٧) قوله: (ساقطة... سقوفها...). كما تقدم في سورة البقرة وغيرها. =

﴿مَّشِيدٍ ٤٥﴾ رفيع، خالٍ بموت أهله.

٤٦- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾[(١)] أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة[(٢)] ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦﴾ تأكيد[(٣)].

٤٧- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[(٤)] بإنزال العذاب،

= **فائدة:** نقل القرطبي: «إن هذا القصر والبئر في حضرموت معروفان»، ونقل عن الضحاك: «ان البئر: الرس، وكانت بعدن باليمن في بلد يقال له «حضور» نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح، ونجوا من العذاب ومعهم صالح، فمات صالح فسمي المكان بـ«حضرموت»، وسكنوا هناك...».اهـ. وقال في «إعراب القرآن» للدرويش: «وعاشوا مدة ثم كفروا فأهلكوا، وعطلت بئرهم».اهـ. ملخصًا.

(١) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري. أو للحث على السير والاعتبار، كمايعلم من «إعراب القرآن وبيانه» للدرويش. والفاء: عاطفة على مقدر، والفاء في ﴿فَتَكُونَ﴾ سببية، والفعل «تكون» منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا، وقد تقدم مثل هذا التركيب مرارًا.

(٢) قوله: (أي: القصة) أشار إلى أن الضمير راجع إلى القصة، وهو كضمير الشأن، ولكن إذا كان الضمير مذكرًا يقال: ضمير الشأن، وإذا كان مؤنثًا يقال: ضمير القصة، ومقصودهما واحد. وقد تقدم ذلك.

(٣) قوله: (تأكيد) أي قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦﴾ تأكيد؛ لأن القلب محله داخل الصدر، فذكره للتأكيد، وفائدة التأكيد: أن العمى حقيقة في البصر، ومجاز في القلب، فلما استعمل في القلب مجازًا ناسب زيادة التأكيد عليه، كما يعلم من «إعراب القرآن». قال ابن كثير في معنى الآية: «أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة».اهـ.

(٤) هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث أو أبي جهل ذكرهما القرطبي.

فأنزله يوم بدر[١] ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة[٢] بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ بالتاء والياء[٣]، في الدنيا.

﴿٤٨﴾- ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها[٤] ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ المرجع.

﴿٤٩﴾- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ بيّن الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين[٥].

﴿٥٠﴾- ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ هو الجنة[٦].

﴿٥١﴾ - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بإبطالها ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ من اتبع النبي،

---

(١) وقوله: (فأنزله يوم بدر) كما قال الزجاج: «استعجلوا العذاب فأعلمهم الله أنه لا يفوته شيء، وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر».اهـ.

(٢) قوله: (من أيام الآخرة). قاله عكرمة، قال: «أعلمهم الله إذا استعجلوه بالعذاب في أيام قصيرة أنه يأتيهم به في أيام طويلة».اهـ. فيومٌ في الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا، كما يدل على ذلك ما رواه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: خمسمائة عام**».اهـ.

(٣) قوله: (بالتاء والياء). قرأ بالياء: ﴿يَعُدُّونَ﴾: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء: ﴿تَعُدُّونَ﴾: الباقون.

(٤) قوله: (المراد أهلها). أشار إلى وجود المجاز المرسل، كما تقدم نظيره.

(٥) قوله: (وأنا بشير...). قدره لمناسبة الآية التالية، فهي دليل على هذا المقدر.

(٦) قوله: (هو الجنة). قال محمد بن كعب القرظي: «إذا سمعت الله يقول ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ فهو الجنة».اهـ. ابن كثير.

أي: ينسبونهم إلى العجز[١]، ويثبطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: «مُعَاجِزِينَ»: مسابقين لنا[٢]، أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾ النار[٣].

۝٥٢ - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ[٤] ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرأ[٥] ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ قراءته ما

---

(١) قوله: (أي: ينسبونهم). هنا قراءتان: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾: بتشديد الجيم من باب التفعيل: قرأه ابن كثير، وأبو عمرو. و﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: من باب المفاعلة: قرأه الباقون. وعلى الوجه الأول فمعناه: ناسبين المؤمنين إلى العجز، فالتفعيل لمعنى النسبة كما يقال: فسّقت فلانًا، أي: نسبته إلى الفسق. وهذا المعنى ذكره القرطبي بدون عزو. أو المعنى: مثبطين المؤمنين عن الإسلام. قاله مجاهد، وابن الزبير في معنى ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

(٢) وقوله: (مسابقين...). كما قاله ابن عباس: «مغالبين مشاقين»، وقال الأخفش: «معاندين مسابقين».اهـ. كما يعلم من القرطبي.

(٣) قوله: (النار) قال ابن كثير: «وهي النار الحارة الموجعة الشديدة عذابها ونكالها، أجارنا الله منها».اهـ. وهي من أسماء النار.

(٤) قوله: (أي: لم يؤمر). لعله يريد سواء أمر بالتبليغ أم لا، وليس المراد أنه لم يؤمر بالتبليغ، حتى تكون النسبة بينهما التباين؛ لأن المشهور أن النبي أعم من الرسول فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا؛ كما يشير إلى ذلك قول المفسر في تفسير الرسول: إنه نبي أمر بالتبليغ. هذا وفي الفرق بين النبي والرسول أقوال؛ أشهرها أن النبي من أوحي إليه سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر، والرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ؛ فيكون النبي أعم من الرسول مطلقًا. كما يعلم من كتب العقيدة وغيرها.

(٥) قوله: (قرأ...). وبه فسر أكثر المفسرين كما نقله ابن كثير عن البغوي، وروى نحوه عن ابن عباس، والضحاك، ومجاهد بألفاظ متقاربة.

ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم[(١)]، وقد قرأ[(٢)] النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش: « أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ »، بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: «تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن

---

(١) قوله: (ما ليس): ما: مفعول به لـ﴿أَلْقَى﴾.

(٢) وقوله: (وقد قرأ...) ما ذكره المفسر يسمى بقصة الغرانيق. قال ابن كثير: «رويت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجهٍ صحيح»، وكذا قاله القرطبي، قال: «وليس منها شيء يصح».اهـ. وقال القاضي عياض في كتاب «الشفا» ما حاصله: «إن النبي ﷺ معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصدًا ولا عمدًا، ولا سهوًا ولا غلطًا، وحديث الغرانيق له جوابان:

الأول: أنها لم تصح، لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة.

والثاني: لو سلّمنا فنجيب بأنه لم يقع من النبي ﷺ شيء مما ذكر، ويمكن أن الشيطان حاول محاكاة النبي ﷺ في بعض سكتاته، ليلبس على بعض السامعين...».اهـ.

كما روى ابن عباس في تفسير الآية: «إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه».اهـ. وأفادنا بعض مشايخنا: أن معنى إلقاء الشيطان في أمنية الرسول: إلقاء الشبهات في قلوب الناس فيما يبين لهم النبي ﷺ. كما قال المشركون في حرمة الميتة وحل الذبيحة: إن محمدًا يحل ما قتله الإنسان، ويحرّم ما قتله الله، ونحو ذلك، وهذا المعنى واضح ومناسب جدًّا، هذا وقد ألّف الشيخ المحدث ناصرالدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة في الرد على أحاديث الغرانيق بعنوان: «نصب المنجنيق على أحاديث الغرانيق»؛ فأجاد وأفاد.

والمفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبع في إيراده هذا الحديث بعض المفسرين كالبيضاوي بناءً على شهرته، وكان الأولى عدم إيراده أو الرد عليه بعد ذكره. رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وعلى كل حال في هذه الآية تسلية للنبي ﷺ أي: لا يهمنك ذلك، فقد أصاب مثل ذلك من قبلك من المرسلين كما أفاده ابن كثير. وثبت أن المشركين سجدوا عند سماعهم سورة النجم؛ وكان ذلك لقوة تأثير القرآن الكريم في القلوب. أفاد ذلك بعض مشايخنا.

فائدة: الغرانيق: جمع غُرنوق أو غُرنَيق أو غِرْنَوْق: طائر مائي طويل العنق.

لترتجى»؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن. فسلي بهذه الآية ليطمئن ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ﴾ يبطل[١] ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ يثبتها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر[٢] ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ في تمكينه منه، يفعل ما يشاء.

﴿٥٣﴾- ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكّ ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين، عن قبول الحق[٣] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين، حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

﴿٥٤﴾- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٥٥﴾- ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ أي: القرآن[٤]، بما ألقاه الشيطان[٥] على لسان النبي ثم أبطل ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي ساعة

---

(١) قوله: (يُبطل). قاله ابن عباس، وغيره. وهو تفسير بالمراد، والنسخ في اللغة: الإزالة، أو النقل.

(٢) قوله: (بإلقاء... في تمكينه). خص بذلك لمناسبة المقام على ما ذهب إليه.

(٣) قوله: (عن قبول الحق) متعلق بـ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ﴾.

(٤) قوله: (أي: القرآن). قاله ابن جريج، واختاره ابن جرير. وعن ابن جبير، وابن زيد: ﴿مِّنْهُ﴾، أي: مما ألقى الشيطان.

(٥) وقوله: (بما ألقاه الشيطان). هذا بناء على التفسير بحديث الغرانيق.

موتهم، أو القيامة[١]، فجأة[٢] ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ هو يوم بدر[٣]، لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده[٤].

٥٦- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده. وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف[٥] ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بالمجازاة، بين المؤمنين والكافرين بما بيّن بعده[٦]:

---

(١) قوله: (أي: ساعة موتهم). هذا أحد الوجهين في المراد بـ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾، كما يعلم من قول قتادة. والثاني: يوم القيامة. كما قال المفسِّر، وهو الذي جرى عليه ابن جرير.

(٢) وقوله: (فجأة) تفسير لـ﴿بَغۡتَةً﴾، وهي مصدر بمعنى: اسم الفاعل، منصوب على أنه حال، والمصدر المنكر يقع حالًا كثيرًا كما قاله ابن مالك.

(٣) قوله: (هو يوم بدر) قاله ابن عباس، ومجاهد، عكرمة، وابن جبير، وغيرهم، واختاره ابن جرير.

(٤) وقوله: (أو هو يوم القيامة) قول آخر في المراد باليوم العقيم. قال به الضحاك، والحسن البصري. واختاره ابن كثير للآية التالية. والعقيم في اللغة: من لا يكون له ولد. ويوصف به الريح التي لا تأتي بالخير. فكذا وصف به يوم بدر أو لأنه لا مثل له في عظمه، وعن ابن جريج: «لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا نهارًا فصار يومًا لا ليلة له بالنسبة إليهم». ذكر الأوجه القرطبي، أما وصف يوم القيامة بالعقيم؛ فلأنّه لا ليلة بعده، أو لا يعقب يومًا بعده، كما ذكره القرطبي، وأشار المفسر إلى ذلك.

(٥) قوله: (وما تضمنه...) إشارة إلى مسألة نحوية. وذلك أن «يومَ» من ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ منصوب على الظرفية، والظرف يحتاج إلى عامل، وهو الفعل أو ما فيه معناه، فهٰهنا عامل الظرف هو معنى استقر الموجود في ﴿لِّلَّهِ﴾؛ لأنه جار ومجرور خبر المبتدأ، والتقدير: الملك كائن أو مستقر لله يومئذ.

(٦) قوله: (بما بيّن...) متعلق بـ﴿يَحۡكُمُ﴾ أي: يحكم بينهم بالحكم الذي ذكره في قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ فضلًا من الله.

﴿٥٧﴾- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ شديد بسبب كفرهم.

﴿٥٨﴾-[١] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُواْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ أفضل المعطين.

﴿٥٩﴾- ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها[٢]، أي: إدخالًا أو موضعًا ﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ عن عقابهم.

﴿٦٠﴾- الأمر[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلمًا من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر

---

(١) قال القرطبي: «سبب نزول هذه الآية أنه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون، وأبو سلمة ابن عبدالأسد، قال بعض الناس: «من قتل في سبيل الله أفضل ممن مات حتف أنفه، فنزلت هذه الآية مسوّية بينهم وأن الله يرزق جميعهم رزقًا حسنًا».اهـ. وقال ابن كثير: «يخبر الله تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ثم قتل في الجهاد أو مات حتفه أنفه فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجميل».اهـ. ملخصًا، ثم قال: «وأما من قتل في سبيل الله من مهاجرٍ أو غير مهاجر فإنه حيّ عند ربه يرزق...».اهـ. وفي كلام ابن كثير إشارة إلى أن الشهيد له زيادة فضل مع اشتراكه مع غير الشهيد في الأجر الكبير الذي وعد به في هذه الآية، وكما يشير إلى ذلك كلام القرطبي.

(٢) قوله: (بضم الميم). قرأ نافع، وأبو جعفر بفتح الميم: ﴿مَّدْخَلًا﴾. والباقون: بضمها: ﴿مُّدْخَلًا﴾، وكلاهما محتمل لكونه مصدرًا ميميًا فيكون مفعولًا مطلقًا، ولكونه ظرفًا منصوبًا، كما أشار إليه المفسر.

(٣) قوله: (الأمر) قدره ليفيد أن اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، كما تقدم نظيره.

المحرَّم[١] ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ منهم، أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ ٦٠﴾ لهم عن قتالهم في الشهر الحرام.

٦١- ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلًّا منهما في الآخر بأن يزيد به[٢]، وذلك من أثر[٣] قدرته تعالى التي بها النصر ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ ٦١﴾ بهم، حيث جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم.

٦٢- ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضًا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت[٤] ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء[٥]، يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾

---

(١) قوله: (أي: قاتلهم...). أي: قاتل المسلمون الكفارَ كما قاتلهم الكفار، وفي كلام المفسر إشارة إلى سبب نزول الآية، وهو ما قاله ابن جريج، ومقاتل: أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم، فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر المحرم، فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم». اهـ. كما في ابن كثير.

(٢) قوله: (بأن يزيد به) أي: يزيد كل من الليل والنهار بالقدر الذي يدخل فيه من الآخر، فيزيد الليل بقدر نقصان النهار كما في الشتاء، ويزيد النهار بقدر نقصان الليل كما في الصيف.

(٣) وقوله: (وذلك من أثر...). أي: إن الله تعالى هو الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء، ينصر المؤمنين بقدرته، كما يعلم من ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (الثابت) هذا المعنى اللغوي للحق، فهو تعالى الحق، أي: الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، كما قاله ابن كثير. وقال القرطبي: «أي: ذو الحق، فدينه الحق، وعبادته حق، والمؤمنون يستحقون منه النصر». اهـ. وكلاهما متلازمان.

(٥) قوله: (بالياء والتاء). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: بالتاء. والباقون: بالياء.

الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته[(١)] ﴿ٱلْكَبِيرُ ٦٢﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

٦٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم[(٢)] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَتُصْبِحُ[(٣)] ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾

---

(١) قوله: (بقدرته)... وبه فسر القرطبي وغيره، وقال ابن كثير: «فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه...». والمفسر لم يتعرض لعلوّ الذات جريًا على ظاهر مذهب علماء الأشاعرة.

(٢) قوله: (تعلم). يشير إلى أن الرؤية هنا علمية، وليس ذلك بمتعين، فيمكن كونها بصرية، وجملة ﴿أَنَّ...﴾ مفعول به.

(٣) ﴿فَتُصْبِحُ﴾ الفاء هنا عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿أَنزَلَ﴾ الواقعة خبرًا لـ﴿أَنَّ﴾. وفي مثل هذا يتعين العطف بالفاء، ولا يصح الواو، وذلك لأن هذه الجملة ﴿فَتُصْبِحُ...﴾ خالية من الضمير الرابط باسم ﴿إِنَّ﴾. فيعطف بالفاء لكي يحصل الربط بمعنى السببية والترتب، وكذلك الحكم في عطف جملة خالية عن الرابط على جملة واقعة خبرًا لمبتدأ أو صلة لموصولٍ أو صفةً لموصوف، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

واخصص بفاءٍ عطف ما ليس صلة * * على الذي استقر أنه الصلة

وليست الفاء في ﴿فَتُصْبِحُ﴾ سببية واقعة في جواب الاستفهام في ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ولذلك رفع الفعل ﴿فَتُصْبِحُ﴾ وإلا لكان منصوبًا بـ«أن» مضمرة وجوبًا، ثم لا يصح ذلك باعتبار المعنى؛ لأن الاستفهام هنا للتقرير، ولا ينصب المضارع بعد التقرير والإثبات، بل ينصب بعد النفي أو الطلب، وهنا عطف المضارع ﴿فَتُصْبِحُ﴾ على الماضي ﴿أَنزَلَ﴾ لإفادة أن اخضرار الأرض يبقى مدة طويلة. أفاده الدرويش في «إعراب القرآن»، و«تصبح» هنا بمعنى: تصير، ومعلوم أنه يستعمل بمعنى: صار: كان، أصبح، أمسى، أضحى، ظل، فلا تفيد التقيد بوقت الصباح والمساء، وغيرهما. =

بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر.

﴿٦٤﴾- ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على جهة الملك[1] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ لأوليائه.

﴿٦٥﴾- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم[2] ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من[3] ﴿أَن﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ في التسخير والإمساك.

﴿٦٦﴾- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم

= ونقل القرطبي عن عكرمة: أن «تصبح» هنا بمعنى الاتصاف بالخبر في الصباح، وقال: «لا يوجد هذا إلا في مكة وتهامة»، يعني: إذا نزل المطر في الليل تكون الأرض مخضرة في الصباح في مكة وتهامة دون غيرهما، فتتأخر الإنبات قليلًا، والله أعلم.

(١) قوله: (على جهة الملك). أشار إلى أن اللام في ﴿لَّهُۥ﴾ للملكية، وكان يقول الإمام السيوطي في مثل هذا: «ملكًا وخلقًا وعبيدًا».

(٢) قوله: (من البهائم). خصها بالذكر لمناسبة ما بعده، أي: الفلك من حيث إن كلًّا منهما مسخر للركوب.

وفسر ابن كثير وغيره بما هو أعم من البهائم، فقال ابن كثير: «من حيوان، وجماد، وزروع، وثمار...». وقال القرطبي: «سخر لعباده ما يحتاجون إليه من الدواب، والشجر، والأنهار...».

(٣) قوله: (من) أشار إلى أن حرف الجر «من» مقدرة والجار والمجرور متعلق بـ﴿وَيُمْسِكُ﴾.

فالمعنى: يمسك السماء ويحفظه من الوقوع، أو يقدر لام التعليل و«لا» النافية؛ فالمعنى: يمسك السماء لئلا تقع. وحذف حرف الجر مع «أن»، و«أنّ» مطرد، كما تقدم كثيرًا.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ أي: المشرك[١] ﴿لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لنعم الله تعالى بتركه توحيده.

٦٧- ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها[٢]: شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾ يراد به[٣]: لا تنازعهم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة[٤]، إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾.

٦٨- ﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ من

---

(١) قوله: (المشرك). على هذا يكون ﴿الْإِنسَانَ﴾ عامًا مرادًا به الخصوص، و«أل» فيه للعموم، ويحتمل كون «أل» عهدية، والإشارة إلى طائفة من المشركين، وهم الأسود بن عبدالأسد، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وجماعة من المشركين فيما نقله القرطبي عن ابن عباس.

(٢) قوله: (بفتح السين...). كما تقدم في الآية (٣٤)، وفسره المفسر هنا بالشريعة. وبه فسر القرطبي، فيكون المراد به هنا أخص مما هناك في الآية (٣٤)، وقال ابن كثير ما حاصله: «أن الجعل هنا إن كان بمعنى: شرع؛ فالمعنى: أن لكل نبي شرعًا، فلا ينازعونك فيما شرع الله لك، فقد كانت الشرائع في كل عصر... وإن كان «جعل» هنا بمعنى: قدّر وقضى؛ فالمراد: أن هؤلاء -الكفار- يفعلون ما يفعلون عن قدر الله وقضائه، فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك مما أنت عليه من الحق».اهـ.

(٣) قوله: (يراد به:...). أشار به إلى جواب إشكال هو: أن جدالهم ونزاعهم قد وقع فكيف يقال: فلا ينازعنك؟ فأجاب بأن المراد: لا تنازعهم أنت، فيكون من باب التعريض والكناية.

(٤) قوله: (أمر الذبيحة). نقل ذلك القرطبي عن فرقة من العلماء بدون عزو، وفسر هو بقوله: (فيما يشرع لأمتك). أي: أعم من أمر الذبيحة، وقد تقدم أن هذه الشبهة من الكفار مما ألقى الشيطان عليهم في أمنية النبي ﷺ، أي: فيما أعلمه النبي ﷺ.

التكذيب فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال[١].

٦٩- ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر[٢].

٧٠- ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ الاستفهام فيه للتقرير[٣] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٍۚ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ سهل.

٧١- ﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ هو الأصنام ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ أنها آلهة[٤] ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

٧٢- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ ظاهرات، حال[٥] ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ أي: الإنكار لها[٦]، أي: أثره من الكراهة والعبوس[٧] ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ من

(١) قوله: (وهذا قبل الأمر...) نقل نحوه القرطبي وغيره، فتكون الآية منسوخة.

(٢) قوله: (بأن يقول...). تصوير لاختلافهم.

(٣) قوله: (للتقرير). أي: لأن الهمزة للإنكار ودخلت على الفعل المنفيّ، ونفي النفي إثبات، فكان حاصل المعنى التقرير، كما تقدم مثله كثيرًا.

(٤) قوله: (أنها آلهة). بدل اشتمال من الضمير في ﴿بِهِۦ﴾، أي: ليس للمشركين علم بأنها آلهة، بل يعلمون أنها جمادات لا تستحق العبادة، ويعبدونها عن جهل وتقليد.

(٥) قوله: (حال) أي: ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ منصوب على أنه حال من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾.

(٦) قوله: (أي: الإنكار). أفاد أن المنكر مصدر ميميّ، وكذلك فسر البيضاوي.

(٧) وقوله: (أي: أثره...). أشار إلى تقدير مضاف.

القرآن، أي: يقعون فيهم بالبطش[(١)] ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم، هو[(٢)] ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ هي.

﴿٧٣﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ﴾ وهو[(٣)] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس[(٤)]، واحده: ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ﴾ لخلقه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ لا يستردوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف

---

(١) قوله: (أي: يقعون فيهم...). قال القرطبي: «السطوة: شدة البطش»، ونقل عن ابن عباس وغيره ما يفيد هذا المعنى الذي فسر به المفسّر.

(٢) قوله: (من القرآن) أفاد أن ﴿بِشَرٍّ﴾ هنا اسم التفضيل، والمفضل عليه هو ما يسمعونه من القرآن ويكرهونه، حسب جهالتهم وعنادهم. و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو النار، وجملة ﴿وَعَدَهَا﴾ مستأنفة، ويحتمل كون ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿وَعَدَهَا﴾ خبر، والجملة كلها تفسير للشر. والله أعلم. والهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على محذوف، كما هو مذهب الزمخشري ومن تبعه.

(٣) قوله: (وهو). أي: المثل، بهذا التقدير تكون الجملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ خبرًا لمحذوف. ويمكن جعل الجملة بدلًا من ﴿مَثَلٌ﴾.

(٤) قوله: (اسم جنس). يعني: أن الذباب اسم جنس جمعي، وهو ما دل على متعدد ويكون مفرده بالتاء أو بياء النسبة، نحو: بقر وبقرة، شجر شجرة، ومنه: الذباب واحده الذبابة، كما ذكره القرطبي نقلًا عن الجوهري، ويجمع الذباب على أذبّة، وهو جمع القلة، وذِبّان، وهو جمع الكثرة. وسمي الذباب ذبابًا؛ لأنه إذا ذُبّ آب، أي: رجع. كما قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإحياء».

يعبدون شركاء لله تعالى، هذا أمر مستغرب[١] عبر عنه بضرب مثل ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد[٢] ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ المعبود.

﴿٧٤﴾- ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ[٣]﴾ عظمته، إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ غالب.

﴿٧٥﴾- ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤] رسلًا نزل لما قال المشركون[٥]: «أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا» [صٓ: ٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ بمن يتخذه رسولًا؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم.

﴿٧٦﴾- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا أوْ ما

---

(١) قوله: (هذا أمر مستغرب...) يعني أن المراد بالمثل هنا هو الخبر الغريب والقصة العجيبة، وليس المراد تمثيل شيء بشيء، كما يعلم من البيضاوي، فالمعنى: بيّن الله لكم هذا الخبر الغريب فاستمعوا له. وقيل: المعنى: إن الكفار جعلوا لله مثلًا أي: شبهًا، في العبادة وهو الأصنام، فاستمعوا حال هذا المثل وعجزه. نقل القرطبي هذا المعنى عن الأخفش، وعلى هذا يكون المثل بمعنى: الشبه الذي جعله الكفار، ويكون فاعل ﴿ضُرِبَ﴾ الكفار، والله أعلم.

(٢) قوله: (العابد). روي نحوه عن السدي حيث قال: «الطالب العابد، والمطلوب: الصنم». وقال ابن عباس: «الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب»، اختاره ابن جرير وقواه ابن كثير. كأن الصنم يطلب الذباب ليستنقذ منه، فيكون الصنم طالبًا والذباب مطلوبًا.

(٣) ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: مفعول مطلق، وقد تقدم في سورة الأنعام مثله، الآية (٩١).

(٤) ﴿يَصْطَفِى﴾ أصله: يصتفي بالتاء، افتعل من الصفوة، قلبت التاء طاءً؛ لأن فاء افتعل إذا كان أحد أحرف الإطباق، ص ض ط ظ قلبت تاؤه طاءً، كما في علم الصرف.

(٥) قوله: (نزل...) ذكر نحوه القرطبي، والقائل: الوليد بن المغيرة، فيما نقله.

عملوا وما هم عاملون بعدُ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦﴾.

۝٧٧-[(١)] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ أي: صلوا[(٢)] ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ وحّدوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

۝٧٨- ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ باستفراغ الطاقة فيه. ونصب «حَقَّ» على المصدر. ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه[(٣)] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق[(٤)]، بأن سهّله عند الضرورات كالقصر والتيمم

---

(١) هذه الآية هي الموضع للسجود الثاني في هذه السورة، استحبها الشافعية والحنابلة، ولا يراها الحنفية والمالكية، وأورد ابن كثير الأحاديث التي تثبت السجدتين فيها، منها ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عقبة بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله، أُفُضِّلَتْ سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «**نعم، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما**». وبعد ما أورد شواهد قال: «فهذه شواهد يشد بعضها بعضًا».اهـ.

(٢) قوله: (صلوا). أشار إلى أن إطلاق الركوع والسجود على الصلاة من باب المجاز المرسل، ولا ينافي مشروعية السجود للتلاوة كون المراد بالسجود والركوع: الصلاة؛ لأن السجود هنا ثابت بالسنة.

(٣) قوله: (اختاركم...). قال ابن كثير: «اختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول وأكمل شرع».اهـ.

(٤) قوله: (أي: ضيق). أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم ما يشق عليكم بل جعل الله لكل ضيق فرجًا ومخرجًا، ذكره ابن كثير ملخصًا. وهذه من القاعدة الفقهية بل إحدى أمهات القواعد الكبرى، مأخوذة من هذا النص: «المشقة تجلب التيسير»، وفي النظم:

ما جعل الله علينا من حرج ** في دينه ولم يكن له عوج
في كل ضيق يجلب التيسير ** فليس في منهاجنا تعسير

وفروع هذه القاعدة كثيرة معروفة، ذكر المفسر بعضها.

وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب[١] بنزع الخافض: الكاف ﴿إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله[٢] ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ هذا الكتاب[٣] ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم[٤] ﴿وَتَكُونُواْ﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ أنَّ رسلَهم بلغتهم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ﴾ ناصركم ومتولّي أموركم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو[٥] ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ أي: الناصر هو لكم[٦].



---

(١) قوله: (منصوب...) يعني: أن ﴿مِّلَّةَ﴾ منصوب بنزع الخافض، أي: بحذف حرف الجر، والتقدير: كـ«مِلَّةِ». قاله الفراء، ويحتمل كونها منصوبة بـ(الزموا). قاله الزجاج.

(٢) قوله: (أي: الله) أي: فالمراد بالضمير ﴿هُوَ﴾: الله. روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وقتادة، ومقاتل.

(٣) قوله: (هذا الكتاب). توضيح للمضاف إليه لـ﴿قَبْلُ﴾، حذف ونوي معناه، ولذا بني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم.

(٤) قوله: (إنه بلغكم). شهادة هذه الأمة وشهادة الرسول سبق ذكر ذلك في سورة البقرة الآية (١٤٣).

(٥) قوله: (هو) قدره ليكون مخصوصًا بالمدح.

(٦) وقوله: (أي: الناصر). أفاد أن ﴿ٱلنَّصِيرُ﴾ بوزن فعيل هنا، بمعنى: اسم الفاعل، وهو من صيغة المبالغة، والله أعلم. وتقدم بيان معاني «فعيل» في تفسير سورة البقرة الآية (٢٦٧) وغيرها.



٢٣- سورة المؤمنون

مكية(١)، وآياتها: مائة وثماني أو تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾.

(٢)- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ متواضعون(٢).

(٣)- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره(٣) ﴿مُعْرِضُونَ (٣)﴾.

(٤)- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)﴾ مؤدون(٤).

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها بلا خلاف فيما ذكره القرطبي.

قال ابن كثير: «وقد روي عن كعب الأحبار، ومجاهد، وأبي العالية، وغيرهم: لما خلق الله جنة عدن وغرسها بيده نظر إليها، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)﴾، قال كعب الأحبار: لِما أعدّ لهم فيها من الكرامة. وقال أبو العالية: «فأنزل الله ذلك في كتابه».اهـ. وروي نحوه عن ابن عباس، وأنس مرفوعًا. وفي أسانيدها مقال.

(٢) قوله: (متواضعون). قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم: «خائفون ساكنون»، وهو قريب مما ذكره المفسّر. وعن ابن سيرين: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم».اهـ.

(٣) قوله: (من الكلام وغيره). كما قال ابن كثير: «وهو يشمل الشرك كما قاله بعضهم، والمعاصي كما قاله آخرون، وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال».اهـ. والذي فسره بالشرك: الضحاك. والذين فسره بالمعاصي: الحسن؛ كما في القرطبي.

(٤) قال ابن كثير: «الأكثرون على أن المراد بالزكاة: زكاة الأموال، مع أن الزكاة فرضت بالمدينة، وهذه الآية مكية. فيمكن أن أصل الزكاة فرضت بمكة، وإنما فرضت في المدينة الزكاة ذات النصاب، وقد فسرت الزكاة هنا: بزكاة النفس، ويمكن أن يراد كل منهما».اهـ. ملخصًا.

(٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥﴾ عن الحرام.

(٦) - ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم[١] ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: السراري[٢] ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦﴾ في إتيانهن.

(٧) - ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراري[٣]؛ كالاستمناء باليد[٤] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٧﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.

(٨) - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ جمعًا ومفردًا[٥] ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم[٦]، أو فيما بينهم وبين الله من صلاةٍ وغيرها ﴿رَٰعُونَ ٨﴾ حافظون.

(٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ جمعًا ومفردًا[٧] ﴿يُحَافِظُونَ ٩﴾ يقيمونها في أوقاتها.

---

(١) قوله: (من زوجاتهم...). أفاد أن ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى: من، متعلق بـ﴿حَٰفِظُونَ﴾، وفسر بالزوجات مراعاة لـ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ و﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾؛ لأنه للذكور. والزوج يطلق على الذكر والأنثى، وهذه الأوصاف شاملة لهما.

(٢) وقوله: (السراري). جمع سُرِّيّة، بضم السين وتشديد الراء والياء: الأمة التي يطؤها سيدها.

(٣) قوله: (من الزوجات) بيان للمشار إليه.

(٤) وقوله: (كالاستمناء...) مثال لـ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾، فهو محرم بهذه الآية. وبها استدل الشافعي على حرمته. أفاده ابن كثير.

(٥) قوله: (جمعًا...). قرأ ابن كثير بصيغة الإفراد: ﴿لِأَمَٰنَتِهِمْ﴾. والباقون: بصيغة الجمع: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾. ومعناهما هنا واحدٌ: مآلًا؛ لأن المضاف إلى المعرفة يفيد العموم.

(٦) قوله: (فيما بينهم...). كما قال القرطبي: «الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولًا وفعلًا».اهـ.

(٧) قوله: (جمعًا...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالإفراد: ﴿صَلَاتِهِمْ﴾. والباقون: بالجمع: ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾. ومآلهما واحدٌ، كما في ﴿لِأَمَٰنَتِهِمْ﴾ و﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾.

١٠- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠﴾ لا غيرهم[١].

١١- ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان[٢] ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد[٣]، ويناسبه ذكر المبدأ بعده.

١٢- ﴿وَ﴾ الله[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم[٥] ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي من سللتُ الشيء من الشيء، أي: استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ ١٢﴾ متعلق بـ«سُلَٰلَةٍ».

١٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم[٦] ﴿نُطْفَةً﴾ منيًّا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ١٣﴾ هو الرحم.

---

(١) قوله: (لا غيرهم). أخذ المفسر معنى الحصر من ضمير الفصل. عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله منزلان؛ منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠﴾**» رواه ابن ماجه [٤٣٤١]. أورده ابن كثير وغيره.

(٢) قوله: (هو أعلى الجنان). كما في البخاري: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن**».اهـ. [٢٧٩٠، ٧٤٢٣].

(٣) قوله: (في ذلك إشارة...) بيان لمناسبة هذه الآية بما بعدها.

(٤) قوله: (الله) أفاد أن اللام في ﴿وَلَقَدْ﴾ موطئة لقسم، وهو جوابه.

(٥) قوله: (آدم). كما قاله قتادة وغيره. فيكون «أل» في ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عهدية. خلقه الله تعالى من سلالة طين. وعن ابن عباس: «السلالة: صفوة الماء، أي: المنيّ»، وعلى هذا يكون المراد بـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ بنو آدم. ورجح ابن كثير الأول؛ لأنه أوفق لسياق الآية.

(٦) قوله: (أي: الإنسان). أفاد به إلى أن الضمير يعود إلى الإنسان، أي بمعنى: نسل آدم. فأطلق الإنسان أولًا بمعنى آدم، ثم أعيد الضمير إليه باعتبار نسله. وهذا يسمى عند البلاغيين بالاستخدام، وهو من المحسنات البديعية.

(١٤)- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دمًا جامدًا ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمة قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: «عَظْمًا» و«ٱلْعَظْمَ» في الموضعين(١)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه(٢) ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤)﴾ أي: المقدرين(٣)، ومميز «أَحْسَنُ»(٤) محذوف للعلم به، أي: خلقًا.

(١٥)- ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)﴾(٥).

(١٦)- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ للحساب والجزاء.

(١٧)- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ أي: سماوات(٦)، جمع طريقة؛ لأنها

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن عامر، وشعبة: ﴿عَظْمًا﴾ ﴿ٱلْعَظْمَ﴾. وقرأ الباقون: ﴿عِظَٰمًا﴾ ﴿ٱلْعِظَٰمَ﴾.

(٢) قوله: (بنفخ الروح) أي: فالمراد بالخلق الآخر: نفخ الروح. روي ذلك عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وغيرهم. كما في ابن كثير. وعن ابن عباس أيضًا: «خروجه إلى الدنيا». وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (أي: المقدرين). أفاد به أن الخلق بمعنى: الإيجاد من عدم خاص بالله تعالى، فليس هناك خالقون، فالمراد بالخالقين هنا: المقدرين والصانعين.

(٤) قوله: (ومميز....). إشارة إلى مسألة نحوية، وذلك أن اسم التفضيل من مواقع ذكر التمييز بعده، كقولك: زيد أحسن الناس خُلُقًا... فهنا التمييز محذوف، قدره المفسر.

(٥) أكدت الجملة وإن كان المخاطبون لا ينكرون الموت لتنزيلهم منزلة المنكرين حيث غفلوا عن الاستعداد له، فكأنهم منكرون له، كما أفاده البلاغيون.

(٦) قوله: (أي: سماوات). قاله مجاهد وغيره.

طرق الملائكة[(١)] ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ﴾ التي تحتها[(٢)] ﴿غَٰفِلِينَ ١٧﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم، بل نمسكها كآية «وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ» [الحج: ٦٥].

١٨ - ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم[(٣)] ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ[(٤)] فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ١٨﴾ فيموتون مع دوابهم عطشًا.

١٩ - ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب[(٥)] ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾ صيفًا وشتاءً.

٢٠ - ﴿وَ﴾ أنشأنا[(٦)] ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ جبل[(٧)]، بكسر السين

---

(١) وقوله: (لأنها...). بيان وجه تسمية السمٰوات بالطرائق. ونقل القرطبي عن أبي عبيدة: «لأن السمٰوات بعضها فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة».اهـ. ونقل ما قاله المفسر أيضًا.

(٢) قوله: (والتي تحتها... أن تسقط عليهم...). هذا المعنى عزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين. وقال: «ويحتمل أن يكون المعنى: وما كنا عن الخلق غافلين، أي في القيام بمصالحه وحفظه»، وإلى ذلك يشير كلام ابن كثير.

(٣) قوله: (من كفايتهم). أي: بحسب الحاجة، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلًا فلا يكفي الزروع والثمار...اهـ. ابن كثير.

(٤) ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾. أي: جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعلنا في الأرض قابلية له تشربه وتتغذى به ما فيها من الحب والنوى.اهـ. ابن كثير.

(٥) قوله: (هما أكثر...). يريد المفسر بيان وجه تخصيصهما بالذكر، أي: لأنهما أكثر فواكه العرب، وأشار إلى ذلك ابن كثير. ويدخل سائر الفواكه في قوله تعالى: ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾، كما قال ابن كثير: «أي: من جميع الثمار».

(٦) قوله: (أنشأنا). أفاد المفسر أن ﴿شَجَرَةً﴾ معطوفة على ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

(٧) قوله: (جبل). أي: طور سيناء: اسم جبل، ويسمى طور سينين. وهو الجبل الذي كلم=

وفتحها[١]، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة[٢] ﴿تُنۢبِتُ﴾ من الرباعي والثلاثي[٣] ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ الباء زائدة على الأول، ومعدية على الثاني، وهي شجرة الزيتون[٤] ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾ عطف على «الدهن»، أي: إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه[٥]، وهو الزيت.

٢١- ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبۡرَةٗۖ﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها[٦] ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي: اللبن ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ

= الله عليه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. كما قاله ابن عباس وغيره. نقل القرطبي عن ابن زيد: «هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر إلى أيلة».اهـ. ومعنى: ﴿تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾، «أي: أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك فيه».اهـ. قاله القرطبي.

(١) قوله: (بكسر السين...). قرأ بكسر السين: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وبفتحها: الباقون.

(٢) قوله: (منع من الصرف...). يعني أن لفظ ﴿سَيۡنَآءَ﴾ ممنوع من الصرف، ولذا جرّ بالفتحة؛ للعلتين: العلمية، والتأنيث، باعتبار البقعة. أو يقال: لأنها مؤنثة بألف التأنيث الممدودة، وهي تقوم مقام العلتين، كما يعلم من النحو.

(٣) قوله: (من الرباعي...). قراءتان: ﴿تُنۢبِتُ﴾: بضم التاء، مضارع: أنبت الرباعي: قرأه ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس، وهو متعد بنفسه. فالباء في ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ مؤكدة.

وقرأ غيرهم بالثلاثي: ﴿تَنۢبُتُ﴾: بفتح التاء، فالباء للتعدية؛ لأن «نبتَ» الثلاثي لازم.

(٤) قوله: (وهي شجرة الزيتون). أي: الشجرة التي تخرج من طور سيناء، هي شجرة الزيتون، وبها فسر عامة المفسرين.

(٥) قوله: (يصبغ). قال القرطبي: «كل إدام يؤتدم به فهو صبغ، سمي بذلك لأن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه».اهـ. وعن مقاتل: «الأدم: الزيتون، والدهن: الزيت».اهـ.

(٦) قوله: (بفتح النون...). هنا ثلاث قراءات، أشار المفسر إلى اثنتين. =

﴿كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف[1] والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾- ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل[2] ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أطيعوه ووحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ وهو اسم «مَا»[3]، وما قبله الخبر، و«مِّنْ» زائدة. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره.

﴿٢٤﴾- ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن

١- ﴿نَسَقِيكُم﴾: بالنون وفتحها: مضارع: سقى الثلاثي: قرأها: نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب.

٢- ﴿تَسَقِيكُم﴾: بالتاء وفتحها، والضمير المؤنث عائد على ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: قرأه أبو جعفر.

٣- ﴿نُّسْقِيكُم﴾: بالنون وضمها: قرأه الباقون، وهو مضارع: أسقى الرباعي. وسقى وأسقى لغتان، ومعناهما واحد.

(١) قوله: (من الأصواف). تقدم في تفسير سورة النحل الفرق بينهن الآية [٨٠].

(٢) قوله: (أي: الإبل). أي: فالضمير في ﴿وَعَلَيْهَا﴾ عائد إلى بعض الأنعام.

(٣) قوله: (هو اسم ﴿مَا﴾). ظاهره أن ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ اسم ﴿مَا﴾، و﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ خبرها. و﴿لَكُم﴾ متعلق بـ﴿إِلَٰهٍ﴾. والمعنى: ليس غيره إلهًا لكم. ويحتمل أن يكون مراده: أن ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ﴾ اسم ﴿مَا﴾، و﴿لَكُم﴾ خبرها، و﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ صفة. وعلى كل حال في كلامه إشكال؛ لأن ﴿مَا﴾ لا تعمل هنا لتقدم الخبر، ومن شروط إعمالها عدم تقدم الخبر، فالصحيح أن يقال: ﴿مَا﴾ نافية غير عاملة، و﴿لَكُم﴾ خبر مقدم. و﴿إِلَٰهٍ﴾ مبتدأ مؤخر مجرور لفظًا ومرفوع تقديرًا، و﴿غَيْرُهُۥٓ﴾ نعت. كما أعربه الدرويش.

تنبيه: تقدم ذكر قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة هود مفصلة. فلتراجع.

﴿يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعًا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ألّا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشرًا ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعانا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: الأمم الماضية.

﴿٢٥﴾- ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ إلى زمن موته.

﴿٢٦﴾- ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم. قال تعالى مجيبًا دعاءه:

﴿٢٧﴾- ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ[(١)]﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منّا وحفظنا[(٢)] ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدخلْ السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذكرٍ وأنثى[(٣)]، أي: من كل أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و«مِن» متعلقة بـ«فَٱسْلُكْ»، وفي القصة[(٤)] أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة، وفي قراءة: «كُلِّ» بالتنوين،

---

(١) ﴿أَنِ ٱصْنَعِ﴾ «أن» هنا تفسيرية.

(٢) قوله: (بمرأى منا...) كذلك فسره ابن جرير حيث قال: «بمرأى منَّا ومنظر»، وفي تفسير الشيخ العلامة السعدي مثل ذلك، وتقدم مثله في سورة هود الآية (٣٧)، وتقدم هناك معنى: وفار التنور.

(٣) قوله: (ذكر وأنثى). القراءتان هنا، والإعراب على الوجهين، كما تقدم في سورة هود تمامًا، الآية (٤٠).

(٤) قوله: (وفي القصة...) كما في سورة هود، الآية نفسها.

فـ«زَوۡجَيۡنِ» مفعول، و«ٱثۡنَيۡنِ» تأكيد له ﴿وَأَهۡلَكَ﴾[(١)] أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ بالإهلاك، وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاث، وفي سورة هود: «وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾»، قيل: كانوا ستة رجال ونساؤهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾[(٢)].

﴿٢٨﴾- ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾ اعتدلت[(٣)] ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الكافرين وإهلاكهم.

﴿٢٩﴾- ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من الفلك[(٤)] ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا﴾ بضم الميم وفتح الزاي[(٥)]: مصدرًا أو اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي: مكان النزول

---

(١) ﴿وَأَهۡلَكَ﴾. أهل: معطوف على ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾: على قراءة الجمهور، وعلى ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾: على قراءة حفص. والكاف: مضاف إليه، وليس «أهلك» فعلًا ماضيًا من الإهلاك، كما نبهنا عليه في تفسير سورة هود الآية (٤٠).

(٢) ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ هنا أكدت الجملة، والتأكيد يكون إذا كان المخاطب منكرًا أو مترددًا، وهٰهنا المخاطب نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ليس منكرًا ولا مترددًا، ولكن لما خوطب بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي...﴾ كان ذلك سببًا لتنزيله منزلة المتردد المستشرف: هل حكم عليهم بالإهلاك، فناسب التوكيد، كما ذكره البلاغيون.

(٣) قوله: (اعتدلت) به فسر ابن جرير. وقال القرطبي: «علوت: ومآلهما واحد».

(٤) قوله: (عند نزولك) كذا ذكره ابن جرير، ورواه عن مجاهد.

(٥) قوله: (بضم الميم) قرأه الجمهور، فهو مصدر ميمي أو ظرف مكان، وعلى الأول يكون نصبه على المفعول المطلق، وعلى الثاني على الظرفية. وقرأ شعبة: ﴿مَنزِلاً﴾: بفتح الميم وكسر الزاي. فهو ظرف مكان، منصوب على الظرفية.

﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ما ذكر[١].

﴿٣٠﴾ - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة[٢]، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

﴿٣١﴾ - ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قومًا ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾﴾ هم عاد[٣].

﴿٣٢﴾ - ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هودًا ﴿أَنِ﴾ أي: بأن[٤] ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾ عقابه فتؤمنون.

﴿٣٣﴾ - ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالمصير إليها

---

(١) قوله: (ما ذكر) أي: الإنزال أو مكانه. وهو مفعول مطلق أو ظرف لـ﴿مُنزِلِينَ﴾.

(٢) قوله: (مخففة). «إن» المخففة عملها قليل، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير الاسم فقول المفسر: واسمها ضمير الشأن: مبني على إعمالها، وقد تقدم نظير ذلك في كلامه، كما مر في كلام الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا.

(٣) قوله: (هم عاد). أي: القوم الذين أرسل إليهم الرسول: عاد، والرسول هو هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما فسر به المفسر. وهذا أحد القولين. اختاره ابن كثير؛ لأن عادًا هم الذين جاؤوا بعد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وقيل: المراد بهم ثمود، والرسول هو صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقول تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [المؤمنون: ٤١]، فإن قوم ثمود هم الذين أخذتهم الصيحة، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ، واختار هذا القول ابن جرير، ويقول ابن كثير: «والظاهر أن عادًا اجتمع عليهم الصيحة والريح الصرصر».اهـ. وعلى هذا يكون المراد قوم هود بلا إشكال.

(٤) قوله: (بأن) بتقدير الباء تكون ﴿أَنِ﴾ مصدرية. والأولى جعلها تفسيرية، فلا يحتاج إلى تقدير الباء. كما تقدم نظير ذلك.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾[(١)] نعمناهم ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾[(٢)].

﴿٣٤﴾- ﴿وَ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط[(٣)]، والجواب لأولهما، وهو مغن عن جواب الثاني ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه[(٤)] ﴿لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: مغبونون[(٥)].

﴿٣٥﴾- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هو خبر «أَنَّكُمْ» الأولى[(٦)]، و«أَنَّكُمْ» الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

---

(١) ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ معطوفة على صلة الموصول: ﴿وَكَذَّبُوا...﴾.

(٢) ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ العائد إلى الموصول هنا محذوف، أي: «منه»، وحذف العائد المجرور بالحرف مشروط بشروط، وهي متوفرة هٰهنا:

١- كون حرف الجر نفسه دخل على الاسم الموصول.

٢- كون معناهما واحدًا.

٣- كون متعلقهما متحدًا في المعنى، نحو: سلّم على من سلمتُ، أي: عليه. فلا يحذف في نحو: جاء الذي سلمت عليه؛ لعدم جر الاسم الموصول.

ولا في نحو: سلمت على الذي مررتَ به؛ لاختلاف حرف الجر.

ولا في نحو: سلمت على الذي غضبت عليه؛ لاختلاف المتعلق فيهما، كما فصله النحاة.

(٣) قوله: (فيه قسم). هذه المسألة تقدمت لنا مرارًا. أي: إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب لأولهما، فهٰهنا المتقدم هو القسم، فالجواب له، وهو ﴿إِنَّكُمْ إِذًا...﴾ الجملة.

(٤) قوله: (أي: إذا أطعتموه). أفاد به أن ﴿إِذًا﴾ هنا ظرفية، حذفت الجملة التي أضيفت إليها ﴿إِذًا﴾، وعوض عنها بالتنوين، وليست إذن هنا هي الناصبة للمضارع.

(٥) وقوله: (مغبونون). به فسر ابن جرير وغيره.

(٦) قوله: (هو خبر). أي ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ خبر «أن» الأولى، وجملة ﴿أَنَّكُمْ﴾ في تأويل مصدر =

(٣٦)- ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر[١]، أي: بَعُدَ بَعُدَ[٢] ﴿لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦)﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

(٣٧)- ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة[٣] ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا[٤] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)﴾.

= مفعول ثان لـ﴿يَعِدُكُمْ﴾، و﴿إِذَا﴾ ظرفية خالية عن معنى الشرط مضافة لما بعدها. و﴿أَنَّكُمْ﴾ الثانية تأكيد للأولى فلا تحتاج إلى خبر، والمعنى: أيعدكم إخراجكم إذا متم...، وما ذكره المفسر من الإعراب نسب إلى الفراء، والجرمي، والمبرد، واختاره الدرويش في كتابه «إعراب القرآن». وقيل في إعراب الآية غيره.

(١) قوله: (اسم فعل ماض). أي: فمعناه: بَعُدَ. وعلى هذا ليس له محل من الإعراب، وتكون اللام زائدة في الفاعل؛ لبيان الأمر البعيد، أي: لبيان الفاعل.

وقوله: (بمعنى مصدر). هذا وجه آخر في ﴿هَيْهَاتَ﴾، وإذا كان بمعنى المصدر كان في محل رفع مبتدأ، وتكون اللام للاستحقاق وليست زائدة والمعنى: بُعْدٌ بُعْدٌ لما توعدون، أي: كائن ومستحق لما توعدون، ففي كلام المفسر تلفيق.

(٢) وقوله: (بُعْدُ بُعُدُ). في بعض النسخ شكل بلفظِ الماضي: بَعُدَ بَعُدَ على أنه توضيح لـ﴿هَيْهَاتَ﴾ إذا كان بمعنى الماضي. وشكل بعضهم بالمصدر (بُعْدٌ بعدٌ) على أنه توضيح لـ﴿هَيْهَاتَ﴾ إذا كان بمعنى المصدر، وفي ﴿هَيْهَاتَ﴾ عشر لغات ذكرها القرطبي.

(٣) قوله: (ما الحياة). أفاد أن هذا الضمير راجع إلى الحياة، وهي متأخرة لفظًا ورتبة، وهذا أحد المواضع الستة التي يجوز فيها رجوع الضمير إلى المتأخر لفظًا ورتبة، فصلناها في «الثلاثيات»، وهٰهنا: أخبر عن الضمير بمفسِّره، وهو: الحياة.

(٤) قوله: (بحياة أبنائنا) أشار به إلى أن تقديم الموت في الذكر برعاية الترتيب في الواقع بناء على أن المعنى: نموت ونحيا أبناؤنا وهكذا. وبمثله فسر ابن جرير، أي: فليس هذا إقرارًا منهم بالبعث.

٣٨- ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و«ما» زائدة[١] ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرُنَّ ﴿نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب والهلاك، كائنة[٢] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ وهو نبت يَبِسَ[٣]، أي: صيّرناهم مثله في اليبس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ المكذبين.

٤٢- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ عنه. ذكّر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى[٤].

---

(١) قوله: (و«ما» زائدة) إذا دخلت «ما» على «عن» والباء، و«من» لا تكفهن عن عمل الجر. كما قال تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]. وإذا دخلت على الكاف فالأكثر الكف، وكذا إذا دخلت على «رُبّ»، كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (كائنة) أفاد أن الجار والمجرور متعلق بالمحذوف، حال.

(٣) قوله: (وهو نبت...). هذا أحد المعنيين، والثاني: ما يحمله السيل. وعلى كلا المعنيين في الكلام تشبيه بليغ، كما أشار إليه المفسر بقوله: (أي: صيّرناهم...). و﴿بُعْدًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٤) قوله: (ذكّر...) بتشديد الكاف، يعني: جاء بالضمير للمذكر في قوله تعالى ﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ بعد أن أتى به مؤنثة في قوله ﴿مَا تَسْبِقُ﴾، وذلك رعاية للمعنى؛ لأن معنى الأمة جمع.

(٤٤)- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ بالتنوين وعدمه[١]، أي: متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين[٢]، وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ[٣] فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤)﴾.

(٤٥)- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥)﴾ حجة بينة، وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات.

(٤٦)- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

(٤٧)- ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧)﴾ مطيعون خاضعون.

(٤٨)- ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨)﴾.

---

(١) قوله: (بالتنوين...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: بالتنوين وصلًا وبإبداله ألفًا وقفًا. وقرأ الباقون: بدون تنوين وصلًا ووقفًا. وأصل «تترا»: وَتْرى بالواو أبدلت تاءً، فعلى القراءتين فهو مصدر منصوب على الحال، أي: متواترين متتابعين، فهو بمعنى: اسم الفاعل.

وعلى القراءة بالألف: فمصدر كذلك لكن الألف مزيدة للتأنيث كـ«ذكرى» و«دعوى»، وقيل: للإلحاق. فإذا كانت للتأنيث فممنوع من الصرف، وهو حال كذلك.

(٢) قوله: (بتحقيق...) سهّل الهمزة في ﴿أُمَّةً﴾: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس، وحققها الباقون.

(٣) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ﴾: ﴿أَحَادِيثَۚ﴾ جمع أحدوثة: ما يتحدث به الناس. نقل القرطبي عن الأخفش: «لا يقال ذلك إلا في الشر».اهـ. ويجوز كونه اسم جمع للحديث، كما ذكره الدرويش.

٤٩- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ به من الضلالة، وأوتيها[١] بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة[٢].

٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة: ولادته من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع[٣]، وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين[٤]؛ أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ أي ماء جارٍ ظاهر تراه العيون[٥].

٥١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[٦] الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من

---

(١) قوله: (وأوتيها). أي: أوتي موسى التوراة.

(٢) وقوله: (جملة واحدةً) حال من «ها» العائد إلى التوراة، يعني: أنه أوتي التوراة جملة واحدة، لا منجمةً؛ كالقرآن.

(٣) قوله: (مكان مرتفع) هذا المعنى اللغوي لـ﴿رَبْوَةٍ﴾ كما تقدم في سورة البقرة (٢٦٥).

(٤) قوله: (وهو بيت المقدس...). ذكر المفسر أقوالًا في المراد بالربوة هنا كلها منقولة عن السلف، فعن أبي هريرة: «أنها فلسطين»، وروي مرفوعًا أيضًا، وعن ابن عباس، وابن المسيب: «دمشق»، وعن قتادة، وكعب الأحبار: «بيت المقدس»، وعن ابن عباس، ومجاهد أيضًا: «المستوية، أي: من الأرض»، اختاره ابن جرير.

(٥) قوله: (تراه العيون). فيه إشارة إلى أن الميم في ﴿مَعِينٍ﴾ زائدة، فهو اسم مفعول من: عان، يعين، كمبيع. وذكره ابن جرير. وقيل: فعيل من معَن يمعَن مُعُونًا: إذا جرى وسهل. قاله علي بن سليمان فيما نقله القرطبي. فالميم أصلية. معنى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾: صيرناهما وضممناهما. كما قال ابن جرير: «وهو من الإيواء».

(٦) الخطاب في هذه الآية: نقل القرطبي عن الزجاج وبعض العلماء: الخطاب للنبي ﷺ. وقال ابن جرير: «إنه لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»، ونقل إنه كان يأكل من غزل أمه. وعلى هذين القولين يكون لفظ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ من العموم المراد به الخصوص. وقيل: الخطاب لكل نبي. =

فرض ونفل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ فأجازيكم عليه.

﴿٥٢﴾- ﴿وَ﴾ اعلموا[(١)] ﴿أَنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: ملة الإسلام[(٢)] ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم[(٣)] أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال لازمة[(٤)]، وفي قراءة[(٥)]: بتخفيف النون، وفي أخرى: بكسر همزة «إِنَّ» مشددة استئنافًا ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ فاحذرون.

= نقله القرطبي بدون عزو، وكلامه يقتضي ترجيح هذا القول، وكما فسر به ابن كثير، ويدل لذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾، **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [**البقرة: ١٧٢**]» [١٠١٥].

(١) قوله: (اعلموا). أفاد أن جملة ﴿أَنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ مفعول لفعل مقدر، وهو معطوف على ﴿كُلُواْ﴾، وذلك على قراءة «أَنَّ» بفتح الهمزة وتشديد النون أو تخفيفها. التشديد: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب. والتخفيف: قراءة ابن عامر. وقرأ الباقون ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الهمزة وتشديد النون؛ فتكون الجملة مستأنفة، كما ذكره كله المفسر.

(٢) قوله: (الإسلام). الظاهر أن المراد به هنا الدين الذي بعث به كل الأنبياء. كما فسر كذلك ابن كثير.

(٣) وقوله: (دينكم). تفسير للأمة هنا. روي ذلك عن ابن جريج، وفسر به القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (حال لازمة). أي: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ منصوب على أنه حال، وهي حال لازمة. والحال اللازمة هي التي يستقر معناها بدون زوال. والغالب في الحال كونها متنقلة زائلة، نحو: جاء زيد راكبًا.

(٥) قوله: (وفي قراءة: ...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿وَأَنَّ﴾: بفتح الهمزة مع تشديد النون. وقرأ ابن عامر: بفتح الهمزة وتخفيف النون. والباقون: بكسر الهمزة وتشديد النون: ﴿وَإِنَّ﴾، كما ذكرنا.

(٥٣)- ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي: الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حال من فاعل «فَتَقَطَّعُوٓاْ»[(١)]، أي: أحزابًا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهما ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ (٥٣)﴾ مسرورون.

(٥٤)- ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: اترك كفار مكة[(٢)] ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم[(٣)] ﴿حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤)﴾ أي: حين موتهم.

(٥٥)- ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥)﴾ في الدنيا.

(٥٦)- ﴿نُسَارِعُ﴾ نعجل ﴿لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لا[(٤)] ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾ أن ذلك استدراج لهم.

---

(١) قوله: (حال من فاعل...). وعلى هذا تكون الزُّبُر جمع زُبْرَة، بمعنى: القطعة. كالزُّبَر بفتح الباء، وهذا المعنى والإعراب ذكره البيضاوي وغيره، ويكون ﴿أَمْرَهُم﴾ مفعولًا به لـ«تقطّعوا»، أو منصوبًا بنزع الخافض، أي: في أمرهم. وعن مجاهد: «فرقوا كتبهم قطعًا»، فيكون ﴿زُبُرًا﴾ حال من ﴿أَمْرَهُم﴾ بمعنى: كتبهم. وعن ابن زيد: «﴿زُبُرًا﴾: كتبًا»، أي: فهو جمع زبور، فهو مفعول ثانٍ لـ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾؛ لأنه متضمن معنى «جعلوا»، والله أعلم.

(٢) قوله: (أي: اترك...). أفاد أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد بالضمير الغائب «هم» المشركون كما يعلم من القرطبي وغيره. وقال ابن جرير: «اترك هؤلاء الذين تفرقوا...»، وعلى هذا يكون المراد بالضمير المشركون وغيرهم.

(٣) وقوله: (ضلالتهم). تفسير للمراد بالغمرة. والغمرة في اللغة: ما يغمرك ويعلوك. وأصله: الستر. قاله القرطبي.

(٤) قوله: (لا). قدره ليكون جوابًا للاستفهام الإنكاري في ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ و«ما» في ﴿أَنَّمَا﴾ اسم موصول اسم «أن»، وخبرها: جملة ﴿نُسَارِعُ...﴾. وكتبت «ما» مشبوكة مع «أنّ» على الرسم العثماني. وأما في الخط العاديّ فتفصل «ما» الموصولة، وتشبك الكافة الزائدة: «إنّما».

٥٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم[١] مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ خوفهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ ٥٧﴾ خائفون من عذابه[٢].

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن[٣] ﴿يُؤْمِنُونَ ٥٨﴾ يصدقون.

٥٩- ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ معه غيره.

٦٠- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون[٤] ﴿مَآ ءَاتَوا۟﴾ أعطوا من الصدقة[٥] والأعمال الصالحة ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبله لام الجر ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾.

---

(١) ﴿هُم﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿مُّشْفِقُونَ﴾، والجملة صلة الموصول. وكذا فيما يأتي.

(٢) وقوله: (خائفون من عذابه). تفسير تقريبي لـ﴿مُّشْفِقُونَ﴾؛ لأن الإشفاق الخوف مع زيادة التعظيم. قاله الصاوي. ولذا قال البيضاوي في ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: «حذرون» فيكون حاصل المعنى: هم حذرون ومشفقون من عذاب الله لأجل خوفهم من الله. قال الحسن البصري: «إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا».اهـ. كما في ابن كثير.

(٣) قوله: (القرآن). أي وغيره من الآيات، كما قال ابن كثير: «بآياته الكونية والشرعية».اهـ.

(٤) قوله: (يعطون). أفاد أن ﴿يُؤْتُونَ﴾ مضارع من الإيتاء.

(٥) وقوله: (من الصدقة...) أفاد أن الآية في المؤمن المطيع، أي: فهو يطيع الله ويعمل الخير خائفًا من عدم القبول لا في أهل المعاصي الذين يعصون الله ويخافونه، كما روى أحمد، والترمذي عن عائشة أنها قالت: يا رسول الله! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ...﴾ هو الذي يسرق، ويزني، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلّون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم**».اهـ. أورده ابن كثير. وروى معناه ابن جرير عن ابن عباس وغيره أيضًا.

والواو في ﴿وَّقُلُوبُهُمْ﴾ حالية، والجملة في محل نصب حال من الواو في ﴿يُؤْتُونَ﴾.

٦١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ في علم الله[(١)].

٦٢- ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾ أي: طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فليصل جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيۡنَا﴾ عندنا ﴿كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ بما عملته[(٢)]، وهو اللوح المحفوظ[(٣)]، تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمۡ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص[(٤)] من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزاد في السيئات.

٦٣- ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَمۡرَةٖ﴾ جهالة[(٥)] ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين[(٦)] ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾ فيعذبون عليها.

---

(١) قوله: (في علم الله). روى ابن جرير نحوه عن ابن عباس، قال: «سبقت لهم السعادة».اهـ.

(٢) قوله: (بما عملته). أي: عملته النفس.

(٣) قوله: (وهو اللوح...). ذكره القرطبي وغيره. ورجح أن المراد به صحف الأعمال التي كتبته الملائكة، وهو ظاهر كلام ابن جرير، وابن كثير. وقول ثالث: المراد به: القرآن.اهـ. نقله القرطبي.

(٤) قوله: (فلا ينقص). تفريع على عدم الظلم وبيان للمراد منه. وإثابة المطيع فضل من الله تعالى كما هو معتقد أهل السنة، ومنع الفضل ليس بظلم حقيقيّ؛ فإطلاق الظلم عليه فيه نوع توسع. وقد تقدم في مواضع.

(٥) قوله: (جهالة). وبنحو ذلك فسر العلماء، قال مجاهد: «أي: في غطاء وعماية من هذا القرآن». وقال ابن جرير: «في عمًى من هذا القرآن». وقال البيضاوي: «في غفلة غامرة»، والإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ إلى القرآن كما ذكره المفسر، وذكره ابن جرير وغيره. وقال البيضاوي: «﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ من الذي وصف به هؤلاء، أو كتاب الحفظة».

(٦) قوله: (المذكور للمؤمنين). بيان للمشار إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾. وبنحوه فسر ابن جرير، وعزاه إلى أهل التأويل. وقيل: المعنى: ولهم أعمال خبيثة زيادة على الشرك، كما فسر بذلك البيضاوي.

(٦٤)- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية[١] ﴿إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم[٢]﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ أي: السيف[٣] يوم بدر ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ (٦٤)﴾ يضجون[٤]، يقال لهم[٥]:

(٦٥)- ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)﴾ لا تمنعون.

(٦٦)- ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي﴾ من القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ (٦٦)﴾ ترجعون القهقري.

(٦٧)- ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالبيت[٦] أو الحرم بأنهم أهله

---

(١) قوله: (ابتدائية). ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تكون ابتدائية إذ دخلت على الجملة، تفيد أن ما بعدها نهاية الأمر، ولذا فسر ابن جرير: «...هم لها عاملون إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب» و﴿حَتَّىٰٓ﴾ إذا دخلت على المفرد فقد تكون جارة وقد تكون عاطفة، وبينهما اتفاق وافتراق، فصلنا ذلك في الشرح الثري على «الثلاثيات».

(٢) ﴿مُتۡرَفِيهِم﴾ جمع مترف، مضاف إلى الضمير، والياء علامة النصب.

(٣) قوله: (أي: السيف). روي عن ابن عباس، ومجاهد، وابن جريج وغيرهم. وقال الضحاك: «بالجوع».

(٤) قوله: (يضجون). أي: يرفعون أصواتهم مستغيثين. قال القرطبي: «أصل الجُؤار: رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور». قال الجوهري: «الجؤار مثل الخوار، يقال: جأر الثور، يجأر، أي: صاح».اهـ. وضمير ﴿هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ قيل: للمترفين، كما هو ظاهر ابن جرير. وقيل: لأهل مكة، كما روي عن ابن جريج.

(٥) وقوله: (يقال لهم:...). دخول إلى الآية التالية، وأفاد به أن الآية التالية في محل نصب مقول لقول محذوف.

(٦) قوله: (أي: بالبيت...) يعني: الكعبة. أفاد أن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائدة إلى البيت أو الحرم المعلوم لشهرته، وإن لم يتقدم له ذكر. روي ذلك عن ابن عباس، قال: «بحرم البيت»، وقال مجاهد: «بالبلد، أي: مكة»، وقال قتادة، والحسن، وابن جبير: «بالحرم».=

في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَٰمِرًا﴾ حال[(١)]، أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهۡجُرُونَ ٦٧﴾ من الثلاثي[(٢)]: تتركون القرآن، ومن الرباعي: أي: تقولون غير الحق في النبيّ والقرآن، قال تعالى:

٦٨- ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ﴾[(٣)] أصله: يتدبروا، فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبيّ ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨﴾.

= وعزاه القرطبي إلى الجمهور، ولم يذكر ابن جرير غير هذا القول. فمعنى الآية: أنهم يستكبرون بسبب الحرم بأنهم أهله وأنهم في أمن، كما قال المفسر. وقيل: الضمير للقرآن الذي دل عليه ﴿ءَايَٰتِي﴾، وضمّن ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ معنى: مكذبين، فتعدى بالباء، كما يعلم من البيضاوي.

(١) قوله: (حال). أي: ﴿سَٰمِرًا﴾ منصوب على أنه حال، وهو بمعنى الجمع «سُمَّارًا» كالجامل جمع الإبل، والباقر جمع البقر. كما في القرطبي. وقال البيضاوي: «وهو مصدر جاء على وزن الفاعل، كالعافية، ومعناه: جمع».اهـ. وهو مأخوذ من السَمر وهو ظل القمر، وفي النسائي عن ابن عباس: «إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية».اهـ. قال الفقهاء: «يكره السمر إلا في الخير أو مع الضيف والأهل».

(٢) قوله: (من الثلاثي). إشارة إلى القراءتين. قرأ نافع: ﴿تُهۡجِرُونَ﴾ بضم التاء من أهجر، بمعنى: أفحش في القول، فالمعنى: تسبون وتقولون غير الحق في النبي والقرآن، كما روى نحوه عن ابن عباس وغيره. وقرأ الجمهور: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾: بفتح التاء، مضارع: هجَر الثلاثي المجرد، فالمعنى: تتركون، كما قال ابن عباس: تهجرون ذكر الله والحق.اهـ. أو معناه: تخوضون في الباطل، كما هو معنى: أهجر. روي عن ابن جبير كما يعلم كل ذلك من ابن جرير.

(٣) ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ﴾. هذه وما بعدها مسوقة لبيان أسباب ضلالتهم، وذكر خمسة أسباب في ذلك وعلى هذا تكون «أم» متصلة عاطفة، والهمزة لتعيين أحد الأسباب كما يعلم «إعراب القرآن» للدرويش. ويحتمل كون «أم» والهمزة للإنكار والإضراب فهي منقطعة.

٦٩- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾[١].

٧٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الاستفهام للتقرير بالحق[٢] من صدق النبي ﷺ ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال[٣] ﴿جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ[٤] لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝٧٠﴾.

٧١- ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن[٥] ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من

---

(١) هذا السبب الثالث لضلالتهم. والرابع: قوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾. والخامس: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ...﴾ الآية (٧٢).

(٢) قوله: (للتقرير بالحق). هذا مآل الاستفهام الإنكاري، فالمعنى: أن كل ما ذكر من الأسباب ليس مبرِّرًا لضلالتهم، فليس لضلالتهم مبرّر، كما يعلم من البيضاوي.

(٣) قوله: (للانتقال) أي: الانتقال من تقرير الحق فيما سبق من الآيات إلى التصريح بحقية القرآن الذي جاء به النبي ﷺ بالوحي، وعلى هذا يكون ذلك الإضراب الانتقالي دون الإبطالي، كما هو ظاهر كلام المفسر. ويحتمل كونه انتقالًا إبطاليًّا باعتبار أن ما قبله فيه إبطال لكل ما يُظنُّ أنه مبرّر لضلالتهم، أي: ليس الأمر كذلك، بل جاءهم بالحق، والله أعلم.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾. أفاد أن بعض مشركي مكة كانوا لا يكرهون الحق، وإنما أنكروه كُرهًا أو مخافة عار كأبي طالب. أفاده البيضاوي وأصله في «الكشاف»، وهذا إذا عاد الضمير «هم» إلى كفار مكة، وأما إذا أريد به جملة الناس فلا إشكال؛ لأن أكثر الناس على الباطل وكراهية الحق، والمؤمنون هم الأقلية، ذكر ذلك الدرويش في «إعراب القرآن».

(٥) قوله: (أي: القرآن). أكثر المفسرين على أن المراد بالحق هنا هو الله. وهو مروي عن مجاهد، وأبي صالح، وابن جريج، وغيرهم. ونقل القرطبي تفسيره بالقرآن بدون عزو. ومآلهما واحد.

الشريك والولد لله، تعالى الله عن ذلك: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم[1] ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم[2] ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿٧٢﴾- ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجرًا على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾، وفي قراءة[3]: «خَرْجًا» في الموضعين. وفي قراءة أخرى: «خَرَاجًا» فيهما، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أفضل من أعطى وآجر.

﴿٧٣﴾- ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٧٤﴾- ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ عادلون[4].

---

(١) قوله: (لوجود التمانع). أي: المشار إليه في قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(٢) قوله: (أي: القرآن الذي...). روي نحوه عن قتادة كما في القرطبي. وقال ابن عباس: «بالحق الذي فيه بيان دينهم» كما يعلم من ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). ذكر المفسر هنا ثلاث قراءات:

١- ﴿خَرْجًا﴾ ﴿فَخَرْجُ﴾: قراءة ابن عامر.

٢- ﴿خَرَاجًا﴾ ﴿فَخَرَاجُ﴾: حمزة، والكسائي، وخلف.

٣- ﴿خَرْجًا﴾ ﴿فَخَرَاجُ﴾: الباقون. نقل القرطبي عن الأخفش أنهما بمعنًى واحد.

وعن أبي حاتم: «الخرج: الجُعل، والخراج: العطاء»، وعن المبرد: «الخرج: المصدر، والخراج: الاسم».

(٤) قوله: (عادلون). من العدول بمعنى: الانحراف.

٧٥- ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي: جوع[١] أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا۟﴾ تمادوا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ٧٥﴾ يترددون.

٧٦- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ الجوع[٢] ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء.

٧٧- ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل[٣] ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧﴾ آيسون من كل خير.

٧٨- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة[٤] ﴿تَشْكُرُونَ ٧٨﴾.

٧٩- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٧٩﴾ تبعثون.

---

(١) قوله: (أي: جوع...). وبه فسر ابن جرير، ورواه عن ابن جريج. وقصة جوع أهل مكة الذي أصابهم كان بدعوة النبي ﷺ كما في «الصحيحين»: قال ﷺ: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**» القصة بتمامها رواها النسائي. [«فتح الباري» (١/ ٤٣٥)، مسلم (٤/ ٢١٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤١٣)].

(٢) قوله: (بالجوع) قاله الضحاك. وروى ابن جرير ذلك عن ابن عباس، وأن الآية نزلت في القحط الذي أصابه أهل مكة، فتكون الآية مدنية؛ لأن القحط كان بعد الهجرة. وفي ذلك الحديث: أن أبا سفيان جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز يعني: الوبر والدم؛ فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم ...﴾ الآية.

(٣) قوله: (هو يوم بدر). قاله ابن عباس. فالمعنى: أخذناهم بعذاب قد مضى ببدر. وعن مجاهد: «المجاعة»، اختاره ابن جرير. وعن عكرمة: «باب من أبواب جهنم». نقله القرطبي.

(٤) قوله: (تأكيد) يعني أن ﴿مَّا﴾ حرف زيدت لإفادة تأكيد القلة. و﴿قَلِيلًا﴾ مفعول مطلق نعت للمصدر المحذوف، أي: شكرًا قليلًا.

٨٠- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ بالسواد والبياض[١] والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ صنعه تعالى فتعتبرونَ.

٨١- ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١﴾.

٨٢- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الأولون[٢] ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢﴾ لا[٣]، وفي الهمزتين في الموضعين[٤]: التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

٨٣- ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ[٥] وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿مِن قَبۡلُ إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أُسطورة بالضم[٦].

---

(١) قوله: (بالسواد...). أي: سواد الليل وبياض النهار. ذكر المفسر معنيين لاختلاف الليل والنهار. ذكرهما القرطبي، وذكر أقوالًا أخر.

(٢) قوله: (أي: الأولون). فالواو في ﴿قَالُوٓاْ﴾ راجعة إلى الأولين، ويصح رجوعها إلى المشركين كالواو في ﴿قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ...﴾.

(٣) قوله: (لا) جواب للاستفهام على لسانهم.

(٤) وقوله: (وفي الهمزتين...). بيان للقراءات. وهي كما تقدم في سورة الرعد، الآية (٥). والموضعان: ﴿أَءِذَا﴾ و﴿أَءِنَّا﴾.

(٥) ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ﴾. ﴿نَحۡنُ﴾: توكيد للنون في ﴿وُعِدۡنَا﴾، أكد به لعطف الاسم الظاهر وهو ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ على الضمير المتصل المرفوع «نا».

(٦) قوله: (بالضم). أي: ضم الهمزة.

﴿٨٤﴾- ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ خالقها ومالكها[١].

﴿٨٥﴾- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴿٨٥﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال[٢]، تتعظون، فتعلموا أن القادر على الخلق ابتداءً قادر على الإحياء بعد الموت.

﴿٨٦﴾- ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴿٨٦﴾﴾ الكرسي[٣].

﴿٨٧﴾- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ تحذرون عبادة غيره.

﴿٨٨﴾- ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ مُلكُ ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ والتاء للمبالغة[٤] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ يحمي ولا يُحمى عليه ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿٨٩﴾- ﴿سَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ وفي قراءة: «لِلَّهِۚ»[٥] بلام الجر في الموضعين نظرًا إلى

---

(١) قوله: (خالقها). مفعول به لـ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

(٢) قوله: (بإدغام التاء...). أي أصله: تتذكرون، أدغمت التاء الثانية بعد قلبها ذالًا فيها.
وهذه قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بحذف إحدى التاءين: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، وهو جائز في اللغة. أي: إذا اجتمعت التاءانِ في مضارع: تفعّل، وتفاعَلَ وتفعلل جاز حذف إحداهما اختصارًا كما هو معلوم في علم الصرف. ولم يذكر المفسر هذه القراءة.

(٣) قوله: (الكرسي). تفسير العرش بالكرسي قول مرجوح، وتقدم في الأنبياء (٢٢).

(٤) قوله: (والتاء للمبالغة). أي: التاء في ﴿مَلَكُوتُ﴾ للمبالغة كالجبروت والرهبوت. كما تقدم في الأنعام الآية (٧٥).

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: ﴿ٱللَّهُۚ﴾ في الموضعين: الثاني والثالث.
وقرأ الباقون فيهما: ﴿لِلَّهِۚ﴾ بلام الجر. ولا خلاف بينهم في الموضع الأول فهو ﴿لِلَّهِۚ﴾ باللام عند الجميع، أي الآية: (٨٥).

أن المعنى: من له ما ذكر؟ ﴿قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ۝٨٩﴾ تخدعون[١] وتصرفون عن الحق: عبادة الله وحده، أي كيف يُخَيَّل لكم أنه باطل؟[٢].

٩٠- ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق[٣] ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠﴾ في نفيه، وهو:

٩١- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ[٤] إِذٗا﴾ أي: لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: انفرد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا[٥] بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا[٦] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ـه به مما ذكر.

٩٢- ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد بالجر:[٧] صفة، والرفع:

---

(١) قوله: (تخدعون...). فسر به لأن السحر نوع من الخداع والصرف.

(٢) وقوله: (أي: كيف...). بيان لصرفهم عن الحق؛ لأن من السحر ما هو تخييل، كما هو عند سحرة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. والقرطبي ذكر المعنيين: الخداع والتخييل كأنهما وجهان؛ لأنه قال: (أي فكيف تخدعون... أو كيف يخيّل إليكم...) معطوفًا بـ(أو).

(٣) قوله: (بالصدق) فسر به لأن الصدق القول الحق. لما كان القرآن كلامًا ناسب أن يفسر بالصدق، كما تقدم في تفسير سورة البقرة الآية (٢٥٢) وغيرها.

(٤) في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾. يراد بالإله: المستحق للعبادة، وهذا معنى شرعي خاص للإله. وليس المراد به هنا كل معبود كما هو واضح. كما أن في قوله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ إطلاق الإله على الخالق، فالإله الحق والخالق متحدان مصداقًا، وإن اختلفا مفهومًا.

(٥) وقوله: ﴿وَلَعَلَا﴾ فعل ماض واويّ دخله اللام. و﴿عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ حرف جرّ ومجروره، كما هو واضح.

(٦) قوله: (كفعل ملوك الدنيا). فهذه إشارة إلى دليل التمانع كما تقدم في ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ...﴾ [الأنبياء: ٢٢].

(٧) قوله: (بالجرّ). قرأ نافع، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: بالرفع. والباقون: بالجر.

خبر (هو) مقدرًا ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ تعاظم ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ـه معه.

﴿٩٣﴾- ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة[1] ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ـه من العذاب. هو صادق بالقتل ببدر.

﴿٩٤﴾- ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي[2] فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فأهلك بهلاكهم.

﴿٩٥﴾- ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿٩٦﴾- ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ أي: الخصلة[3] من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ أذاهم إياك[4]، وهذا قبل الأمر بالقتال[5] ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا

---

(١) قوله: (فيه إدغام). أي: فأصل ﴿إِمَّا﴾ هنا: «إن» الشرطية و«ما» الزائدة المؤكدة. ويكثر بعد «إمّا» هذه توكيد المضارع بالنون، وكما تقدم في ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦] ووزن ﴿تُرِيَنِّي﴾ تُفِلَنِّي بحذف عين الكلمة وهي الهمزة. والفعل مبني على الفتح لاتصال نون التوكيد. وهو في محل جزم فعل الشرط. والنونان للتأكيد. وحذف نون الوقاية، أو الأولى للتأكيد، والثانية للوقاية. والله أعلم.

(٢) ﴿فَلَا تَجۡعَلۡنِي﴾ جواب الشرط، و﴿رَبِّ﴾ جملة نداء. أصله: يا ربّ، معترضة بين الشرط والجواب. قال القرطبي: «كان النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعلم أن الله تعالى لا يجعله مع القوم الظالمين، ومع ذلك أمره بالسؤال والدعاء بذلك؛ ليعظم أجره وليكون في كل الأوقات ذاكرًا لربه تعالى».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (أي: الخصلة...). تفسير للمراد ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾. وتوضيح للموصوف. وفي نسخة: (خَلَّة).

(٤) وقوله: (من الصفح). وقوله: (أذاهم) تفسير لـ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ روي نحوه عن مجاهد. قال: «أعرض عن أذاهم إياك».اهـ.

(٥) قوله: (وهذا قبل الأمر...). أي: الأمر بالصفح والإعراض عن أذى الكفار كان قبل الأمر بالقتال. لأن هذه الآية مكية. وقال القرطبي: «فما كان منها لهذه الأمة فيما بينهم =

﴿يَصِفُونَ ٩٦﴾ يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه.

٩٧- ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ٩٧﴾ نزغاتهم[(١)] بما يوسوسون به.

٩٨- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ٩٨﴾[(٢)] في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩- ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة[(٣)] لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ٩٩﴾ الجمع للتعظيم[(٤)].

١٠٠- ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون[(٥)] ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾

= فهو محكم باقٍ في الأمة أبدًا، وما كان فيها من موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ».اهـ.

(١) قوله: (نزغاتهم). أي: الشاغلة عن ذكر الله، والهمزات: جمع هَمْزَة، وهي النخس والدفع. قاله القرطبي.

(٢) ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾. ﴿أَن﴾: مصدرية ناصبة، والفعل ﴿يَحْضُرُونِ﴾ منصوب بحذف النون، والنون الموجودة هي نون الوقاية، وبعدها حذفت ياء المتكلم المفعول به.

(٣) قوله: (ورأى مقعده...). كما روى ابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله:** ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠﴾» [٤٣٤١]، أورده ابن كثير في تفسير الآية (١١) من هذه السورة. وتقدم إيراده هناك.

(٤) قوله: (الجمع للتعظيم). أي: الخطاب بصيغة الجمع لله تعالى للتعظيم. قاله القرطبي. وقيل: الخطاب لله ثم الملائكة الذين يقبضون أرواحهم. قاله ابن جرير، ورواه عن ابن جريج، وقيل: معناه: ارجعني، ارجعني، ارجعني. فالجمع لتكرار الفعل أي قول: «ارجعني».

(٥) قوله: (بأن أشهد...) روي عن ابن عباس.

وقوله: (يكون). قدره لتوضيح المعنى: أي يكون ذلك العمل الصالح في مقابلة ما ضيّعت.. وليس المراد توضيح الإعراب؛ لأنه على وجود هذا المقدر يكون هذا الجار =

ضيعت من عُمري، أي: في مقابلته. قال تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ أي: «رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩»، ﴿كَلِمَةٌ﴾[(١)] ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أمامهم ﴿بَرۡزَخٌ﴾ حاجز[(٢)] يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٠٠﴾ ولا رجوع بعده.

۝١٠١- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى[(٣)] أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ يتفاخرون بها[(٤)] ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ عنها، خلاف حالهم في

= والمجرور ﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ خبرًا له، مع تقدير مضاف، أي في مقابلة، وحذف «يكون» مع اسمها ليس مطردًا إلا بعد «إن» و«لو». وبدون هذا التقدير: الجار والمجرور ﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ متعلق بـ﴿أَعۡمَلُ﴾. والله أعلم.

(١) قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٌ﴾. الكلمة هنا بالمعنى اللغوي، ففي اللغة تطلق الكلمة على الكلام كما هو معروف. و﴿كَلَّآ﴾ حرف ردع لا محل له من الإعراب.

(٢) قوله: (حاجز). قاله مجاهد، والضحاك، وابن زيد. وقد فسر بألفاظ كلها متقاربة كما قاله القرطبي بعد نقلها. والبرزخ في اللغة: الحاجز بين الشيئين. قاله الجوهري.

(٣) قوله: (القرن). تفسير لـ﴿ٱلصُّورِ﴾.

وقوله: (النفخة الأولى أو الثانية). بالنصب: مفعول مطلق.

(٤) قوله: (يتفاخرون بها). فيه إشارة إلى أن المراد أنه لا ينفع يومئذ الأنساب. كما قال ابن كثير: «لا تنفع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده، ولا يلوى عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ [المعارج: ١٠-١١]».اهـ. وعلى هذا يكون المراد بالنفخة: النفخة الثانية، كما فسر به ابن كثير، وروى ذلك عن ابن مسعود، بسياق مفصّل، رواه ابن جرير، والسيوطي في «الدر المنثور» وغيرهما.

وقوله: (النفخة الأولى) هذا القول مرويّ عن ابن عباس، كما في ابن جرير. قال ابن عباس: «قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ فذلك حين ينفخ في الصور، فلا يبقى حيّ إلا الله، ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ فذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية». وفي رواية: =

الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة[١]. وفي بعضها يفيقون، وفي آية: «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾» [الصافات: ٥٠].

﴿١٠٢﴾- ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ الفائزون.

﴿١٠٣﴾- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات[٢] ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿١٠٤﴾- ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها[٣] ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ شُمِّرتْ شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم[٤].

﴿١٠٥﴾- ويقال لهم[٥]: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تُخوَّفون بها

= «فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون».اهـ. ففي كلامه دفع إيهام التعارض بين إثبات التساؤل ونفيه.

(١) وقول المفسر: (في بعض مواطن...). دفع لإيهام التعارض المذكور، هذا إذا أريد بالنفخة النفخة الثانية؛ فالجواب: أن في القيامة مواطن في بعضها يتساءلون وفي بعضها لا يتساءلون. وجواب آخر: المعنى: لا يُسأل أحد يومئذ بنسبٍ شيئًا ولا يتساءلون. عزاه ابن جرير إلى الحجاج. وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك حيث قال: (بخلاف حالهم في الدنيا). وكلام المفسر فيه إجمال واختصار كما لا يخفى.

(٢) قوله: (بالسيئات). أي: ليس له من الحسنة ما يوزن، وهم الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥]، نبّه على ذلك البيضاوي. أي: فمحمل هذه الآية: الكفار، دون عصاة المؤمنين؛ لأن الفاسق لا يخلد في النار.

(٣) قوله: (تحرقها). تفسير ﴿تَلْفَحُ﴾. واللفح: الحرق. والنفح بمعناه إلا أن اللفح أبلغ. أفاده البيضاوي والقرطبي.

(٤) قوله: (شمرت...) بيان لمعنى الكلوح. قال ابن جرير: «الكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان». وكذا قاله القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (ويقال لهم:...). أفاد أن ما بعده في محل نصب مقول القول المحذوف.

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿١٠٦﴾- ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة[(١)]: «شَقَاوَتُنَا» بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنىً ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ عن الهداية.

﴿١٠٧﴾- ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة[(٢)] ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

﴿١٠٨﴾- ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك[(٣)] بعد قدر الدنيا[(٤)] مرتين: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿شَقَٰوَتُنَا﴾. والباقون: ﴿شِقْوَتُنَا﴾.
قال القرطبي ما حاصله: «وأحسن ما قيل في معناهما: غلبت علينا لَذَّاتنا وأهواؤنا، أطلق على ذلك الشقاوة لأنها سبب الشقاوة، فيكون مجازًا مرسلًا من إطلاق المسبب وإرادة السبب».
وعن ابن جريج، ومجاهد: «ما سبق في عملك وكتب علينا من الشقاوة» رواه ابن جرير.

(٢) قوله: (إلى المخالفة) أي: إلى الكفر كما عبر به القرطبي.

(٣) قوله: (بلسان مالك) أي: خازن النار، مالك. وعلى هذا يكون نسبة القول إلى الله تعالى من المجاز العقلي، أي: من باب إسناد الفعل إلى السبب الآمر. وكلام ابن جرير، وابن كثير وغيرهما يفيد أن ذلك من الله تعالى. قال ابن كثير: «روى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو، قال: إن أهل جهنم يدعون مالكًا، فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يرد عليهم: إنكم ماكثون، قال: هانت دعوتهم والله على مالك وربِّ مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا...﴾ الآيتين. قال: فيسكت عنهم قد رالدنيا مرتين ثم يرد عليهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم». وأورد ابن جرير هذا الأثر عن قتادة بسياق قريب، كما أورد أحاديث بمعناه مفصّلًا وموجزًا. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ...﴾: قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبًا... وأورد الحديث الطبري وغيره.

(٤) قوله: (بعد قدر الدنيا). كما في الأثر المذكور. ولكن تكون هذه الإجابة من رب العالمين، كما في هذه الرواية، خلاف ما قاله المفسر من أنه بلسان مالِك.

ابعدوا في النار[١] أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ في رفع العذاب عنكم، فينقطع رجاؤهم.

١٠٩- ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ هم المهاجرون[٢] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾.

١١٠- ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها[٣]: مصدر بمعنى الهزء. منهم: بلال[٤] وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ فتركتموه[٥]؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء فنسب إليهم[٦] ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠﴾.

---

(١) قوله: (ابعدوا). خسأ: يستعمل لازمًا ومتعديًا، يقال: خسأت الكلبَ: طردته، وخسأ الكلب خسوءًا: بَعُد، كما في القرطبي. والنون في ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ نون الوقاية.

(٢) قوله: (هم المهاجرون) روي نحوه عن مجاهد، قال: «هم بلال وخباب وصهيب وفلان وفلان من ضعفاء المسلمين، كان أبو جهل وأصحابه يهزؤون بهم».

(٣) قوله: (بضم السين...). قرأ نافع، والكسائي، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف: بضم السين. والباقون: بكسرها.

وقوله: (مصدر...). يفيد أنه لا فرق بينهما، وعزا القرطبي القول بعدم الفرق إلى الكسائي، والخليل وسيبويه، والفراء. وحكي عن الكسائي، والفراء، وأبي عمرو الفرق بأن الكسر إذا كان بالقول، والضم إذا كان بالفعل.

(٤) قوله: (منهم بلال...). كانوا من ضعفاء الصَّحابة وفقرائهم بمكة.

(٥) قوله: (فتركتموه). أي: تركتم ذكري.

(٦) وقوله: (فنسب إليهم). أي: أسنِد الإنساء إلى هؤلاء الصحابة في قوله تعالى: ﴿أَنسَوْكُمْ﴾؛ لأنهم سبب لنسيانهم، فيكون هذا الإسناد مجازًا عقليًا.

(١١١)- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة[١] ﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ بمطلوبهم، استئناف، وبفتحها: مفعول ثانٍ لجزيتهم.

(١١٢)- ﴿قَٰلَ﴾ تعالى لهم بلسان مَالِكٍ[٢]، وفي قراءة: «قُلْ»[٣]: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ تمييز[٤].

(١١٣)- ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك، واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب[٥] ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ أي: الملائكة المحصين أعمال الخلق[٦].

(١١٤)- ﴿قَٰلَ﴾ تعالى بلسان مَالِكٍ، وفي قراءة[٧]: «قُلْ» ﴿إِن﴾ أي: ما

---

(١) قوله: (بكسر الهمزة...). قرأ حمزة، والكسائي: بكسر الهمزة. فتكون الجملة استئنافية فيها معنى السببية. وقرأ الباقون: بفتح الهمزة. فجملة «أن» في تأويل مصدر مفعول ثان لـ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾. كما قال المفسر، أو بتقدير اللام: لأنهم. ذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (بلسان مالك) القول فيه كما في الآية السابقة.

(٣) وقوله: (وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾). أي: بصيغة الأمر، وهي قراءة ابن كثير، وحمزة، والكسائي. والخطاب فيه لبعض رؤساء أهل النار، أو للملك على أنه يسأل أهل النار: كم لبثتم؟

(٤) قوله: (تمييز). أي: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ منصوب على التمييز لـ﴿كَمْ﴾ الاستفهامية.

(٥) قوله: (لعظم ما...). كذا قاله ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٦) قوله: (أي: الملائكة) وبه فسر مجاهد. وعن قتادة: «أهل الحساب». قال ابن جرير: «الذين يعدّون عدد الشهور والسنين، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم».اهـ.

(٧) قوله: (بلسان...)، وقوله: (وفي قراءة....). كما تقدم في الآية السابقة، ولكن هنا قرأ حمزة، والكسائي فقط: بصيغة الأمر ﴿قُلْ﴾.

﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلًا بالنسبة إلى لبثكم في النار.

١١٥- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا[١]، بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾» [الذاريات: ٥٦].

١١٦- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به[٢] ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ الكرسي، هو السرير الحسن[٣].

١١٧- ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة[٤]، لا مفهوم

---

(١) قوله: (بالبناء للفاعل) قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب: ﴿تَرْجِعُونَ﴾: بفتح التاء على صيغة المعلوم. والباقون: بضمها على صيغة المفعول.

وقوله: (لا) جواب للاستفهام، أي: لم يخلقهم عبثًا بدون حكمة، بل خلقهم للعبادة والجزاء، ثم استدل المفسر على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) قوله: (عن العبث...). قال ابن جرير: «عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكًا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات».اهـ. وكلام المفسر أشمل، وبمثله فسر القرطبي، وابن كثير.

(٣) قوله: (الكرسي). كما تقدم في الآية (٨٦).

وقوله: (السرير الحسن). قال ابن كثير: «فذكر العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر، بهي الشكل، كما قال تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان: ١٠]».

(٤) قوله: (صفة كاشفة). أي: ليست صفة مقيدة للاحتراز عن شيء، بل لكشف حقيقته ما=

لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ لا يسعدون.

﴿١١٨﴾- ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾ المؤمنين. في الرحمة زيادة على المغفرة[1] ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ أفضل رحمة راحم.



= قبلها. كما يقال: الإنسان الحيوان الناطق، فالحيوان الناطق صفة كاشفة للإنسان؛ لأنها بيان لمعناه، وليست احترازًا. فلا يكون لهذه الصفة مفهوم مخالفة، أي: فلا تفيد الصفة هنا وجود إلهٍ آخر له برهان. بل كل إله سوى الله لا برهان له، وجملة ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جواب الشرط: ﴿وَمَن يَدْعُ﴾.

(١) قوله: (في الرحمة...) كما قال ابن كثير: «فالغفر محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة: أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال».اهـ.

٢٤- سورة النور

مدنية(١)، وآياتها: اثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- هذه(٢) ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ مخففًا ومشددًا(٣)؛ لكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ (١)﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال، أي: تتعظون(٤).

(٢)- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين(٥)؛ لرجمهما بالسنة(٦)، و«أل» فيما

---

(١) قوله: (مدنية). بالإجماع. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (هذه). أفاد أن ﴿سُورَةٌ﴾ خبر لمبتدا محذوف، فتكون الجملة التي بعدها نعتًا، وهذا أحد أوجه الإعراب.

(٣) قوله: (مخففًا...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالتشديد: ﴿وَفَرَّضْنَاهَا﴾؛ لإفادة المبالغة. وقرأ غيرهما بالتخفيف: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾. فقول المفسر: (لكثرة الفروض) تعليل للقراءة بالتشديد.

(٤) قوله: (بإدغام التاء...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بتخفيف الذال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي بحذف إحدى التائين. ولم يذكر المفسر هذه القراءة. وقرأ الباقون: بتشديدها: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ كما ذكر المفسر.

(٥) قوله: (أي: غير المحصنين...). المحصن هنا: من وطئ في نكاح صحيح بالغًا عاقلًا حرًّا. ويطلق المحصن على عدة معانٍ تقدمت في سورة النساء الآية (٢٥).

(٦) وقوله: (لرجمها) أفاد المفسر أن هذه الآية من العام المخصوص، دخلها التخصيص مرتين: الأولى: المحصن؛ فحده الرجم؛ لما ثبت في أحاديث كثيرة صحيحة. ذكرها ابن كثير وغيره، وقد كان من التلاوة المنسوخة: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» رواه النسائي. والتخصيص الثاني: المملوك، عبدًا أو أمة فحدَّه: خمسون جلدة، محصنًا أو غير =

ذكر موصولة[١]، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ[٢]﴾ أي: ضربة، يقال جلده: ضرب جلده. ويزاد على ذلك بالسُّنة تغريب عام[٣]. والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾

= محصن. ثبت تنصيف الحد في الأمة بقول تعالى: ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ كما تقدم في سورة النساء [٢٥]، والعبد مقيس على الأمة.

(١) وقوله: (و«ال»...). فيه إشارة إلى حلّ إشكال نحويّ. وذلك أن قوله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ أسلوب الاشتغال المعروف في علم النحو. وإذا كان الفعل المشغول طلبيًّا كان الراجح نصب الاسم المتقدم، وهٰهنا اتفق القراء على رفع ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ مع كون الفعل ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ طلبيًّا. فأجيب عنه بأن هذا ليس من الاشتغال؛ لأن الفاء في ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ كفاء الجواب، لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. ومن شرط الاشتغال صحة إعمال المشغول في الاسم السابق. فهٰهنا لا يمكن ذلك لوجود الفاء فليس من باب الاشتغال. وهذا الجواب منسوب إلى المبرد كما ذكره ابن هشام في «شرح قطر الندى»، وأجيب أيضًا بأن التقدير: فيما يتلى عليكم حكم الزانية... فيكون ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾ مبتدأ حذف خبره. وهي جملة مستقلة. هذا نسب إلى سيبويه. ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، وقد سبق هناك ذكر هذا الإشكال وحله. راجع الآية (٣٨) في سورة المائدة.

(٢) وقوله: ﴿مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق. اسم العدد نائب عن المصدر.

(٣) قوله: (ويزاد على ذلك). أي: على مائة جلدة: يزاد عليها تغريب سنة. التغريب: أي الإبعاد عن البلد الذي فيه الزاني إلى بلد آخر. ولعل من الحكمة في ذلك تغيير البيئة التي تدعوه إلى الفاحشة، والابتعاد عن التعيير وغير ذلك. والتغريب ثابت بأحاديث صحيحة؛ منها ما رواه مسلم وأهل السنن عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا: البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم**».

أي: حكمه بأن تتركوا شيئًا من حدّهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث. في هذا تحريض على ما قبل الشرط[1]، وهو جوابه أو دال على جوابه[2] ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ أي: الجلدَ ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ قيل[3]: ثلاثة، وقيل: أربعة، عدد شهود الزنا.

= تنبيهان:

١- لا يجمع بين الرجم والجلد، فالمحصن يرجم بلا جلد، وما ذكر في هذا الحديث منسوخ؛ لأنه ﷺ لم يجلد ماعزًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا غيره، كما فصله العلماء. ولأن العملين من جنس واحدٍ إذا اجتمعا دخل الأصغر منهما في الأكبر، كما فصله الفقهاء.

٢- لا يقول الحنفية بالتغريب بناء على أصولهم من أن الزيادة على النص نسخ؛ فقد ثبت الجلد بالنص، أي الآية، وزادت السُّنة عليها التغريب، والسنة لا تنسخ القرآن، فلا يعمل بها. هذا على مذهبهم، والتفصيل في أصول الفقه.

(١) قوله: (على ما قبل الشرط). وهو عدم أخذ الرأفة في تنفيذ الحدّ.

(٢) وقوله: (وهو جوابه). أي: ما قبل الشرط -وهو ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم...﴾- جواب الشرط، هذا على مذهب الكوفيين المجيزين تقدم الجواب على الشرط.

وقوله: (أو دال...) أي: ما قبل الشرط دل على جوابه، المحذوف هذا على مذهب البصريين المانعين تقدم الجواب على الشرط، فإذا كان المتقدم الجواب في المعنى يقولون إنه دال على الجواب، والجواب محذوف. كما فصله النحاة. ويدل لمذهبهم عدم وجود الفاء في المتقدم إذا كان مما يجب دخول الفاء فيه.

(٣) قوله: (قيل:...). اختلف في المراد بالـ﴿طَائِفَةٌ﴾ هنا. فذكر المفسر قولين: الأول: ثلاثة. روي عن الزهري. الثاني: أربعة. قاله الشافعي، وعزاه الصاوي إلى مالك. وعن مجاهد: «واحد»، وعن عطاء: «رجلان»، والطائفة في اللغة تطلق على واحدٍ، والاختلاف في المراد بها هٰهنا، ثم الأمر في هذه الآية للندب، كما ذكره الصاوي.

فائدة: قال القرطبي: «قدمت في الآية: الزانية: لأن الزنى في النساء كان فاشيًا وكان للبغايا رايات وكن مجاهرات بذلك، وأيضًا العار بالزنى ألحق بالنساء، إذ موضوعهن =

﴿٣﴾- ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾ يتزوج[1] ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني[2] ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ الأخيار. نزل ذلك لما همّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين، وهن موسرات لينفقن عليهم. فقيل: التحريم خاص بهم[3]، وقيل:

= الحجب والصيانة. وقيل: الشهوة فيهن أكثر. وقيل غير ذلك. وعلى كل حال قدم ذكرهن تغليظًا واهتمامًا.اهـ. ملخصًا. وقدم في حد السرقة ذكر السارق، وذلك لأن السرقة من الرجال أكثر. أفاده الصاوي.

(١) قوله: (يتزوج). أفاد به أن النكاح هنا بمعنى: الزواج، لا بمعنى: الوطء. ويكون مراد الآية التنفير من نكاح الزانية والنهي عن ذلك. لأنها نزلت لما همّ فقراء المهاجرين بزواج الزواني الموسرات لكي ينفقن عليهم. وما ذكره من سبب النزول ذكره القرطبي في جملة ستة أقوال في معنى هذه الآية الكريمة، وعزاه إلى ابن أبي صالح. وروى ابن جرير قريبًا منه عن عبدالله بن عمرو وابن المسيب وغيرهما. وروى عن ابن عباس، وابن جبير وغيرهما: «أن النكاح هنا بمعنى: الوطء»، والآية تنفير عن الزنى؛ لأنه يشترك فيه اثنان بخلاف سائر الذنوب، وهذا أحد الأوجه التي ذكرها القرطبي، وإليه مال ابن كثير حيث قال: «هذا إخبار من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة»، أي: لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك»، وكذلك ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ﴾ أي: عاص بزناه ﴿أَوْ مُشْرِكٌ﴾ لا يعتقد تحريمه».اهـ. وهذا الذي اختاره ابن جرير.

(٢) قوله: (أي: نكاح الزواني) أفاد به أن الإشارة إلى نكاح الزواني، لا إلى الزنى نفسه. وهذا أحد وجهين، وهو الذي يناسب سبب النزول الذي ذكره المفسر، والوجه الثاني: الإشارة إلى الزنى، فسر به ابن جرير. وهو يناسب تفسير النكاح بالوطء.

(٣) قوله: (خاص بهم). أي: فعلى هذا يجوز نكاح الزانية، أما المشركة فلا يجوز نكاحها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة:٢٢١].

عام[١]، ونسخ بقوله تعالى: «وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ».

٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ العفيفات[٢]، بالزنى[٣] ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زناهن برؤيتهم[٤] ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ أي: كلّ واحد منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ

---

(١) وقوله: (وقيل: عام). أي: تحريم نكاح الزانية عام في كل مؤمن، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾، روي عن سعيد بن المسيب وغيره، أي: فيجوز نكاح الزانية المؤمنة، قال القرطبي: «هذا القول عليه أكثر العلماء، وهو قول ابن عمر، وسالم، وعطاء، وطاوس، والأئمة الثلاثة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي».اهـ. ملخصًا. أما عند الحنابلة فيحرم نكاح الزانية حتى تتوب.

(٢) قوله: (العفيفات) تفسير لـ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ هنا. ومعاني المحصن تقدمت في تفسير سورة النساء الآية (٢٩). كما أشرنا إليه آنفًا. فالمحصنة هنا: الحرة البالغة العفيفة. فإن كان المقذوف رجلًا فالحكم كذلك بالإجماع؛ فمن قذف غير محصن، وهو: من ثبت زناه، أو غير بالغ، أو مملوكًا عزّر، ولا حدّ عليه على خلاف في بعض ذلك، والتعزير: عقوبة يراها الحاكم، أخف من الحدّ، وبينهما عشرة فروق ذكرناها في التعليق على النظم الجليّ، والتفصيل في كتب الفقه.

(٣) وقوله: (بالزنى). متعلق بـ﴿يَرۡمُونَ﴾، ومعنى الرمي بالزنا: نسبة الشخص إليه وسبه به.

(٤) قوله: (على زناهن). دلت الآية بمفهومها أنه لو أحضر أربعة شهود بوجهها سقط عنه الحد، كما بينه الفقهاء.

وأفادت الآية ثلاثة أمور تترتب على القذف، وكل هذه مذكورة في جملة مستقلة متعاطفة:

الأول: الجلد ثمانين جلدة.

الثاني: عدم قبول شهادتهم.

الثالث: فسقهم.

ثم ذكر استثناءً وهو ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ...﴾ والاستثناء الوارد بعد جملٍ متعاطفة راجع إلى جميعها ما لم تكن قرينة دالة على رجوعه إلى كلها أو بعضها. هذه مسألة أصولية. وهو=

شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ لإتيانهم كبيرة.

٥- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٞ ۝٥﴾ بهم بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم، وتقبل شهادتهم. وقيل: لا تقبل، رجوعًا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة.

٦- ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ بالزنى[1] ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ﴾ عليه ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾

= قول الجمهور. وعند الحنفية: راجع إلى الجملة الأخيرة فقط. فالجملة الأولى وهي ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ لا يرجع إليها الاستثناء؛ لأن حد القذف فيه حق الآدمي فلا يسقط بالتوبة، وبقيت الجملتان الأخيرتان، فعند الجمهور يرجع الاستثناء إليهما، فإذاتاب القاذف قبلت شهادته وزال فسقه. هذا عند الجمهور. والحنفية قالوا: زال فسقه فقط. أما شهادته فلا تقبل أبدًا بناء على أصولهم أن الاستثناء راجع إلى الجملة الأخيرة فقط. وهذا مراد المفسِّر بقوله: (رجوعًا بالاستثناء...) يعني بناء على رجوع الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط. فقوله: (فبها ينتهي...) أي: فبالتوبة ينتهي فسقهم، وتقبل شهادتهم أي: عند الجمهور. وقبول شهادة القاذف إذا تاب: مروي عن عدد من السلف منهم ابن جبير، ومسروق، والشعبي، والضحاك، وابن المسيب، وغيرهم. كما أن عدم القبول أيضًا مرويّ عن عددٍ منهم شريح والحسن.

فائدة: إذا كان القاذف عبدًا أو أمة فعليه أربعون جلدة نصف حد الحر قياسًا على حد الزنى.

(١) قوله: (بالزنى). متعلق بـ﴿يَرۡمُونَ﴾ كما تقدم في الآية السابقة. هذه الآيات في أحكام اللعان، واللعان كما ذكره الفقهاء: أن يشهد الزوج على زوجته بأنها زنت، فيشهد أربع مرات، ثم يدعو على نفسه بلعنة الله إن كان كاذبًا فيما قال، وذلك في المرة الخامسة بشروطه المذكورة في كتب الفقه. ويختلف حكم اللعان؛ فقد يكون مباحًا، وقد يكون واجبًا، وقد يكون ممنوعًا. وفائدة اللعان: دفع حد القذف عن الزوج الملاعن، وانتفاء نسب الولد عنه إذا كان نفاه في لعانه.

وقع ذلك لجماعة من الصحابة[١] ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ نصب على المصدر[٢] ﴿بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ فيما رمى به زوجته من الزنى.

﴿٧﴾- ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ[٣] أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ في ذلك. وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف.

﴿٨﴾- ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾ يدفع ﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ أي: حد الزنى الذي ثبت بشهاداته[٤] ﴿أَن تَشْهَدَ[٥] أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ فيما رماها به من الزنى.

﴿٩﴾- ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ في ذلك.

---

(١) قوله: (وقع ذلك). أي: اللعان، منها: ما رواه مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من قصة عويمر العجلاني وفيها أن هذه الآية نزلت فيه، ومنها الحديث الذي رواه أحمد وغيره عن ابن عباس من قصة هلال بن أمية، قال الصنعاني في «سبل السلام»: «إن الأكثر على أن قصة هلال هي سبب نزول الآية، وأنها قبل قصة عويمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

(٢) قوله: (نصب على المصدر). يعني: ﴿أَرْبَعَ﴾ بالنصب، على أنه مفعول مطلق لـ﴿فَشَهَٰدَةُ﴾ ناب اسم العدد عن المصدر، وخبر المبتدأ محذوف، كما قدره المفسر. وهذه قراءة الجمهور. وقرأ الكسائي، وحفص، وحمزة، وخلف: برفع ﴿أَرْبَعُ﴾ فيكون هو الخبر. ولم يذكرها المفسر.

(٣) ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ أي: الشهادة الخامسة.

(٤) قوله: (أي: حد الزنى). أفاد أنه يثبت عليها حدّ الزنى بلعانه. اللهم لها أن تدفعه عن نفسها بلعانها أي: أن تشهد أربع مرات إنه لمن الكاذبين، وأن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، فإذا شهدت كذلك اندفع عنها حد الزنى. ويثبت بينهما الفراق المؤبد فلا تحل له بعد ذلك أبدًا، والتفصيل مذكور في كتب الفقه.

(٥) ﴿أَن تَشْهَدَ﴾ المصدر المؤول فاعل: ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾. و﴿ٱلْعَذَابَ﴾ مفعول به.

(١٠)- ﴿وَلَوْلَا[1] فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وفي غيره ﴿حَكِيمٌ (١٠)﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره[2]؛ لبيّنَ[3] الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

(١١)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب[4] على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت، وعبدالله بن أبيّ، ومسطح وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن أتى معها[5] منه[6]

---

(١) ﴿وَلَوْلَا﴾: امتناعية، وما بعدها مبتدأ، حذف خبره وجوبًا، أي: كائن.

(٢) قوله: (فيما حكم به...) يفيد أن كل حكم الله تعالى فيه حكمة.

(٣) وقوله: (لبيّن) قدره ليكون جواب ﴿لَوْلَا﴾ حذف للعلم به. واللام في (لبيّن) زائدة داخلة في جواب ﴿لَوْلَا﴾. و(بيّن) فعل ماض، أي: لولا فضله وتوبته وأنه حكيم لبين وأوضح الحق حيث إن أحد المتلاعنين كاذب، ثم عاجله بالعقوبة، ولكن لحكمته وفضله وتوبته لم يفعل ذلك.

(٤) قوله: (أسوأ الكذب). هذه الآيات العشر نزلت في براءة عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عما رموها به من الإفك، وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين حتى دخل ذلك في بعض أذهان المسلمين فتكلموا به، وجوّز آخرون. وبقي هكذا قريبًا من شهر حتى أنزل الله هذه الآيات.اهـ. ملخصًا من ابن كثير. وهذه القصة رواها الشيخان بسياق مفصل، أوردها المفسرون هٰهنا، وفيما نقله المفسر ملخصها.

(٥) قوله: (ومن أتى معها...). أي: مع عائشة، وهو صفوان بن المعطل السلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كما قال المفسر.

(٦) وقوله: (منه) متعلق بـ(براءة). والضمير راجع إلى الإفك.

وهو صفوان، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة[١] بعدما أنزل الحجاب ففرغ منها[٢] ورجع ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني[٣]، وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع -هو بكسر المهملة[٤]: القلادة- فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي -هو ما يركب فيه- على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خِفافًا، إنما يأكلن العُلقة -هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام: أي القليل- ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت[٥] أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرّس من وراء الجيش فادّلج -وهما[٦] بتشديد الراء والدال، أي: نزل من آخر الليل للاستراحة- فسار منه فأصبح في منزله، فرأى

---

(١) قولها: «في غزوة». وهي غزوة المريسيع، وتسمى غزوة بني المصطلق، وقعت في السنة الخامسة الهجرية.

(٢) قولها: «ففرغ منها». أي: فرغ رسول الله ﷺ من تلك الغزوة.

(٣) «فمشيت وقضيت». أي: فمشيت إلى مكانٍ بعيد قليلًا لقضاء بعض الحاجة، كالتبول.

(٤) قوله: (وهو بكسر...) شرح لكلمة «العقد»، من كلام المفسر، وكذا قوله: (هو ما يركب فيه) شرح لكلمة «الهودج»، وقوله: (بضم المهملة وسكون اللام). ضبط كلمة «العُلقة» وقوله: (أي: القليل) شرح لكمة «العلقة» كذلك من كلام المفسر.

(٥) «وظننت...». فيه دراسة جليلة: إذا ما ضاع شخص من جماعةٍ مسافرين، فعليه أن يثبت في المكان الذي كان فيه؛ لأنهم يلتمسونه هناك.

(٦) قوله: (وهما...) يعني كلمتي «عرّس» و«ادّلج» هذا شرح الكلمتين من كلام المفسر. وكذا قوله: (أي: شخصه) شرح لـ«سواد إنسان»، وكذا قوله: (أي: إنا لله...) شرح لكلمة الاسترجاع. وقوله: (أي: غطيته) شرح لـ«خمّرت وجهي...»، وقوله: (أي: من أوغر) شرح لكلمة «موغرين». الوغرة: شدة الحرارة. أوغر: دخل فيها.

سواد إنسانٍ نائم -أي شخصه- فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني -أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون- فخمرت وجهي بجلبابي -أي: غطيته بالملاءة- والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها، وانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة -أي من أوغر، واقفين في مكان[١] وغر من شدة الحر- فهلك من هلك فِيَّ. وكان الذي تولى كبره منهم: عبدالله بن أبي ابن سلول. اهـ. قولها. رواه الشيخان[٢]. قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم﴾ أي: عليه[٣] ﴿مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ﴾ في ذلك ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: تحمَّلَ معظمه[٤]، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه، وهو عبدالله بن أبيّ[٥] ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١١﴾ هو النار في الآخرة.

۝١٢- ﴿لَّوۡلَآ﴾ هلَّا[٦] ﴿إِذۡ﴾ حين ﴿سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ﴾

---

(١) قوله: (واقعين). في بعض النسخ، واقفين. وقوله: (في شدة الحر) تفسير لـ«مكانٍ وغر» وفي بعض النسخ: «من شدة الحر».

(٢) وقوله: (الشيخان). أي: البخاري ومسلم. [«فتح الباري» (٨/ ٣٠٨)، مسلم (٤/ ٢١٢٩)].

(٣) قوله: (أي: عليه). أفاد أن اللام بمعنى: على؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(٤) قوله: (أي: تحمّل...) كذا فسره ابن جرير. وروى عن الضحاك،قال: «الذي بدأ بذلك».

(٥) وقوله: (وهو عبدالله...). روى ذلك عن عائشة، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم.

(٦) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَّوۡلَآ﴾ هنا تحضيضية تتضمن استنكارًا أو زجرًا. وهي داخلة على ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ...﴾ في المعنى؛ لأن التحضيضية تختص بالفعل، وقدم عليه الظرف ﴿إِذۡ﴾=

أي: ظن بعضهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ كذِبٌ بيّن. فيه التفات عن الخطاب[١]، أي: ظننتم أيها العصبة وقلتم:

﴿١٣﴾- ﴿لَّوْلَا﴾ هلا[٢] ﴿جَآءُو﴾ أي: العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ فيه.

﴿١٤﴾- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة، أي: خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ في الآخرة[٣].

﴿١٥﴾- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض. وحذف من الفعل

= لنكتة بلاغية. ولعلها الإشارة إلى أنه كان الواجب أن يقولوا هذا إفك حين يسمعون ذلك الإفك، بدون مهلة وتراخ؛ لوضوح إفكيّته بداهة.

(١) قوله: (فيه التفات...). أي في قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التفات إلى الغيبة من الخطاب الذي في ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾.

(٢) قوله: (هلّا). أي: هذه أيضًا تحضيضية داخلة على الجملة الفعلية، بخلاف ﴿لَّوْلَا﴾ التالي في قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...﴾، فهي امتناعية شرطية، تختص بالجملة الاسمية وتقدير الخبر: موجودة أو كائنة.

وأفادت الآية أنه من لم يأت بأربعة شهداء على القذف اعتبر قاذفًا، يستحق حد القذف، قال القرطبي ما حاصله: «اختلف هل حُدَّ أصحاب الإفك حدَّ القذف؟ المشهور أنه حدّ ثلاثة: حسان ومسطح وحمنة، وذلك ليكون لهم كفارة، ولم يحد ابن أبيّ؛ لأن له العذاب العظيم في الآخرة؛ فلا يناسب تكفيره بالحدّ، وقيل: حدوا كلهم، وقيل: لم يحدّ أحد منهم».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (في الآخرة). قال القرطبي: «في الدنيا والآخرة». وابن جرير: «عاجلًا في الدنيا»، وما قاله القرطبي أبلغ وأنسب للزجر والعتاب الذي أفادته الآية.

إحدى التاءين[١]، و«إِذۡ» منصوب بـ«لَمَسَّكُمۡ» أو بـ«أَفَضۡتُمۡ»، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥﴾ في الإثم.

١٦- ﴿وَلَوۡلَآ﴾ هلّا[٢] ﴿إِذۡ﴾ حين ﴿سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ﴾ هو للتعجب هنا[٣] ﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٞ ١٦﴾.

١٧- ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ تتعظون بذلك.

١٨- ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ ١٨﴾ فيه.

١٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ باللسان[٤] ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بنسبتها إليهم، وهم العُصبة[٥] ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بحدّ القذف ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾

---

(١) قوله: (وحذف من الفعل). أي ﴿تَلَقَّوۡنَهُۥ﴾ أصله: تتلقونه. وحذف إحدى التائين مِن مثله جائز لغةً.

(٢) قوله: (هلّا). كما سبق في الآية (١٢).

(٣) قوله: (هو للتعجب). قاله البيضاوي وغيره. قال البيضاوي: «أصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيهًا له عن أن يصعب عليه مثله، ثم كثر فاستعمل لكل متعجب، أو تنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة...».اهـ. باختصار.

تنبيه: جملة ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ...﴾ إلى ﴿عَظِيمٞ ١٦﴾ في محل نصب، مقول القول لـ﴿قُلۡتُم﴾.

(٤) قوله: (باللسان). كما روي عن مجاهد في تفسير ﴿تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾، قال: «تظهر يتحدث عن شأن عائشة».اهـ.

(٥) قوله: (وهم العصبة). أي: المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ...﴾ العصبة، أي تلك الجماعة؛ لأن الآية نزلت فيهم، كما يعلم من تفسير مجاهد وغيره.

بالنار لحق الله[١] ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ انتفاءها عنهم[٢] ﴿وَأَنتُمۡ﴾ أيها العصبة ﴿لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ وجودها فيهم.

٢٠- ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٢٠﴾ بكم لَعاجلكم بالعقوبة[٣].

٢١- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: طُرق تزيينه[٤] ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: المتبع[٥] ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ شرعًا، باتّباعهما[٦] ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيها

---

(١) قوله: (بالنار لحق الله). قال ابن جرير: «إن مات مصرًّا على ذلك غير تائب»، وقال القرطبي: «أي: للمنافقين؛ فهو مخصوص».اهـ. أي: لأن الحدّ كفارة للمؤمن.

(٢) قوله: (انتفاءها) أي: انتفاء الفاحشة عنهم، أي: عن الذين آمنوا. والمراد بهم هنا: عائشة، وصفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما قاله القرطبي.

(٣) قوله: (لعاجلكم...). جواب ﴿لَوۡلَا﴾ المحذوف. و﴿لَوۡلَا﴾ هنا امتناعية حذف خبر المبتدأ بعدها وجوبًا، كما ذكرنا قريبًا.

(٤) قوله: (أي: طريق تزيينه). بيان للمراد بالـ﴿خُطُوَٰتِ﴾. قال ابن عباس: «عمله»، وقال عكرمة: «نزغاته»، وقال قتادة: «كل معصية فهي من خطوات الشيطان».اهـ. وكلها متقاربة. والخطوات جمع خُطْوة بضم الخاء، وهي المسافة ما بين القدمين. والخَطوة بالفتح: المصدر. كما في القرطبي.

(٥) قوله: (أي: المتبع). ضبطه الصاوي بصيغة اسم المفعول: «المتَّبَعَ»، وهو الشيطان، ويمكن كونه بصيغة اسم الفاعل، والمعنى: فإن الذي يتبع خطوات الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر. والله أعلم. قال البيضاوي: «الفحشاء: ما أفرط قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع».اهـ. وعلى هذا تكون الفحشاء أخص من المنكر.

(٦) قوله: (باتباعهما). بدل من ﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: يأمر باتباع الفحشاء والمنكر.

العصبة(١)، بما قلتم من الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ بما قصدتم.

﴿٢٢﴾- ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾(٢) يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ أي: أصحاب الغنى(٣) ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا(٤) ﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر(٥): حلف أن لا ينفق على مسطح(٦)، وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدريّ، لما خاض في الإفك، بعد أن كان ينفق عليه. وناسٍ(٧) من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ عنهم في ذلك

---

(١) قوله: (أيها العصبة). أفاد أن الخطاب مع العصبة، وفسر ابن جرير بما يفيد أنه عام، حيث قال: «يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه...»، وكذا ظاهر كلام ابن كثير، روى ابن جرير عن ابن زيد ﴿مَا زَكَىٰ﴾: «ما أسلم». قال: «كل شيء في القرآن من «زكى» أو «تزكى» فهو الإسلام».اهـ.

(٢) ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، و﴿يَأْتَلِ﴾: فعل مضارع مجزوم، علامة جزمه حذف الياء. مضارع: ايتلى: من الأليّة: هي الحلف.

(٣) قوله: (أصحاب الغنى). فالفضل هنا بمعنى: الغنى، كما يفيد كلام ابن جرير وغيره، وقال البيضاوي: «أي: الفضل في الدين، وهذا يدل على شرف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».اهـ.

(٤) قوله: (لا). قدره مراعاة للمعنى؛ لأن المعنى: لا يحلفوا على عدم الإيتاء. فعلى هذا يقدر «على» قبل ﴿أَن﴾. كما يفيد كلام البيضاوي وغيره.

(٥) قوله: (نزلت في أبي بكر). رواه ابن جرير عن عائشة، وكذا رواه عن ابن عباس، والضحاك، وغيرهما أنها نزلت في الصديق وناس من الصحابة.

(٦) قوله: (مسطح). وهو مسطح بن أُثالة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف. قاله القرطبي.

(٧) قوله: (وناسٍ). بالجرّ معطوف على: (أبي بكر).

﴿أَلَا تُحِبُّونَ[(١)] أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ للمؤمنين. قال أبو بكر[(٢)]: «بلى أنا أحب أن يغفر الله لي»، ورجع[(٣)] إلى مسطح ما كان ينفقه عليه.

﴿٢٣﴾- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بالزنى ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها[(٤)] ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٤﴾- ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار[(٥)] الذي تعلق به «وَلَهُمْ»، ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحتانية[(٦)] ﴿عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ من قول وفعل، وهو: يوم القيامة.

﴿٢٥﴾- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءهُ الواجب عليهم[(٧)]

---

(١) ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾. ﴿أَلَا﴾: هنا للعرض، وهو الحث بلطفٍ. ولا تعمل شيئاً كأدوات التحضيض.

(٢) قوله: (قال أبو بكر...). هذا الأثر رواه ابن جرير عن مجاهد. وذكره ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما من المفسرين.

(٣) قوله: (ورجع). أي: أعاد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنفاقه على مسطح. وفي هذه الآية تعليم جليل للأمة، بأن إقامة الائتلاف ودفع الاضطراب والفوضى من الأمور المهمة، مهما كان من أمر.

(٤) قوله: (بأن لا يقع). تصوير لمعنى الغافلات.

(٥) قوله: (الاستقرار...) أي: في ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾، «لهم» متعلق بـ(مستقر)؛ لأنه خبر مقدم. وبه يتعلق هذا الظرف أي: ﴿يَوْمَ﴾.

(٦) قوله: (بالفوقانية...). أي: بالتاء والياء. قراءتان: قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء: ﴿يَشْهَدُ﴾. والباقون: بالتاء: ﴿تَشْهَدُ﴾.

(٧) قوله: (جزاءهم). تفسير لـ﴿دِينَهُمُ﴾. فالدين بمعنى: الجزاء، كما فسر ابن جرير، وروى عن ابن عباس، قال: «حسابهم». =

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ حيث حقق لهم جزاءه[١]، الذي كانوا يشكون فيه. ومنهم عبدالله بن أبيّ، والمحصنات[٢] هنا أزواج النبي ﷺ. لم يذكر في قذفهن توبة[٣]، ومن ذكر[٤] في قذفهن أول السورة التوبةُ[٥]: غيرُهن.

﴿٢٦﴾- ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء[٦] ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس[٧] ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ مما ذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾

= وقوله: (الواجب). تفسير لـ﴿ٱلْحَقَّ﴾، أي: الثابت عليهم.

(١) وقوله: (حقق لهم جزاءه). أي: في الآخرة، وكان المنافقون يشكون فيه، كما يعلم من ابن جرير.

(٢) قوله: (والمحصنات). يعني أن المراد بالمحصنات المذكورة في الآية السابقة: أمهات المؤمنين، روي عن ابن عباس، والضحاك وغيرهما.

(٣) قوله: (لم يذكر...). يعني أنه لا توبة في قذفهن، روي عن ابن عباس. وفي رواية عنه: «رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة...»، واختار ابن جرير أن الآية عامة في كل قاذف. ومخصوصة بعدم التوبة.

(٤) قوله: (ومن ذكر...). مبتدأ، وخبره: (غيرهن).

(٥) وقوله: (التوبة) نائب فاعل (ذُكِر). يعني من ذكر في أول السورة من قذف المحصنات والحدّ فيه؛ فالمراد بالمحصنات هناك غير أزواج النبي ﷺ.

(٦) قوله: (من الناس...). فيه جمع بين تفسيرين في المراد بـ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾: فعن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك وغيرهم: «المراد بها: الخبيثات من القول»، وعن ابن زيد: «الخبيثات من النساء»، وكذا في المراد بـ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ فيه القولان. ورجح ابن جرير القول الأول.

(٧) وقوله: (من الناس). يشمل الذكور والإناث، وهذا ختيار ابن جرير، ولكن فيما روي عن ابن عباس: «المراد بالخبيثين: الرجال»، وكذلك المراد بالطيبين: الرجال، كما هو المراد بهم فيما روي عن ابن زيد أيضًا.

من الناس ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر، أي: اللائق بالخبيث مثله[١]، وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء والرجال، ومنهم: عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات من النساء ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء[٢]، منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقًا كريمًا.

﴿٢٧﴾- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي: تستأذنوا[٣] ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم أأدخل؟ كما ورد في حديث[٤] ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ

---

(١) قوله: (أي: اللائق...) كما قال ابن زيد: «نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية؛ فبرأها الله من ذلك، وكان عبدالله بن أبيّ هو خبيث، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها. وكان رسول الله ﷺ طيبًا وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى لها أن يكون لها الطيب.اهـ. ابن جرير. اهـ.

(٢) قوله: (وقد افتخرت عائشة...) قال القرطبي: «روي عن علي بن زيد بن جُدعان عن جدته عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لقد أعطيت تسعًا ما أعطيتهن امرأة، لقد نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري، ولقد توفي ﷺ وإن رأسه لفي حجري، ولقد قُبر في بيتي، ولقد حَفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه فما يُبِينُني عن جسده، وإني لابنة خليفته وصديقه، وقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وُعدت مغفرة ورزقًا كريمًا، تعني قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سبأ: ٤]، وهو الجنة.اهـ.

(٣) قوله: (تستأذنوا) روي عن ابن عباس، وكان يقرأ به كما في ابن جرير.

(٤) قوله: (كما ورد في حديث). إشارة إلى ما روى أحمد وغيره عن كلدة بن الحنبل أن =

تَذَّكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال[١]، خيريته، فتعملون به.

﴿٢٨﴾-[٢] ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ﴾ أي: الرجوع[٣] ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب[٤] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فيجازيكم عليه.

﴿٢٩﴾-[٥] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ﴾ أي:

= صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبي ﷺ بأعلى الوادي، قال: فدخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «**ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟**»، وذلك بعدما أسلم صفوان». ابن كثير. [أحمد (٣/ ٤١٤)].

والأمر في هذه الآية للتأديب، وينبغي أن يستأذن ثلاثًا، فإن آذن له وإلا انصرف، لما في «الصحيح» أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاثًا فلم يؤذن له فانصرف، فدعاه عمر، فقال: ما رجعك؟ فقال أبو موسى حديث رسول الله: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فلينصرف**»، فطلب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاهدًا على الحديث، فشهد له أبو سعيد الخدري.اهـ. ملخصًا من ابن كثير. [«فتح الباري» (١٣/ ٣٣٢)].

(١) قوله: (بإدغام...). هنا قراءتان، كما تقدم في أول آية من هذه السورة.

(٢) هذه الآية مرتبطة بما قبلها. كما يدل على ذلك الفاء، قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدًا يأذن لكم بالدخول فيها؛ فلا تدخلوها؛ لأنها ليست لكم، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أهلها...». اهـ، أفاد أن النهي في ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ للتحريم.

(٣) قوله: (أي: الرجوع). أفاد أن الضمير راجع إلى المصدر المعلوم من الفعل.

(٤) قوله: (من القعود...). أفاد أن اسم التفضيل ﴿أَزْكَىٰ﴾ للتفضيل والمفضل عليه محذوف.

(٥) نقل ابن كثير وغيره عن ابن عباس: «هذه الآية ناسخة -أي: مخصصة- لعموم الآية =

منفعة(١) ﴿لَّكُمْۚ﴾ باستكنان وغيره(٢)، كبيوت الربُط والخانات والمسبلة(٣) ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره. وسيأتي(٤) أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم.

٣٠- ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ عما لا يحل لهم نظره(٥)، و«مِنۡ»

= الأولى؛ لأن الأولى تمنع دخول أي بيتٍ غير بيوتكم بلا استئذان، ثم أجاز دخول البيوت غير المسكونة بدون استئذان، وفسر القرطبي بقريب منه؛ لأن وجوب الاستئذان كان لأجل الخوف من الكشف على الحرمات، فإذا زالت العلة زال الحكم.

(١) قوله: (أي: منفعة). تفسير للـ﴿مَتَٰعٞ﴾. وبها فسر الضحاك.

(٢) وقوله: (باستكنان). أي: استظلال.

(٣) وقوله: (كبيوت الربط) الربُط: بضم الراء والباء: جمع رِباط، أصله: المكان الذي يربط فيه الخيل، والمراد: المكان الذي ينزل فيه المسافرون وغيرهم. والخانات: جمع الخان: محل نزول المسافرين، والمسبَّلة: بصيغة اسم المفعول، أي: الأماكن الموقوفة للجهات العامة. ومعاني الكلمات الثلاثة متقاربة، وبمثل ما ذكره المفسّر ورد تفسير البيوت غير المسكونة، عن قتادة، ومجاهد، ومحمد بن الحنفية، كما في ابن جرير. وعن محمد بن الحنفية رواية أنها بيوت مكة، على أنها لا تملك، وهو مذهب الحنابلة.

(٤) قوله: (وسيأتي...). يعني في الآية (٦١) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾.

(٥) قوله: (عما لا يحلّ...) متعلق بـ﴿يَغُضُّواْ﴾، وهو شامل للعورات وغيرها، روي عن ابن عباس، قال القرطبي: «وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله» .اهـ. فإذا وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف وجهه، كما رواه مسلم عن جرير، قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف وجهي. [٣/ ١٦٩٩]. وروي ابن جرير عن أبي العالية: «أن المراد في هذه الآية حفظ الفروج =

زائدة[١] ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾ بالأبصار والفروج، فيجازيهم عليه.

٣١- ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾ عما لا يحلّ لهن نظره ﴿وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبۡدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ وهو الوجه والكفان[٢] فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة -في أحد وجهين-

---

= عن وقوع النظر وذلك بسترها»، وقال: «كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنى إلا هذه ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ...﴾ فإنه يعني الستر».

(١) قوله: (﴿مِنۡ﴾ زائدة). ذكره القرطبي. وكما روي عن ابن عباس، قال: «يغضوا أبصارهم عما يكره الله»، وعن ابن زيد: «﴿مِنۡ﴾ تبعيضية؛ لأن نظرة الفجاءة بدون قصد لا إثم فيه؛ لأنه بغير اختيار». كما ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (وهو الوجه والكفان) تفسير لـ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾. وهذا أحد تفسيرين، مرويّ نحوه عن ابن عباس، وابن جبير، وعطاء، والضحاك، وغيرهم بألفاظٍ متقاربة. وعلى هذا تقتضي الآية جواز إبداء المرأة وجهها وكفيها، ولكن لذلك قيد ذكره المفسر وهو الأمن من الفتنة؛ لأن كل مباح إذا أدى إلى مفسدة أصبح ممنوعًا. وهذا أحد الوجهين عند الشافعية.

والتفسير الثاني لـ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾: أنها الثياب، وهذا مروي عن ابن مسعود، والحسن، وابن سيرين، وغيرهم كما ذكره ابن كثير. وعلى هذا تقتضي الآية وجوب ستر المرأة جميع جسدها عن الأجانب.

وهذا هو الوجه الراجح عند الشافعية، كما ذكر المفسر بقوله: (ورُجح) أي: رجح هذا الوجه الثاني؛ حسمًا للباب، أي: سدًّا لباب الفتنة.

واستدل الشافعية بهذه الآية على أن المرأة لا يجوز لها النظر إلى الأجانب كما أن الرجل لا يجوز له النظر إلى الأجنبية؛ لأن الله تعالى سوّى بين الرجل والمرأة في ذلك حيث قال: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ...﴾، ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ...﴾. =

والثاني يحرم؛ لأنه مظنة الفتنة، ورُجِّح حسمًا للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية[١]، وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل، أي: زوج ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بـ«نِسَآئِهِنَّ»[٢]: الكافرات، فلا يجوز للمسلمات التكشف لهن، وشمل «مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ»[٣]:

= الخُمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب: جمع جيب، وهو موضع القطع من القميص والدرع، الذي يدخل منه الرأس. قال القرطبي: «نزلت؛ لأن النساء كنّ يسدلن الخمار على الظهر، فلا يستتر العنق والجيب، فأمر الله أن يسترن العنق والجيب، والصدر بالخُمر»، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: (أي: يسترن...).

(١) قوله: (الخفية). وبنحوه فسره ابن جرير، ولكن ليس المراد بها عدا الوجه الكفين سائر جسدها؛ فلا يجوز كشفها إلا للأزواج، قال ابن عباس: «الزينة التي يبدينها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسوارها، أما خلخالها ومعضداها ونحرها وشعرها فإنه لا تبديه إلا لزوجها».اهـ. ابن جرير، وفي المسألة تفصيل ذكرها الفقهاء، وأشار المفسر إليه بقوله: (فيجوز لهم نظره...إلخ). وكل ذلك مشروط بأمن الفتنة.

(٢) قوله: (خرج بـ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾). نقل ابن كثير نحوه عن ابن عباس، ومجاهد. قال ابن كثير: «لئلا يصفن لأزواجهن، أما نساء المؤمنين فيعرفن أن ذلك حرام، فينزجرن عن ذلك دون الكافرات».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (وشمل...). يعني أن ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يشمل العبيد والإماء الذين في ملك المرأة، فيجوز لها كشف نحو وجهها أمام عبدها. وعزا هذا القول ابن كثير إلى الجمهور لما روى أبو داود أن النبي ﷺ أتى بعبدٍ إلى فاطمة وهبه لها، وعليها ثوب إذا قنعت به=

العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فضول الطعام[١] ﴿غَيْرِ﴾ بالجر[٢] صفة وبالنصب استثناء ﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كلّ[٣] ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ بمعنى الأطفال[٤] ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ يطّلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ للجماع، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع[٥]

= رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها؛ فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى، قال: «**إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك**». [٤١٠٦]. أورده ابن كثير.

(١) قوله: (في فضول الطعام). أي: الذي يريد الطعام ولا يريد النساء. قاله مجاهد، وروي نحوه عن ابن عباس ونحوه. وفي رواية عن مجاهد: «هو الذي لا يعرف شيئًا من النساء».

(٢) قوله: (بالجرّ...). قرأ ابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: بنصب: ﴿غَيْرَ﴾. والباقون: بجره. ووجههما كما قال المفسر.

(٣) قوله: (بأن لم ينتشر...). تصوير لمن لا حاجة له إلى النساء، أي: لا تنتصب آلته، كما قال عكرمة: «هو المخنث الذي لا يقوم زُبّه».اهـ. يعني: ذكره.

(٤) قوله: (بمعنى: الأطفال). أفاد أن ﴿ٱلطِّفْلِ﴾ اسم جنس بمعنى الجمع، كما قال القرطبي. أو أن «أل» فيه جنسية، وعلى كل حال المراد الجمع لوصفه بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

(٥) قوله: (خلخال). وهو حليّ تلبس في الرجل كالسوار في اليد.

وقوله: (يتقعقع). أي: يصوّت. روى ابن جرير بطريق المعتمر عن أبيه، قال: «زعم حضرميّ أن امرأة اتخذت بُرتين من فضة واتخذت جزعًا، فمرت على قوم فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع فصوت، فأنزل الله ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ ...﴾ الآية». ونقل القرطبي عن الزجاج، قال: «سماع هذه الزينة أشد تحريكًا للشهوة من إبدائها».اهـ. وقال القرطبي: «من فعل ذلك منهن تبرجًا وتعرضًا للرجال فهو حرام مذموم».اهـ. فواأسفا على ما يجري في هذا الزمان من فتيات المدارس والمعاهد والجامعات باسم المسابقة الفنية، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث[١].

﴿٣٢﴾- ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أيم: وهي من ليس لها زوج[٢] بكرًا كانت أو ثيبًا ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر[٣] ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ و«عباد» من جموع عبد ﴿إِن يَكُونُواْ﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ بهم.

﴿٣٣﴾- ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ما ينكحون به من مهرٍ ونفقةٍ[٤]،

= **فائدة:** نقل القرطبي عن مكي، قال: «ليس في كتاب الله آية أكثر ضمائر من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميرًا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع».اهـ.

(١) قوله: (وفي الآية تغليب...). أي في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ﴾، و﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فهو ضمير مذكر تدخل فيه الإناث؛ تغليبًا. وعند بعض الأصوليين: تدخل فيه الإناث وضعًا وحقيقةً.

(٢) قوله: (وهي من ليس...). أفاد بشرحه أن الأيم يطلق على الذكر والأنثى، كما قاله ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٣) قوله: (هذا في الأحرار). أي: لذكر حكم العبيد فيما بعدُ.

تنبيه: والأمر في الآية للأولياء والسادة، وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك عند الحاجة. أشار لذلك البيضاوي. وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: «أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى».اهـ. على هذا تكون الآية آمرة بالزواج والتزويج، وحكم الزواج يختلف حسب الأحوال كما فصله الفقهاء.

(٤) قوله: (من مهرٍ...) بيان لـ(ما ينكحون به)..

عن الزنى[١] ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِن فَضۡلِهِۦۗ﴾ فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى: المكاتبة[٢] ﴿مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ[٣] إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾ أي: أمانة وقدرة[٤] على الكسب لأداء مال الكتابة. وصيغتها[٥] مثلًا: كاتبتك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أديتهما فأنت حرّ. فيقول: قبلت ذلك. ﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للسادة[٦] ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء[٧]: حط شيء

---

(١) وقوله: (عن الزنى). متعلق بـ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾. وهذه الآية أمر من الله تعالى لمن لم يجد تزوجًا بالعفاف والاجتناب عن الحرام، كما قال ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه وجاء**». اهـ. [البخاري: «فتح الباري» (٩/ ١٤)]، كما في ابن كثير. وهذا الأمر للوجوب.

(٢) قوله: (بمعنى: المكاتبة). والمكاتبة عقد بين السيد والمملوك، وهو بيع السيد مملوكه لنفسه على مالٍ يدفعه إلى السيد. كما سيوضحه المفسر.

(٣) وقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ هذا الأمر للندب عند الجمهور. قاله ابن كثير، وروي ذلك عن ابن زيد، ومالك بن أنس، كما في ابن جرير. واختار ابن جرير أنه للوجوب، فتجب المكاتبة إذا طلبها المملوك وعنده خير، أي: الأمانة والوفاء. وروي عن عطاء.

(٤) قوله: (أي: أمانةً وقدرة). روي نحوه عن الحسن، ومجاهد، وأبي صالح: «صدقًا ووفاءً وأداءً». وعن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد أيضًا: «خيرًا، أي: مالًا».

(٥) قوله: (وصيغتها). أي: صيغة المكاتبة.

(٦) قوله: (أمر للسادة). أي: لمالكي العبيد المكاتبين، أمر الله للسادة أن يعينوا مكاتبهم بالمال، وذلك إما بالإعطاء من ماله: الربع، كما روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واستحسن ابن مسعود: «الثلث»، وعن قتادة: «العشر»، وعن ابن جبير: «شيئًا غير مقدّر».

(٧) وقوله: (وفي معنى الإيتاء...). كما روي عن ابن عباس، قال: «ضعوا عنهم من مكاتبتهم». قال البيضاوي: «والأمر هنا للوجوب عند الأكثر، ويكفي أقل متمولّ».اهـ.

مما التزموه. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ أي: إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ أي: الزنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففًا عنه. وهذه الإرادة محل الإكراه[١]، فلا مفهوم للشرط ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبدالله بن أبيّ[٢]، كان يُكره جواريه على الكسب بالزنى ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن[٣] ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ بهن.

﴿٣٤﴾ - ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيَّنَاتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها[٤]، في هذه السورة بُيِّن فيها ما ذكر[٥]، أو بيِّنته[٦] ﴿وَمَثَلًا﴾ خبرًا عجيبًا[٧]، وهو خبر عائشة

---

(١) قوله: (وهذه الإرادة). يعني: الإكراه المنهي عنه في الآية إنما يتصور عند إرادتهن التعفف، فهذا القيد أي: إرادة التعفف ذكر لمناسبة الإكراه فقط، فليس له مفهوم مخالفة، فلا تفيد الآية جواز البغاء إن لم يردن التعفف.

(٢) قوله: (نزلت في عبدالله بن أبيّ). أي: المنافق، قال البيضاوي: «كان عنده ست جوارٍ يكرههن على الزنا، ويضرب عليهن الضرائب، فشكا بعضهن رسول الله ﷺ فنزلت الآية»، وقال ابن كثير نحو ذلك بدون ذكر عدد الإماء، وعزاه إلى غير واحد من المفسرين من السلف والخلف، ورواه عن جابر، والزهري. وكذا روى ابن جرير. وعن مقاتل: «نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما على ذلك»، وقال: «البغاء: الزنى».اهـ. باختصار من ابن كثير.

(٣) قوله: (لهن). أي: المكرهات على الزنى، كما قال مجاهد. وقال: «فيهن نزلت هذه الآية».

(٤) قوله: (بفتح الباء...). هما قراءتان: قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الياء، بصيغة اسم الفاعل. والباقون: بفتحها على صيغة اسم المفعول.

(٥) وقوله: (في هذه السورة). متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾ توضيح لمحل الآيات المبينات.

وقوله: (بُيّن) بصيغة المبني للمفعول توضيح لمعنى صيغة اسم المفعول.

(٦) وقوله: (أو بيّنته) توضيح لمعنى صيغة اسم الفاعل.

(٧) قوله: (خبرًا عجيبًا...). قاله البيضاوي. فيكون المراد بـ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ من جنس خبرهم، بتقدير المضاف كما أشار إليه المفسر.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: من جنس أمثالهم، أي أخبارهم العجيبة؛ كخبر يوسف ومريم[(١)] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ في قوله تعالى: «وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ» [النور: ٢]، «لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ...» [النور: ١٢] الخ، «وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم...» [النور: ١٦] الخ، «يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ...» [النور: ١٧] الخ، وتخصيصها بالمتقين[(٢)]؛ لأنهم المنتفعون بها.

﴿٣٥﴾- ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: منوّرهما[(٣)] بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفتُه في قلب المؤمن[(٤)] ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾

---

(١) وقوله: (كخبر يوسف...) كما ذكره البيضاوي. فكل من يوسف ومريم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ممن ابتلي برمي الفاحشة مع براءتها عنها، كما في قصة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) قوله: (وتخصيصها...) أي: تخصيص الموعظة بالمتقين في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ لما ذكره.

(٣) قوله: (أي: منوّرهما) هذا التفسير عزاه القرطبي إلى الضحاك، وابن عرفة، والقرظي. وقال ابن عباس: «﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هادي أهل السمٰوات والأرض»، وفي رواية عنه: «يدبر الأمر فيهما»، وهذه ثلاثة تفاسير، واختار ابن جرير: «هاديْ من في السمٰوات والأرض»، وكلها متفقة على أن المراد بالنور ليس الضياء المدرك بالبصر؛ فإنه لا يحمل على الحق تعالى بالحقيقة، فيكون في الكلام نوع من التأويل. أي: معطي النور، أو معطي الهداية، كما سبق.

(٤) قوله: (صفته في قلب المؤمن) أفاد أن المراد بالنور هنا هو الهدى الذي يلقى في قلب المؤمن كما روي عن أبيّ بن كعب وغيره؛ فالإضافة إلى ضميره تعالى إضافة تشريف، كبيت الله؛ لأن هذه النور مخلوقة، وإذا أضيف إليه تعالى بعض خلقه تكون الإضافة للتشريف، وأفادت الآية أن الشيء المعرف إذا ذكر مرتين لا يلزم كونه واحدًا في الموضعين، وإن كان الأكثر كونه كذلك إذا ذكر معرَّفًا، ويكون المراد بكل منهما غير المراد بالآخر إذا ذكرا بصيغة النكرة، ذكرنا ذلك في «رسالة الاستثناء». كما ذكرنا هذه القاعدة في تفسير سورة النساء الآية (١٢٨).

هي القنديل، والمصباح: السراج، أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة[١]، أي: الأنبوبة في القنديل[٢] ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها[٣] ﴿كَوۡكَبٞ دِرِّيٓءٞ﴾ أي: مضيء، بكسر الدال وضمها[٤]، من الدرء بمعنى الدفع؛ لدفعها الظلام، وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدُّرّ: اللؤلؤ ﴿تَوَقَّدَ﴾ المصباح[٥] بالماضي، وفي قراءة[٦]:

---

(١) قوله: (الطاقة) وهي الكوة في الجدار غير مثقوبة يوضع فيها المصباح.

(٢) قوله: (أي: الأنبوبة). هذا تفسير آخر للمشكاة كما يعلم من البيضاوي، فلعل العبارة: أو الأنبوبة، ولكن وجد النسخ كلها بـ«أي»، وقد نبه الصاوي على ذلك.

الحاصل: المشكاة إما الكوة التي يوضع فيها المصباح أو الأنبوبة -أي: العمود- التي في وسط القنديل.

(٣) قوله: (والنور فيها). جملة حالية.

(٤) قوله: (بكسر الدال...). القراءات هنا ثلاث:

١- ﴿دِرِّيٓءٞ﴾: بكسر الدال وتشديد الراء وبالهمزة، بوزن فعّيل من الدرء: قراءة أبي عمرو، والكسائي.

٢- ﴿دُرِّيٓءٞ﴾: بضم الدال: فُعِّيل من الدرء: قراءة شعبة، وحمزة.

٣- ﴿دُرِّيٌّ﴾: بضم الدال وتشديد الراء والياء: نسبة إلى الدُّر: قراءة الباقين. كما قال المفسر. وحاصل المعنى على كل وجهٍ: المضيء، كما قال.

(٥) قوله: (المصباح). توضيح للمراد بالضمير المستتر في الفعل: ﴿تَوَقَّدَ﴾ أو ﴿يُوقَدُ﴾.

(٦) قوله: (بالماضي). إشارة إلى القراءات، وهن ثلاث:

١- بصيغة الماضي: ﴿تَوَقَّدَ﴾: بوزن: تَفَعَّل: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب. ففاعله: الضمير المستتر العائد إلى المصباح؛ لأن الضمير مذكر على هذا الوجه.

٢- ﴿يُوقَدُ﴾: مضارع: أوقد، مبنيًّا للمفعول بالتحتانية، أي: بالياء: قراءة نافع، وابن عامر، وحفص؛ فنائب الفاعل: الضمير العائد إلى المصباح.

٣- ﴿تُوقَدُ﴾: بالمضارع المبني للمفعول، وبالتاء؛ فالضمير عائد إلى الزجاجة؛ لأنها ضمير مؤنث، كما قال المفسر: (أي: الزجاجة).

بمضارع: أوقد، مبنيًا للمفعول بالتحتانية، وفي أخرى: بالفوقانية، أي: الزجاجة ﴿مِن﴾ زيت[١] ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾[٢] بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حر ولا برد مُضرّان ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ لصفائه[٣] ﴿نُّورٌ﴾ به[٤] ﴿عَلَىٰ نُورٖۗ﴾ بالنار. ونور الله، أي: هداه[٥] للمؤمن نور على نور

---

(١) قوله: (زيت). أشار إلى تقدير مضاف.

(٢) و﴿زَيۡتُونَةٍ﴾ بدل من ﴿شَجَرَةٍ﴾. و ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾ نعت ومعطوف. ومعنى: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ﴾: أن تلك الزيتونة ليست واقعة في بقعة شرقية ولا بقعة غربية، بل في مكان وسط تصيبها الشمس من أول النهار إلى آخره؛ لأنه إن كانت شرقية لا تصبها الشمس أول النهار، وإن كانت غربية فلا تصبها الشمس آخر النهار. كما فسر بمثله ابن كثير. قال ابن عباس: «شجرة بالصحراء، لا يظللها جبل ولا شجر ولا كهف، ولا يواريها شيء، وهو أجود لزيتها».اهـ. وروي نحوه عن قتادة وعكرمة وغيرهم. وقال ابن زيد: «المراد: أنها شجر الشام، فإنه لا شرقي ولا غربي، وهو أفضل الشجر».

وما ذكره المفسر تفسير آخر ذكره البيضاوي في جملة تفاسير. وحاصله: أنها ليست في مَضْحًى تشرق الشمس عليها دائمًا فتحرقها أو في مقنأةٍ تغيب عنها دائمًا فتتركها نيئًا، أي يضره البرد. والله أعلم.

(٣) قوله: (لصفائه). أي: لصفاء ذلك الزيت يكاد يضيء بنفسه من غير نار.

(٤) قوله: (﴿نُّورٌ﴾ به). أي: بالزيت ﴿عَلَىٰ نُورٖۗ﴾ بالنار، أي: بالإيقاد، أفاد أن هناك ثلاثة أنواع من النور: نور المصباح، نور الزجاج لصفائها، ونور الزيت نفسه لصفائه، وبذلك كله تضيء المشكاة، كما يعلم من البيضاوي.

(٥) قوله: (ونور الله، أي: هداه). إشارة إلى وجه التشبيه في هذا التشبيه البارع.

وحاصله: أن هذا تشبيه للهدى الذي في قلب المؤمن والذي دلت عليه الآيات بالمشكاة الموصوفة، ونحو ذلك مروي عن ابن عباس، حيث قال: «مثل هداه في قلب المؤمن...»، وعن الحسن قال: «مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة»، ففيه تشبيه قلب المؤمن بالمشكاة؛ لأنه محل الإيمان والهدى كما أن المشكاة محل المصباح المضيء، والإيمان والهدي في قلبه كالمصباح المضيء. والله أعلم. =

الإيمان ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ﴾ يبيّن ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾. ومنه: ضرب الأمثال.

﴿٣٦﴾- ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلق بـ«يُسَبِّحُ» الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تُعظَّم[١] ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بتوحيده[٢] ﴿يُسَبَّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرها[٣]، أي: يصلي[٤] ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾ مصدر بمعنى: الغدوات، أي: البُكَر ﴿وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ العشايا من بعد الزوال.

= وعن سعيد بن جبير، وكعب الأحبار: «أن النور هو محمد ﷺ، وهذا مثل ضربه الله لقلب محمد ﷺ»، وذكر البيضاوي احتمال كون المراد تمثيل القوى الدراكة الخمس التي أعطيها الإنسان بالأشياء الخمسة المذكورة: المشكاة، والزجاجة، والمصباح، والشجرة، والزيت. والله أعلم.

(١) قوله: (تعظم) أي: تُعَظَّم لذكره، روي ذلك عن الحسن، وقال مجاهد: «أن تبنى»، واختاره ابن جرير، و﴿أَذِنَ﴾ بمعنى: أمر وقضى. قاله القرطبي.

(٢) قوله: (بتوحيده). روي عن ابن عباس: «يتلى فيه كتابه».اهـ. وهو قريب مما قاله المفسر.

(٣) قوله: (بفتح الموحدة). بيان للقراءتين؛ فقد قرأ ابن عامر، وشعبة: بفتح الموحدة، أي: الباء ﴿يُسَبَّحُ﴾: بصيغة المبني للمفعول، فيكون نائب الفاعل: الجار والمجرور: ﴿لَهُۥ﴾. ويكون ﴿رِجَالٌ﴾ فاعلًا لفعل محذوف، واقعًا في جواب سؤال مقدّر كما ذكر المفسر وهذا الأسلوب نوع من الإطناب المعروف في علم البلاغة.

وقرأ الباقون: ﴿يُسَبِّحُ﴾: بكسر الباء على صيغة المبني للفاعل، فيكون ﴿رِجَالٌ﴾: فاعلًا، كما هو واضح.

(٤) قوله: (أي: يصلي). ورد التفسير به عن ابن عباس، والحسن، وأبي معاذ. قال ابن عباس: «كل تسبيح في القرآن صلاة». نقله القرطبي، فبالغدوّ: صلاة الفجر، وفي الآصال: بقية الصلوات؛ لأنها تقع بعد الزوال. أفاده القرطبي.

(٣٧)- ﴿رِجَالٌ﴾[(١)] فاعل «يُسَبِّحُ» بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل: «لَهُ»، و«رِجَالٌ» فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: من يسبحه ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ أي: شراء[(٢)] ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء[(٣)] «إقامة» تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٣٧)﴾ من الخوف. القلوب بين النجاة[(٤)] والهلاك والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال، هو يوم القيامة.

(٣٨)- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: ثوابه و«أَحْسَنَ» بمعنى: حسن[(٥)]،

---

(١) وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ﴾. قال القرطبي: «لما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ﴾ وخصهم بالذكر، دلّ على أن النساء لا حظ لهن في المساجد، إذ لا جمعة عليهن ولا جماعة، وأن صلاتهن في بيوتهن أفضل».اهـ. ويضاف إليه أنه لا خلاف عند الأصوليين أن لفظ ﴿رِجَالٌ﴾ و«ذَكَر» لا يدخل فيه الإناث، وإنما الخلاف في نحو ضمير الجمع وجمع المذكر السالم، هل تدخل فيه الإناث، والراجح: عندنا -الشافعية- عدم دخولهن؛ لأن العرب وضعوا لكلٍّ صيغة، إلا من باب التغليب. والتفصيل في كتب الأصول.

(٢) قوله: (أي: شراء). فسر به لذكر البيع بعده.

(٣) قوله: (حذف هاء...). يعني إن ﴿وَإِقَامِ﴾ مصدر أقام، والأكثر فيه بالتاء إقامة عوضًا عن الألف المحذوفة، وقد تحذف التاء تخفيفًا كما هنا. وتقدم في سورة الأنبياء (٧٣).
قال القرطبي: «والآية نزلت في أهل الأسواق، وعزاه إلى ابن عمر»، قال سالم: «جاز ابن عمر بالسوق، وقد أغلقوا حوانيتهم، وقاموا ليصلوا في جماعة، فقال: فيهم نزلت ﴿رِجَالٌ...﴾ الآية».

(٤) قوله: (القلوب بين النجاة). القلوب: مبتدأ، خبره محذوف، أي: تتقلب بين النجاة والهلاك، ويريد المفسر به بيان معنى: تقلب القلوب والأبصار يوم القيامة. وبنحو ما قاله فسر ابن جرير.

(٥) قوله: (﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن). أي: لأن الجزاء يكون للعمل الحسن والأحسن. فالتفضيل غير مراد هنا. والله أعلم.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب[(١)]، أي: يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه.

﴿٣٩﴾-[(٢)] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع[(٣)]، أي: في فلاة، وهو شعاع[(٤)] يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي: العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه، كذلك الكافر[(٥)] يحسب أن عمله كصدقةٍ ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله، أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ أي: جزاه عليه في الدنيا[(٦)] ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: المجازاة.

---

(١) قوله: (يقال: فلان). أفاد أن ذلك كناية عن التوسيع، وإلا فكل شيء عند الله بحساب.

(٢) لما ضرب الله مثل المؤمن ضرب مثل الكافر. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (جمع قاع). مثل جيرة وجار. حكاه القرطبي عن الهروي، وعن أبي عبيدة: «قيعة، وقاعٌ واحدٌ»، ويجمع على قيعان.

(٤) قوله: (وهو شعاع). أي: السرابُ.

(٥) قوله: (كذلك الكافر...) يشير إلى أن هذا تمثيل للعمل الصالح للكافر، كصلة الرحم، روي ذلك عن الضحاك. كما أشار إلى وجه الشبه، وروي كذلك عن أُبيّ، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم.

قال أُبيّ: «في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ...﴾: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة، وهو يحسب أن عند الله خيرًا، فلا يجد، فيدخله النار».اهـ.

(٦) قوله: (أي: جزاه عليه في الدنيا) يعني: أن الكافر يعلم في الآخرة أن الله قد جازاه على عمله الخير في الدنيا، كما شرح كذلك الصاوي. ولكن الذي يعلم من كلام المفسرين كابن جرير، وابن كثير، ومما نقل من السلف: «أن المعنى فوفاه حسابه في الآخرة، كما هو ظاهر العطف بالفاء في ﴿فَوَفَّىٰهُ﴾» والله أعلم.

٤٠- ﴿أَوْ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة[١] ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ عميق[٢] ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ[٣] مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ غيم، هذه ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها[٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن

---

(١) قوله: (أعمالهم السيئة) أشار المفسر بهذا أن ﴿أَوْ﴾ هنا للتنويع، فالمثل الأول لأعمال الخير للكفار، وهذا المثل لأعماله السيئة، ويحتمل كون أو للتخيير؛ لأن أعمالهم -ولو كانت خيرًا- لكونها غير نافعة في العقبى فكأنها سراب، ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات، ذكر البيضاوي الوجهين. وذكر ابن كثير أن الأول للكافر الجاهل الجهل المركب وهم الرؤساء، والثاني: للكافر الجاهل الجهل البسيط وهم الأتباع، وظاهر كلام ابن جرير أن ﴿أَوْ﴾ للتخيير، فهما مثلان لمطلق الكفار، كما روى عن أبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «ضرب مثلًا آخر للكافر، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ الآية»، قال: «فهو يتقلبُ في خمسٍ من الظلم فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار».اهـ.

فائدة: تدل الآية على أن في قعر البحر ظلمات متراكمة. وقد اكتشفت الفلسفة الحديثة ذلك.

(٢) قوله: (عميق). تفسير للمراد لـ﴿لُّجِّيٍّ﴾. واللجّي في الأصل منسوب إلى اللجة، وهي: معظم الماء، كما يعلم من القرطبي وغيره.

(٣) قوله: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ...﴾. موج: فاعل: يغشى، و﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ خبر مقدم، و﴿مَوْجٌ﴾ الثاني: مبتدأ مؤخر. و﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ خبر مقدم و﴿سَحَابٌ﴾ مبتدأ مؤخر، وجملة ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ نعت ثان لـ﴿بَحْرٍ﴾، وجملة ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ نعت لـ﴿مَوْجٌ﴾ الأول: وجملة ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾ نعت لـ﴿مَوْجٌ﴾ الثاني.

(٤) قوله: (لم يقرب) توضيح لمعنى لم يكد يراها، أي: ليست رؤيتها قريبة ومتيسّرة بل لا يراها إلا بعد شدّة وإياس، وقد رجح ابن جرير هذا المعنى، بعد ذكر عدة احتمالات.

﴿نُّورٍ ۝٤٠﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة[١] ﴿وَالطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَافَّاتٍ﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله[٢] ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ فيه تغليب العاقل[٣].

٤٢- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ المرجع.

٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ مخارجه[٤] ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن﴾ زائدة[٥] ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء، بدل بإعادة الجار ﴿مِن بَرَدٍ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ

---

(١) قوله: (ومن التسبيح صلاة) أشار به إلى أن التسبيح هنا شامل للصلاة من الإنسان وأما في آخر الآية فذكر التسبيح والصلاة، فالتسبيح من غير الإنسان والصلاة من الإنسان، وذكره مجاهد.

(٢) قوله: (﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله). أشار إلى أن الضمير المستتر عائد إلى الله تعالى، وهذا أحد الأوجه، ويحتمل: عوده إلى ﴿كُلٌّ﴾، أي: كلهم علم صلاته وتسبيحه لله تعالى. ذكرهما ابن جرير ووجهًا آخر.

(٣) قوله: (فيه تغليب)، أي: في ﴿يَفْعَلُونَ﴾، حيث ذكر الواو التي لجماعة الذكور العقلاء.

(٤) قوله: (مخارجه). الخلال: جمع خَلَل، مثل الجبل والجبال، والخلل: الفرجة.

(٥) قوله: (زائدة) ذكر هنا ﴿مِن﴾ ثلاث مرات.

الأول: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ فهي ابتدائية. =

بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ لمعانه[١] ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ الناظرة له، أي: يخطفها.

٤٤- ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر[٢] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى.

٤٥- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي: حيوان[٣] ﴿مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي: نطفة[٤] ﴿فَمِنۡهُم مَّن

= والثانية: ﴿مِن جِبَالٖ﴾، وهي زائدة مؤكدة داخلة على البدل كما ذكره المفسر؛ لأن ﴿جِبَالٖ﴾ بدل اشتمال من ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾.

الثالثة: ﴿مِنۢ بَرَدٖ﴾ وهي تبعيضية، أشار إليه بقوله: (أي: بعضه). وهذه المعاني واضحة جدًّا، خلافًا لما ذكر في معاني «من» هنا غير ذلك، كما يوجد في كتب بعض المعاصرين، وأفادت الآية أن الله خلق جبالًا من بردٍ في السماء، ينزل منها ما يشاء، كما ذكره ابن جرير وغيره.

(١) قوله: (لمعانه). بفتح الميم، مصدر: لَمَعَ، تفسير لـ﴿سَنَا﴾، والهاء في ﴿بَرۡقِهِۦ﴾ عائد إلى السحاب.

(٢) قوله: (أي: يأتي بكل منهما). كما قال ابن جرير وغيره. قال ابن جرير: «يُعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما إذا أذهب هذا جاء هذا، وإذا أذهب هذا جاء هذا».اهـ.

(٣) قوله: (حيوان) تفسير بالأعم؛ لأن الحيوان أعمّ من الدابة، ولذلك قال القرطبي: «والدابة كل ما دبت على وجه الأرض من الحيوان».اهـ، وقال: «لم يدخل في هذا: الجنّ والملائكة؛ لأنا لم نشاهدهم، ولم يثبت أنهم خلقوا من ماءٍ بل في الصحيح: أن الملائكة خلقوا من نور والجن من نار». ولعل المفسر أشار إلى أن الدابة هنا بالمعنى اللغوي، فيدخل فيه الإنسان. أو يقال: إن الحيوان هو الجسم النامي الحساس، ولا يصدق هذا الحدّ على الملائكة والجنّ فيكون مرادفًا للدابة بما فيها الطيور والأسماك.

(٤) قوله: (أي: نطفة) كذا فسره جمهور المفسرين، ولكن قال البيضاوي: «يحتمل أن يراد بالماء: الماء المعروف؛ لأنه جزء مادته»، ويشير إلى ذلك كلام ابن كثير.اهـ. بتصرف، وإذا أريد بالماء النطفة ففي الكلام تنزيل الغالب منزلة الكل، إذ من الحيوان ما لا يتولّد من النطفة.اهـ. يعني: يكون ﴿كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ عامًّا مخصوصًا، فمثال ما لم يخلق من نطفة: آدم وعيسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ. والله أعلم.

يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾[(١)] كالحيات والهوام ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبهائم والأنعام[(٢)] ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿٤٦﴾ - ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ أي: بينات هي القرآن[(٣)] ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ أي: دين الإسلام.

﴿٤٧﴾ - ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون[(٤)] ﴿ءَامَنَّا﴾ صدَّقنا[(٥)] ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ هما فيما حكما به[(٦)] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يُعْرِض ﴿فَرِيقٞ

---

(١) ﴿مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾. فيه استعمال ﴿مَّن﴾ لغير العاقل، وذلك لدخول غير العاقل معه في عموم ﴿كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ ثم فصل بـ«من»، وهذا أحد المواضع التي يستعمل فيها «مَن» لغير العاقل كما فصله النحاة.

(٢) قوله: (والأنعام) هي الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لكثرة النعمة فيها، فعطفه على البهائم من عطف الخاص على العام.

(٣) قوله: (أي: بينات) أشار إلى أن ﴿مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ هنا من: بَيَّنَ اللازم.

(٤) قوله: (أي: المنافقون) كما فسر بذلك ابن جرير وغيره.

(٥) قوله: (صدقنا) فسر ﴿ءَامَنَّا﴾ به لذكر المصدق به، ولعطف ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ عليه.

(٦) قوله: (هما) هو ضمير متصل مفعول به لـ﴿وَأَطَعۡنَا﴾.

وقوله: (فيما حكما) ألف التثنية راجعة إلى الله والرسول. ففي كلامه جمع بين الخالق والخلق في الضمير، وقد ورد النهي عنه في حديث مسلم عن عدي بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى؛ فقال: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله...**» [مسلم (٣/ ٢٥)]، ولكن قد ورد الجمع في كلام رسول الله ﷺ وذلك في قوله ﷺ: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه** =

﴿مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ عنه ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم.

٤٨- ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨﴾ عن المجيء إليه.

٤٩- ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩﴾ مسرعين طائعين.

٥٠- ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: شكوا في نبوّته ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ في الحكم، أي: فيُظْلَموا فيه؟ لا[1] ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٥٠﴾ بالإعراض عنه.

٥١- ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾[2] أي: القول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ بالإجابة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ الناجحون.

= مما سواهما». [البخاري (١٦)]. فقيل: هذا خاص به ﷺ، ولا يجوز لغيره، ذكره العز بن عبدالسلام، وقيل: النهي إذا أوهم التشريك، كما يعلم من «شرح النووي»، والله أعلم. وتقدم التنبيه على نحو هذا في كلام الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) قوله: (لا) قدره ليكون جوابًا للاستفهام، وتكون ﴿بَلۡ﴾ للإضراب الإبطالي، وقال البيضاوي: قوله تعالى: ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إبطال للقسمين الأخيرين وتحقيق للقسم الأول، وذلك لأن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني إما أن يكون محققًا عندهم أو متوقعًا، وكلاهما باطل، فثبت القسم الأول، وهو نفاقهم وظلمهم.اهـ. بتصرف، وهذا التقسيم نوع من القياس عند المناطقة. ويسمى السبر والتقسيم عند الأصوليين.

(٢) ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ﴿قَوۡلَ﴾: بالنصب في القراءات المتواترة، خبر ﴿كَانَ﴾، واسمها: المصدر المؤول في ﴿أَن يَقُولُواْ﴾، و﴿إِذَا﴾ ظرفية مجردة عن معنى الشرط.

٥٢- ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ يخافه[(١)] ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ بسكون الهاء وكسرها[(٢)]، بأن يطيعه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾ بالجنة.

٥٣- ﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ غايتها[(٣)] ﴿لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ للنبي خير[(٤)] من قسمكم

---

(١) قوله: (يخافه). تفسير بالمعنى بدون مراعاة الإعراب، وإلا لقال: «يخفه»، بصيغة الجزم، وأشار إلى ذلك الصاوي.

تنبيه: الفلاح والفوز متقاربان: فالفلاح أي: النجاح من العذاب إلى رحمة الله والفوز بالجنة كأنه يراعى في الفلاح الخلوص من العقاب إلى الرحمة، وفي الفوز: حصول الظفر بالجنة. وهما متلازمتان، ولم أجد من ذكر النكتة في الفلاح في الآية الأولى والفوز في الآية الثانية. فالله أعلم.

(٢) قوله: (بسكون الهاء...) هنا عدة قراءات:

١- ﴿ويَتَّقِهِ﴾: بكسر القاف والهاء بدون إشباع الهاء: يعقوب وقالون، وأحد وجهي هشام.

٢- ﴿ويَتَّقِهِ﴾: بكسر القاف والهاء مع إشباع كسر الهاء: الوجه الثاني لهشام.

٣- ﴿ويَتَّقِهْ﴾: بكسر القاف وسكون الهاء: أبو عمرو وشعبة.

٤- ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾: بسكون القاف وكسر الهاء بلا إشباع حركتها، ووجه ذلك: إجراء «تَقِهِ» مجرى كَتِف، فسكن الوسط تخفيفًا، فكل ثلاثي إذا كان عينه مكسورًا أو مضمومًا جاز تسكينها تخفيفًا، نحو: إِبِل، تقول: إبْل بسكون الباء، وعضُد: تقول فيه عَضْد بسكون الضاد. أشار إلى هذا التوجيه البيضاوي.

(٣) قوله: (غايتها) أي: أقسموا قسمًا غليظًا أشد القسم وغايتها، و﴿جَهۡدَ﴾ منصوب على المفعول المطلق.

(٤) قوله: (خير) قدره ليكون خبرًا لـ﴿طَاعَةٞ﴾.

الذي لا تَصْدُقون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣﴾ من طاعتكم بالقول[١] ومخالفتكم بالفعل.

۝٥٤- ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعته، بحذف إحدى التاءين[٢]، خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤﴾، أي: التبليغ البين[٣].

۝٥٥-[٤] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بدلًا عن الكفار ﴿كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[٥] ﴿ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) قوله: (من طاعتكم...). بيان لـ﴿مَا﴾.

(٢) قوله: (بحذف إحدى...) باتفاق القراء، أفاد المفسر أن ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ فعل مضارع مجزوم، أصله: تتولوا، والخطاب للمنافقين. وليس فعلًا ماضيًا بصيغة الغائب، وذلك ليناسب ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾.

(٣) قوله: (أي: التبليغ البين). أفاد أن البلاغ اسم مصدر لـ«بلّغ» فهو بمعنى: التبليغ، والمبين: اسم فاعل من «أبان» اللازم، بمعنى: بان. وجملة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ...﴾ جواب الشرط ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وهي في الحقيقة دالة وعلة للجواب المحذوف، والتقدير: فلا ضرر عليه فإنما عليه ما حمّل. أفاده الصاوي.

(٤) روى ابن جرير عن أبي العالية أن هذه الآية نزلت لما اشتكى بعض الصحابة إلى النبي ﷺ الخوف من العدو وما يلقون بذلك من الأذى والمكروه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**لا تغبرون إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيًا فيه ليس فيه حديدة**» -أي سلاح من خوف العدو-. فأنزل الله هذه الآية، قال ابن كثير: «هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض». اهـ.

(٥) قوله: (بالبناء للفاعل...) قراءتان: بالبناء للمفعول: ﴿اسۡتُخۡلِفَ﴾: قراءة شعبة فيكون =

﴿قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل[١] بدلًا عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتخفيف والتشديد[٢] ﴿مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ هو مستأنف في حكم التعليل[٣] ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به[٤] ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وأول من كفر به[٥] قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

= ﴿الَّذِينَ﴾ نائب فاعل. وبالبناء للفاعل: ﴿اسْتَخْلَفَ﴾: قراءة الباقين، فيكون ﴿الَّذِينَ﴾ مفعولًا به، والفاعل الضمير المستتر العائد إلى الله تعالى.

(١) قوله: (من بني إسرائيل...) وبذلك فسر ابن جرير والقرطبي وغيرهما؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ...﴾ [الأعراف: ١٣٧].

(٢) قوله: (بالتخفيف...). قرأ ابن كثير، وشعبة، ويعقوب: بتخفيف الدال: مضارع «أبدل»: والباقون: بتشديدها، مضارع: بدّل، ومعناهما واحد.

(٣) قوله: (مستأنف). أي: جملة ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾: مستأنفة، وهي عند النحاة: جملة ليس لها علاقة إعرابية بما قبلها، وعند البلاغيين: جملة وقعت جوابًا لسؤال مقدر عن العلة، وهذه الجملة تحتمل الوجهين، وقول المفسر: (في حكم التعليل) يرجح المعنى البلاغي.

(٤) قوله: (به). أي: الإنعام، أفاد به أن المراد بالكفر هنا كفران النعمة لا الكفر بالله، وفسر كذلك في رواية أبي العالية ورجحه ابن جرير وغيره. واستدل عليه القرطبي بقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾؛ لأن فسق الكفار موجود قبل هذا الإنعام وبعده.

(٥) قوله: (وأول من كفر به...). وهذا مذكور في رواية أبي العالية المذكورة، قال: «بقتلهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». اهـ. وفتنة قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت مبدأ لفتن متتالية. كما هي مذكورة في كتب التواريخ، ولله تعالى حكمة فيما قدر وقضى.

٥٦- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ أي: رجاء الرحمة[١].

٥٧- ﴿لَا تَحۡسِبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٢]، والفاعل: «الرسول»، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧﴾ المرجع هي.

٥٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ في ثلاثة أوقات[٣] ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقت الظهر ﴿وَمِنۢ

---

(١) قوله: (أي: رجاء الرحمة) أفاد أن الرجاء المستفاد بـ«لعل» هنا بالنسبة إلى المخاطبين، ويحتمل كون لعل تعليلية، وبذلك فسر ابن جرير، قال: «كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه».اهـ.

(٢) قوله: (بالفوقانية...). أي: بالتاء: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾: قرأه عاصم، وأبو جعفر، مع فتح السين. فالخطاب للرسول ﷺ و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول أول.
وقرأ ابن عامر، وحمزة: بالياء، وهي المراد بالتحتانية في قول المفسر، ففاعله الضمير المستتر العائد إلى النبي ﷺ كما قال المفسر، وهذا الوجه عزاه القرطبي إلى الفراء وأبي عليّ، وعزا إلى الزجاج: أن الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والمفعول الأول محذوف، أي: لا يحسبن الذين كفروا أنفسَهم معجزين.
وقرأ الجمهور بالتاء وكسر السين: ﴿لَا تَحۡسِبَنَّ﴾، وهو كالوجه الأول، وفتح السين وكسرها لغتان في مضارع «حسِبَ»، والقياس الفتح.
قال القرطبي: «هذه الآية تسلية للنبي ﷺ ووعد بالنصرة».اهـ.

(٣) قوله: (في ثلاثة أوقات). تفسير بالمراد بـ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾، كما فسره ما بعده: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ...﴾.

﴿بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡۚ﴾ بالرفع[(١)]: خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف، قام المضاف إليه مقامه، أي: هي أوقات، وبالنصب: بتقدير أوقات منصوبًا، بدلًا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه، وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحُۢ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ للخدمة ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ طائف[(٢)] ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها[(٣)] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ أي: الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٞ ۝٥٨﴾ بما دبره لهم وآية الاستئذان[(٤)] قيل: منسوخة، وقيل: لا[(٥)]، ولكن

---

(١) قوله: (بالرفع...). بيان للقراءتين: قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالنصب: ﴿ثَلَٰثَ﴾. والباقون: بالرفع: ﴿ثَلَٰثُ﴾. وذكر المفسر الوجه الإعرابي لكل منهما، فوجه الرفع أنه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي، أو هن، ثم يقدر مضاف قبل ثلاث، فيكون التقدير: هي أوقات ثلاث عوراتٍ... فقوله (أي: هي أوقات) هي المبتدأ المقدر وأوقات المضاف المقدر، ووجه النصب أنه بدل من محل ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وما عطف عليه؛ لأنه في المعنى ظرف، ويقدر المضاف أيضًا، أي: أوقات ثلاث عورات، وهذا الذي ذكره المفسر، ويجوز كونه بدلًا من ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾؛ لأن المراد به ثلاث أوقات، كما ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (طائف) قدره ليتعلق به الجار والمجرور ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ الواقع خبرًا.

(٣) وقوله: (والجملة...) أي: جملة ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ مؤكدة لما قبلها وهي جملة ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾؛ فهي جملة بتقدير المبتدأ: هم، كما قدره المفسر.

(٤) قوله: (وآية الاستئذان) أي: هذه الآية، قيل: منسوخة، عزاه القرطبي إلى ابن المسيب، وابن جبير.

(٥) قوله: (وقيل: لا). أي: غير منسوخة، عزاه إلى أكثر أهل العلم، قال ابن كثير: «هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض وخدمهم والذين =

تهاون الناس في ترك الاستئذان.

(٥٩)- ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار[١] ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار[٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾.

(٦٠)- ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك[٣] ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب[٤] والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٍ ۖ﴾

= لم يبلغوا الحلم منهم. فهو في ثلاثة أوقات، وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض. قال ابن كثير: «ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًّا أنكر ابن عباس ذلك على الناس...».اهـ. وروى أبو داود عن ابن عباس أنه كان يأمر به. نقله ابن كثير وغيره.

(١) قوله: (الأحرار). خصهم بالذكر؛ لأنه ذكر حكم المماليك في الآية الأولى، وأفادت الآية أن الأطفال إذا بغلوا فعليهم الاستئذان في كل وقت، لا في الأوقات الثلاث فقط، أفاده ابن كثير، كما فسر المفسّر.

(٢) وقوله: (الأحرار الكبار). بمثله فسر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (لذلك). أي: لكبرهن.

(٤) قوله: (من الجلباب). تفسير للمراد بالثياب، فالمراد بها: الجلباب. روي عن ابن مسعود والرداء -فوق الخمار- روي عن ابن المسيب وغيره، أفادت الآية أنه أبيح لهن ما لم يبح لغيرهن وأزيل عنهم كلفة التحفظ المتعب لهن، كما قاله القرطبي.

والقواعد: جمع قاعدٍ، التي يئست من الولد والحيض لكبر السن، كما قاله المفسّر، وعزاه القرطبي إلى الجمهور، والقواعد أيضًا جمع قاعدة التي هي الأساس، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وليس بمراد هنا كما هو واضح. =

خفية، كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ بما في قلوبكم.

٦١- ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابليهم[١] ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوت أولادكم[٢] ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ﴾ أي: خزنتموه لغيركم[٣] ﴿أَوْ

= تنبيه: قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ فعل مضارع مبني على السكون، والواو لام الكلمة، بخلاف قولك: «الرجال يرجون» فالواو ضمير الرفع فاعل، والفعل مرفوع بالنون.

(١) قوله: (في مؤاكلة مقابليهم). أي: أن يأكل هؤلاء المذكورون -الأعمى والأعرج والمريض- مع مقابليهم أي: الأعمى مع البصير والأعرج والمريض مع الصحيح، وفي ذلك إشارة إلى سبب نزول الآية، وروي في ذلك أقوال: فعن مجاهد، قال: «كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه أو إلى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنَى يتحرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت الآية»، وعن ابن المسيب: «أنهم كانوا يتحرجون المواكلة مع هؤلاء مخافة أن لا يستطيع هؤلاء أن يستوفوا حقهم من الطعام فنزلت الآية رخصة في ذلك»، وعن الضحاك: «كانوا قبل البعثة يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذرًا وتقززًا ولئلا يتفضلوا عليهم فأنزل الله هذه الآية»، كما يعلم من ابن كثير، وابن جرير وغيرهما.

(٢) قوله: (أي: بيوت أولادكم). قال ابن كثير: «تضمن هذا بيوت الأبناء».اهـ.

(٣) قوله: (خزنتموه...). هو وكيل الرجل وقيّمه وخادمه. روى نحوه عن ابن عباس، والسدي، وابن جبير. فـ﴿مَا﴾ واقعة على المال نحو: ضيعةٍ أو ماشيةٍ. والمفاتح: جمع مِفتَح: اسم الآلة، كالمفتاح. كما قال البيضاوي.

صَدِيقِكُمْۚ﴾ وهو مَنْ صَدَقَكُمْ في مودته. المعنى[١]: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا، إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًاۚ﴾ أي: متفرقين، جمع شتّ[٢]. نزل فيمن تحرج[٣] أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها[٤] ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

---

(١) وقوله: (المعنى:...) يشير إلى أن الآية أفادت حكمين هٰهنا؛ الأول: عدم الحرج في مؤاكلة الأعمى، ومن ذكر معه مع مقابليهم. والثاني: عدم الحرج في الأكل من بيوت من ذكر في غيبتهم إذا رضوا بذلك، وهذا الحكم يعلم مما روي في سبب النزول عن عبيدالله بن عبدالله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهي غيّب». اهـ. نقله ابن جرير واختاره.

(٢) قوله: (جمع شتّ). بتشديد التاء مصدر بمعنى: التفرق، قاله القرطبي.

(٣) قوله: (نزلت فيمن تحرج...) روي عن ابن عباس، قال: «كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره، فرخص الله لهم فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾». وعن ابن جريج، قال: «كانت بنو كنانة يستحيي الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية». وقال القرطبي: «قيل: إنها نزلت في بني ليث بن بكر، وهم حي من بني كنانة، كان الرجل منهم لا يأكل وحده، ويمكث أيامًا جائعًا حتى يجد من يؤاكله»، وقال ابن عطية: «وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه كان لا يأكل وحده». اهـ.

(٤) قوله: (لا أهل بها). أفاد المفسر أنه إن دخل بيتًا ليس بها أحد فليسلم على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليه، وإن كان بها أهل فليسلم عليهم، وهذا روي عن مجاهد بأشمل منه، نقل عنه ابن كثير، قال مجاهد: «إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم، =

فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر حيًّا[١] ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يثاب عليها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ لكي تفهموا ذلك.

﴿٦٢﴾ -[٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة[٣] ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ

= وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه كان يؤمر بذلك وحدثنا أن الملائكة ترد عليه».اهـ. وعلى هذا يشمل «البيوت» المساجد، وروي عن ابن عباس: «أن المراد بالبيوت المساجد، فإذا دخل المسجد فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، وعن جابر، وقتادة، وابن جريج وغيرهم: «إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم»، وما روي عن مجاهد يشمل البيت والمسجد، وظاهر كلام المفسر أن المراد البيوت غير المساجد. ورجحه ابن جرير.

(١) قوله: (مصدر حيًّا) فـ﴿تَحِيَّةً﴾ تفعلة، مصدر: حيًّا، نحو: تزكية، لكن أدغمت الياء في الياء، بعد نقل حركة الياء الأولى إلى الحاء قبلها، وهي منصوبة على أنها مفعول مطلق لـ﴿سَلِّمُوا۟﴾، و﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ صفات لـ﴿تَحِيَّةً﴾، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: «هذا إرشاد آخر للمؤمنين من الله عَزَّوَجَلَّ، كما أُرشدوا بالاستئذان عند الدخول أولًا أرشدوا بالاستئذان عند الخروج».اهـ. ملخصًا. و﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، أفادت الآية أنه لا يكمل الإيمان إلا بهذا الاستئذان.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(٣) قوله: (كخطبة...) أشار بالكاف إلى أن الخطبة مثال. فكذلك أيّ أمر يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور في أمر، كما ذكر ابن جرير. وروى عن ابن عباس: «إذا كان في طاعة الله»، وفي رواية: «أمر من طاعة الله عام»، وروى السيوطي في أسباب النزول: «عن عروة، ومحمد بن كعب القرظي: أن المنافقين يوم حفر الخندق كانوا يتسللون إلى أهليهم بغير علم رسول الله ﷺ، والمؤمنون إذا نابهم شيء يستأذنون ويرجعون، فنزلت الآية فيهم».اهـ. باختصار.

﴿يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿٦٣﴾- ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ بأن تقولوا[1]: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ﴾ أي: يخرجون من المسجد[2] في الخطبة من غير استئذان خُفْيَةً متسترين بشيء، و«قَدْ» للتحقيق ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء[3] ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة[4].

---

(١) قوله: (بأن تقولوا). هذا التفسير مروي عن مجاهد، وقتادة، ومقاتل، وروي عن ابن عباس أيضًا، وفي رواية عن ابن عباس، أن المعنى: لا تعتقدوا أن الدعاء من النبي ﷺ على غيره كدعاء بعضكم على بعض، فإن دعاءه ﷺ مستجاب فتكون الآية تحذيرًا للمخالفين أن تصيبكم دعوة النبي ﷺ. قال ابن عباس في رواية: «**دعوة الرسول عليكم موجبة، فاحذروها**».اهـ. كما في ابن جرير.

(٢) قوله: (يخرجون من المسجد). قاله مقاتل، وغيره: «كان المنافقون تثقل عليهم الخطبة فيلوذون ببعض أصحاب محمد ﷺ -أي يستترون به- ويخرجون».اهـ. ملخصًا. وروي نحوه عن الضحاك وابن زيد وغيرهما.

و﴿لِوَاذًاۚ﴾ مصدر بمعنى: اسم فاعل، منصوب على الحال، أي: مستترين.

(٣) قوله: (بلاء) تفسير لـ﴿فِتْنَةٌ﴾. فعن عطاء: «الزلزال والأهواء»، وعن ابن عباس: «القتل»، وقال ابن جرير: «الكفر»، وقال ابن كثير: «كفر أو نفاق أو بدعة».اهـ.

(٤) قوله: (في الآخرة) وبه فسر البيضاوي. وقال ابن جرير، وابن كثير: «في الدنيا، أي: كالقتل والحبس ونحو ذلك».

تنبيه: استدل الأصوليون بهذه الآية على أن الأمر للوجوب حقيقة، وعليه جمهورهم.

٦٤ - ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[١] ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها المكلفون[٢] ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم[٣] ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب[٤]، أي: متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌۢ ٦٤﴾.



(١) قوله: (ملكًا...). تمييز لنسبة الخبر إلى اسم «إنّ»، فالمعنى: لله الملك والخلق وعبوديتهم.

(٢) قوله: (أيها المكلفون). وبه فسر البيضاوي، وأفاد به أن الخطاب للجميع.

(٣) قوله: (يعلم) أفاد أن ﴿يَوْمَ﴾ معطوف على ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ فيكون مفعولًا به.

(٤) قوله: (فيه التفات). أي في قوله: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ التفات إلى الغيبة من الخطاب في ﴿أَنتُمْ﴾، والفاء في ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ عاطفة، وما بعدها معطوف على ﴿يُرْجَعُونَ﴾، والله أعلم.

٢٥- سورة الفرقان

مكية[١]**، إلا الآيات** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...﴾ **إلى** ﴿رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [٦٨، ٦٩، ٧٠]؛ **فمدنية.**

وآياتها سبع وسبعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۝١- ﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى[٢] ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ القرآن؛ لأنه فرق بين الحق والباطل[٣] ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: الإنس والجن[٤]،

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «مكية كلها عند الجمهور»، وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ...﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾».اهـ، وعلى هذا جرى المفسر، وأما عدد آياتها فلم أر فيه اختلافًا أنها سبع وسبعون آية.

(٢) قوله: (تعالى). فسر به ﴿تَبَارَكَ﴾، وهذا أحد معانيه التي فسر هو بها ذكرها القرطبي. ولعل المفسر فسر به لمناسبة ﴿نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾، وقال ابن جرير: «تبارك: تفاعل من البركة، وروى ذلك عن ابن عباس، وبذلك فسره ابن كثير»، وقال البيضاوي: «تبارك لا يتصرف في معناه، ولا يستعمل إلا لله تعالى».اهـ.

(٣) قوله: (لأنه فرق...) بيان لوجه تسمية القرآن بـ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾، فهو كالقرآن مصدر بمعنى: اسم الفاعل، وقيل: سمي به؛ لأنه فرق فيه، أي: فصل فيه ما شرع من حلال وحرام، كما يعلم من القرطبي.

(٤) قوله: (أي: الإنس والجن). أي: جميعهم، فهو مرسل إليهم إرسال تكليف، بمعنى: أنهما مكلفان بشرعه ﷺ، ولكل من الفريقين شريعة تناسبها، ومرسل إلى كافة الخلق إرسال تشريف، كما ذكره أهل العلم، بأدلة كثيرة. [«إعانة الطالبين» للسيد البكري].

﴿نَذِيرًا ۝١﴾ مخوفًا من عذاب الله.

٢- ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يُخلق[١] ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ سَوَّاه تسوية.

٣- ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جرّه ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾ أي: إماتة لأحد وإحياءً لأحد[٢] ﴿وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾ أي: بعثًا للأموات.

٤- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟[٣] إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كَذِب ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ كفرًا وكذبًا، أي: بهما[٤].

---

(١) قوله: (من شأنه أن يخلق). الجملة نعت لـ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ أشار به إلى أن كل شيء عام مخصوص خصّ منه الحق تعالى وصفاته، وفي هذا ردّ لبعض المشركين القائلين بأن الشر يخلقه الشيطان أو الظلمة، وللمعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعاله. نبه على ذلك القرطبي.

(٢) قوله: (أي: إماتة) على هذا يكون ﴿مَوْتًا﴾ و﴿حَيَوٰةً﴾ اسمي مصدر لـ«أمات» و«أحيى».

(٣) ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ المراد: كفار قريش، وعن ابن عباس: «القائل ذلك منهم هو النضر بن الحارث، أحد رؤساء الكفار، وكذا كل ما في القرآن فيه ذكر الأساطير، فهو قائله: وكان قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم وغيرها، فإذا ذكّر النبي ﷺ بما أنزل عليه من أحاديث الأمم الماضية، وقام من مجلسه جاء النضر في مجلسه، وقال للناس: أنا أحدثكم مثل حديثه أو أحسن ثمّ يحدثهم عن ملوك فارس وغيرها...».اهـ، ملخصًا من ابن جرير.

(٤) قوله: (أي: بهما). أشار المفسر إلى أن ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ منصوبان بنزع الخافض.

(٥)- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضًا هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم، جمع أسطورة بالضم ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك القوم بغيره[١] ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيۡهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ غدوة وعشيًا. قال تعالى ردًّا عليهم:

(٦)- ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾[٢] الغيب ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٗا ٦﴾ بهم.

(٧)- ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ﴾ هلَّا[٣] ﴿أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾ يصدقه.

(٨)- ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ بستان ﴿يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ أي: من

---

(١) قوله: (بغيره). أي: باستعانة غيره؛ لأن النبي ﷺ أميّ لا يكتب.

(٢) ﴿ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾، أي: فهو تعالى عالم الغيب، فلا يحتاج إلى معلّم، قال القرطبي: «ذكر السرّ دون الجهر؛ لأن من علم السر فهو بالجهر أعلم، ولو كان القرآن مأخوذًا من أهل الكتاب لما زاد عليها، وقد جاء القرآن الكريم بفنونٍ من العلوم تخرج عنها، ثم لو كان مأخوذًا منهم لما عجز عن ذلك المشركون، وقد عجزوا عن الإتيان بمثله؛ ففي الآية إبطال لكل شبهاتهم بالبرهان الجليّ».اهـ، كما يعلم من القرطبي.

(٣) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا تحضيضية، وهذه الآية وما بعدها في بيان نوع آخر من طعن الكفار، وذكر ابن جرير والقرطبي وغيرهما. أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن اجتماع رؤساء قريش عند الكعبة وتعنتهم بالسؤال على النبي ﷺ القصة ذكرناها موجزة في تفسير الآية (٩٠) من سورة الإسراء.

و﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، واللام حرف جر، والجار والمجرور خبر المبتدأ، وكتبت اللام مفصولة على خط المصحف. وجملة ﴿يَأۡكُلُ...﴾ في محل نصب حال.

ثمارها[١]، فيَكْتفي بها، وفي قراءة[٢]: «نَأْكُلُ» بالنون، أي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾ ما[٣] ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

۝٩- قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى مَلَكٍ يقوم معه بالأمر[٤] ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ طريقًا إليه.

۝١٠- ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير[٥] ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان[٦] ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: في الدنيا[٧]؛

---

(١) قوله: (من ثمارها). أشار إلى تقدير مضاف، ففي الكلام إيجاز بالحذف.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالنون: ﴿نَأْكُلُ﴾. والباقون: بالياء، ووجه النون: كما ذكر المفسِّر.

(٣) قوله: (ما) أفاد أن ﴿إِن﴾ هنا نافية، ويدل على ذلك ذكر أداة الاستثناء.

(٤) قوله: (وإلى ملك) بفتح اللام.

(٥) قوله: (تكاثر خير). هنا فسّر به ﴿تَبَارَكَ﴾، وهو المعنى الأصلي له، وهو المناسب لهذا المقام. بخلاف أول السورة، فقد فسره بـ(تعالى) لكونه أنسب هناك.

(٦) قوله: (الذي قالوه...) توضيح للمشار إليه. روي ذلك عن مجاهد، وروي عن ابن عباس الإشارة إلى المشي في الأسواق والتماس المعاش، واختار ابن جرير ما روي عن مجاهد. و﴿جَنَّٰتٍ﴾ منصوب بدل من ﴿خَيْرًا﴾.

(٧) قوله: (أي: في الدنيا). روي ذلك عن مجاهد، روى سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة قال: قيل: للنبي ﷺ: إن شئت أن نعطيك خزائن الدنيا ومفاتيحها ولم يعط ذلك من قبلك ولا يعطاه أحد بعدك، وليس ذلك بناقصك في الآخرة شيئًا، وإن شئت جمعنا =

لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم[١] ﴿لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾ أيضًا، وفي قراءة: بالرفع استئنافًا.

﴿١١﴾- ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ نارًا مسعّرة، أي: مشتدّة.

﴿١٢﴾- ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ[٢] سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غليانًا[٣] كالغضبان إذا غلى صدرُه بالغضب ﴿وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التغيظ[٤]: رؤيته وعلمه.

= لك ذلك في الآخرة، فقال: «**يجمع ذلك في الآخرة**»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ﴾. ذكره القرطبي. رواه ابن جرير، عن حبيب، وفيه: «...فقال النبي ﷺ: «**اجمعوها لي في الآخرة...**» فأنزل الله...».

(١) قوله: (بالجزم). أي: بجزم الفعل: ﴿وَيَجْعَل﴾: وهذه قراءة الجمهور، عطفًا على محل ﴿جَعَلَ لَكَ﴾. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وشعبة: بالرفع: ﴿وَيَجْعَلُ﴾ استئنافًا.

(٢) ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾. قال القرطبي: «من مسيرة خمسمائة عام»، ورؤية جهنم على حقيقته، قال القرطبي: «خرج الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاث، بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين**». قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

(٣) قوله: (غليانًا). أي: صوت الغليان والتغيظ عليهم. قاله ابن جرير.

(٤) وقوله: (أو سماع التغيظ:...). يعني: أن السماع بالنسبة إلى التغيظ: بمعنى العلم، وبالنسبة إلى الزفير: السماع بالأذن، نقل القرطبي قريبًا منه عن قطرب، روى ابن جرير عن عبيد بن عمر، قال: «إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرّ ترعد فرائصه، حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه، فيقول: يا رب، لا أسألك اليوم إلا نفسي».اهـ.

﴿١٣﴾- ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ بالتشديد والتخفيف[١] بأن يضيق عليهم، و«مِنۡهَا» حال من «مَكَانٗا»؛ لأنه في الأصل صفة له[٢] ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت، أي: جمعت[٣] أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديدُ للتكثير[٤] ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾﴾ هلاكًا[٥]، فيقال لهم:

﴿١٤﴾- ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾﴾ لِعذابكم.

﴿١٥﴾- ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ[٦] ٱلَّتِي وُعِدَ﴾ها[٧] ﴿ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَآءٗ﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾ مرجعًا.

---

(١) قوله: (بالتشديد...). قرأ ابن كثير: بالتخفيف: ﴿ضَيۡقًا﴾. والباقون: بالتشديد: ﴿ضَيِّقٗا﴾. وهما صفتا مشبهة من «ضاق، يضيق».

(٢) قوله: (لأنه في الأصل صفة). أي: الجار والمجرور ﴿مِنۡهَا﴾ صفة لـ﴿مَكَانٗا﴾ في المعنى، وصفة النكرة إذا قدمت عليها أعربت حالًا.

(٣) قوله: (أي: جمعت...). توضيح كونهم مقرنين، وبذلك فسر ابن جرير.

(٤) قوله: (والتشديد...) يعني: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ اسم مفعول من: قرّن، بتشديد الراء. والتشديد لإفادة التكثير، وإلا فالثلاثي «قرن» متعدٍ.

(٥) قوله: (هلاكًا). روى هذا المعنى عن الضحاك، وقال ابن عباس: «ويلًا».

(٦) ﴿أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾. ﴿أَمۡ﴾: هنا متصلة عاطفة؛ لسبق همزة الاستفهام للتعيين.

(٧) قوله: (ها). قدره ليكون عائدًا من الصلة إلى الموصول، وحذف العائد إذا كان ضميرًا متصلًا منصوبًا بالفعل أو الوصف مطرد، كما بينه النحاة، وهو هنا منصوب؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ﴿وُعِدَ﴾، و﴿ٱلۡمُتَّقُونَۚ﴾ نائب الفاعل.

﴿١٦﴾- ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ حال لازمة[١] ﴿كَانَ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يسأله من وعد به[٢] «رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ...» [آل عمران: ١٩٤]، أو تسأله لهم الملائكة «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ» [غافر: ٨].

﴿١٧﴾- ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية[٣] ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة[٤] وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى، بالتحتانية[٥]، والنون: للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين[٦]

---

(١) قوله: (حال لازمة) الحال اللازمة ما كان معناها مستمرًا غير منتقل، وقد فصلنا ذلك في الشرح الطري على الثنائيات. وتقدم في مواضع.

(٢) قوله: (يسأله...). ذكر المفسّر معنيين لـ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾. الأول: يسأله عباد الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا ...﴾ الآية، روي نحوه عن ابن عباس، وابن زيد. والثاني: الملائكة تسأل الله تعالى للمؤمنين الجنة، بدليل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ ...﴾ الآية. عزاه إلى القرطبي إلى محمد بن كعب القرظي.

(٣) قوله: (بالنون...). قرأ ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: بالياء: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾. والباقون: بالنون: ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾.

(٤) قوله: (من الملائكة...). وبنحوه فسر ابن جرير، ورواه عن مجاهد.

(٥) قوله: (بالتحتانية...) وهي قراءة الجمهور: ﴿فَيَقُولُ﴾. وقرأ ابن عامر: بالنون: ﴿فَنَقُولُ﴾.

(٦) قوله: (بتحقيق الهمزتين...) ذكر أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين بلا ألف بينهما: قراءة الجمهور

٢- إبدال الثانية ألفًا: لورش.

٣- بتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما: قراءة أبي عمرو، وأبي جعفر، وقالون.

٤- تسهيل الثانية بدون إدخال ألف بينهما: ابن كثير، ورويس، ولورش أيضًا.

وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ طريق الحق بأنفسهم[١].

﴿١٨﴾- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عما لا يليق بك[٢] ﴿مَا كَانَ يَنبَغِي﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول[٣]، و«مِنْ» زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني[٤]، فكيف نأمر بعبادتنا؟[٥] ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن[٦] ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هلكى[٧].

---

(١) قوله: (طريق الحق) تفسير لـ﴿السَّبِيلَ﴾.

وقوله: (بأنفسهم). متعلق بـ﴿ضَلُّوا﴾، أي: أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم من غير إضلالكم، وفي هذا السؤال توبيخ للكفار، ذكره القرطبي. و﴿أَمْ﴾ متصلة.

(٢) قوله: (تنزيهًا لك). تفسير ﴿سُبْحَانَكَ﴾، وقد تقدم إعرابه مرارًا. مثلًا: سورة البقرة الآية (٣٢).

(٣) قوله: (مفعول أول) أي: لـ﴿نَّتَّخِذَ﴾، وهي من أفعال التحويل تنصب مفعولين.

(٤) قوله: (وما قبله الثاني). أي: الذي قبله وهو ﴿مِن دُونِكَ﴾ بمعنى: غيرك، هو المفعول الثاني، فيكون المعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذ أولياء غيرك.

(٥) قوله: (فكيف) هذا بيان لمضمون هذه الجملة التي أجابوا بها.

(٦) قوله: (تركوا الموعظة...) أفاد أن النسيان هنا بمعنى: الترك والإعراض، وأن الذكر هنا يشمل ذكر الله تعالى وشكر نعمته، والقرآن المنزل إلى الرسل، وبهما فسّر، قاله القرطبي، وعزا التفسير بالقرآن المنزل على الرسل إلى ابن زيد.

(٧) قوله: (هلكى). روي عن ابن عباس، ومجاهد. وهو مأخوذ من البوار، وهو الهلاك، قيل: وصف يوصف به المفرد وغيره، وقيل: جمع: بائر، كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(١٩)- قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي: كذب المعبودون العابدين[١] ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية[٢]، أنهم آلهتهم[٣] ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية والفوقانية[٤]، أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا[٥] للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعًا لكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾ يشرك[٦] ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩)﴾ شديدًا في الآخرة.

(٢٠)-[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا[٨] إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

---

(١) قوله: (أي: كذب...) أي: يقول الله للكفار الذين عبدوا الملائكة وغيرهم: أن هؤلاء المعبودين كذبوكم أيها العابدون فيما تقولون من أنهم أضلوكم ودعوكم إلى عبادتهم، وبمثله فسر ابن جرير، ورواه عن مجاهد، وقال ابن زيد: «الخطاب للمؤمنين، وضمير الغائب للكفار، والمعنى: فقد كذبكم أيها المؤمنون هؤلاء الكفار فيما تقولون من الحق»، وجرى المفسر على التفسير الأول.

(٢) وقوله: (بالفوقانية...): أي بالتاء في ﴿تَقُولُونَ﴾ باتفاق القراء.

(٣) وقوله: (أنهم...). بيان لـ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾.

(٤) قوله: (بالتحتانية...) قرأ حفص بالتاء: ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾: بصيغة الخطاب لهم. وقرأ الباقون: بالياء: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾.

(٥) قوله: (دفعًا...). فسر ابن جرير وغيره بمثل ما قال المفسر.

(٦) قوله: (يشرك) فسر به ابن جرير، ورواه عن ابن جريج، والحسن وقال ابن جرير: «هذا الخطاب للمؤمنين».

(٧) في هذه الآية رد لقول الكفار: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، أفاده ابن جرير وغيره، وعزا القرطبي قريبًا منه إلى ابن عباس.

(٨) ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. والجملة التي بعدها في محل نصب حال من مفعول ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وهو محذوف تقديره: أحدًا من المرسلين، والله أعلم، وكسرت همزة «إنّ» لوقوعها في بدء جملة حالية، كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

﴿وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ فأنت مثلهم في ذلك. وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً﴾ بلية[١]. ابتلى الغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع. يقول الثاني في كلّ: ما لي لا أكون كالأول في كلّ، ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم، استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.



(١) قوله: (بلية). فسر عامة المفسرين الفتنة هنا بمعنى: البلاء. وقول المفسر: (ابتلي الغني...) إلى آخره أمثلة لجعل بعضهم فتنة لبعض، وبمثله فسر المفسرون، روى ابن جرير عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ...﴾، قال: «يقول هذا الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرًا مثل فلان، ويقول هذا الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيًّا مثل فلان، ويقول هذا السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحًا مثل فلان...».اهـ. وقال القرطبي: «أي: إن الدنيا دار بلاء وامتحان، جعل الله بعض عبيده بلاءً لبعض على العموم، فعلى كل واحد أن يصبر ولا يحسد».اهـ. ملخصًا. ونقل عن مقاتل: «إن هذه الآية نزلت في رؤساء قريش قالوا على الاستهزاء: أنسلم فنكون مثل هؤلاء؟ أي: فقراء المسلمين».اهـ. فالخطاب في ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾ للمؤمنين، وأفادت الآية أن إمهال المشركين ابتلاء من الله تعلى، وعلى ما فسره القرطبي يكون الخطاب في ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾ عامًا.

قول المفسر: (يقول الثاني...) يريد: الفقير، والمريض، والوضيع.

وقوله: (كالأول) أي: الغني، والصحيح، والشريف.


الجزء (١٩)

(٢١)- ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يخافون البعث[١] ﴿لَوْلَآ﴾ هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رسلًا إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيُخْبِرَنَا بأن محمدًا رسوله[٢]. قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ تكبروا ﴿فِيٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ ا﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ بطلبهم[٣] رؤية الله تعالى في الدنيا، و«وَعُتُوّ» بالواو[٤] على أصله بخلاف «عتى» بالإبدال في «مريم».

(٢٢)- ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق، هو يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدرًا ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين، فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)﴾ على عادتهم في الدنيا[٥] إذا نزلت بهم

---

(١) قوله: (لا يخافون) أفاد أن الرجاء هنا بمعنى: الخوف، كما فسر ابن جرير وغيره، والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾: كفار قريش. قاله ابن جريج. و﴿لَوْلَآ﴾ للتحضيض كما أشار المفسر.

(٢) قوله: (فيُخبرنا). أي: يخبرنا الله. وهذا كما قالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)﴾ [الإسراء: ٩٢].

(٣) قوله: (بطلبهم...). أي: طلب تعنُّتٍ. وكذا طلبهم مجيء الملائكة، قال القرطبي: «لأن الملائكة لا تُرى إلا عند الموت، أو عند نزول العذاب، والله تعالى لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار».اهـ.

(٤) قوله: (بالواو) أي: فهو مصدر على وزن «فُعول»، يقال: عتا، يعتو، عُتُوًّا، مثل: علا، يعلو، علوًّا. وتقدم شرحه في سورة مريم الآية (٨).

(٥) قوله: (على عادتهم). أشار المفسر إلى أن قائل ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ هم الكفار، إذا رأوا الملائكة يوم القيامة، يقولون ذلك مستعيذين منهم. روي هذا عن ابن جريج، وعن مجاهد من طريق ابن جريج، وقال الضحاك: «تقول الملائكة للكفار، أي: يوم القيامة: حجرًا محجورًا، أي: حرامًا محرمًا أن تكون لكم الجنة»، واختاره ابن جرير. =

شدة، أي: عوذًا معاذًا يستعيذون من الملائكة.

(٢٣)- قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا[١] ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير، كصدقة وصلة رحم وقِرَى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ هو ما يرى[٢] في الكوى التي عليها الشمس، كالغبار المفرق، أي: مثله في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه[٣]، ويجازون عليه في الدنيا[٤].

(٢٤)- ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا[٥]

= تفسير ثالث: قال القرطبي: «تقول الملائكة عند موت الكفار: حجرًا محجورًا، أي: حرامًا محرمًا أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله، وأقام شرائعها، كما يبشرون المؤمنين عند موتهم بالجنة»، وعزاه إلى ابن عباس، ونصبه على المفعول المطلق لفعل محذوف، و﴿مَّحْجُورًا﴾ نعت للتوكيد.

(١) قوله: (عمدنا). بفتح الميم، أي: قصد.

(٢) قوله: (هو ما يُرى). كذا روي عن الحسن ومجاهد، وعكرمة، وروي عن ابن عباس أنه ما تذرُّه الريح من حطام هذا الشجر. وفي رواية عنه: الماء المهراق، وقال الحسن: «هو الشعاع في كوة أحدهم لو ذهب يقبض عليه لم يستطع».اهـ. وعلى كل حال هذا من التشبيه البليغ، كما أشار إليه المفسر بقوله: (كالغبار المفرق)، ووجه الشبه عدم النفع، كما قاله المفسر.

(٣) قوله: (لعدم شرطه...) وهو النية المتوقفة على الإيمان.

(٤) وقوله: (ويجازون...). أي: على الأعمال التي لا تتوقف على النية، يجزون بسعة الرزق والعافية والولد ونحو ذلك، قاله الصاوي وغيره. أي: لأن الدنيا تعطى المؤمن والكافر والمطيع والعاصي بخلاف الآخرة.

(٥) قوله: (من الكافرين...). أفاد به أن ﴿خَيْرٌ﴾ هنا من «أفعَل» التفضيل، وأصله: أخير، حذفت همزته تخفيفًا. والمفضل عليه: الكافرون في الدنيا، وبنحوه فسر ابن جرير. =

﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾ منهم، أي: موضع قائلة فيها[1]، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك[2] انقضاء الحساب في نصف نهار، كما ورد في حديث.

٢٥- ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: كل سماء[3] ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ أي: معه، وهو غيم

= حيث قال: «أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا... من مستقرهؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا وأحسن منهم مقيلًا فيها».اهـ.

و﴿مُّسۡتَقَرّٗا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، أي: مستقرهم خيرٌ، ويحتمل كونه ظرفًا. ذكره القرطبي؛ لأن ﴿مُّسۡتَقَرّٗا﴾ اسم ظرف بوزن اسم المفعول، والظرف من غير الثلاثي المجرد يكون بوزن اسم المفعول.

(١) قوله: (موضع قائلة). أشار أن ﴿مَقِيلٗا﴾: ظرف مكان. وإعرابه كإعراب ﴿مُّسۡتَقَرّٗا﴾.

(٢) قوله: (وأخذ من ذلك...). وذكره ابن جرير وغيره من المفسرين، وروى ابن جرير ما يفيده عن ابن جريج، وابن عباس، وإبراهيم النخعي. ونقله القرطبي عن ابن مسعود. قال ابن مسعود: «لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار».اهـ. ثم قرأ: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ٦٨﴾ [الصافات: ٦٨]، وهي كذلك في قراءة ابن مسعود، وإلى هذا الحديث أشار المفسر. وتقدم ذلك في سورة البقرة الآية (٢٠٢).

(٣) قوله: (أي: كل سماء...) يشير إلى أن «أل» في ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ للاستغراق أو للجنس، قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق السماء وتفطرها وانفرادها بالغمام وهو ظُلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السمٰوات يومئذ فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لفصل القضاء».اهـ. ثم أورد ابن كثير الحديث الطويل في ذلك عن ابن عباس، من طريق علي بن زيد بن جدعان، وفيه أن كل سماء تنشق وتنزل ملائكتها. وقال ابن كثير: «مدار هذا الحديث عن ابن عباس على عليّ بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف، وفي سياقاته غالبًا نكارة شديدة، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا».اهـ.

أبيض ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ هو يوم القيامة، ونصبه بـ«اذكر» مقدرًا، وفي قراءة[١]: بتشديد شين: «تَشَّقَّقُ» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى[٢]: «وَنُنْزِلُ» بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب «ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ».

﴿٢٦﴾- ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾﴾ شديدًا بخلاف المؤمنين[٣].

﴿٢٧﴾- ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط[٤]، كان نطق

---

(١) قوله: (وفي قراءة: ...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بالتشديد: ﴿تَشَّقَّقُ﴾. وقرأ الباقون: بالتخفيف: ﴿تَشَقَّقُ﴾. ووجههما كما ذكر المفسّر.

(٢) قوله: (وفي أخرى:...) أي: في قراءة أخرى: ﴿وَنُنۡزِلُ﴾: مضارع «أنزل» بصيغة جمع المتكلم. ونصب ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ على المفعولية، وهي قراءة ابن كثير.

(٣) قوله: (بخلاف المؤمنين). أخذ هذا من تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ على عامله، أي: ﴿عَسِيرٗا﴾؛ فإنه يفيد الحصر، أي: حصر العسر على الكافرين، فمفهومه أنه لا يكون عسيرًا على المؤمنين، وصرّح بها قاله المفسر: القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (عقبة بن ...). إشارة إلى سبب نزول هذه الآية، روى ابن جرير عن الشعبي، قال: «كان عقبة بن أبي معيط خليلًا لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا؛ فكفر.اهـ. وروي أن الآية فيهما عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما. وفي رواية عن مجاهد: «دعا عقبة مجلسًا فيهم النبي ﷺ إلى طعام، فأبى النبي ﷺ أن يأكل حتى يشهد عقبة بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فشهد، فلقيه أمية بن خلف، فقال: صبوت، فقال: إن أخاك على ما تعلم -يريد نفسه- ولكني صنعت طعامًا فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك، فقلته، وليس من نفسي».اهـ. باختصار. قال القرطبي: «هذا من دلائل النبوة؛ لأن عقبة وأبيًّا قتلا كافرين، عقبة قتل يوم بدر صبرًا، وأبيّ قتل يوم أحد قتله النبي ﷺ». وقال ابن كثير: «إن الآية عامّة في كل ظالم».

بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبيّ بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتنبيه[(١)] ﴿لَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلٗا ٢٧﴾ طريقًا إلى الهدى.

٢٨- ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾ ألفه[(٢)] عوض عن ياء الإضافة، أي: ويلتي، ومعناه: هلكتي ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا﴾ أي: أُبيًّا ﴿خَلِيلٗا ٢٨﴾.

٢٩- ﴿لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ بأن ردّني عن الإيمان به، قال تعالى[(٣)]: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ﴾ الكافر[(٤)] ﴿خَذُولٗا ٢٩﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء[(٥)].

٣٠- ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد[(٦)] ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ متروكًا[(٧)].

---

(١) قوله: (للتنبيه). أي: ليس للنداء؛ لأن المنادى يكون اسمًا، و«ليت» حرف.

(٢) قوله: (ألفه...). وهذا أحد الأوجه الستة في نداء المضاف إلى ياء المتكلم المذكورة في كتب النحو: أي قلب ياء المتكلم ألفًا، وهذا المراد بقوله: (ياء الإضافة)، كما قال ابن مالك:

واجعل منادًى صح إن تضف ليا   كعبدَ عبدا عبدِ عبـدِي عبـديَا

والسادس: يا عبدُ، بالضم، ولم يذكره ابن مالك لندرته.

(٣) قوله: (قال تعالى). أفاد به أن ما بعده من قوله تعالى، وليس داخلًا في مقالتهم، وكذا فسره ابن كثير وغيره.

(٤) قوله: (الكافر) على هذا يكون ﴿لِلۡإِنسَٰنِ﴾ مطلقًا أريد به المقيد، أو عامًا أريد به الخصوص.

(٥) وقوله: (بأن يتركه). فيه بيان لمعنى الخذل. قال القرطبي: «الخذل: الترك من الإعانة».اهـ.

(٦) قوله: (محمد) ﷺ، يشكوهم إلى الله، قاله القرطبي.

(٧) قوله: (متروكًا). روى هذا المعنى ابن جرير عن ابن زيد،قال: «لا يريدون أن يسمعوه، وإن دعوا إلى الله قالوا: لا».اهـ.

=

﴿٣١﴾- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوًّا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين، فاصبر كما صبروا[١] ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ناصرًا لك على أعدائك.

﴿٣٢﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ هلّا[٢] ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالى[٣]: نزلناه[٤] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: متفرقًا ﴿لِنُثَبِّتَ فُؤَادَكَ﴾ نُقوّي قلبك[٥] ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ أي: أتينا به شيئًا بعد شيء[٦] بتمهّل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه.

= وروى عن مجاهد: «يهجرونه فيه بالقول، يقولون: سحر».اهـ.

أي: على هذا معنى هجرانهم: قولهم فيه بالسيء من القول. واختار ابن جرير الأول، وبه فسر ابن كثير.

(١) قوله: (فاصبر...)، وفيه تسلية للنبي ﷺ، قال ابن عباس: «يوطن محمدًا ﷺ أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين كما جعل لمن قبله». والباء في ﴿بِرَبِّكَ﴾ مزيدة في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ و﴿هَادِيًا﴾ حال لازمة أو تمييز.

(٢) قوله: (هلّا). أفاد أن ﴿لَوْلَا﴾ هنا تحضيضية.

(٣) قوله: (قال تعالى). أفاد أن ما بعده ليس من مقولهم، بل قاله تعالى ردًّا عليهم.

(٤) وقوله: (نزّلناه). قدره ليفيد أن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل نصب حال حذف عاملها وصاحبها.

(٥) قوله: (لنقوي قلبك). قال ابن عباس: «كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده».اهـ. ابن جرير.

(٦) قوله: (أي: أتينا به...). بمثله فسر ابن جرير، ورواه عن الحسن، وإبراهيم، وقال ابن زيد: «معناه: وفسرناه تفسيرًا».

﴿٣٣﴾- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك[1] ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ بيانًا.

﴿٣٤﴾- هم[2] ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ أخطأ طريقًا من غيرهم، وهو كفرهم[3].

﴿٣٥﴾- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ معينًا.

﴿٣٦﴾- ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فذهبا إليهم[4] بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ أهلكناهم إهلاكًا.

﴿٣٧﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم[5] نوحًا لطول لبثه فيهم، فكأنّه رُسل أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء

---

(١) قوله: (في إبطال أمرك). كما قال ابن كثير: «﴿بِمَثَلٍ﴾ أي: بحجة وشبهة، أي: لا يقولون قولًا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق، وأبين، وأفصح، وأوضح من قولهم».اهـ. باختصار.

(٢) قوله: (هم). قدره ليفيد أن الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز كونه في محل نصب بفعل: «أذمّ»، ومعنى الآية سبق في الإسراء الآية (١٩٧).

(٣) قوله: (وهو كفرهم). أي: السبيل كفرهم.

(٤) قوله: (فذهبا إليهم...). أفاد به أن في الكلام إيجاز حذف، أي: حذف جملٍ، وهو من الأساليب البلاغية. والفاء في «فدمّرنا» عاطفة على المحذوف.

(٥) قوله: (بتكذيبهم...). تعليل لكون تكذيبهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ تكذيبًا للرسل المتعددة، لما طال مكث نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو تسعمائة وخمسون سنة صار كأنه رُسُل، أو من كذب رسولًا فقد كذب الرسل كلّهم.

بالتوحيد. ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ جواب «لَمَّا»، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ مؤلمًا سوى ما يحل بهم في الدنيا.

﴿٣٨﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَا۟﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ اسم بئر[(١)]، ونبيهم[(٢)] قيل: شعيب، وقيل: غيره، كانوا قعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًۢا﴾ أقوامًا[(٣)] ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرس.

﴿٣٩﴾- ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ في إقامة الحجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد إنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾ أهلكنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم[(٤)].

﴿٤٠﴾- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟﴾ أي: مرّ كفار مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ مصدر: «ساء»، أي: بالحجارة، وهي عظمى قرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها لفعلهم

---

(١) قوله: (اسم بئر). قال القرطبي: «﴿ٱلرَّسِّ﴾ في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية، وجمعه: رساس».اهـ.

(٢) وقوله: (نبيّهم...). أشار إلى اختلاف العلماء في المراد بـ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾. فعن وهب ابن منبه: «كانوا أهل بئر يقعدون عليها وأصحاب مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله عليهم شعيبًا فكذبوه، وتمادوا في كفرهم، فبينما هم حول البئر انهارت بهم وبديارهم، فخسف الله بهم، فهلكوا جميعًا».اهـ. باختصار نقله القرطبي. وهذا الذي يشير إليه المفسر.
وعن عكرمة: «كان الرس بئرًا، رسوا نبيهم في بئر حيًّا»، وعن مقاتل، والسدي: «هم أهل أنطاكية أصحاب قصة يس، قتلوا فيها حبيب النجار مؤمن من آل يس، فنسبوا إليها».اهـ. وعن ابن عباس: «هم أهل قرية من قرى ثمود».اهـ.

(٣) قوله: (أقوامًا). بنحوه قال ابن كثير: «وأممًا».

(٤) ﴿وَكُلًّا﴾، ﴿كُلًّا﴾ الأول منصوب بفعل محذوف من باب الاشتغال، والثاني منصوب على أنه مفعول مقدم لـ﴿تَبَّرْنَا﴾.

الفاحشة[١] ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير[٢] ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ بعثًا، فلا يؤمنون.

﴿٤١﴾- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءًا به، يقولون: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ في دعواه؟ محتقرين له عن الرسالة[٣].

﴿٤٢﴾- ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنه[٤] ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها[٥]، قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانًا في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أخطأ طريقًا، أهم أم المؤمنون.

﴿٤٣﴾- ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني[٦] ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويّه[٧]، قدم

---

(١) قوله: (لفعلهم الفاحشة). كما تقدم في سورة الأعراف وغيرها.

(٢) قوله: (والاستفهام للتقرير) وذلك: أن الاستفهام للإنكار، دخلت على النفي، ونفي النفي إثبات، فكان مآل معنى الاستفهام التقرير.

(٣) قوله: (محتقرين). اسم الإشارة في ﴿أَهَٰذَا الَّذِي ...﴾ للتحقير على ظنهم!!

(٤) قوله: (واسمها محذوف) هذا مبني على إعمال المخففة، والأكثر إهمالها، فلا حاجة لتقدير الاسم، كما ذكرنا سابقًا، واللام في ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ اللام الفارقة، الواجبة بعد «إن» المخففة المهملة، فرقًا بينها وبين «إن» النافية، كما هو معلوم في النحو.

(٥) قوله: (لصرفنا). قدره ليكون جوابًا لـ﴿لَوْلَا﴾ الامتناعية، و﴿أَن صَبَرْنَا﴾ في تأويل مصدر مبتدأ، حذف خبره وجوبًا، التقدير: لولا صبرنا كائن.

(٦) قوله: (أخبرني) تفسير بالمراد بـ﴿أَرَأَيْتَ﴾ فهو من إطلاق السبب على المسبب؛ لأن الرؤية سبب الإخبار، وقد تقدم في سورة الأنعام الآية (٤٠) وغيرها، كما تقدم إعرابه.

(٧) قوله: (مهويّه) أفاد أنه من إطلاق المصدر بمعنى اسم المفعول.

المفعول الثاني[(١)] لأنه أهم، وجملة «مَنِ ٱتَّخَذَ» مفعول أول لـ«رَأَيْتَ»[(٢)]، والثاني: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

﴿٤٤﴾- ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾[(٣)] ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

﴿٤٥﴾- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر[(٤)] ﴿إِلَىٰ﴾ فعل[(٥)] ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ من وقت

---

(١) وقوله: (قدم...). يعني أن ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ مفعول ثان لـ﴿ٱتَّخَذَ﴾، و﴿هَوَىٰهُ﴾ المفعول الأول قدم الثاني لكونه أهم، وموضع العجب، والأصل: اتخذ إلٰه هواه.

(٢) قوله: (وجملة ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾) يعني: أن الاسم الموصول ﴿مَنِ﴾ هو المفعول الأول لـ﴿أَرَءَيْتَ﴾، وأطلق عليه (جملة)؛ لأن الموصول مع صلته كشيء واحد، والصلة جملة.

وقوله: (المفعول الأول لـ﴿أَرَءَيْتَ﴾). هذا باعتبار معنى: رأى الأصلي، وإذا فسر بـ(أخبرني) فيكون له ثلاثة مفاعيل. الأول: ياء المتكلم، والثاني: ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾، والثالث: جملة ﴿أَفَأَنتَ ...﴾.

(٣) ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾. ﴿أَمْ﴾: هنا منقطعة، لعدم سبق همزة التعيين أو التسوية. قال ابن جرير: «كان بعض المشركين يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر يعبده، فكان إلهه ومعبوده ما يتخيره لنفسه، فلذلك قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ الآية».

(٤) قوله: (تنظر). فسر به لإفادة أن الرؤية هنا ضمن معنى النظر، ولذا تعدى بـ﴿إِلَىٰ﴾.

(٥) قوله: (فعل). أفاد تقدير مضاف؛ لأنه المراد، وليس النظر إلى ذات الله تعالى كما هو واضح، ومن هنا ذكر الله تعالى عدة آيات دالة على وجوده وقدرته، كما ذكر ابن كثير.

الإسفار إلى وقت طلوع الشمس[١] ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مقيمًا[٢] لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل[٣].

﴿٤٦﴾- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ خفيًا بطلوع الشمس[٤].

﴿٤٧﴾- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترًا كاللباس[٥] ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال[٦] ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ منشورًا

---

(١) قوله: (من وقت الإسفار...). يعني من بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وبذلك فسر ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وغيرهم.
قال القرطبي: «إنه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة، فإن فيها يجد المريض راحة، والمسافر وكل ذي علة، وفيها ترد نفوس الأموات والأرواح منهم إلى الأجساد، وتطيب نفوس الأحياء فيها».اهـ.

(٢) قوله: (مقيمًا...). وبنحوه فسر ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وغيرهم.

(٣) قوله: (فلولا الشمس...). كذا فسره ابن كثير.

(٤) قوله: (خفيًّا). قاله السدي: «قبضًا خفيًا حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة، وقد أظلت الشمس ما فوقه».اهـ. نقله ابن كثير. وعن ابن عباس: «﴿قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾: سريعًا».

(٥) قوله: (ساترًا) فيه إشارة إلى أن وصف الليل باللباس من باب التشبيه، كما نبه على ذلك القرطبي وغيره. ووجه الشبه: أنه يستر الأشياء ويغشاها، ولا يعلم منه أن الصلاة تصح في الليل بدون ستر العورة، كما هو واضح.

(٦) قوله: (راحة) وبه فسر ابن جرير وغيره. قال القرطبي: «وأصل السبات من التمدّد، يقال: سبتت المرأة شعرها، أي: نقضته وأرسلته».اهـ.

فيه[١]؛ لابتغاء الرزق وغيره.

﴿٤٨﴾- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، وفي قراءة: «ٱلرِّيحَ»[٢]، ﴿نُشُرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: متفرقة[٣] قدام المطر. وفي قراءة[٤]: بسكون الشين تخفيفًا، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نَشور كرسول، والأخيرة بشير ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ مطهِّرًا[٥].

---

(١) قوله: (منشورًا فيه). أفاد أن النشور مصدر بمعنى: اسم المفعول.

(٢) قوله: (وفي قراءة: ﴿ٱلرِّيحَ﴾). وهي قراءة ابن كثير. وقرأ الباقون: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: بصيغة الجمع.

(٣) قوله: (أي: متفرقة). تفسير ﴿نُشُرًا﴾ بالنون.

(٤) قوله: (وفي قراءة...). حاصل ما قاله أربع قراءات:

١- ﴿نُشُرًا﴾: بضم النون والشين، جمع نشور: قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب.

٢- ﴿نُشْرًا﴾: بضم النون وسكون الشين، تخفيفًا أصله: بضمِّها «نُشُرا»: هذه قراءة ابن عامر.

٣- ﴿نَشْرًا﴾: بفتح النون وسكون الشين، مصدرًا: قراءة الباقين غير عاصم.

٤- ﴿بُشْرًا﴾: بالباء المضمومة وسكون الشين، جمع: بشير: قراءة عاصم.

فقوله: (وضم الموحدة) يعني: الباء بدل النون، كما هو واضح.

(٥) قوله: (مطهِّرا) بكسر الهاء بصيغة اسم الفاعل، فالطهور -كما هو اصطلاح الفقهاء- الطاهر في نفسه المطهر لغيره. وأصله: صيغة مبالغة لطاهر، وهذه المبالغة اقتضت أن يكون طاهرًا مطهرًا. قاله القرطبي. ويمكن كونه بمعنى: ما يتطهر به، فيكون اسمًا نحو الوَضوء، والوَقود، أي: ما يتوضأ به، وما يوقد به. =

(٤٩)- ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالتخفيف[١]، يستوي[٢] فيه المذكر والمؤنث، ذكّره باعتبار المكان[٣] ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ إبلًا وبقرًا وغنمًا ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩)﴾ جمع إنسان[٤]، وأصله أناسين، فأبدلت النون ياءً وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسيّ.

(٥٠)- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ أي: الماء[٥] ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أصله: يتذكّروا، أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة[٦]: «لِيَذْكُرُواْ» بسكون الذال وضم الكاف، أي: نعمة

= وعلى كل حال، أخذ الفقهاء من الآية تعين الماء الطهور في رفع الحدث وإزالة النجس، وفي إزالة النجس خلاف فقهي هل يزول بغير طهور، أجاز ذلك الحنفية ومن نحا نحوهم، والتفصيل في كتب الفقه الموسوعة.

(١) قوله: (بالتخفيف) أي: تخفيف الياء، وبه قرأ الجمهور، وقرأ أبو جعفر بالتشديد: ﴿مَيِّتًا﴾، ولم ينبه عليه المفسر.

(٢) وقوله: (يستوي). يعني أن ﴿مَّيْتًا﴾ يوصف به المذكر والمؤنث لشبهه بالمصدر، ولذلك لم يذكر «ميتة» مع كون الموصوف مؤنثًا ﴿بَلْدَةً﴾.

(٣) وقوله: (ذكّره...) هذا توجيه آخر لترك التاء في ﴿مَّيْتًا﴾، فلعل العبارة: (أو ذكّره) بزيادة «أو» ولا يوجد هذه العبارة في بعض النسخ. يعني: أتى بلفظ المذكر ﴿مَّيْتًا﴾ بدون التاء لتأويل البلدة بالمكان، فيكون مذكرًا.

(٤) قوله: (جمع إنسان). الوجهان، ذكرهما القرطبي وغيره.

(٥) قوله: (أي: الماء). أي: قسمنا هذا الماء بين العباد، كما في ابن جرير. قال ابن عباس: «ما عامٌ بأكثر مطرًا من عام، ولكن الله يصرّفه بين خلقه»، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ...﴾. رواه ابن جرير.

(٦) قوله: (وفي قراءة: ...). هذه قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: بتشديد الذال.

الله به[١] ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ جحودًا للنعمة، حيث قالوا: مطرنا بِنَوْء كذا[٢].

٥١- ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ٥١﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك[٣] إلى أهل القرى كلها نذيرًا ليعظم أجرك.

٥٢- ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي: القرآن[٤] ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾.

٥٣- ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أرسلهما متجاورين[٥] ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾

---

(١) وقوله: (أي: نعمةَ الله) بالنصب، مفعول به لـ﴿لِيَذۡكُرُواْ﴾ على القراءة بسكون الذال من الثلاثي المجرد.

(٢) قوله: (بنوْء كذا) أي: بنجم كذا. نقل القرطبي عن النحاس، قال: «ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافًا أن الكفر هٰهنا قولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا».اهـ. وفي «الصحيح»: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا أثر سماء أصابتهم من الليل: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، وأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذاك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب**».اهـ. فإذا اعتقد أن المطر نزل في نوء كذا وجعل الباء في «بنوء كذا» للظرفية، فهو ليس كفرًا، ولكنه إساءة أدب، ينبغي اجتنابه، كما يعلم من كتب العقيدة.

(٣) قوله: (ولكن بعثناك...). وبمثله فسر ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٤) قوله: (أي: القرآن) روي ذلك عن ابن عباس، كما في ابن جرير.

(٥) قوله: (أرسلهما...) تفسير المراد بـ﴿مَرَجَ﴾، وأصله: خلط، وأفاض. ولكن لما كان بينهما حاجز ناسب تفسيره بـ(جاور). قال ابن جرير: «يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح ثم يمنع الملح من تغيير العذب من عذوبته».اهـ. =

شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ أي: سترًا ممنوعًا به اختلاطهما[(١)].

﴿٥٤﴾- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا[(٢)] ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب[(٣)] ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر بأن يتزوج، ذكرًا كان أو أنثى، طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ قادرًا على ما يشاء.

﴿٥٥﴾- ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾[(٤)] أي: الكفار ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها، وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ معينًا للشيطان بطاعته.

= وهذا أمر مشاهد، فماء النهر المنصب في البحر وماء الآبار المحفورة في حافة البحر نجده عذبًا، مع أن البحر أكثر مساحة ومقدارًا في الأرض من البر.

(١) قوله: (سترًا ممنوعًا...). قال ابن عباس: «...فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب».اهـ. وقد ذكر تعالى هذا في مواضع، كما قال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١]، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ٢٠].

(٢) قوله: (من المني إنسانًا). وبنحوه فسر أكثر المفسرين، وقال البيضاوي: «الماء الذي خمر به طينة آدم، أو جعل الماء جزءًا من مادة البشر، أو المراد: النطفة».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (ذا نسب). قال القرطبي: «النسب والصهر يعمان كل قُرْبَى تكون بين آدميين». اهـ. وروى ابن جرير عن الضحاك: «النسب سبع مذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، والصهر خمس مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ...﴾ [النساء: ٢٣]».اهـ. وقول القرطبي أشمل.

(٤) ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾. الواو استئنافية، لما عدد الله تعالى الآيات الدالة على وحدانيته وألوهيته ذكر أن الكفار يهملون تلك الآيات ويعبدون غير الله تعالى، كما يعلم من القرطبي.

﴿٥٦﴾- ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾﴾ مخوفًا من النار.

﴿٥٧﴾- ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا﴾ لكن[(١)] ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾﴾ طريقًا بإنفاق ماله[(٢)] في مرضاته تعالى، فلا أمنعه من ذلك.

﴿٥٨﴾- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ﴾ مُلْتبسًا[(٣)] ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي: قل: سبحان الله والحمد لله[(٤)] ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ عالمًا، تعلق به بذنوب[(٥)].

﴿٥٩﴾- هو[(٦)] ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام

---

(١) قوله: (لكن) أفاد أن ﴿إِلَّا﴾ هنا للاستثناء المنقطع كما نص عليه القرطبي، لأن الإنفاق في سبيل الخير ليس من جنس الأجر على التبليغ.

(٢) وقوله: (بإنفاق...). وبمثله فسر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (مُلْتبسًا). أفاد أن الباء في ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ للإلصاق والالتباس.

(٤) وقوله: (أي: قل: سبحان الله...). وبمثله فسره ابن كثير، قال: «أي: اقرن بين حمده وتسبيحه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**».اهـ. وقال البيضاوي: «أي: نزهه عن صفات النقصان مثنيًا عليه بأوصاف الكمال...».

(٥) قوله: (تعلق به). يعني: أن الجار والمجرور ﴿بِذُنُوبِ﴾ متعلق بـ﴿خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾. والمعنى: خبيرًا بذنوب عباده، و﴿بِهِۦ﴾ الباء زائدة مؤكدة، والمجرور بها في محل رفع فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾، و﴿خَبِيرًا﴾: تمييز منصوب، أو حال لازمة.

(٦) قوله: (هو) قدره ليكون مبتدأ والاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِي﴾ خبرًا له، ويمكن كونه بدلًا من فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾، أو مبتدأ خبره: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش.

الدنيا[١]، أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثَم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بدل من ضمير «ٱسْتَوَىٰ»[٢]، أي: استواء يليق به[٣] ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ يخبرك بصفاته.

﴿٦٠﴾- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية[٤]، والآمر محمد، ولا نعرفه[٥]، لا[٦] ﴿وَزَادَهُمْ﴾

---

(١) قوله: (من أيام الدنيا...). كما تقدم التفصيل في ذلك في سورة الأعراف (٥٤).

(٢) قوله: (بدل من ضمير...). هذا أحد الأوجه، ويصح كونه خبرًا لمبتدأ محذوف، أو خبرًا لـ﴿ٱلَّذِى﴾ على ما تقدم، أو كونه مبتدأ، وجملة ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾: خبر.

(٣) وقوله: (استواء يليق به). كما تقدم في سورة طه، والأعراف وغيرهما.

والفاء في ﴿فَسْـَٔلْ﴾: الفاء الفصيحة، والباء في ﴿بِهِۦ﴾ بمعنى: عن، على ما ذكره الزجاج، والضمير عائد إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، كما قدره المفسر، ولم يذكر المفسر المراد بالخبير هنا، والظاهر -كما في البيضاوي- من يخبرك من أهل الكتاب، والمعنى: إن أنكر المشركون اسم «الرحمن» فاسأل عنه الخبراء من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتابهم. وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد إلى ما ذكر من الخلق والاستواء، وبالخبير: الله تعالى أو جبريل، هذا الوجه قدمه البيضاوي.

(٤) قوله: (بالفوقانية) قرأ حمزة، والكسائي: بالياء، وهي المراد بالتحتانية: ﴿يَأْمُرُنَا﴾. والضمير للنبي ﷺ أو الرحمن. وقرأ الباقون: بالتاء: ﴿تَأْمُرُنَا﴾، وهي المراد بالفوقانية، والخطاب للنبي ﷺ.

(٥) قوله: (ولا نعرفه) تتميم لقولهم.

(٦) وقوله: (لا)، أي: لا نسجد، تتميم لقولهم كذلك جوابًا للاستفهام الإنكاري، وكانوا =

هذا القول لهم ﴿نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ عن الإيمان.

﴿٦١﴾- قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثنى عشر[١]، الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ: وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها: الثور والميزان، وعطارد: وله الجوزاء والسنبلة، والقمر: وله السرطان، والشمس: ولها الأسد، والمشتري: وله القوس والحوت، وزحل: وله الجدي والدلو، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضًا ﴿سِرَاجًا﴾ هو الشمس[٢] ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾. وفي قراءة: «سُرُجًا» بالجمع، أي: نيّرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة.

﴿٦٢﴾- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم[٣]، ما فاته في أحدهما من خير

= ينكرون اسم الرحمن والرحيم، ويسمون مسيلمة الكذاب: رحمن اليمامة، كما تقدم في آخر سورة الإسراء.

تنبيه: آخر هذه الآية موضع سجودة التلاوة.

(١) قوله: (اثني عشر). قد تقدم الكلام في ذلك، في تفسير الآية (١٦) من سورة الحجر، وقد كان الإمام السيوطي فسر هناك، بما فسر به الإمام المحلّي هنا.

(٢) قوله: (هو الشمس). روي عن ابن عباس، وقتادة، وهذا على قراءة ﴿سِرَاجًا﴾ بصيغة المفرد: وهي قراءة الجمهور. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿سُرُجًا﴾: بصيغة الجمع؛ فالمراد: الكواكب، أي: النجوم العظام الوقادة، كما ذكره ابن جرير وغيره. وعلى هذا خص القمر بالذكر لمزيته كما ذكر المفسر، فيكون ذكره من عطف الخاص على العام.

(٣) قوله: (بالتشديد). قرأ حمزة، وخلف: ﴿يَذْكُرُ﴾: بصيغة الثلاثي المجرد، أي: تخفيف =

فيفعله في الآخر[(١)] ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ أي: شكرًا لنعمة ربه عليه فيهما[(٢)].

٦٣- ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له[(٣)] إلى «﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾...» غير المعترض فيه[(٤)] ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي:

= الذال والكاف. وقرأ الباقون: ﴿يَذَّكَّرَ﴾: بتشديدهما، مضارع: اذّكّر، ففيه إدغام التاء في الذال، وأصله: يتذكّر.

(١) وقوله: (ما فاته...). «ما»: اسم موصول مبتدأ، خبره: فيفعله. أو هو مفعول به لـ﴿يَذَّكَّرَ﴾، أي: ليذكّر ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر. قال ابن عباس: «يقول: من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل».اهـ. رواه ابن جرير. وروى مسلم عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه أو عن شيء منه؛ فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**».اهـ.

وروي عن مجاهد: «معنى ﴿خِلۡفَةٗ﴾: جعل كلًّا منهما مخالفًا صاحبه، فجعل هذا أسود وهذا أبيض»، وفي رواية عنه: «هذا يخلف هذا، وهذا يخلف هذا»، روى ذلك كله ابن جرير.

(٢) قوله: (ربّه عليه فيهما). الهاء يرجع إلى «من»، و«هما» إلى ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾. أي: شكرًا لنعمة الله عليه في الليل والنهار.

(٣) قوله: (وما بعده صفات). أي: الأسماء الموصولات الثمانية نعوت لـ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ جاء بعضها معطوفة؛ لأنه إذا تعددت الصفات يجوز العطف.

(٤) وقوله: (غير المعترض فيه). أي: غير الجمل المعترضة المذكورة فيما بعد، وهي: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ...﴾ إلى ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾؛ فليست أوصافًا، ويجوز كون ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ خبرًا لـ﴿عِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وما بعده من الموصوفات معطوفة، وجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ...﴾ مستأنفة، كما يعلم من البيضاوي وغيره.

بسكينة وتواضع[١] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه[٢] ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم[٣].

﴿٦٤﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ بمعنى: قائمين يصلون الليل.

﴿٦٥﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ أي: لازمًا[٤].

﴿٦٦﴾- ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾ بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ هي، أي: موضع استقرار وإقامة[٥].

﴿٦٧﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ على عيالهم[٦] ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ بفتح أوله

---

(١) قوله: (بسكينة...) كما روي عن مجاهد، وعكرمة وغيرهما. وعن ابن عباس: «بالطاعة، والعفاف، والتواضع»، وعن الحسن: «حلماء».

(٢) قوله: (مما يكرهونه). متعلق بـ﴿خَاطَبَهُمُ﴾.

(٣) وقوله: (أي: قولًا...). روي نحوه عن مجاهد؛ قال: «سدادًا من القول».

(٤) قوله: (أي: لازمًا). وبمثله فسر أهل التأويل، قال ابن جريج: «لا يفارقه». وقال ابن زيد: «الغرام: الشرّ»، وقال الزجاج: «الغرام أشد العذاب»، وقال أبو عبيدة: «الهلاك»، فهو في الأصل مصدر أريد به الوصف.

(٥) قوله: (أي: هي). هي: مخصوص بالذم.

قوله: (موضع استقرار...) تفسير ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾. أفاد بذلك أنهما ظرفان؛ لأن الظرف من غير الثلاثي يكون بوزن اسم المفعول منه.

(٦) قوله: (على عيالهم). ذهب المفسر إلى أن المراد بالإسراف مجاوزة الحد والإنفاق فوق الحاجة والإقتار التقصير في حقهم، وبه فسر ابن كثير، ورواه ابن جرير عن إبراهيم، قال: «لا يجيعهم ولا يعريهم، ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف. وكما في سورة الإسراء الآية (٢٦).=

وضمه[1]، أي: لَمْ يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا ۝٦٧﴾ وسطًا.

٦٨- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ أي: عقوبة.

٦٩- ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة[2]: «يُضَعَّفْ» بالتشديد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ بجزم الفعلين بدلًا، وبرفعهما استئنافًا ﴿مُهَانًا ۝٦٩﴾ حال.

٧٠- ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[3] منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ

= وروي عن ابن عباس: «الإسراف: النفقة في المعصية، وإن قل، والإقتار: المنع من حق الله».

(١) قوله: (بفتح أوله...) قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿وَلَمْ يُقْتِرُواْ﴾: بضم الياء من الإقتار. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بضم الياء وكسر التاء، من باب: ضرب. وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم التاء، من باب: نصر.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). هنا أربع قراءات:

١- ﴿يُضَعَّفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾: بتضعيف العين من: يُضعّف، وجزم الفعلين: قرأه ابن كثير، وأبو جعفر.

٢- ﴿يُضَعَّفُ﴾، ﴿وَيَخْلُدُ﴾: بتضعيف العين ورفع الفعلين: قراءة ابن عامر.

٣- ﴿يُضَٰعَفُ﴾، ﴿وَيَخْلُدُ﴾: بوزن: يفاعَلُ ورفع الفعلين: قراءة شعبة.

٤- ﴿يُضَٰعَفْ﴾، ﴿وَيَخْلُدْ﴾: بوزن يُفاعل، وجزم الفعلين: قراءة الباقين. ووجه الرفع والجزم ما ذكره المفسّر.

تنبيه: قرأ ابن كثير، وحفص بصلة هاء فيه، أي: بمدها. والباقون: بحذف الصلة.

(٣) روى ابن جرير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية إن ناسًا من المشركين أرادوا الإسلام =

سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَٰتٍۗ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

﴿٧١﴾- ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر[1] ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا فيُجازيه خيرًا.

﴿٧٢﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل[2] ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ معرضين عنه[3].

﴿٧٣﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وُعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّواْ﴾

= وخافوا ألا يغفر لهم تلك الذنوب؛ فأنزل الله الآية. يعني هذه الآيات في شأن الكفار الذين تابوا، وأما آية النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [الآية: ٩٣]، فهذه في شأن المؤمن إذا قتل مؤمنًا عمدًا لا توبة له، هذا ملخص ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن قول جمهور العلماء إن آية النساء محمولة على من لم يتب، وهذه الآية فيمن تاب. ذكره ابن كثير.

وفيما روى مسلم في آخر من يخرج من النار وفيه، «فيقال له: فإن لك بكل سيئة حسنة»، مما يدل على أن حكم هذه الآية عامة، وإن كانت نزلت في طائفة، والله أعلم، فالمعنى: يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات في الآخرة، كما اختاره ابن جرير.

(١) قوله: (غير من ذكر). أي في الآيات السابقة، فيكون مضمون هذه الآية عامًّا، أي: أيّ مذنب إذا تاب قبلت توبته. كما ذكره ابن كثير.

(٢) قوله: (أي: الكذب والباطل). روي عن الضحاك: «﴿ٱلزُّورَ﴾: الشرك»، وعن مجاهد: «الغناء»، وعن ابن جريج: «الكذب»، وعن الحسن: «المعاصي»، وقول المفسر يشمل ذلك كله.

(٣) قوله: (معرضين عنه). كذا روي عن مجاهد، قال: «صفحوا». وعن السديّ: «الأمر بالإعراض منسوخ بالجهاد وبتغيير المنكر؛ فإن هذه الآية مكية، ولم يكونوا أمروا بذلك في مكة».اهـ. ملخصًا.

يسقطوا[١] ﴿عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين[٢].

٧٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ بالجمع والإفراد[٣] ﴿قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك[٤] ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ في الخير[٥].

٧٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة[٦] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على طاعة الله[٧] ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء[٨]

---

(١) قوله: (يسقطوا). قال القرطبي عن ابن عطية: «هي عبارة عن إعراضهم، وإن لم يكن خرور حقيقيّ»، وبنحوه قال ابن جرير. أي: فيكون ذلك كناية عن الإعراض.

(٢) وقوله: (بل خروا...). أفاد أن المراد نفي الحال، لا نفي الفعل. أي المراد: نفي كونهم صمًّا وعميانًا، لا نفي خرورهم الذي هو الإكباب والملازمة. كما يعلم من ا لبيضاوي، أي: فهم يخرون على الخير.

(٣) قوله: (بالجمع والإفراد). قراءتان: قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: بالجمع: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾. والباقون: بالإفراد: ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾.

(٤) قوله: (مطيعين) روي عن ابن عباس وغيره.

(٥) قوله: (في الخير). كما قال ابن عباس، والحسن، والسدي وغيرهم: «أئمة يقتدى بنا في الخير».اهـ. نقله ابن كثير. وإنما ذكر ﴿إِمَامًا﴾، ولم يذكر «أئمة» بصيغة الجمع؛ لأن الإمام مصدر في الأصل فيصدق على الواحد والجمع. ذكره البيضاوي مع أوجه أخرى.

(٦) قوله: (الدرجة العليا). كما قال ابن جرير: «وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة».اهـ. ونحوه في القرطبي. وعن الضحاك: «﴿ٱلۡغُرۡفَةَ﴾: الجنة».

(٧) وقوله: (على طاعة الله). يشمل الصبر على كف الشهوات. كما قال الضحاك: «عن الشهوات».اهـ.

(٨) قوله: (بالتشديد...). قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿وَيَلۡقَوۡنَ﴾: بفتح الياء وتخفيف القاف من الثلاثي المجرد. وقرأ الباقون: بضم الياء وتشديد القاف من المبني للمفعول.

﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾ من الملائكة.

﴿٧٦﴾- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ موضع إقامة لهم[(١)]، و«أُولَئِكَ» وما بعده خبر[(٢)] «عِبَادُ الرَّحْمَنِ» المبتدأ.

﴿٧٧﴾- ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَا﴾ نافية[(٣)] ﴿يَعْبَؤُا﴾ يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ ملازمًا[(٤)] لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا، فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب «لَوْلَا» دل عليه ما قبلها.



---

(١) قوله: (موضع إقامة). تفسير للمقام، وكذا للمستقر باعتبار المقصود، أشار به أنهما ظرفان كما تقدم.

(٢) قوله: (خبر). كما تقدم ذلك ووجوه أخرى في الإعراب.

(٣) قوله: (نافية). هذا أحد الوجهين، ذكرهما البيضاوي وغيره. والوجه الثاني: أنها استفهامية إنكارية في محل نصب مفعول مطلق، بمعنى: أيّ عبإ يعبأ بكم؟ وفسر به ابن الشجري فيما نقله القرطبي. والعبء في الأصل: الثقل. والمراد: المبالاة والاعتبار بالشيء، كما يعلم من القرطبي. وروى ابن جرير عن ابن عباس ما حاصله: «لولا إيمانكم فليس لله حاجة إليهم، أي: ليس لهم عند الله قيمة إذا لم يكن منهم إيمان»، وعلى هذا يكون المراد بالدعاء: الإيمان. وروى نحوه عن مجاهد، وما فسر به المحلّي رَحِمَهُ اللَّهُ نسبه القرطبي إلى النقاش وغيره. ونقل عن الضحاك ما حاصله: «ما يعبأ بمغفرتكم لولا دعاؤكم آلهة مع الله»، أي: لولا شرككم لغفر لكم... والله أعلم.

(٤) قوله: (ملازمًا). أفاد أن ﴿لِزَامًا﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل.

٢٦- سورة الشعراء[١]

مكية[٢]، إلا آية ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ ...﴾ [٢٢٤] إلى آخر السورة فمدنية
وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿طسٓمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده بذلك[٣].

(٢)- ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات[٤] ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: مِن[٥] ﴿ٱلۡمُبِينِ (٢)﴾ المظهر الحق من الباطل.

(٣)- ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ قاتلها غمًّا[٦] من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُواْ﴾ أي: أهل

---

(١) الشعراء: سميت السورة بهذه الكلمة لذكرها في آخر السورة.

(٢) وقوله: (مكية). أي: كلها في قول الجمهور. أو إلا الآيات الأربع: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ ...﴾ في قول ابن عباس، وقتادة. وقال مقاتل: «الآيات الأربع، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً...﴾». ذكر كل ذلك القرطبي.

(٣) قوله: (الله أعلم...). كما في سائر الحروف المذكورة في أوائل السور. وفيه أقوال أخر.

(٤) قوله: (هذه). أشار به إلى أن الإشارة بـ﴿تِلۡكَ﴾ الموضوعة للبعيد لنكتة بلاغية، وهي: التعظيم.

(٥) قوله: (والإضافة...). أي: إضافة ﴿ءَايَٰتُ﴾ إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾، بمعنى: «من» التبعيضية. وتكون الإضافة بمعنى: «مِن» إذا كان المضاف بعضًا من المضاف إليه بحيث يصح جعل المضاف مبتدأ، والمضاف إليه خبرًا، نحو: خاتم فضة وباب ساجد وثوب خزّ. ويقال أيضًا: إذا كان المضاف إليه جنسًا للمضاف.

(٦) قوله: (قاتلها...). روي عن ابن عباس، وغيره. وقال البيضاوي: «البخع: أن يبلغ الذبح إلى النخاع، وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حد الذبح».اهـ.

مكة ﴿مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾، و«لعل» هنا للإشفاق[١]، أي: أشفِقْ عليها بتخفيف هذا الغم[٢].

٤- ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع[٣]، أي: تظل، أي: تدوم ﴿أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ۝٤﴾ فيؤمنون. ولما وصفت الأعناق بالخضوع[٤] الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمْعَ العقلاء.

٥- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ قرآن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ﴾ صفة كاشفة[٥] ﴿إِلَّا

---

(١) قوله: (ولعلّ... للإشفاق). الإشفاق: توقع المكروه. والترجي: توقع المحبوب. و«لعل» تأتي لهما، وقد تأتي أيضًا للتعليل، كما ذكره النحاة.

(٢) وقوله: (أي: أشفق...). بصيغة الأمر، توضيح لمعنى الإشفاق، وفيه إشارة إلى أن هذه الآية تسلية للنبي ﷺ، كما قاله ابن كثير.

(٣) قوله: (بمعنى المضارع). أي: يكون التعبير بالماضي لنكتة بلاغية، والفاء فيه يجوز كونها استئنافية، كما يشير إلى ذلك قول المفسر، تدوم: بصيغة الرفع، ويجوز كونها عاطفة على ﴿نُنَزِّلْ﴾ فيكون الفعل في محل جزم، و﴿أَعْنَـٰقُهُمْ﴾ اسم ﴿فَظَلَّتْ﴾. و﴿خَـٰضِعِينَ﴾: خبرها؛ لأنها من أخوات «كان».

(٤) قوله: (ولما وصفت...). توجيه لمجيء الجمع ﴿خَـٰضِعِينَ﴾ بصيغة الجمع المذكر السالم، مع أنه مسند للأعناق، وحاصله: نزلت الأعناق منزلة أصحابها، فيكون من إطلاق الجزء وإرادة الكل، فهو من المجاز المرسل، وعن مجاهد: «الأعناق: الكبراء»، وعن الأخفش: «الجماعات»، وعلى هذا يكون الكلام حقيقة. وقيل غير ذلك. قال ابن كثير في معنى الآية: «لو شاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرًا، ولكن لا نفعل ذلك؛ لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري».اهـ.

(٥) قوله: (صفة كاشفة). الصفة الكاشفة هي التي تكشف وتبين الموصوف ولا يُحْتَرَزُ بها عن شيء أي: لا يخرج بها شيء عن الموصوف، فهنا ﴿مُحْدَثٍ﴾، أي: محدث النزول صفة كاشفة للذكر الذي يراد به القرآن؛ لأن القرآن نزل شيئًا فشيئًا، ولا يراد به ا لاحتراز عن قرآن آخر، وقد تقدم نحو هذه الآية في الأنبياء (٣).

﴿كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

٦- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾.

٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا[١] ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: كثيرًا[٢] ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ نوع حسن.

٨- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ في علم الله[٣]، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: «زائدة»[٤].

٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة، ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ يرحم المؤمنين.

١٠- ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة[٥] ﴿أَنِ﴾ أي: بأن[٦] ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠﴾ رسولًا.

---

(١) قوله: (ينظروا). فسر به لإفادة أن ﴿يَرَوْا۟﴾ ضمن معنى: ينظروا، ولذا تعدّى بـ﴿إِلَى﴾، والرؤية هنا بصرية.

(٢) قوله: (كثيرًا). أفاد به أن ﴿كَمْ﴾ هنا خبرية في محل نصب مفعول به لـ﴿أَنۢبَتْنَا﴾، وجملة ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا﴾ في محل جر بدل اشتمال من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾.

(٣) قوله: (في علم الله). كما قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم».اهـ.

(٤) قوله: (زائدة). عزاه إليه القرطبي وغيره، ومعنى الزيادة: أنه لا اسم لها ولا خبر. وتفيد الزمان فقط، وعلى هذا يكون ﴿أَكْثَرُهُم﴾ اسم «ما» النافية، و﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبرها. وعلى أنها أصلية غير زائدة فـ﴿أَكْثَرُهُم﴾ اسمها، و﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ خبرها؛ وذلك واضح.

(٥) قوله: (ليلة رأى النار...). أي: في عودته من مدين بعد ما قضي فيها عشر سنوات.

(٦) قوله: (بأن). بتقدير الباء تكون «أن» مصدرية، ويمكن ألا تقدر الباء فتكون «أن» تفسيرية.

﴿١١﴾- ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه، ظلموا[١] أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري[٢] ﴿يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الله بطاعته، فيوحِّدونه.

﴿١٢﴾- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾[٣].

﴿١٣﴾- ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه[٤] ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾ معي.

﴿١٤﴾- ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ[٥] أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ به.

﴿١٥﴾- ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يقتلونك ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي: أنت وأخوك،

---

(١) قوله: (معه). أي: مع فرعون، أفاد به أن المراد بقوم فرعون: فرعون وقومه.
وقوله: (ظلموا). توجيه لوصفهم بالظالمين في الآية السابقة.

(٢) قوله: (الهمزة). أفاد أن ﴿أَلَا﴾ مركبة من الهمزة الاستفهامية و«لا» النافية، وليست كلمة واحدة، فيرجع حاصل المعنى إلى طلب التقوى، أي: ليتقوا؛ لأن الاستفهام للإنكار دخل على النفي ونفي النفي إثبات، والله أعلم.

(٣) ﴿أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾. ﴿أَن﴾: ناصبة مصدرية. و ﴿يُكَذِّبُونِ﴾: فعل مضارع منصوب علامة نصبه حذف النون. والنون الموجودة هي نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم حذفت اختصارًا. وكذلك ﴿أَن يَقْتُلُونِ﴾ في الآية التالية، ونظير ذلك.

(٤) قوله: (للعقدة التي فيه). كما تقدم في سورة طه (٢٧).

(٥) ﴿فَأَخَافُ﴾. الخوف هنا طبعيٌّ بشريّ. قد يصحب الأنبياء والفضلاء، مع معرفتهم بالله ولا فاعل إلا هو، كما يعلم من القرطبي. وخبر قتله القبطيّ تقدم في سورة طه، وسيأتي بتفصيل في سورة القصص.

ففيه تغليب الحاضر على الغائب[١] ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥﴾ ما تقولون وما يقال لكم: أُجْرِيا مجرى الجماعة[٢].

١٦- ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ كلًّا منا[٣] ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ إليك.

١٧- ﴿أَنۡ﴾ أي: بأن ﴿أَرۡسِلۡ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧﴾ فأتياه[٤]، فقالا له ما ذكر.

١٨- ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ[٥] فِينَا﴾ في منزلنا[٦] ﴿وَلِيدٗا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ ثلاثين سنة[٧]، يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه.

---

(١) قوله: (تغليب الحاضر...). لأن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند هذا الخطاب؛ لأن الخطاب وقع في طريقه من مدين إلى مصر، وهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بمصر حينئذ.

(٢) قوله: (أُجْرِيا) بصيغة المبني للمفعول، وهذا توجيه لصيغة الجمع في ﴿مَعَكُم﴾. وفي سورة طه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾، ويمكن أن يراد: معكما وفرعون. والله أعلم.

(٣) قوله: (كلًّا منا). قدره لمناسبة ﴿رَسُولُ﴾ بصيغة الإفراد، وهما اثنان، فأفاد أن المعنى: إن كلًّا منا رسول.

(٤) قوله: (فأتياه). أي: أتى موسى وهارون فرعون، قدره المفسّر لإفادة أن الكلام فيه إيجاز حذف.

(٥) ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ﴾: نربِّ: فعل مضارع مجزوم علامة جزمه حذف حرف العلة: الياء، مضارع: ربّى، والكاف مفعول به.

(٦) قوله: (في منزلنا). أفاد حذف مضاف. و﴿وَلِيدٗا﴾: حال من الكاف في ﴿نُرَبِّكَ﴾.

(٧) قوله: (ثلاثين سنة). لأنه ذهب إلى مدين بعد قتله القبطيّ، ثم مكث بمدين عشر سنوات فعاد إلى مصر، وأرسل إليه في تلك العودة، وعمره أربعون.

(١٩)- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي[(١)] ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ (١٩)﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد[(٢)].

(٢٠)- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ (٢٠)﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة[(٣)].

(٢١)- ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا[(٤)] ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١)﴾.

(٢٢)- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمنّ بها[(٥)] ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢)﴾ بيان لـ«تِلْكَ»[(٦)]، أي: اتخذتهم عبيدًا، ولم تستعبدني[(٧)]، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم، وقدَّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار[(٨)].

---

(١) قوله: (هي قتله...). لم أجد في ذلك خلافًا. و«فعلة» اسم المرة؛ لأن ذلك وقع مرة واحدة.

(٢) قوله: (الجاحدين). فالمراد بالكفر هنا: كفران النعمة على زعمه، وبذلك فسر ابن عباس، وابن زيد. واختاره ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

(٣) قوله: (عما آتاني)، كما قال ابن كثير: «أي: قبل أن يوحى إليّ وينعم الله عليّ بالرسالة والنبوة».اهـ.

(٤) قوله: (علمًا) ذكره القرطبي وجهًا، كما نقل عن الزجاج نحوه، وقال السدي: «نبوة». اختاره ابن جرير. وهما متلازمان في حق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) قوله: (أصله) أفاد أن «ها» في ﴿تَمُنُّهَا﴾: في محل نصب، بنزع الخافض.

(٦) قوله: (بيان). أي: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ عطف بيان لـ﴿نِعْمَةٌ﴾ فيكون المصدر المؤول مرفوعًا.

(٧) قوله: (ولم تستعبدني) أي: لم تتخذني عبدًا كما اتّخذتَهُمْ وهي نعمة، أشار المفسر به إلى أن في الكلام حذفًا، للاختصار، وأشار لذلك ابن جرير أيضًا.

(٨) قوله: (وقدر بعضهم). كما يعلم من قول قتادة، حيث قال: «يقول موسى لفرعون: أتمنّ عليّ أن اتخذت أنت بني إسرائيل عبيدًا؟».اهـ كما في ابن جرير.

٢٣- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الذي قلت: إنك رسوله؟ أي: أيّ شيء هو[١]؟ ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى، وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ببعضها:

٢٤- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ بأنه تعالى خالقه فآمِنُوا به وحده[٢].

٢٥- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال[٣].

٢٦- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ هذا[٤] وإن كان

---

(١) قوله: (أيّ شيء هو...). كلام المفسر صريح في أن السؤال بـ«ما» هنا عن الحقيقة، تعنتًا من فرعون، فأجاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالصفات، ونقل القرطبي قريبًا من ذلك عن مكيّ وغيره، قال: «وقد ورد في آية أخرى السؤال بـ«من» أي: وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: ٤٩]، ويشبه أنها مواطن».اهـ. أي: لعله سأل مرة بـ«من» ومرة بـ«ما»، ولكن انتقد ابن كثير وغيره على هذا التقدير، وقال: «بل السؤال بـ«ما» هنا ليس عن الحقيقة؛ لأن السؤال عن الحقيقة يكون بعد الإقرار بالوجود، وكان فرعون منكرًا لوجوده تعالى. فالمراد بـ«ما» و«من» واحد، وكان فرعون يعتقد أنه لا رب لهم غيره، فسأل: من هذا الرب الذي تدعي أنك رسوله؟!».اهـ. ملخصًا. وكون «ما» سؤالًا عن الحقيقة مصطلح منطقيّ، لا يلزم كونه مرادًا هنا. ولكن إنكار فرعون للرب كان جحدًا وعنادًا منه، وعلى هذا يتوجه كلام المفسر والله أعلم.

(٢) قوله: (فآمنوا). قدره ليكون جوابًا للشرط.

(٣) قوله: (الذي لم يطابق السؤال). هذا على ما فسر به من أن السؤال كان عن الحقيقة، فأجابه بصفاته.

(٤) قوله: (هذا). أي: قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ داخل في ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

داخلًا فيما قبله يغيظ فرعون، ولذلك:

٢٧- ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

٢٨- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنه كذلك، فآمنوا به وحده.

٢٩- ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى[١] لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ كان سجنه شديدًا[٢] يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يبصر ولا يسمع فيه أحدًا.

٣٠- ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعل ذلك[٣] ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ برهان بيِّنٍ على رسالتي.

٣١- ﴿ قَالَ ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ فيه.

٣٢- ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ حية عظيمة.

٣٣- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدْمة[٤].

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ ولكن ذكر هذا الخاصّ بعد العام لينظر فرعون في نفسه، فلما سمع ذلك وانقطع حجته، أخذه الغيظ وشرع في الأخذ من عرض موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتهديده.

(١) ﴿إِلَٰهًا غَيْرِى﴾ وفي النازعات: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾؛ فأطلق فرعون على نفسه الإله والرب، فكل من اللفظين يخلف الآخر، وإن كان مفهومهما اللغوي مختلفًا، وقد نبهنا على ذلك.

(٢) قوله: (كان سجنه...). ذكر نحوه البيضاوي وغيره، ولم أجده مسندًا.

(٣) قوله: (أي: أتفعل ذلك). أشار به إلى أن الواو في ﴿أَوَلَوْ﴾ عاطفة على مقدر، وهو مذهب الزمخشري ومن تبعه. وسبق نظيره في مواضع.

(٤) قوله: (خلاف...). أي: خلاف اللون الذي كانت اليد عليه من الأدمة، وهي: لون التراب.

٣٤- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فائق في علم السحر.

٣٥- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا[1] تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٣٦- ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ[2] وَأَخَاهُ﴾ أَخِّرْ أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ جامعين.

٣٧- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ يفضل موسى في علم السحر.

٣٨- ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾ وهو وقت الضحى[3] من يوم الزينة.

٣٩- ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

٤٠- ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع[4]، والترجي[5] على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى.

٤١- ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين[6] ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) ﴿فَمَاذَا﴾. الفاء للتعليل. و«ما» استفهامية مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي خبرها. و﴿تَأْمُرُونَ﴾ صلة الموصول والعائد محذوف، أو يقال: ماذا كلمة واحدة، مفعول مقدم بمعنى: أي شيءٍ تأمرون، أو مفعول مطلق، بمعنى: أيّ أمرٍ تأمرون. والنون في ﴿تَأْمُرُونَ﴾ نون الرفع.

(٢) ﴿أَرْجِهْ﴾ هنا الأوجه التي مرت في الأعراف الآية (١١١).

(٣) قوله: (وهو وقت الضحى). كما تقدم في طه الآية (٥٩).

(٤) قوله: (الاستفهام) أي: في قوله: ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

(٥) وقوله: (الترجي) أي في قوله: ﴿لَعَلَّنَا﴾.

(٦) قوله: (بتحقيق الهمزتين). أربع قراءات:

١- تحقيق الهمزتين: ﴿أَئِنَّ﴾: بدون ألف بينهما: قراءة الجمهور. =

٤٢- ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

٤٣- ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له[١]: ﴿إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴾: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم، توسلًا به إلى إظهار الحق.

٤٤- ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ[٢] وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٤٥- ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل[٣]: تبتلع[٤] ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ يقلبونه بتمويههم، فيخيلون حبالهم وعصيّهم أنها حيات تسعى.

٤٦- ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٤٧- ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٤٨- ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

= ٢- تحقيقهما مع ألف بينهما: ﴿آإِنَّ﴾: هشام.

٣- تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما: قالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

٤- تسهيل الثانية بدون ألف: ورش، وابن كثير، ورويس.

(١) قوله: (بعد ما قالوا...). كما تقدم في سورة الأعراف (١١٥)، وطه (٦٥) نحوه.

(٢) ﴿وَعِصِيَّهُمْ﴾ تقدم في سورة طه (٦٦) أن أصله: عصوو، والتفصيل في ذلك.

(٣) قوله: (بحذف إحدى التائين). هذه قراءة الجمهور أصله: تتلقّف من باب التفعُّل، وقرأ حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾: بوزن الثلاثي المجرّد. ولم ينبه على ذلك المفسر.

(٤) وقوله: (تبتلع). تفسير لـ﴿تَلْقَفُ﴾. كما تقدم كل ذلك في سورة الأعراف (١١٧).

(٤٩)- ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا[1] ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا[2] ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئًا منه وغلبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى[3] ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)﴾.

(٥٠)- ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ (٥٠)﴾ راجعون في الآخرة.

(٥١)- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي: بأن[4] ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥١)﴾ في زماننا.

(٥٢)- ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين[5] أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى

---

(١) قوله: (بتحقيق الهمزتين). كما تقدم في الأعراف (١٢٣).

(٢) قوله: (أنا) فائدة تقديره، تقدم في الأعراف (١٢٣)

(٣) قوله: (أي يد كل واحد). تقدم في الأعراف (١٢٤).

(٤) قوله: (أي: بأن) الباء للسببية، وحذف حرف الجر مع «أنّ» و«أنْ» مطرد.

(٥) قوله: (بعد سنين...). قال الصاوي: «ثلاثين سنة، وذلك أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث أولًا في مصر ثلاثين سنة، وفي مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيًا مكث ثلاثين، ثم أغرق الله فرعون وعاش بعد ذلك خمسين سنة، فجملة عمره مائة وعشرون سنة».اهـ.

قال ابن كثير: «لما طال مقام موسى بمصر يدعو إلى الله أمره الله أن يخرج بني إسرائيل ليلًا من مصر إلى حيث أمر -وهي الشام- فخرج بهم بعد ما استعاروا حليًا من قوم فرعون، وكان خروجه وقت طلوع القمر، وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل عن قبر يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه، فاحتمل تابوته معهم، وكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أوصى بذلك، أي: إذا خرج بنو إسرائيل من مصر أن يحمله معهم».اهـ. ملخصًا.

الحق، فلم يزيدوا إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ بني إسرائيل. وفي قراءة[١]: بكسر النون ووصل همزة «أَسْرِ» من «سرى»، لغة في «أسرى»، أي: سر بهم ليلًا إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢﴾ يتبعكم فرعون وجنوده. فيلجون[٢] وراءكم البحر، فأنجيكم وأغرقهم[٣].

٥٣- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أُخبر بسيرهم[٤] ﴿فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل[٥]: كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ ۝٥٣﴾ جامعين الجيش، قائلًا[٦]:

٥٤- ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ ۝٥٤﴾. قيل: كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفًا[٧]، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف[٨]، فَقَلَّلهم بالنظر إلى كثرة جيشه[٩].

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: بوصل الهمزة. فتكون النون مكسورة في الوصل. وقرأ الباقون: بقطع الهمزة. كما تقدم في الأعراف.

(٢) قوله: (فيلجون). مضارع: ولج، أي: يدخلون.

(٣) وقوله: (فأنجيكم). بصيغة المضارع للمتكلم من «أنجى»، وكذلك (أغرقهم). بيان للوعد من الله تعالى لهم.

(٤) قوله: (حين أخبر). أي: أخبر فرعون بسير بني إسرائيل في الليل.

(٥) قوله: (قيل:...). ولم أجد هذا العدد معزوًّا، ولعل المفسر أشار بـ(قيل) إلى الضعف.

(٦) قوله: (قائلًا:...). قدره ليفيد أن جملة ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلى ﴿حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾ مقول لقول محذوف، وأنها من مقول فرعون.

(٧) قوله: (قيل: كانوا...). روى ابن جرير ذلك عن عبدالله بن مسعود، وأبي عبيدة بن عبدالله.

(٨) وقوله: (ومقدمة جيشه...) رواه ابن جرير عن قيس بن عباد.

(٩) وقوله: (فقللهم) أي: جعل فرعون بني إسرائيل قليلين، وإن كان عدَدُهم أكثر من ستمائة ألف، وذلك بالنسبة إلى عدد جيوشه.

(٥٥)- ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)﴾ فاعلون ما يغيظنا.

(٥٦)- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ (٥٦)﴾ متيقظون، وفي قراءة: «حَذِرُونَ»[1]: مستعدون.

(٥٧)- قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ أي: فرعون وقومه من مصر، ليلحقوا موسى وقومه ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ (٥٧)﴾ أنهار جارية في الدور من النيل.

(٥٨)- ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزًا؛ لأنه لم يعط حق الله تعالى منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨)﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم.

(٥٩)- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا[2] ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ بعد إغراق فرعون وقومه[3].

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿حَذِرُونَ﴾. والباقون: ﴿حَٰذِرُونَ﴾. ومعناهما كما قال المفسر: «الحاذر»: اسم فاعل حذِر يحذَر، و«حذِر» صيغة مبالغة، قال أبو عبيدة: «هما بمعنًى واحد». وظاهر كلام المفسر هما بمعنيين متقاربين. نقل ابن جرير، عن ابن جريج: «حاذرون: مؤدون معدون في السلاح والكراع».اهـ. وعن محمد بن قيس، قال: «كان مع فرعون ستمائة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل».اهـ. ابن جرير.

(٢) قوله: (أي: إخراجنا) أفاد أن الجار والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف. وهو أحد الأوجه في الإعراب، ويمكن كونه مفعولًا مطلقًا نعتًا للمصدر، أي: إخراجًا كذلك الإخراج، وغير ذلك.

(٣) قوله: (بعد إغراق...). ظاهر الآية أن الله تعالى أورث بني إسرائيل كنوز مصر وأموال فرعون بعد هلاكه. نقل القرطبي عن الحسن وغيره: «رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه»، وقيل: المراد بالوراثة هنا: ما استعاروه من حليّ آل فرعون بأمر الله تعالى. وقال القرطبي: «وكلا الأمرين حصل لهم والحمد لله».اهـ. =

(٦٠)- ﴿فَأَتۡبَعُوهُم﴾ لحقوهم ﴿مُّشۡرِقِينَ ٦٠﴾ وقت شروق الشمس.

(٦١)- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي: رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١﴾ يدركنا جمع فرعون، ولا طاقة لنا به[١].

(٦٢)- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّآۖ﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره[٢] ﴿سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ طريق النجاة.

(٦٣)- قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ فضربه[٣]

= قلت: ورجوع بني إسرائيل كلهم إلى مصر فيه إشكال؛ لأن إبلاغهم إلى الشام كان من رسالة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وقد وقعت لهم بعد مجاوزة مصر آيات كثيرة، كنزول المن والسلوى ونبع الماء من الحجر بضرب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وتظليل الغمام، ووقع كذلك عبادة العجل وغير ذلك، فلو ثبت رجوعهم إلى مصر فلعل ذلك لبعضهم، أو أنهم رجعوا بعد زمانٍ أي: بعد استقرارهم في الشام، وذلك بعد وفاة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والله أعلم.

(١) قوله: (ولا طاقة لنا). روى ابن جرير عن ابن عباس، قال: «لما انتهى موسى إلى البحر، وهاجت الريح العاصف، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الريح وإلى البحر أمامهم». اهـ. وعن السدي: «قالوا: اليوم يدركنا فرعون ويقتلنا، إنا لمدركون، البحر بين أيدينا وفرعون من خلفنا».اهـ.

(٢) قوله: (بنصره). أفاد أن المعية هنا خاصة.

تنبيهان:

الأول: جملة ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ مستأنفة، أو بدل اشتمال من جملة ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾، وليست جملة حالية؛ لأن السين لا تدخل في الجملة الحالية، وكذا سوف.

الثاني: قد فضّل قول نبينا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، على قول سيدنا موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾؛ لأنه قدم ذكر اسم الله تعالى في كلام نبينا ﷺ.

(٣) قوله: (فضربه). أفاد أن في الكلام إيجاز حذف، وأن جملة ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ معطوفة على هذا المقدّر.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقًا[(١)] ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ الجبل الضخم[(٢)]، بينها مسالك سلكوها، لم يبتلَّ منها سَرْج الراكب ولا لِبْدُه[(٣)].

﴿٦٤﴾- ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم.

﴿٦٥﴾- ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

﴿٦٦﴾- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لمّا تمّ دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

﴿٦٧﴾- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إغراق فرعون وقومه ﴿لَءَايَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ بالله[(٤)]، لم يؤمن[(٥)] منهم غير آسية امرأة فرعون،

---

(١) قوله: (اثني عشر فرقًا). قاله ابن عباس. لأنهم كانوا اثني عشر سبطًا، لكل سبط طريق. وزاد السدي: «وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام الماء على حيله كالجدار وبعث الله الريح على قعر البحر فلفحته، فسار يبسًا كوجه الأرض».اهـ. من ابن كثير.

(٢) قوله: (الجبل الضخم). فسر به ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، وغيرهم.

(٣) قوله: (سرجُ الراكب). السَّرْج -بفتح السين وسكون الراء-: الرَّحْلُ، أي: ما يوضع على ظهر الدابة للركوب، وأكثر استعماله في الفرس، واللِّبد -بكسر اللام وسكون الباء-: ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج، ويطلق على البساط من الصوف.

(٤) قوله: (بالله). متعلق بـ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾.

(٥) وقوله: (لم يؤمن...). ذكر ذلك القرطبي وغيره، وقال القرطبي: «إن آسية ابنة حزقيل المذكور».

وقول المفسر: (لم يؤمن...). ظاهر في أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم...﴾ =

وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم بن ناموسى التي دلت على عظام يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[١].

٦٨- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ٱلرَّحِيمُ ٦٨﴾ بالمؤمنين، فأنجاهم من الغرق.

٦٩- ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾، ويبدل منه.

٧٠- ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠﴾.

٧١- ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا﴾ صرحوا بالفعل[٢] ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ أي: نقيم نهارًا على عبادتها[٣]، زادوه في الجواب افتخارًا به.

= عائد إلى قوم فرعون، وبذلك فسر القرطبي، ولكن قال ابن جرير: «وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين».اهـ. أي: فالضمير عائد إلى أهل مكة، والله أعلم.

(١) قوله: (التي دلت...). يعني التي دلت على قبر يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وبذلك عبر القرطبي وغيره؛ لأن الأنبياء تبقى أجسادهم، ولا يأكلها التراب، فالتعبير بالعظام فيه شيء، ولكن فيما نقله القرطبي: «واستخرجوا عظام يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ». فلعل لفظ العظام كناية عن الجثة، والله أعلم.

(٢) قوله: (صرحوا بالفعل). الفعل: ﴿نَعۡبُدُ﴾، صرحوا به مع أنه يكفي في الجواب أن يقولوا: ﴿أَصۡنَامًا﴾، ولكن صرحوا بالفعل ليعطف عليه قولهم: ﴿فَنَظَلُّ﴾، وفي التصريح بالفعل أيضًا نوع افتخار منهم.

(٣) قوله: (أي: نقيم نهارًا)، تفسير لـ﴿فَنَظَلُّ﴾. وهي من أخوات «كان»، اسمها: الضمير المستتر، وخبرها: ﴿عَٰكِفِينَ﴾، وتفيد «ظلّ» اتصاف الاسم بالخبر في النهار وكانوا يعبدونها بالنهار دون الليل، ففي الليل كانوا يعبدون الكواكب. نقله القرطبي بدون عزو، وفسر بقوله: «أي: نقيم على عبادتها، وليس المراد وقتًا معيّنًا».اهـ. كما روي عن ابن عباس: «الصلاة لأصنامهم».

(٧٢) - ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾[١] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ (٧٢)﴾.

(٧٣) - ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)﴾كم إن لم تعبدوهم.

(٧٤) - ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾ أي: مثل فعلنا.

(٧٥) - ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)﴾[٢].

(٧٦) - ﴿أَنتُمْ﴾[٣] ﴿وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦)﴾.

(٧٧) - ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ لا أعبدهم[٤] ﴿إِلَّا﴾ لكن[٥] ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧)﴾ فإني أعبده.

(٧٨) - ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨)﴾[٦] إلى الدين.

(٧٩) - ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩)﴾.

---

(١) ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ استفهام لتقرير الحجة، فنزعوا إلى مجرد التقليد بدون حجة في قولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ﴾. ذكره القرطبي.

(٢) ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ بمعنى: أخبروني. له مفعولان: الأول: الاسم الموصول ﴿مَّا﴾. والثاني: محذوف، هل هو جدير بالعبادة أو هل هو يملك النفع والضر، كما يعلم من «إعراب القرآن» للدرويش. ويمكن كون المفعول الثاني جملة ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ...﴾. والله أعلم. والاكتفاء بالمفعولين جريًا على قول المعربين في الجملة، وإلا فلها ثلاثة مفاعيل بناء على أن معناها: أخبروني، الأول: ياء المتكلم، والثاني والثالث: المذكوران هنا، وقد تقدم في تفسير سورة الأنعام تفصيل ذلك الآية (٤٠).

(٣) ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل تأكيد للضمير المرفوع، أي: الواو في ﴿تَعْبُدُونَ﴾، جيء به لعطف ﴿وَءَابَآؤُكُمُ﴾ على ذلك الضمير.

(٤) وقوله: (لا أعبدهم). أشار به إلى أن المراد بالعداوة: ترك عبادتها والنفرة عنها، ولذلك وصف الجماد بالعداوة، وقال القرطبي: «أنهم عدو لي إن عبدتهم يوم القيامة».اهـ.

(٥) قوله: (لكن). أشار إلى أن الاستثناء منقطع.

(٦) النون في ﴿يَهْدِينِ (٧٨)﴾ وما بعدها نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم حذفت تخفيفًا.

٨٠- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾.

٨١- ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾.

٨٢- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ الجزاء.

٨٣- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علمًا[(١)] ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: النبيين[(٢)].

٨٤- ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً حسنًا[(٣)] ﴿فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

٨٥- ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ أي: ممن يعطاها[(٤)].

٨٦- ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله[(٥)]، كما ذكر في سورة براءة.

---

(١) قوله: (علمًا). نحوه روي عن ابن عباس، ومقاتل، فيما نقله القرطبي، وفسر ابن جرير: «نبوة»، وبها فسر الكلبي.

(٢) قوله: (النبيين). بمثله فسر ابن جرير، وعن ابن عباس: «بأهل الجنة».

(٣) قوله: (ثناءً حسنًا). قاله مجاهد. وعن ابن عباس: «هو اجتماع الأمم عليه»، وعن ابن زيد: «هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين».اهـ، ذكر ذلك القرطبي. وعلى هذا يكون «اللسان» من المجاز المرسل من إطلاق الآلة وإرادة ذي الآلة؛ لأن اللسان آلة للثناء، روى القرطبي عن مالك، قال: «لا بأس أن يحب الرجل أن يثني عليه صالحًا، ويرى في عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى».اهـ. أي: لهذه الآية.

(٤) قوله: (أي: ممن يعطاها). أشار إلى أن الوراثة هنا بمعنى الإعطاء، ويشير ابن جرير إلى أن الوراثة: أن يعطى من منازل من هلك من المشركين من الجنة، وقد تقدم معنى ذلك. [المؤمنون: ١٠].

(٥) قوله: (وهذا قبل). أي: الدعاء له بالمغفرة قبل أن يتبين أنه عدو لله، كما تقدم في سورة براءة، أي: التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ ...﴾ الآية (١١٤).

٨٧- ﴿وَلَا تُخۡزِنِي﴾ تفضحني ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ الناس.

٨٨- قال تعالى فيه[١]: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾ أحدًا[٢].

٨٩- ﴿إِلَّا﴾ لكن[٣] ﴿مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ من الشرك والنفاق[٤]، وهو قلب المؤمن، فإنه ينفعه ذلك.

٩٠- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ﴾ قرّبت ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠﴾ فيرونها.

٩١- ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلۡغَاوِينَ ٩١﴾ الكافرين.

٩٢- ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢﴾.

٩٣- ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا[٥].

---

(١) قوله: (قال تعالى:...). أشار به إلى أن ما بعده من الآيات ليس من مقول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وظاهر كلام ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي، والبيضاوي، وغيرهم أنه من مقوله، وذكر الوجهين الصاوي، وعلى كلا التقديرين ﴿يَوۡمَ﴾ بدل من ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧﴾ وهو منصوب مضاف إلى جملة ﴿لَا يَنفَعُ﴾.

(٢) وقوله: (أحدًا) قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿لَا يَنفَعُ﴾.

(٣) قوله: (لكن). يشير إلى أن الاستثناء منقطع، فالمعنى: لا ينفع أحدًا المال والبنون، لكن القلب السليم من الشرك والنفاق هو الذي ينفع، وليس القلب السليم من جنس المال والبنين، وعلى هذا لا غبار في كلام المفسر، خلافًا لمن اعترض بأنه كلامه متناقض.

(٤) قوله: (من الشرك...). كما قال ابن زيد: «سليم من الشرك، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد».اهـ.

(٥) قوله: (لا) جواب للاستفهام: ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ﴾.

﴿٩٤﴾- ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا(١) ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾(٢).

﴿٩٥﴾- ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿٩٦﴾- ﴿قَالُوا﴾ أي: الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ مع معبوديهم.

﴿٩٧﴾- ﴿تَاللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف(٣)، أي: إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ بيّن.

﴿٩٨﴾- ﴿إِذْ﴾ حيث(٤) ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ في العبادة(٥).

﴿٩٩﴾- ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ أي: الشياطين أو أوّلونا الذين اقتدينا بهم(٦).

---

(١) قوله: (ألقوا). قال ابن زيد: «طرحوا»، وابن عباس: «فجمعوا فيها»، ومجاهد: «دهوّروا»، ومقاتل: «قذفوا»، والمعنى واحد كما قال القرطبي.

(٢) ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هنا قال مجاهد وغيره: «الشياطين»، وقال السدي: «الآلهة». و﴿هُمْ﴾ توكيد للواو.

(٣) قوله: (واسمها محذوف). الأكثر في «إن» المخففة إهمالها عن العمل، وعلى هذا فلا حاجة لتقدير الاسم، وإذا أهملت وجبت اللام بعدها فرقًا بين المخففة والنافية، وهي هنا اللام في ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾، وقد مر بنا نحو هذا.

(٤) قوله: (حيث). لعله أشار به إلى أن ﴿إِذْ﴾ هنا ظرف وليست حرف تعليل، وهي ظرف لكونهم في ضلال مبين، و(حيث) في الأصل ظرف مكان، و﴿إِذْ﴾ ظرف زمان، وتأتي «إذ» حرف تعليل.

(٥) وقوله: (في العبادة). أي: عبدوهم، وإن لم يعتقدوا أن معبوداتهم خلقتهم، فأخلّوا توحيد الألوهية.

(٦) قوله: (أي: الشياطين) ذكر المفسر تفسيرين للمراد بالمجرمين هٰهنا: الشياطين الذين زينوا لهم الكفر، وآباؤهم الذين قلدوهم في الشرك، وبهما فسر القرطبي وغيره، وروى ابن جرير والقرطبي عن عكرمة: «إبليس وابن آدم القاتل، هما أول من سن الكفر والقتل وأنواع المعاصي».

(١٠٠) - ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

(١٠١) - ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١﴾ أي: يهمه أمرنا.

(١٠٢) - ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠٢﴾، «لو» هنا للتمني[1]، و«نكون» جوابه[2].

(١٠٣) - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٠٣﴾.

(١٠٤) - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤﴾.

(١٠٥) - ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ بتكذيبهم له[3]؛ لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل. وتأنيث «قَوْمُ» باعتبار معناه[4]، وتذكيره باعتبار لفظه.

---

(١) قوله: (للتمني). قال بعض المعربين: إذا كانت ﴿لَوْ﴾ للتمني فجملة ﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ في تأويل مصدر منصوب بفعل «أتمنى» الذي نابت عنه ﴿لَوْ﴾، ويجوز كون ﴿لَوْ﴾ شرطية فيها معنى التمني، و﴿أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فاعل لفعل محذوف فعل الشرط. والتقدير: لو ثبت أن لنا كرة. و﴿فَنَكُونَ﴾ جواب الشرط، أو دال على الجواب.

(٢) وقول المفسر: (نكون). جواب. أي: جواب «لو» التمنية، وهو فعل منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا؛ لأنه واقع بعد الفاء الجوابية، وقد سبقها التمني.

(٣) قوله: (بتكذيبهم له). توجيه لكون تكذيبهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ تكذيبًا لجميع المرسلين. إما لأن جميعهم لما اشتركوا في المجيء بالتوحيد فكان تكذيب واحدٍ منهم تكذيبًا للجميع، أو لأن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لما طال مكثه فيهم فكأنه رسل، لا رسول واحد.

(٤) قوله: (وتأنيث...). أي في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ﴾ بتاء التأنيث؛ لأن «القوم» وسائر أسماء الجموع يجوز تذكير الفعل معها باعتبار لفظها وتأنيثه باعتبار معناها، أي: بتأويلها: جماعة.

١٠٦- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ نسبًا[١] ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾ الله.

١٠٧- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾ على تبليغ ما أُرسلت به.

١٠٨- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾[٢] فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته.

١٠٩- ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٩﴾.

١١٠- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠﴾ كرره تأكيدًا.

١١١- ﴿ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ ﴾ نصدّق ﴿لَكَ﴾ لقولك[٣] ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾[٤]. وفي قراءة: «وَأَتْبَاعُكَ» جمع تابع، مبتدأ ﴿الْأَرْذَلُونَ ١١١﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة.

١١٢- ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾ أي: لا علم لي[٥] ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٢﴾.

---

(١) قوله: (نسبًا). أي: الأخوّة هنا في النسب لا في الدين.

(٢) ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ النون للوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة تخفيفًا.

(٣) قوله: (لقولك). أفاد تقدير مضاف، وأن الإيمان إذا عدّي باللام يراد به قبول القول كما تقدم في التوبة (٦١).

(٤) قوله: ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ بالفعل الماضي من الاتباع، هذه قراءة الجمهور غير يعقوب، فقرأ: ﴿وَأَتْبَاعُكَ﴾ جمع تابع، بوزن أفعال. كما قال المفسر. والواو فيه للحال، وعلى قراءة الجمهور تقدر بعد الواو «قد»؛ لأن الجملة الحالية إذا كانت فعلية فعلها ماضٍ وجب دخول «قد» عليه لفظًا أو تقديرًا، كما تقدم نظير ذلك، وعلى قراءة يعقوب: الجملة اسمية، وهي حال أيضًا. الحاكة: جمع حائك، وهو من ينسج القماش. والأساكفة: جمع إسكاف، وهومن يصنع الأحذية ويصلحها.

(٥) قوله: (أي: لا علم لي). أشار به إلى أن الاستفهام بمعنى: النفي، و«ما» استفهامية بمعنى: النفي في محل رفع مبتدأ، و﴿عِلْمِي﴾: خبر، أو بالعكس. وفي بعض النسخ: (أيُّ علمٍ لي) بدلًا من (أي: لا علم لي).

١١٣- ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ فيجازيهم ﴿لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣﴾ تعلمون ذلك ما عبدتموهم[1].

١١٤- ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤﴾.

١١٥- ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥﴾ بيّن الإنذار.

١١٦- ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾ بالحجارة أو بالشتم[2].

١١٧- ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧﴾[3].

١١٨- ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾ أي: احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾.

١١٩- قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

١٢٠- ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ بعد إنجائهم[4] ﴿ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠﴾ من قومه.

---

(١) قوله: (ما عبدتموهم). قدره جوابًا لـ﴿لَوۡ﴾. وفي بعض النسخ: (ما عيّرتموهم).

(٢) قوله: (بالحجارة). ذكر تفسيرين في معنى الرجم هنا، فعن قتادة: «الرجم بالحجارة»، وعن السدي: «بالشتم»، فالمعنى: من المشتومين، وقال ابن عباس، ومقاتل: «من المقتولين». فالرجم هنا بمعنى: القتل على هذا القول. وقال الثُمالي: «كل مرجومين في القرآن فهو القتل إلا في مريم: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ [مريم: ٤٦]، أي: لأسبنك».اهـ. نقله القرطبي بعد ذكر الأقوال السابقة.

(٣) ﴿كَذَّبُونِ﴾ النون للوقاية وبعدها ياء المتكلم محذوفة.

(٤) قوله: (بعد إنجائهم). أفاد به أن ﴿بَعۡدُ﴾ مبني على الضم في محل نصب ظرف، وإنما بني لحذف المضاف إليه ونية معناه، وقدر المضاف إليه المحذوف بقوله: (بعد إنجائهم).

(١٢١)- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١)﴾.

(١٢٢)- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)﴾.

(١٢٣)- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾.

(١٢٤)- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾.

(١٢٥)- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)﴾.

(١٢٦)- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦)﴾.

(١٢٧)- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾.

(١٢٨)- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع[(١)] ﴿آيَةً﴾ بناءً علمًا للمارة[(٢)] ﴿تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾ بمن يمر بكم[(٣)]، وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير «تَبْنُونَ»[(٤)].

(١٢٩)- ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض[(٥)] ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم[(٦)] ﴿تَخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ فيها لا تموتون.

---

(١) قوله: (مكان مرتفع). وبمثله فسر ابن عباس في رواية، قال: «بكل شرفٍ»، وفسر به كذلك ابن جرير وغيره. وعن مجاهد، وقتادة: «طريق»، وروي ذلك عن ابن عباس أيضًا. وفيه لغتان: فتح الراء وكسره، ذكره الثعالبي.

(٢) قوله: (بناءً). روي عن مجاهد. كما فسر به ابن جرير، وابن كثير، وغيرهما.

(٣) قوله: (بمن يمر بكم). ذكره القرطبي وجهًا بدون عزو، وقال ابن كثير: «أي: عبثًا بدون احتياجٍ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولذا أنكر عليهم نبيهم»، ونقل القرطبي عن الكلبي: «إنه عبث العشارين بأموال من يمر بهم».اهـ. أي: أخذ أموال المارين، العُشر ونحوه.

(٤) قوله: (والجملة) أي: ﴿تَعْبَثُونَ (١٢٨)﴾.

(٥) قوله: (للماء). قاله قتادة، والزجاج. وعن مجاهد: «قصور مشيدة»، واختار ابن جرير احتمال كونهما مرادًا.

(٦) قوله: (كأنكم). قاله ابن عباس. وفسر به ابن جرير.

١٣٠- ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل[1] ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ من غير رأفة.

١٣١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ ١٣١﴾ فيما أمرتكم به.

١٣٢- ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢﴾.

١٣٣- ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ١٣٣﴾[2].

١٣٤- ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ١٣٤﴾ أنهار.

١٣٥- ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣٥﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

١٣٦- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مستوٍ عندنا[3] ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ١٣٦﴾ أصلًا[4]، أي: لا نَرْعَوِي لوعظك[5].

---

(١) قوله: (بضرب أو قتل). ذكر نحوه ابن عباس، ومجاهد، قال القرطبي في معنى ﴿جَبَّارِينَ﴾: «فعلتم ذلك ظلمًا»، وهو لازم لقول المفسر: (من غير رأفة).

تنبيه: جملة ﴿بَطَشْتُم﴾ الأولى شرط، والثانية جواب، ولما قيدت الثانية بالحال ﴿جَبَّارِينَ﴾ تغايرت الجملتان، وإلا فلا يكون الشرط والجواب شيئًا واحدًا، كما هو واضح. والله أعلم.

(٢) ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ...﴾. الجملة بدل بعض من الجملة التي قبلها، فلذا لم تعطف لكمال الاتصال بينهما.

(٣) قوله: (مستوٍ عندنا). أفاد أن ﴿سَوَاءٌ﴾ مصدر بمعنى اسم الفاعل، وإعرابه وإعراب ما بعده كما تقدم في ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ...﴾ [البقرة: ٦].

(٤) قوله: (أصلًا). أخذ هذا المعنى من الجملة ﴿لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ١٣٦﴾ فهو أبلغ من «أم لم تعظ».

(٥) وقوله: (لا نرعوي). أي: لا ننفك ولا ننزجر. وهو مضارع: ارعوى، أصله: ارعوّ من باب «افعلّ».

١٣٧- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوَّفتنا به ﴿إِلَّا خَلْقُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ أي: اختلاقهم وكذبهم[١]، وفي قراءة: بضم الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار للبعث إلا خُلق الأولين، أي: طبيعتهم وعادتهم.

١٣٨- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾.

١٣٩- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا بالريح[٢] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾[٣].

١٤٠- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠﴾.

١٤١- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٤١﴾[٤].

١٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢﴾.

١٤٣- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣﴾.

---

(١) قوله: (أي: اختلاقهم...). هذا التفسير لـ﴿خَلْقُ﴾: بفتح الخاء وسكون اللام، كما فسر بنحوه ابن مسعود، وعلقمة. والإشارة تكون إلى الذي جاء به هود عَلَيْهِ السَّلَامُ. قرأ به: غير نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف. وهؤلاء قرأوا: ﴿خُلُقُ﴾: بضم الخاء واللام. فالمعنى: طبيعتهم وعادتهم. كما ذكر المفسر. وبنحوه ورد التفسير عن ابن عباس، قال: «دين الأولين» فالإشارة إلى ما هم عليه من الإنكار أو إلى الذي أنكر عليهم نبيهم من البنيان والبطش، كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (بالريح). كما صرح بذلك في آيات.

(٣) ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾. ذكر القرطبي: «قال بعضهم: أسلم معه ثلاثمائة ألف ومئون، وهلك باقيهم». اهـ.

(٤) قصة ثمود تقدمت بشيء من التفصيل في الأعراف (٧٣) وما بعدها. كما تقدم فيها قصة عاد وغيرهم.

(١٤٤) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤)﴾.

(١٤٥) - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)﴾.

(١٤٦) - ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ من الخيرات ﴿آمِنِينَ (١٤٦)﴾.

(١٤٧) - ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧)﴾.

(١٤٨) - ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨)﴾ لطيف ليّن[1].

(١٤٩) - ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ (١٤٩)﴾ بطرين[2]، وفي قراءة: «فَارِهِينَ»: حاذقين.

(١٥٠) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠)﴾ فيما أمرتكم به.

(١٥١) - ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾[3].

(١٥٢) - ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾ بطاعة الله.

---

(١) قوله: (لطيف). روي عن عكرمة، قال: «الهضيم: الرطب اللين». وعن ابن عباس: «أينع وبلغ فهو هضيم، أي: اليانع النضيج»، وذكر النخل بعد الجنات يحتمل كونه من ذكر الخاص بعد العام، أو يراد بالجنات غير النخل، ذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (بطرين). تفسير: ﴿فَرِهِينَ﴾: جمع فَرِه، صيغة مبالغة، روي عن قتادة: «فرهين: معجبين بصنيعكم»، وعن مجاهد: «شرهين»، وهذه قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بصيغة اسم الفاعل: ﴿فَارِهِينَ﴾: ومعناه: حاذقين، كما قال المفسر، روي عن ابن عباس وغيره.

(٣) ﴿أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾. قال البلاغيون: فيه نوع مجاز عقليّ، والأصل: ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم، فنسب الفعل إلى غير المفعول به الحقيقي، أي: علق الفعل ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾ بغير المفعول به الحقيقي.

١٥٣- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾ الذين سُحروا كثيرًا حتى غلب على عقلهم[(١)].

١٥٤- ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾ في رسالتك.

١٥٥- ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥﴾.

١٥٦- ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦﴾ بعظم العذاب.

١٥٧- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقرها بعضهم برضاهم ﴿فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾ على عقرها.

١٥٨- ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ١٥٨﴾.

١٥٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩﴾.

١٦٠- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٦٠﴾.

١٦١- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١﴾[(٢)].

---

(١) قوله: (الذين سحروا كثيرًا). أخذ معنى الكثرة من صيغة التفعيل: ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ اسم مفعول: «سحّر» المشدد العين. ويراجع الآيات (٧٣) وما بعدها في سورة الأعراف.

(٢) ﴿أَخُوهُمْ﴾. تقدم في سورة الأعراف [الآية: ٨٠ وما بعدها]: أن لوطًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ابن أخي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كان آمن به، وأرسل إلى سدّوم. فليس لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ناشئًا منهم، فإطلاق الأخ هنا باعتبار الصحبة وإرساله إليهم، وكان أهل سدوم يأتون بالفاحشة التي لم يسبقهم فيها أحد، وهي: إتيان أدبار الرجال. كما تقدم.

١٦٢- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾﴾.

١٦٣- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾.

١٦٤- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

١٦٥- ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ أي: من الناس.

١٦٦- ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: أقبالهن[1] ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

١٦٧- ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من بلدتنا[2].

١٦٨- ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ المُبْغِضين[3].

١٦٩- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ أي: من عذابه[4].

١٧٠- ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

---

(١) قوله: (أي: أقبالهن). جمع قُبل: أي الفرج. فسر كذلك مجاهد وغيره فيما رواه ابن جرير، فهو تفسير لـ﴿مَا﴾، فتكون ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ حالًا من ﴿مَا﴾. كما يصح كونها تبعيضية.

(٢) قوله: (من بلدتنا). هددوا بالإخراج؛ لأنه لم يكن منهم.

(٣) قوله: (المبغضين). ﴿الْقَالِينَ﴾: اسم فاعل من «قلى، يقلي، قِلًى، وقلاءً» فهو قالٍ. وفي ﴿قَالَ﴾ ﴿الْقَالِينَ﴾. نوع من الجناس.

(٤) قوله: (أي: من عذابه). كذلك فسر ابن جرير وغيره. ففيه تقدير مضاف، قال ابن جرير: «فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته من نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران».اهـ.

(١٧١) - ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)﴾ الباقين أهلكناها.

(١٧٢) - ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢)﴾ أهلكناهم.

(١٧٣) - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك[1] ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣)﴾ مطرهم.

(١٧٤) - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤)﴾.

(١٧٥) - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)﴾.

(١٧٦) - ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾، وفي قراءة[2]: بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء، وهي غيضة[3] شجر قرب مدين ﴿الْمُرْسَلِينَ (١٧٦)﴾.

---

(١) قوله: (من جملة الإهلاك). أي: إمطار الحجارة نوع من الهلاك النازل بهم، وكان من الإهلاك قلب قريتهم ظهرًا لبطن كما تقدم في هود: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: ٧٤].

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). أي: ليكةَ. وهي قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبي جعفر. وقرأ الباقون: الأيكة، بـ«ال» وكسر التاء. وقول المفسر: وفتح الهاء يعني: تاء التأنيث وسماها هاءً لقلبها هاءً عند الوقف، وهي تسمية شائعة.

(٣) قوله: (وهي غيضة). تفسير الأيكة. وبه فسر ابن عباس، والغيضة: الشجر الملتف، والأيكة واحد الأيك، بمعنى: الشجر الملتف. ذكره ابن جرير. وعن ابن عباس في رواية: «الأيكة: مجمع الشجر».اهـ. وروى ابن جرير عن ابن زيد، قال: «الأيكة: الشجر، بعث الله شعيبًا إلى قومه من أهل مدين، وإلى أهل البادية، قال: وهم أصحاب ليكة، وليكة والأيكة واحد».اهـ. وقال القرطبي: «الأيكة: الشجر الملتف، ولَيْكة: اسم القرية». وعلى هذا يكون «ليكة» بوزن «ليلة» اسم القرية منع من الصرف للعلمية والتأنيث، أما على ما قاله المفسر من أنه بنقل حركة الهمزة؛ ففيه إشكال؛ لأنه تكون الكلمة مجرورة بالكسرة على هذا، ولعل المفسر أخذه من البيضاوي. =

(١٧٧) - ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم؛ لأنه لم يكن منهم[١] ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)﴾.

(١٧٨) - ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)﴾.

(١٧٩) - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩)﴾.

(١٨٠) - ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾.

(١٨١) - ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه[٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)﴾ الناقصين.

(١٨٢) - ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢)﴾ الميزان السوي.

(١٨٣) - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾ بالقتل وغيره، من «عثي»[٣] بكسر المثلثة: أفسد و«مُفْسِدِينَ»: حال مؤكدة لمعنى عاملها[٤] «تَعْثَوْا».

(١٨٤) - ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الخليقة[٥] ﴿الْأَوَّلِينَ (١٨٤)﴾.

= ويمكن توجيه ذلك بأن الكلمة أشبهت «ليكة» في النطق والخط، فمنع من الصرف، وإن كان أصلها بـ«ال»، أو أن أصل «ليكة» كان «الأيكة»، والله أعلم.

(١) قوله: (لم يكن منهم). أي: أصحاب الأيكة، بل كان من مدين.

(٢) قوله: (أتموه). بصيغة الأمر.

(٣) قوله: (من «عثي») أي: ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾: صيغة نهي من: عَثِي يعثى بكسر الثاء المثلثة كرضي يرضَى. معناه: أفسد.

(٤) وقوله: (حال مؤكدة...). وهي التي لا تفيد معنًى جديدًا بل تؤكد معنى العامل، والعامل هنا: ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾، وذلك واضح. وضد المؤكدة تسمى مؤسِّسه، بصيغة اسم الفاعل، أي: المفيدة لمعنًى جديد، وللحال تقاسيم ذكرنا أهمها في «الثنائيات».

(٥) قوله: (الخليقة). ذكره مجاهد. وهي بمعنى الخلق، كما فسر به ابن عباس. نقل القرطبي عن الهروي: «الجبلّة والجُبْلة، والجِبِلّ والجُبُل والجَبْلُ لغات، وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس».اهـ.

(١٨٥) - ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥﴾.

(١٨٦) - ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة[١]، واسمها محذوف، أي: إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦﴾.

(١٨٧) - ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا﴾ بسكون السين وفتحها[٢]، قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ في رسالتك.

(١٨٨) - ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨﴾ فيجازيكم به.

(١٨٩) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ هي سحابة[٣] أظلتهم بعد حرّ

---

(١) قوله: (مخففة...). كما تقدم ذلك مرارًا. وأن المفسر جرى على أن «إن» المخففة تعمل، والأكثر الإهمال.

(٢) قوله: (بسكون...). قراءة الجمهور، وقرأ حفص: ﴿كِسَفٗا﴾: بفتح السين، وكلاهما جمع: كِسفة بمعنى القطعة. والفاء في ﴿فَأَسۡقِطۡ﴾ الفاء الفصيحة.

(٣) قوله: (هي سحابة). ما ذكره المفسر مرويّ عن ابن عباس، وقتادة، وغيرهما. قال قتادة فيما روى ابن جرير: «بُعث شعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر ملتف، فلما أراد الله أن يعذبهم بعث الله عليهم حرًّا شديدًا، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارًا، قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾».اهـ. وتقدم في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ...﴾ [٩١]، وفي هود: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ...﴾ [٩٤]. وتقدم في تفسير سورة الأعراف قول ابن كثير: «أخذتهم صَيْحةٌ من السماء ورجفة من الأرض شديدة مع ما أصابهم عذاب الظلة».اهـ. أي: أخذهم ثلاثة أنواع من العذاب: الصيحة والرجفة وعذاب الظلة، نعوذ بالله من عذابه.

شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾.

١٩٠ - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠﴾[1].

١٩١ - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١﴾.

١٩٢ - ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن[2] ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾.

١٩٣ - ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ جبريل.

١٩٤ - ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾.

١٩٥ - ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ بيّن[3]، وفي قراءة[4]: بتشديد «نَزَّلَ»، ونصب «ٱلرُّوحَ»، والفاعل الله.

١٩٦ - ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذكر القرآن المنزل على محمد[5] ﴿لَفِي زُبُرِ﴾ كتب

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠﴾. قال القرطبي: «قيل: آمن بشعيب من الفئتين تسعمائة نفر».اهـ.

(٢) قوله: (أي: القرآن). أفاد أن الضمير راجع إلى القرآن المعلوم من أول السورة. أي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ...﴾.

(٣) قوله: (بيّن). أفاد أن ﴿مُّبِينٖ﴾ هنا لازم. والجار والمجرور ﴿بِلِسَانٍ﴾ متعلق بـ﴿نَزَلَ﴾، ويحتمل تعلقه بـ﴿ٱلۡمُنذِرِينَ﴾. قاله البيضاوي.

(٤) وقوله: (وفي قراءة:...). قرأ بالثلاثي المجرد: ﴿نَزَلَ﴾ ورفع ﴿ٱلرُّوحُ﴾: نافع، وابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص. وقرأ بتشديد الزاء ونصب ﴿ٱلرُّوحَ﴾: الباقون. ووجهها واضح كما ذكره المفسر.

(٥) قوله: (أي: ذكر القرآن). أفاد أن المراد بالضمير هنا أي: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ذكر القرآن، لا القرآن نفسه بخلاف الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢﴾؛ فالمراد القرآن نفسه، فيكون في=

﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ كالتوراة والإنجيل.

١٩٧- ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ﴾[١] لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ كعبدالله بن سلام[٢] وأصحابه ممن آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك، و«يَكُن» بالتحتانية[٣] ونصب «ءَايَةً»، بالفوقانية ورفع «ءَايَةٌ».

١٩٨- ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨﴾ جمع أعجم[٤].

= ذلك نوع من الاستخدام الذي بينه البلاغيون. وهوإطلاق اللفظ بمعنًى ثم عود الضمير إليه باعتبار معنًى آخر له. أو أن يراد بأحد الضميرين معنًى وبالضمير الثاني معنًى آخر، والله أعلم، وهو من فن البديع. كما أن في تكرار قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً﴾ فنًّا من البديع يسمى التكرار، وهو من الإطناب.

(١) ﴿أَوَلَمۡ يَكُن﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو عاطفة على مقدر.

(٢) قوله: (كعبدالله بن سلام) قال الدرويش: «هم عبدالله بن سلام وأسد وأسيد وثعلبة وابن ياسين، وقد أسلموا وحسن إسلامهم».

(٣) قوله: (و﴿يَكُن﴾ بالتحتانية): قراءة الجمهور. ف﴿ءَايَةً﴾: خبر «كان» الناقصة، و﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾: اسمها. وقرأ ابن عامر: ﴿تَكُن ءَايَةٌ﴾، ف﴿تَكُن﴾ تامة و﴿ءَايَةٌ﴾ فاعلها، وما بعدها بدل.

(٤) قوله: (جمع أعجم). استشكل بأن أعجم مؤنثه: عَجْماء، فلا يجمع جمع المذكر السالم؛ لأن وزن «أفعل» إذا كان مؤنثه «فعلاء» فلا يجمع جمع المذكر السالم، فلا يقال -مثلًا-: أحمر وأحمرون، وإنما يجمع سالمًا إذا كان مؤنثه: فَعْلَى، وهو اسم التفضيل، نحو: أفضل فُضلَى فتقول: أفضلون. وأجيب عن ذلك:

١- الكوفيون أجازوا جمع «أفعل» جمعًا سالمًا، ولو كان مؤنثه «فعلاء».

٢- «الأعجمين» هنا جمع أعجميّ، بياء النسب، وكان أصله: الأعجميين، وحذفت الياء تخفيفًا، وقد قرأ الحسن والجحدري: ﴿ٱلۡأَعۡجَمِيِّينَ﴾: بالياء. وهذا الجواب عزاه القرطبي إلى ابن جني وسيبويه.

الأعجم والأعجميّ: من لا يفصح الكلام، ولو كان عربيًّا. =

١٩٩ - ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم﴾ أي: كفار مكة ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩﴾ أنفةً من اتِّباعه[١].

٢٠٠ - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠﴾ أي: كفار مكة بقراءة النبيّ[٢].

٢٠١ - ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١﴾ المُلجِي لهم، قيل: هو الموت.

٢٠٢ - ﴿فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢﴾.

٢٠٣ - ﴿فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣﴾ مُمْهلون لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب[٣]؟ قال تعالى:

٢٠٤ - ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤﴾.

٢٠٥ - ﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ أخبرني[٤] ﴿إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥﴾.

= والعجميّ: المنسوب إلى العجم، وهو ضد العربيّ، ولو كان كان فصيحًا، كما يعلم من القرطبي، ولكن فسر الآية بقوله: «أي: على رجل ليس بعربي اللسان».

(١) قوله: (أنفة...). أي: تكبُّرًا. وذكر هذا المعنى القرطبي. وقال ابن جرير في معنى الآية ما حاصله: «وفي هذه الآيات تسلية للنبي ﷺ، حيث يخبر بأن القرآن لو أنزل على أعجميّ -لا عليك يا محمد فإنك رجل منهم وقد قالوا لك: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ...﴾ لما كانوا مؤمنين، لما جرى في سابق علم الله أنهم لا يؤمنون».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (بقراءة النبيّ) متعلق بـ﴿سَلَكۡنَٰهُ﴾، يعني: أدخلنا التكذيب في قلوبهم بقراءة النبي ﷺ مثل تكذيبهم لو أنزل على أعجميّ، والله أعلم.

(٣) قوله: (متى هذا العذاب؟...). دخول إلى الآية التالية.

(٤) قوله: (أخبرني). الياء: مفعول أول، والثاني: محذوف. والثالث: جملة ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾، و﴿مَآ﴾ فيها استفهامية، ويجوز كون المفعول الثاني: ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦﴾ ففاعل «جاء» ضمير مستتر يعود إليه. =

٢٠٦- ﴿ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ من العذاب.

٢٠٧- ﴿مَا﴾ استفهامية، بمعنى: أيُّ شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه، أي: لم يغن[١].

٢٠٨- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾[٢] رُسلٌ تنذر أهلها.

٢٠٩- ﴿ذِكْرَىٰ﴾ عظة لهم[٣] ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

٢١٠- ونزلَ ردًّا لقول المشركين: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾.

٢١١- ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ ذلك.

٢١٢- ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾[٤] لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ محجُوبون بالشهب[٥].

٢١٣- ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه[٦].

= والمعنى: أخبرني ما يوعدونه من العذاب أيّ شيء مما يمتعون به يدفعه عنهم، أي: لم يدفع عنهم العذابَ شيء مما يمتعون به.

(١) وقوله: (أي: لم يغن). أشار به إلى أن الاستفهام هنا للإنكار. ويحتمل ﴿مَا﴾ نافية. و﴿مَّا﴾ في ﴿مَّا كَانُوا﴾ موصولة، فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾، أو مصدرية والفاعل المصدر المؤول.

(٢) ﴿لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ جملة حالية من ﴿قَرْيَةٍ﴾.

(٣) قوله: (عظة). ظاهره أن ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مفعول لأجله لـ﴿مُنذِرُونَ﴾. وقيل: حال بمعنى: مذكرين، نسب إلى الكسائي. وقال الفراء: «مفعول مطلق لـ﴿مُنذِرُونَ﴾؛ لأنه يتضمن معنى: يذكرون»، كما يعلم من القرطبي، و«إعراب القرآن» للدرويش. والله أعلم.

(٤) ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾. جملة تعليلية تسمى مستأنفة عند البلاغيين.

(٥) قوله: (بالشهب). كما تقدم في سورة الحجر الآية (١٨).

(٦) قوله: (إن فعلت...) قدره ليفيد أن ﴿فَتَكُونَ﴾ جواب للشرط الذي دلّ عليه النهي: =

٢١٤- ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب[(١)]، وقد أنذرهم جهارًا[(٢)]. رواه البخاري و مسلم.

٢١٥- ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ألِنْ جانبك[(٣)] ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ الموحدين.

= ﴿فَلَا تَدْعُ﴾، ولذا نصب بـ«أن» مضمرة وجوبًا بعد الفاء الجوابية المسبوقة بالطلب، ويقال: إنه جواب النهي.

(١) قوله: (وهم بنو هاشم). هاشم والمطلب هما ابنا عبد مناف، والمؤمنون منهم هم المراد بالآل الذين لا تحل لهم الزكاة، على خلاف في بني المطلب، وكان لعبد مناف أربعة أبناء: هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس. فبنو نوفل وعبد شمس ليسوا من الآل المحرم عليهم الزكاة، فمراد المفسر التفسير للأقربين من العشيرة، والعشيرة بمعنى القبيلة، فقريش كلهم عشيرته، والأقربون منهم بنو هاشم والمطلب. وهذا المعنى للأقربين معقول حيث إنهم أهل البيت الذين لا تحل لهم الزكاة، ولكن قلّ من فسرهم بذلك. قال القرطبي: «وعشيرته الأقربون: قريش. وقيل: بنو عبد مناف».اهـ.

(٢) قوله: (وقد أنذرهم...). قد ورد في الأحاديث الصحيحة والسير دعوة النبي ﷺ إياهم إلى الإسلام وإنذارهم، بسياق مفصّلٍ ومجملٍ، فمما ورد في «الصحيحين» الذي أشار له المفسر عن ابن عباس، قال: «لما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أتى النبي ﷺ الصفا، فصعد عليه ثم نادى: «**يا صباحاه**»، فاجتمع الناس إليه من بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بني عبدالمطلب، يا بني فهر، يا بني لؤيّ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١]».اهـ. ويعلم من الرواية أن النبي ﷺ أنذر عشيرته الأقربين خصوصًا، وسائر قريش وأهل مكة عمومًا.

(٣) قوله: (ألن جانبك). ألن: أمرٌ من الإلانة، كما تقدم في سورة الإسراء الآية (٢٤).

٢١٦- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي: عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦﴾ من عبادة غير الله.

٢١٧- ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾ بالواو والفاء[١] ﴿عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧﴾ الله، أي: فوّض إليه جميع أمورك.

٢١٨- ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ إلى الصلاة[٢].

٢١٩- ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة[٣] قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ أي: المصلين.

٢٢٠- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾.

٢٢١-[٤] ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾ بحذف

---

(١) قوله: (بالواو الفاء). قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: بالفاء: ﴿فَتَوَكَّلۡ﴾. والباقون: بالواو: ﴿وَتَوَكَّلۡ﴾.

(٢) قوله: (إلى الصلاة). عزا القرطبي هذا المعنى إلى أكثر المفسرين: ابن عباس وغيره، وقال مجاهد: «﴿حِينَ تَقُومُ﴾: أي: أينما كنت».

(٣) قوله: (في أركان الصلاة). روي ذلك عن ابن عباس. وروي عنه أيضًا: «أي: في أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى جعله نبيًّا». كما في القرطبي. وعن مجاهد: «يرى تقلبك في المصلين وإبصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو أمامك، كان النبي ﷺ يرى من خلفه كما يرى من قدامه».اهـ. وهذه من خصائص النبي ﷺ، وعن الحسن: «تصرفك في الناس».

(٤) قال ابن كثير ما حاصله: «هذه الآيات نزلت ردًّا لمن زعم من المشركين من أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه أو أتاه به رئي من الجن؛ فنزهه الله تعالى، وبيّن أنه من عند الله، وأن الشياطين ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم، وإنما ينزلون على من يشاكلهم من الكهان الكذبة...».اهـ. باختصار. =

إحدى التاءين من الأصل[١].

﴿٢٢٢﴾- ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ فاجر، مثل مسيلمة وغيره من الكهنة.

﴿٢٢٣﴾- ﴿يُلْقُونَ﴾ أي: الشياطين ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ أي: ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ يضمون إلى المسموع كذبًا كثيرًا[٢]، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء.

﴿٢٢٤﴾- ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾[٣] في شعرهم، فيقولون به ويروونه

= فعل «أنبّئ» له ثلاثة مفاعيل: الأول: الضمير «كم». والثاني والثالث سدّ مسدهما جملة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾؛ لأنه جملة استفهامية علقت الفعل عن المفعول الثاني والثالث. و﴿مَن﴾ استفهامية، والجار والمجرور متعلق بـ﴿تَنَزَّلُ﴾ قدم لأن الاستفهام له الصدارة.

(١) قوله: (بحذف إحدى...). أي: أصله: تتنزل، مضارع: تنزَّل، وحذف إحدى التائين من المضارع مطرد.

(٢) قوله: (يضمون إلى المسموع...). كما تقدم في سورة الحجر الآية (١٨).

قال ابن كثير: «يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس، فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء، كما صح بذلك الحديث».اهـ. ثم أورد الحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فقول المفسر: (هذا قبل أن حجبت الشياطين...) أي: استراق السمع بشكل كبير كان قبل نزول القرآن، وأما بعده فقد حرست السماء، كما في آيات... إلا من خطف كلمة وألقاها لمن تحته قبل وصول الشهاب إليه، فهذا باقٍ. والله أعلم.

(٣) ﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾: الزائلون عن الحق. قاله القرطبي. وقال أيضًا: «هذا يدلّ أن الشعراء كذلك بالأولى»، ثم الشعراء هنا فسره ابن عباس: «بالكفار يتبعون ضلال الإنس والجن». =

عنهم فهم مذمومون.

(٢٢٥)- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم[١] ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه[٢] ﴿يَهِيمُونَ (٢٢٥)﴾ يمضون، فيجاوزون الحدَّ مدحًا وهجوًا.

(٢٢٦)- ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فَعَلْنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)﴾ أي: يكذبون[٣].

(٢٢٧)- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء[٤] ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ

= وعن عكرمة: «كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فئام من الناس، ولهذا فئام من الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية».اهـ.

الخلاصة:

ذكر المفسرون كابن كثير، والقرطبي وغيرهما أن هذا الذم في الشعراء الكفار، ومن كان مثلهم ممن يأتي بشعر فيه هجاء، وأما ما كان من الشعر مشتملًا على الحق فلا؛ لأن الله تعالى استثناهم بعد هذه الآية، وقال النبي ﷺ لحسان: «**هاجهم وجبريل معك**»، كما في «الصحيح». وروى الإمام أحمد: عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ: إن الله عَزَّوَجَلَّ قد أنزل في الشعراء ما أنزل، فقال رسول الله ﷺ: «**إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل**».اهـ. وقال الشافعي: «الشعر نوع من الكلام، حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام».اهـ. نقله القرطبي.

(١) قوله: (تعلم). أفاد أن الرؤية هنا علمية. وجملة ﴿أَنَّهُمْ ...﴾ سدت مسد مفعولي ﴿تَرَ﴾ العلمية.

(٢) قوله: (من أودية الكلام...). وبمثله فسره ابن جرير، ورواه عن أئمة التفسير، فعن مجاهد، قال: «في كل فنّ يفتنّون».اهـ. وعن قتادة: «يمدحون قومًا بباطل، ويشتمون قومًا بباطل».اهـ.

(٣) قوله: (يكذبون). روي كذلك عن ابن عباس، قال: «يعني: أكثر قولهم يكذبون».اهـ.

(٤) قوله: (من الشعراء). روى ابن جرير عن زيد بن أسلم: «أن الذم في شعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين ألا ترى أنه يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...﴾ الآية».اهـ. ملخصًا.

كَثِيرًا﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن الذكر[١] ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بهجوهم الكفار[٢] ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين[٣]، فليسوا مذمومين[٤]، قال الله تعالى: «۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ» [النساء: ١٤٨]، وقال تعالى: «فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ» [البقرة: ١٩٤]. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾[٥] مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ يرجعون بعد الموت.



---

(١) قوله: (أي: لم يشغلهم...). روي نحوه عن ابن عباس، قال: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم».اهـ. وعن ابن زيد: «﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في شعرهم».اهـ.

(٢) قوله: (بهجوهم الكفار). روي نحوه عن ابن عباس، قال: «يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين».اهـ. فقول المفسر: (بهجوهم الكفار) تصوير للانتصار.

(٣) وقوله: (بهجو الكفار لهم) تصوير للظالم.

وقوله: (في جملة المؤمنين). حال من (لهم) أي: الكفار هجوا الشعراء الذين هم من جملة المؤمنين. أو الكفار هجوا المؤمنين الذي من جملتهم الشعراء.

(٤) وقوله: (فليسوا...). تصريح بما علم من الاستثناء، واستدل المفسر على ذلك بالآيتين، وكل منهما تفيد أن مقابلة هجوهم بمثله ليس مذمومًا، ومن ذلك أخذ الشافعية جواز سبِّ من سبّه بمثل سبّه بشرط خلوه عن الكذب والقذف.

(٥) و﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ﴾: أي: استفهامية، منصوبة على المفعول المطلق لـ﴿يَنقَلِبُونَ﴾. وهو مضاف إلى المصدر الميميّ ﴿مُنقَلَبٖ﴾، وليست مفعولًا به لـ﴿وَسَيَعۡلَمُ﴾؛ لأنه معلق بالاستفهام، والمعنى: أيَّ انقلابٍ، ولكن الجملة ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ سدت مسد المفعولين، والله أعلم.

٢٧- سورة النمل

مكية[١]، وآياتها ثلاث أو أربع وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾- ﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات[٢] ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه[٣] ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة[٤].

﴿٢﴾- هو[٥] ﴿هُدًى﴾ أي: هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ المصدقين، بالجنة[٦].

---

(١) قوله: (مكية). أي: كلها في قول الجميع. قاله القرطبي. وقال: «نزلت بعد الشعراء».

(٢) قوله: (أي: هذه...). أفاد أن الإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ هنا للقريب. وجيء بـ﴿تِلْكَ﴾ لنكتة بلاغية كالتعظيم.

(٣) قوله: (آيات منه). يشير إلى أن الإضافة بمعنى: مِن، كما تقدم في أول الشعراء.

(٤) قوله: (عطف...) أي: ﴿وَكِتَابٍ﴾ عطف على ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾، ووصف بأنه مبين، وهذا من عطف التفسير؛ لأن الكتاب هو القرآن من حيث المصداق، وإن كان مفهومهما مختلفين، فالقرآن: مصدر بمعنى المقروء، وكتاب بمعنى المكتوب.

فائدة: القرآن ذكر بلفظ المعرفة، وكتاب ذكر بلفظ النكرة الموصوفة. وفي سورة الحجر بعكسه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾؛ لأن كلًّا من الكتاب والقرآن يصلح لكونه معرفة، أي: اسمًا ووصفًا، كما أفاده القرطبي. وتنكير الوصف للتعظيم، كما أفاده البيضاوي.

(٥) قوله: (هو). قدره ليكون مبتدأ، و﴿هُدًى﴾: خبرًا، وأشار بقوله (هاد) أن ﴿هُدًى﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل، كما تقدم في سورة البقرة، وإطلاق المصدر للمبالغة.

(٦) قوله: (بالجنة). متعلق بـ﴿بُشْرَىٰ﴾، و(المصدقين) تفسير ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣)- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها على وجهها[١] ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣﴾ يعلمونها بالاستدلال[٢]، وأعيد «هُمْ»[٣]؛ لما فصل بينه وبين الخبر.

(٤)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة[٤] بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٤﴾ يتحيرون فيها لقبحها عندنا[٥].

(٥)- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا: القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٥﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

(٦)- ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ يلقى عليك

---

(١) قوله: (يأتون بها...). كما تقدم في أول سورة البقرة.

(٢) قوله: (يعلمونها بالاستدلال) تفسير للإيقان؛ لأن اليقين هو العلم الحاصل بالاستدلال، ولذا لا يوصف به الباري تعالى، والاستدلال يكون بالآيات القرآنية وخبر النبي ﷺ، كما أشار إليه الصاوي.

(٣) قوله: (وأعيد ﴿هُمْ﴾). يعني أن ﴿هُمْ﴾ الأول مبتدأ، خبره: ﴿يُوقِنُونَ﴾، و﴿هُمْ﴾ الثاني أعيد لوجود الفصل بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، وقرب الخبر من المبتدأ أولى، وقال البيضاوي: «وتكرير الضمير للاختصاص».اهـ. أي: ليفيد أن الموقنين بالآخرة هم دون غيرهم.

(٤) قوله: (القبيحة). كما قال ابن جرير: «يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم».اهـ.

(٥) قوله: (لقبحها عندنا) تعليل لتحيّرهم، فهم متحيرون لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن، وليس لديهم بصيرة يتميزون بها الحق من الباطل، بخلاف المؤمنين. أفاده البيضاوي.

بشدة[١] ﴿مِن لَّدُنۡ﴾ من عند[٢] ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ في ذلك.

﴿۝٧﴾- اذكر ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلّها ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾ بالإضافة للبيان وتركها[٣]، أي: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود[٤] ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧﴾ والطاء[٥] بدل من تاء الافتعال من «صلي» بالنار بكسر اللام وفتحها، تستدفئون من البرد[٦].

---

(١) قوله: (بشدة). أخذ هذا المعنى من باب التفعيل، تُلقَّى: فعل مضارع من: لقَّى، يُلَقِّي، وباب التفعيل يأتي للمبالغة والتأكيد، نحو: قطَّع.

(٢) قوله: (عند) تفسير لـ﴿لَّدُنۡ﴾، وبين «لدن» و«عند» اتفاق وافتراق، بيّناها في كتاب «الثنائيات»:

«لدن» و«عند» من ظروف ألزِما ... إضـافـةً، أمـا «لدن» فلزِمـا
معنى ابتـداءٍ وبنـاءً، وأضِـفْ ... لجملـةٍ، وفضلـةً حسبُ عُرِفْ

وتقدمت الكلمة في مواضع.

(٣) قوله: (بالإضافة...). أي: إضافة ﴿بِشِهَابٖ﴾ إلى ﴿قَبَسٖ﴾ -الإضافة البيانية- لأن المراد بهما واحد، قرأ بالإضافة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وبتركها: أي: قرأ بترك الإضافة وتنوين شهاب: الباقون. فيكون ﴿قَبَسٖ﴾ بدلًا من ﴿بِشِهَابٖ﴾. وذكر القرطبي: «احتمال كون الإضافة من إضافة الشيء إلى جنسه نحو: خاتم فضة؛ لأن الشهاب كل ذي نور، والقبس ما يقتبس من جمرٍ وما أشبهه».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (في رأس فتيلة..) الفتيلة: ما فتل من نحو ثوب يوقد طرفه.

(٥) قوله: (والطاء...). أي: أصله: تصتلون، لما كان فاء الافتعال من حروف الإطباق: (ص، ض، ط، ظ)، قلبت تاؤه طاءً، هذه مسألة صرفية.

(٦) قوله: (تستدفئون). تفسير لـ﴿تَصۡطَلُونَ﴾.

(٨)- ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ﴾ أي: بأن[١] ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله[٢] ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس[٣]، و«بَارَكَ»[٤] يتعدى بنفسه وبالحرف. ويقدّر[٥] بعد «فِي»: (مكان)، ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨)﴾ من جملة ما نودي، ومعناه: تنزيه الله من السوء.

(٩)- ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٩)﴾.

(١٠)- ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ حية

---

(١) قوله: (بأن) على هذا تكون «أن» مصدرية، ويصح تقديرها تفسيرية فلا يحتاج إلى تقدير الباء.

(٢) قوله: (أي: بارك الله). أشار أن الفعل ﴿بُورِكَ﴾ بني للمفعول لظهور فاعله. و﴿مَن﴾ في محل رفع نائب فاعل، والمراد به: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وبـ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ الملائكة، كما يعلم من قول السدي فيما نقله القرطبي، قال: «أي: بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها».اهـ.

(٣) قوله: (أو العكس). أي المراد بـ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: الملائكة، ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾: موسى. ووجه ثالث قاله ابن عباس وغيره: «﴿بُورِكَ﴾ بمعنى قدّس، و﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ المراد به: الله سبحانه، ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾: الملائكة وموسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. لأن النور: نور رب العالمين، كما يعلم من ابن جرير وغيره؛ فالمراد بالنار: النور.

(٤) قوله: (و﴿بَارَكَ﴾...) أي: فهنا تعدى بنفسه، حيث قال: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾، و«بارك» له أربع استعمالات: يقال: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك، نقله القرطبي عن الثعلبي، فقول المفسر: وبالحرف أي: يتعدى بالحرف: في، وعلى، واللام.

(٥) قوله: (ويقدّر...). أي: فالمعنى: بورك من في مكان النار. أي: إذا أريد بـ﴿مَن﴾ الملائكة وموسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

خفيفة[١] ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع[٢]. قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ ⑩﴾ من حية وغيرها.

⑪- ﴿إِلَّا﴾ لكن[٣] ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑪﴾ أقبلُ التوبة وأغفرُ له.

⑫- ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ برص، لها شعاع يغشى البصر، آية[٤] ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ مرسلًا بها[٥] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ⑫﴾.

---

(١) قوله: (حية خفيفة). وجه الشبه: السرعة، أي: تهتز كاهتزاز الحية الصغيرة، وهي حية كبيرة، وقيل: إنها قلبت أولًا حية صغيرة فلما أنس منها قلبت حية كبيرة. وقيل: انقلبت مرة صغيرة ومرة كبيرة. ذكرهذه الوجوه القرطبي بدون عزو.

(٢) قوله: (يرجع) تفسير لـ﴿يُعَقِّبْ﴾. فسر به مجاهد، وعن قتادة: «لم يلتفت».

(٣) قوله: (لكن). أشار به إلى أن الاستثناء منقطع، كما صرح به ابن كثير، والبيضاوي، والقرطبي وغيرهم، فيكون المراد بـ﴿مَن ظَلَمَ...﴾ غير المرسلين، ويكون فيه بشارة للبشر من حيث إن من ارتكب إثمًا ثم تاب، تاب الله عليه وأمنه من الخوف. كما ذكر ابن كثير. وظاهر اختيار ابن جرير: أن الاستثناء متصل، فحاصل المعنى: لا يخاف لدي المرسلون إلا من صدر منهم قبل النبوة بعض الصغائر فإنه يخافون مع مغفرة الله لهم، كما هو شأن المقربين، وهذا خوف العظمة لا خوف العقوبة. كما يعلم من تحرير القرطبي هذا القول.

(٤) قوله: (آية). مرتبط بما بعده. أي: ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾. أفاد به أن الجار والمجرور ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ في محل نصب حال، والتقدير: حال كون هذه الآية آية من تسع آيات. وقد تقدم ذكرهن في سورة الإسراء الآية (١٠١). وكما تقدم قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مفصلة في طه والأعراف وغيرهما.

(٥) قوله: (مرسلًا بها). قدره ليتعلق به الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.

(١٣) - ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾ مضيئة واضحة ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ (١٣)﴾ بيّن ظاهر.

(١٤) - ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: لم يقروا ﴿وَ﴾ قد[١] ﴿اسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي: تيقّنوا أنها من عند الله ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ تكبُّرًا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد[٢] ﴿فَانظُرۡ﴾ يا محمد[٣] ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (١٤)﴾[٤] التي علِمْتَها من إهلاكهم[٥].

(١٥) - ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ ابنه ﴿عِلۡمٗاۖ﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكرًا لله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٥)﴾.

(١٦) - ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النبوة والعلم[٦] دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) قوله: (قد). أشار به إلى أن الجملة حالية.

(٢) قوله: (راجع إلى الجحد). أي: ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ راجعان إلى الجحد، ومتعلقان به، فنصبهما: إما على أنهما حالان من فاعل «جحد» وهو الواو. والمعنى: جحدوا ظالمين وعادين، أو مفعول لأجله.

(٣) قوله: (يا محمد). أشار به إلى أن الخطاب للنبي ﷺ، والنظر هنا بالقلب لا بالبصر، كما صرح بذلك ابن جرير وغيره.

(٤) و﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَيۡفَ كَانَ...﴾ معلقة لـ﴿فَانظُرۡ﴾ في محل نصب مفعول ﴿فَانظُرۡ﴾.

(٥) قوله: (من إهلاكهم). بيان لعاقبتهم.

(٦) قوله: (النبوة والعلم). أي: دون المال، إذ لو كان المراد المال لما خصّ به سليمان من بين سائر أولاده، ثم إن الأنبياء لا يورَّثون وما تركوه صدقة كما في الحديث. =

﴿ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ أي: فهم أصواته[١] ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك[٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ البيّن الظاهر.

١٧- ﴿وَحُشِرَ﴾ جمع ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ يجمعون ثم يساقون[٣].

= قال النبي ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة**» رواه الترمذي، قال مقاتل: «كان سليمان أعظم ملكًا من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من سليمان».اهـ.

(١) قوله: (فهْم أصواته). فيه إشارة إلى أن المراد بالنطق: صوت الطير. والمراد بفهم أصواته: فهم المعاني التي في نفوس الطير عند تصوّتها. كما يعلم من القرطبي. وتخصيص النطق بالإنسان حيث يعرّف بأنه حيوان ناطق، اصطلاح منطقيّ، وهو موافق لأصل اللغة. قال البيضاوي: «النطق والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير، مفردًا كان أو مركبًا، وقد يطلق لكل ما يصوّت به على التشبيه، أو التبع، كقولهم: نطقت الحمامة، ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإن الأصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات...».اهـ. ويفهم منه أن إطلاق النطق على أصوات الطير وغيره من باب التشبيه أو لتبعها التخيلات في نفوس الحيوانات والطيور. والله أعلم.
تنبيه: كان سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يعلم منطق الطير وسائر الحيوانات، صرح بذلك ابن كثير وغيره، وكما يدل عليه قصة النملة، والنمل ليس من جنس الطير حتى ولو كان له جناح، وإنما خص الطير بالذكر في قوله ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ لأن الطير كان من جنوده، يظلله عن الشمس، وكان يبعثه في بعض الأمور. ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (تؤتاه). أفاد أن ﴿كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ عام مخصوص خص بالعرف. أو هو عام مراد به الخصوص.

(٣) قوله: (يجمعون). أي: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا. قاله ابن جرير، ونقل معناه عن قتادة.

(١٨)- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ هو بالطائف[١]، أو بالشام[٢] نملُهُ صغار أو كبار ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ ملكة النمل، وقد رأت جند سليمان[٣]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ يكسرنكم ﴿سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (١٨)﴾ بهلاكِكم نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم[٤].

(١٩)- ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداءً ﴿ضَاحِكٗا﴾ انتهاءً[٥] ﴿مِّن قَوۡلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح. فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده[٦] ركبانًا ومشاة في هذا المسير. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾

---

(١) قوله: (هو بالطائف). أي ذلك الوادي، قيل: في الطائف. عزا القرطبي هذا القول إلى كعب، قال: «بوادي السدير من أودية الطائف».

(٢) وقوله: (أو بالشام). عزاه إلى قتادة، قال: «ذكر لنا أنه وادٍ بالشام».

(٣) قوله: (وقد رأت جند...). نقل القرطبي عن الزمخشري: «سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال».اهـ.

(٤) قوله: (نزل النمل...). وذلك في قول النملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾: خوطبوا كما يخاطب العقلاء؛ لأن النمل هنا أجري مجرى الآدميين حين نطق كما نطق الآدميون، قاله القرطبي.

فائدة: النمل اسم جنس جمعي واحده نملة، تقع على الذكر والأنثى، ونملة سليمان يحتمل كونها أنثى وذكرًا، وقد روعي في ﴿قَالَتۡ﴾ و﴿قَوۡلِهَا﴾ التأنيث باعتبار اللفظ، وأما المعنى فمحتمل، والله أعلم.

(٥) قوله: (ابتداءًا)، (انتهاءً). أي: ابتدأ سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالتبسم حتى صار ضحكًا، والتبسم أخف من الضحك، قال القرطبي: «قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة، ولذلك أكد التبسم بقوله ﴿ضَاحِكٗا﴾، إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضًا، كتبسم الغضبان وتبسم المستهزئ».اهـ. باختصار.

(٦) قوله: (وكان جنده...). أي: جند سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

ألهمني[١] ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ الأنبياء والأولياء.

٢٠- ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾ ليرى الهدهد[٢] الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ أي: أعرض لي[٣] ما منعني من رؤيته؟ ﴿أَمۡ

(١) قوله: (ألهمني). به فسر ابن جرير وغيره، وروي عن ابن زيد.

(٢) قوله: (ليرى الهدهد). الهدهد طير معروف، وهو من الحيوانات التي ورد النهي عن قتلها، روى أبو داود عن ابن عباس: «نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب: الهدهد، والصرد، والنملة، والنحلة».اهـ. وما ذكره المفسر من أن تفقد سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الطير كان لأجل الماء إلى أخره. رواه ابن جرير عن ابن عباس. ونقله ابن كثير عن مجاهد، وسعيد بن جبير وغيرهما، عن ابن عباس وغيره، قال: «كان الهدهد مهندسًا يدل سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على الماء إذا كان بأرض فلاةٍ طلبه، فنظر له الماء في تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض، فإذا دلهم عليه أمر سيمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره، فنزل سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يومًا بفلاةٍ من الأرض، فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره».اهـ. فهذا تفصيل ما لخّصه المفسر هٰهنا.

(٣) قوله: (أي: أعرض لي...). فيه إشارة إلى أن ﴿أَمۡ﴾ هنا متصلة، وهي المسبوقة بهمزة التعيين أو همزة التسوية، فهٰهنا قوله تعالى: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ﴾ جملة تقوم مقام جملة فيها همزة التعيين؛ لأن المعنى: أعرض لي مانع من الرؤية أم كان من الغائبين، ويصح جعل ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعة؛ لعدم سبق الهمزة في اللفظ، وبذلك أعرب بعض المعربين، كالدرويش في «إعراب القرآن».

و﴿مَا﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ، و﴿لِيَ﴾ الجار والمجرور خبر المبتدأ، وجملة ﴿لَآ أَرَى﴾ في محل نصب حال.

﴿كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ فلم أره لغيبته، فلما تحققها[١]:

٢١- قال[٢]: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ تعذيبًا[٣] ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه[٤] وذَنَبه ورميه في الشمس، فلا يمتنع من الهوام ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة[٥] ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾ ببرهان بيّن ظاهر على عذره[٦].

٢٢- ﴿فَمَكُثَ﴾ بضم الكاف وفتحها[٧] ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: يسيرًا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعًا[٨] برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه

---

(١) قوله: (فلما تحققها). أي: تحقق سليمان غيبة هدهد.

(٢) قوله: (قال) جواب (لما).

(٣) قوله: (تعذيبًا). أفاد أن ﴿عَذَابًا﴾ مفعول مطلق، اسم مصدر نائب عن مصدر الفعل «أعذّب»، فإن مصدره: تعذيب.

(٤) قوله: (بنتف ريشه...) روى نحوه عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك وغيرهم.

(٥) قوله: (بنون مشددة...). قرأ الجمهور به: ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾ بنون مشددة مكسورة، وهي نون التوكيد وحذفت نون الوقاية تخفيفًا، ويحتمل كونه مؤكدًا بالنون الخفيفة وأدغمت في نون الوقاية. وقرأ ابن كثير: ﴿لَيَأْتِيَنَّنِي﴾ بنون مشددة مفتوحة وبعدها نون الوقاية المكسورة. كما أشار إليه المفسر.

(٦) قوله: (ببرهان). قال ابن عباس: «كل سلطان في القرآن فهو حجة».اهـ. رواه ابن جرير.

(٧) قوله: (بضم الكاف...). قراءتان: قرأ عاصم، وروح: بفتح الكاف: ﴿فَمَكَثَ﴾. والباقون: بضمها: ﴿فَمَكُثَ﴾. وهما لغتان، كما قاله ابن جرير وغيره.

(٨) قوله: (وحضر...). أي: حضر الهدهد.

وقوله: (متواضعًا...). لم أجد من نصّ على هذه الكيفية معزوة إلى أئمة التفسير، ولكن =

وسأله عما لقي في غيبته: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطلعت[١] على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ بالصرف وتركه[٢]، قبيلة باليمن، سميت باسم جدٍّ لهم، باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبر ﴿يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها بلقيس[٣] ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة[٤] ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير[٥] ﴿عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ طوله[٦] ثمانون ذراعًا وعرضه أربعون ذراعًا وارتفاعه

= سياق القصة تدل على أن الهدهد حضر عند سليمان متواضعًا، وقد ذكر الدرويش في «إعراب القرآن» هذه الكيفية بدون عزو.

(١) قوله: (اطلعت...). كما فسر به ابن كثير وغيره.

(٢) قوله: (بالصرف...). قرأ أبو عمرو: ﴿سَبَأَ﴾: بفتح الهمزة، ممنوعًا من الصرف. والباقون: بالكسرة المنونة: ﴿سَبَإٍ﴾ منصرفًا. وهم: حمير ملوك اليمن، فباعتباره قبيلة منع من الصرف، وباعتبار اسمًا لرجل -وهو جد لهم- صرف.

(٣) قوله: (اسمها بلقيس). أي: بنت شراحيل بن مالك بن الريان. فيما نقله ابن كثير، عن زهير بن محمد.

(٤) قوله: (يحتاج إليه...). أفاد أن ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هنا عام مخصوص، خصه الحسّ والعرف.

قوله: (العُدة). بضم العين: أي الأجهزة التي يحتاج إليها.

(٥) قوله: (سرير). كما فسر به ابن كثير وغيره.

(٦) قوله: (طوله...). ما ذكره المفسر من التفصيل نقل القرطبي بعضه عن ابن عباس، وقتادة وغيرهما، وفي ذلك أقوال متقاربة منقولة عن السلف، ووصف هذا العرش بالعظمة كان بالنسبة إلى ملوك الدنيا. وأما وصف عرش الله تعالى بالعظمة -في الآية التالية- فهو بالنسبة إلى ما خلُق من السموات والأرض. ذكره القرطبي نقلًا عن الزمخشري.

ثلاثون ذراعًا، مضروب من الذهب والفضة، مكلّل[١] بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق.

(٢٤) - ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)﴾.

(٢٥) - ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له[٢]، فزيدت «لا»، وأدغم فيها

---

(١) قوله: (مكلّل...). أي: مجعولًا فيه الإكليل، وهو التاج. والياقوت والزبرجد والزمرّد كلها أنواع من الأحجار الكريمة الغالية. كما ذكره أهل اللغة.

قال ابن كثير نقلًا عن علماء التاريخ: «كان هذا السرير في قصر عظيم مشيّد رفيع البناء محكم، وكان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم طاقة وتغرب في مقابلتها فيسجدون لها صباحًا ومساءً، ولهذا قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾». اهـ.

(٢) قوله: (أي: أن يسجدوا...). حاصل ما قاله المفسر: أن «لا» هنا زائدة مؤكدة كما في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: ليعلم. وأصله أن المصدرية أدغمت النون في «لا» المزيدة، والمصدر المؤول منصوب مفعول به لـ﴿يَهْتَدُونَ﴾.

والمعنى: فهم لا يهتدون إلى السجود لله، وحذف حرف الجر «إلى» الذي تعدى به ﴿يَهْتَدُونَ﴾؛ لأن حذف حرف الجر مطّرد مع «أنْ» و«أنّ». وهذا أحد الوجهين في الإعراب.

والوجه الثاني: أن «لا» هنا نافية، والمصدر المؤول في محل التعليل لـ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي زين لهم الشيطان أعمالهم لأجل ألا يسجدوا لله. ذكره ابن جرير، وعلى هذا حذف حرف التعليل اللام، أو مفعول به لـ﴿وَزَيَّنَ﴾. وكلا الوجهين على قراءة ﴿أَلَّا﴾ بتشديد اللام.

وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، ورويس: ﴿أَلَا﴾: بتخفيف اللام. ووجه ذلك: أن ﴿أَلَا﴾=

نون «أن»، كما في قوله تعالى: «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» [الحديد: ٢٩]، والجملة في موضع مفعول «يَهْتَدُونَ» بإسقاط «إلى»، ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ مصدر، بمعنى المخبوء من المطر والنبات(١) ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾ في قلوبهم(٢) ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم.

٢٦- ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ استئناف جملة ثناء مشتملٍ على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بَوْن عظيم(٣).

= حرف تنبيه، و«يا» حرف نداء، حذف المنادى، أي: يا قوم. و«واسجدوا» فعل أمر. كما يعلم من القرطبي وغيره.

(١) قوله: (من المطر والنبات...). المطر تفسير الخبء في السمٰوات، والنبات: الخبء في الأرض. وبذلك فسر ابن جرير ورواه عن أئمة التفسير.

(٢) قوله: (في قلوبهم) هذا التفسير جارٍ على القراءة بالياء: ﴿يُخْفُونَ﴾: وهي قراءة الجمهور، وكذا ﴿يُعْلِنُونَ﴾. وتفسيره: بألسنتهم.

وقرأ حفص، والكسائي: بتاء الخطاب: ﴿تُخْفُونَ﴾، ﴿تُعْلِنُونَ﴾. والقراءة بالياء تفيد أن هذا من كلام الهدهد، وأن الله خصه من المعرفة بتوحيده ووجوب السجود له، وإنكار سجودهم للشمس وإضافته للشيطان وتزيينه لهم، ما خصّ به غيره من الطيور وسائر الحيوان من المعارف اللطيفة.اهـ. ذكره القرطبي.

وأما القراءة بالتاء: ﴿تُعْلِنُونَ﴾ فظاهرها أنها من كلام الله تعالى، وخطابه لأمة محمد ﷺ، وكذا الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ يحتمل كونها من كلام الله تعالى، كما مشى عليه ابن جرير، وكونه من كلام الهدهد، كما روي ذلك عن ابن زيد، حيث قال: «﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ هذا كله من كلام الهدهد».اهـ. ابن جرير.

(٣) قوله: (بَوْن عظيم). أي: فرق كبير، فعظمة عرش بلقيس بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وعظمة =

(٢٧)- ﴿ ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: من هذا النوع[١]، فهو أبلغ من[٢]: أم كذبت فيه، ثم دلهم على الماء[٣]، فاستُخرج[٤] وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتابًا صورته[٥]: «من عبد الله سليمان[٦] بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد:

= عرش الله تعالى بالنسبة إلى السمٰوات والأرض، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك، وبينهما بون عظيم كما لا يخفى.

تنبيه: نهاية هذه الآية من مواضع سجود التلاوة.

(١) قوله: (أي: من هذا النوع). أي: نوع الكاذبين.

(٢) وقوله: (فهو أبلغ). إشارة إلى نكتة بلاغية، حيث قيل أولًا: ﴿أَصَدَقْتَ﴾ بالجملة الفعلية، ثم ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ بالجملة الشبيهة بالاسمية مع زيادة ﴿مِنَ﴾ التبعيضية، فهذه الجملة أبلغ لإفادتها الاستمرار والاستقرار من ذلك النوع.

(٣) قوله: (ثم دلهم...). أي: دلّ الهدهد على الماء، كما كان ذلك شأنه.

(٤) وقوله: (فاستُخرج...) بصيغة المبني للمفعول، أي: استخرج الماء، استخرجه الجن كما تقدم.

(٥) قوله: (صورته). الصورة المذكورة للكتاب معظمها مذكور في القرآن الكريم، قال ابن كثير: «هذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة، فإنه حصّل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها».اهـ.

(٦) وقوله: (من عبد الله سليمان...إلخ). روي كذلك عن وهب بن منبه فيما ذكره ابن جرير. وفيما ذكره المفسر إشارة إلى أن في الآية إيجازًا بحذف جُملٍ، تقدر قبل الآية: «اذهب بكتابي...».

﴿٢٨﴾- ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾ وقِفْ قريبًا منهم[١] ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يردون من الجواب، فأخذه[٢]، وأتاها وحولها جندها[٣] وألقاه في حجرها، فلما رأته أُرْعِدَتْ وخضعت خوفًا، ثم وقفت على ما فيه[٤].

﴿٢٩﴾- ثم ﴿قَالَتْ﴾ لأشراف قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوًا مكسورة[٥] ﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ مختوم[٦].

﴿٣٠﴾- ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: مضمونه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿٣١﴾- ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) قوله: (وقِف قريبًا). تفسير لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾. وبه فسر وهب بن منبه، واختاره ابن جرير، وعن ابن زيد: «معناه: ثم انصرف إليّ».

(٢) قوله: (فأخذه). أشار إلى حذف جُمل، فهو من باب الإيجاز.

(٣) قوله: (وحولها جندها). ظاهر في أن إلقاء الكتاب إليها كان وهي في الملأ، كما يفيد ظاهر قول الضحاك: «فمضى الهدهد بالكتاب حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها ألقى إليها الكتاب».اهـ. وقال ابن كثير: «فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوّة هناك بين يديها».اهـ.

(٤) قوله: (ثم وقفت...). أي: اطلعت على ما في الكتاب.

(٥) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). أي: همزة ﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾ وهمزة ﴿إِنِّىٓ﴾. وبالتسهيل: قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس. وقرأ الباقون: بتحقيقهما.

(٦) قوله: (مختوم) تفسير لـ﴿كَرِيمٌ﴾. ذكر هذا المعنى ابن جرير وغيره. وعن ابن زيد: «كريم لكونه من المعظم في نفسها»، وقيل: لوجود بسم الله في أوله، وقيل: لإلقاء الطائر له عليها، فهذا أمر لا يقدر عليه الملوك. ذكره ابن كثير.

٣٢- ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوًا[١]، أي: أشيروا عليّ ﴿فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ٣٢﴾ تحضرون[٢].

٣٣- ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ٣٣﴾ نا[٣] نطعك.

٣٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤﴾ أي: مرسلو الكتاب[٤].

٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ٣٥﴾ من قبول الهدية أو ردِّها، إن كان ملِكًا قبِلَها[٥]، أو نبيًّا لم يقبلها،

---

(١) قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: الهمزة في ﴿ٱلْمَلَؤُاْ﴾ والهمزة في ﴿أَفْتُونِي﴾. قرأ بالتسهيل: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس. وبتحقيقهما: الباقون.

(٢) قوله: (تحضرون). النون فيه وفي ﴿تَشْهَدُونِ﴾ نون الوقاية. وبعدها ياء المتكلم محذوفة، والفعل منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا، بعد حتى الجارة.

(٣) قوله: (نا) قدره ليكون مفعولًا به، والنون في ﴿تَأْمُرِينَ﴾، مفتوحة، وهي نون الرفع، و﴿مَاذَا﴾. «ما»: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و«ذا»: اسم موصول بمعنى: الذي، خبره، وجملة ﴿تَأْمُرِينَ﴾ صلة الموصول، أو ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿تَأْمُرِينَ﴾.

(٤) قوله: (أي: مرسلو الكتاب). توضيح لمعنى الضمير، أي: الواو في ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

(٥) قوله: (إن كان ملكًا...). كما روى ابن جرير عن وهب بن منبه، وفي حديثه: أنها قالت لهم: إن يكن ملكًا فيستقبل الهدية، ويرغب في المال، وإن يكن نبيًّا فليس له في الدنيا حاجة وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه، ونتبعه على أمره أو كما قالت.اهـ. =

فأرسلت(١) خدمًا ذكورًا وإناثًا ألفا بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجًا مكللًا بالجواهر، ومسكًا وعنبرًا وغير ذلك مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر(٢) أن تضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مشرفًا من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله.

(٣٦)- ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسول(٣) بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ(٤) بِمَالٖ

= تنبيه: قال القرطبي: «كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة، وكذلك سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وسائر الأنبياء، وإنما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردّها علامة على ما في نفسها».اهـ.

(١) قوله: (فأرسلت...). ما ذكره المفسر من تفصيل الهدية مرويّ في الجملة عن أئمة التفسير كابن عباس، وابن جريج، وثابت البناني، وغيرهم مع اختلاف في عدد الخدم، قال ابن كثير: «ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك».اهـ.

(٢) قوله: (فأمر) أي: أمر سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن تضرب، أي: تصنع لبنات... وما ذكره من التفاصيل أورده القرطبي بأبسط مما ذكره بدون عزو.

قال ابن كثير: «وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد».اهـ.

تنبيه: ﴿بِمَ﴾ في الآية: الباء حرف جر، و«م» استفهامية، وأصلها «ما»، فلما دخل عليها حرف جر حذف الألف، وهذا الحذف واجب، كما تقدم نظير ذلك.

(٣) قوله: (الرسول). أي: أمير الوفد. وكان اسمه: المنذر بن عمرو. قاله القرطبي.

(٤) ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾. الهمزة للاستفهام الإنكاري، تمدون: مضارع أمدَّ، مسند إلى واو الجماعة. والنون الأولى: نون الرفع، والثانية: نون الوقاية. وحذف ياء المتكلم بعدها تخفيفًا.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

﴿٣٧﴾- ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت به من الهدية[(١)] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ لا طاقة[(٢)] ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها[(٣)] داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرسًا، وتجهّزت للمسير إلى سليمان لتنظر ماذا يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قَيْل[(٤)]، مع كل قَيْل ألوف كثيرة[(٥)] إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها[(٦)].

---

(١) قوله: (بما أتيت...). أي: ارجع إليهم مع الهدية التي جئت بها، كما يعلم من القرطبي وغيره. قال ابن كثير: «والظاهر أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه».اهـ.

(٢) قوله: (طاقة). تفسير ﴿قِبَلَ﴾ بكسر القاف. وبها فسر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (جعلت سريرها...). أي: جعلت سريرها -وهو عرشها المذكور- في سبعة أبواب، وهذا حفظًا لذلك العرش، وكان ذلك استعدادًا للقدوم إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد معرفتها نبوته، وناوية متابعته في الإسلام، كما ذكره ابن كثير. وما ذكر المفسر من التفصيل ذكره القرطبي وغيره، وروى نحوًا منه ابن كثير عن محمد بن إسحٰق عن يزيد بن رومان، وابن جرير عن وهب بن منبه.

(٤) قوله: (اثني عشر ألف قَيْل). بفتح القاف: مَلِك من ملوك حمير.

(٥) وقوله: (ألوف كثيرة). وفي القرطبي: «مائة ألف».اهـ.

(٦) قوله: (إلى أن قربت منه على فرسخ...). عزا هذا القرطبي إلى عبدالله بن شداد، وفي روية محمد بن إسحٰق: «حتى إذا دنَتْ...» بدون ذكر الفرسخ.

(٣٨) - ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ﴾ في الهمزتين ما تقدم[١] ﴿يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨﴾ أي: منقادين طائعين[٢]. فلي أخذه قبل ذلك، لا بعده[٣].

(٣٩) - ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ هو القوي الشديد[٤] ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء[٥]، وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٞ ٣٩﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها. قال سليمان: «أريد أسرع من ذلك»[٦].

---

(١) قوله: (في الهمزتين...). أي: همزة ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ ﴿أَيُّكُمۡ﴾ فيهما التسهيل والتحقيق، كما تقدم في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي﴾.

(٢) وقول المفسر: (منقادين). أشار به إلى أن الإسلام هنا بمعنى: الانقياد لا بمعنى دين الإسلام، روي ذلك عن ابن عباس؛ لأنها أسلمت بعد قدومها، بقوله: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾. اختاره ابن جرير.

(٣) قوله: (فلي أخذه قبل ذلك). أي: يجوز لسليمان أخذه قبل إسلامها، ولا يجوز بعده، ولذا أمر بإحضاره قبل إسلامها. قاله قتادة، وقيل: إنما أمر بإحضاره قبل إتيانهم؛ ليختبر عقلها. قاله ابن زيد. وقيل: ليعلمها قدرة الله تعالى، ويكون ذلك حجة عليها في نبوته. اختاره ابن جرير.

(٤) قوله: (هو القوي الشديد). نقل ابن كثير عن أبي صالح: «وكان كأنه جبل»، وروى ابن جرير عن ابن إسحٰق وغيره: «كان اسمه «كوزن». والتاء في ﴿عِفۡرِيتٞ﴾ زائدة للمبالغة كالطاغوت. كما يعلم من القرطبي.

(٥) قوله: (الذي تجلس فيه...). روى عن السدي وغيره.

(٦) قوله: (قال سليمان: «أريد أسرع...»). كما في رواية ابن إسحٰق، وذكره ابن كثير وغيره من المفسرين.

(٤٠)- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المنزل، وهو آصف بن برخيا[١]، كان صدّيقًا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به[٢] إلى شيء ما، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر إليها، ثم ردّ بطرفه فوجده موضوعًا بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم[٣] أن يأتي الله به، فحصل، بأن جرى[٤] تحت الأرض حتى نبع تحت كرسيّ سليمان ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي: ساكنًا ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين[٥] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة الأخرى وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لأجلها[٦]؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة

---

(١) قوله: (وهو آصف...). روي عن ابن عباس، قال: «كان كاتب سليمان»، وكذا قال قتادة، ويزيد بن رومان أنه آصف.

(٢) قوله: (إذا نظرت به). أي: الطرف بمعنى: البصر. وما ذكره المفسر مرويّ عن سعيد بن جبير، قال: «أخبرت أنه قال: ارفع طرفك من حيث يجيء فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه».اهـ. وذكر ابن كثير نحو ذلك.

(٣) قوله: (بالاسم الأعظم). كما قال ابن إسحٰق عن يزيد بن رومان أنه كان صديقًا يعرف الاسم الأعظم، قال مجاهد: «قال: يا ذا الجلال والإكرام».

(٤) قوله: (بأن جرى...). كما قال ابن عباس: «نبع عرشها من تحت الأرض»، وعن مجاهد: «جيء به في الهواء».

(٥) قوله: (بتحقيق الهمزتين...)، هنا كما في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في أول سورة البقرة.

(٦) قوله: (أي: لأجلها...). أفاد به أن اللام في ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾ لام التعليل، وليست لام التعدية الداخلة في المفعول به، فيكون التقدير: ومن يشكر الله على نعمته فإنما يشكره لأجل نفسه. وذكر ابن جرير نحوًا من ذلك.

﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ بالإفضال على من يكفرها.

﴿٤١﴾- ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غيّروه[(١)] إلى حالٍ تنكره إذا رأته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم. قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل إن فيه شيئًا[(٢)]، فغيّروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك[(٣)].

﴿٤٢﴾- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: فعرفته، وشبهت عليهم[(٤)] كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل هذا[(٥)] قالت: نعم، قال سليمان[(٦)] لما رأى لها معرفة وعلمًا: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

---

(١) قوله: (غيّروه). قاله قتادة ومجاهد. وعن ابن عباس: «تنكر العرش أنه زيد فيه ونقص»، كما قاله المفسر.

(٢) قوله: (لما قيل له إن فيه شيئًا). أي: لما قيل لسليمان إن في عقل بلقيس شيئًا من النقص فأراد اختبار عقلها. وهذا نقلها القرطبي عن الفراء وغيره، قالوا: لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئًا.اهـ.

(٣) وقوله: (أو غير ذلك). أي: يجعل ما كان منه أحمر أصفر، وبالعكس... نقله ابن كثير عن مجاهد.

(٤) قوله: (وشبهت عليهم). أي: بأن قالت لهم كأنه هو، ولم تقل: هذا هو.

(٥) قوله: (ولو قيل هذا...). أي: لو قيل لها: أهذا عرشك بدون تشبيه لأجابت إنه هو. والحاصل: أنها عرفت عرشها ولكن لما شبَّهوا عليها شبهت عليهم. ذكره مقاتل والحسن وغيرهما فيما نقله عنهم القرطبي.

(٦) قوله: (قال سليمان...). يفيد أن ما بعده إلى ﴿قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ من مقول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعزاه ابن كثير إلى مجاهد وسعيد، وقاله ابن جرير أيضًا، وعلى هذا فاعل «صدّ»: ﴿مَا﴾. وقيل: صدها سليمان عن عبادة غير الله. فـ﴿مَا﴾ مفعول «صدَّ»، واختار ابن كثير الأول؛ لأنها ما آمنت إلّا بعد دخولها الصرح.

(٤٣)- ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٤٣)﴾.

(٤٤)- ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضًا: ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ هو سطح من زجاج[1] أبيض شفاف تحته ماء عذب جار، فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له: إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار، ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حسانًا ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ مملس[2] ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ أي: زجاج، ودعاها إلى الإسلام[3] ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ

---

(١) قوله: (هو سطح من زجاج...). ما ذكره المفسر من التفصيل مروي عن أئمة التفسير، ونقله ابن جرير وغيره. فيما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، قال: «قالت الجن لسليمان تزهّده في بلقيس: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجن، فأمر سليمان بالصرح، فعمل، فسجن فيه دواب البحر الحيتان والضفادع، فلما بصرت بالصرح،قالت: ما وجد ابن داود عذابًا يقتلني به إلا الغرق، فـ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾، قال: فإذا هي أحسن الناس ساقًا وقدمًا، قال: فضن سليمان بساقها عن الموسى، قال: فاتخذت النورة بذلك السبب».اهـ.

وفيما رواه عن ابن وهب أنه اتخذ الصرح ليريها ملكًا هو أعز من ملكها وسلطانًا هو أعظم من سلطانها، وليختبر عقلها.

وقال ابن جرير: «يجوز أن يكون اتخاذ الصرح للسببين جميعًا؛ ليختبر عقلها، ولينظر إلى ساقها وقدمها».اهـ.

(٢) وقوله: (مملس). أي: مبني بناءً محكمًا أملس، كما في ابن كثير.

(٣) قوله: (ودعاها إلى الإسلام). يفيد أنها لم تكن أسلمت إلى هذا الوقت، ثم أسلمت، كما صرح ابن كثير بذلك.

سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، وأراد تزوجها فكره[١] شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النورة، فأزالته بها، فتزوجها[٢] وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها[٣] في كل شهر مرّة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك[٤] وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

---

(١) قوله: (فكره). أي: سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شعر ساقيها. وكان ساقاها شعراوين. كما رواه ابن جرير عن مجاهد.

(٢) قوله: (فتزوجها...). نقله القرطبي عن الضحاك، وعن سعيد بن عبدالعزيز بسياق أطول، ونقل عن ابن إسحٰق ووهب بن منبه: «لم يتزوجها سليمان، وإنما قال لها: اختاري زوجًا، فاختارت ذا تبّع ملك همدان»، ونقل القرطبي عن قوم من العلماء: «لم يرد فيه خبر صحيح لا في أنه تزوجها ولا في أنه زوّجها».اهـ.
قال القرطبي: «هي بلقيس بنت السرح بن الهُداهد بن شراحيل بن أُدَد بن حدر بن السرح ابن الحرس بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».اهـ.

(٣) قوله: (وكان يزورها...). ذكر ذلك القرطبي نقلًا عن بعض العلماء. واستنكر ابن كثير بعض ما ورَد في قصة سليمان وبلقيس، وقال: «الأقرب أنها متلقاة من بني إسرائيل، والغرض أن سليمان اتخذ قصرًا عظيمًا من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمة سلطانه، فلما رأت ذلك عرفت أنه نبي كريم وملك عظيم، فأسلمت لله عَزَّ وَجَلَّ».اهـ. ملخصًا.

(٤) قوله: (روي أنه ملك). ذكر ذلك البغوي، والسمعاني بدون إسناد، وروى بإسناده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن الزهري وغيره، لكن قال: «عاش اثنتين وخمسين سنة، وكان ملكه أربعين سنة»، كما ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» عن الزهري وغيره. وذكر ابن جرير في «تاريخه»: «أنه عاش نيفًا وخمسين سنة»، وبهذا صرح القرطبي في «تفسيره».

﴿٤٥﴾- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بأن[١] ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في الدين، فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم[٢] وفريق كافرون.

﴿٤٦﴾- ﴿قَالَ﴾ للمكذبين: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة[٣]، حيث قلتم: إن كان ما أتينا به حقًّا فأتنا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾ هلَّا[٤] ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تعذبون.

﴿٤٧﴾- ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله: تطيرنا، أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل، أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا[٥] ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تختبرون بالخير والشر.

﴿٤٨﴾- ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: رجال[٦]

---

(١) قوله: (بأن). كما تقدم في الآية (٨) وغيرها.

(٢) قوله: (من حين إرساله إليهم). أخذ المفسر هذا المعنى من ﴿إِذَا﴾ الفجائية في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ...﴾، والفريقان: مؤمن وكافر. روي عن مجاهد.

(٣) قوله: (أي: بالعذاب قبل الرحمة). وبمثله فسر ابن كثير، حيث قال: «أي: لم تدعون بحضور العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته».اهـ.

(٤) قوله: (هلّا). أشار إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ هنا تحضيضية.

(٥) قوله: (حيث قحطوا...). قال ابن كثير: «إنهم -لشقائهم- لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قبل صالح وأصحابه، كما أخبر الله عن قوم فرعون كانوا يقولون ذلك». [الأعراف: ١٣١].

(٦) قوله: (أي: رجال). فسّر به مراعاة لمعنى الرهط هنا، وإدخال التاء في ﴿تِسْعَةُ﴾. =

﴿يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي منها: قرضهم الدنانير والدراهم[١] ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝٤٨﴾[٢] بالطاعة.

٤٩- ﴿قَالُواْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أي: اِحلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية[٣] ﴿وَأَهۡلَهُۥ﴾ أي: من آمن به، أي: نقتلهم ليلًا[٤] ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: وليّ دمه ﴿مَا شَهِدۡنَا﴾ حضرنا ﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ بضم الميم وفتحها[٥]، أي: إهلاكهم

= والرهط: من ثلاثة إلى عشرة. والنفر: من ثلاثة إلى تسعة. أفاده البيضاوي. وعن السدي، عن ابن عباس: «كان أسماء هؤلاء التسعة: دعمَى، دعيم، هرما، هريم، داب، صواب، ديا، مسطع، قدار بن سالف عاقر الناقة».اهـ.

(١) قوله: (قرضهم...). نقله القرطبي عن عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن المسيب، ولعل المراد: قرض شيء من أطراف الدنانير والدراهم بالمقراض ليأخذوها ويجمعوها خيانة.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ ۝٤٨﴾. أي: شأنهم الإفساد الخاص عن شوب الصلاح.اهـ. البيضاوي.

(٣) قوله: (بالنون...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بتاء الخطاب في الفعلين: ﴿لَتُبَيِّتُنَّهُۥ﴾، ﴿لَتَقُولُنَّ﴾. وقرأ غيرهم: بنون المتكلمين: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾، ﴿لَنَقُولَنَّ﴾، فالتاء واللامُ مضمومتان على الأولى، والفعلان معربان مرفوعان وعلامة الرفع النون المحذوفة، والفاعل: الواو المحذوفة. ومفتوحتان على الثانية فالفعلان مبنيان على الفتح لاتصال نون التوكيد المباشرة، وإلى ذلك أشار المفسر.

(٤) قوله: (أي: نقتلهم ليلًا). تفسير لـ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾. والهاء عائد إلى النبي صالح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

(٥) قوله: (بضم الميم...). قرأ حفص: ﴿مَهۡلِكَ﴾: بفتح الميم وكسر اللام. وشعبة: ﴿مَهۡلَكَ﴾: بفتح الميم واللام. والباقون: ﴿مُهۡلَكَ﴾: بضم الميم وفتح اللام. وذهب المفسر أنه مصدر ميميّ على الوجهين، بالضم مصدر ميمي لأهلك، وبالفتح مصدر لهلك، ويصح كونهما ظرفين، كما ذكره البيضاوي.

أو هلاكهم، فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾.

۝٥٠- ﴿وَمَكَرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم[1] ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾.

۝٥١- ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١﴾ بصيحة جبريل[2]، أو برمي الملائكة بحجارة يرونها[3]، ولا يرونهم.

۝٥٢- ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ أي: خالية، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة[4] ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ بظلمهم، أي: كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾

---

(١) قوله: (أي: جازيناهم...). أشار إلى أن في الكلام مشاكلة، وقد تقدم تقرير ذلك في تفسير سورة البقرة الآية (٩).

(٢) قوله: (بصيحة جبريل...) كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر: ٣١].

(٣) قوله: (أو برمي الملائكة). نقل القرطبي عن ابن عباس: «أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة، فامتلأت بهم دار صالح، فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم، فقتلهم الملائكة رضخًا بالحجارة، فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها».اهـ. وهذا يفيد أن هؤلاء التسعة قتلوا بالحجارة، وأما الباقون فبالصيحة، كما قال القرطبي: «والأظهر أن التسعة هلكوا بعذاب مفرد ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة».اهـ.

(٤) قوله: (والعامل...). الحال تحتاج إلى عامل يعمل فيها النصب كما تحتاج إلى صاحب الحال، فهنا صاحب الحال: ﴿بُيُوتُهُمۡ﴾. وعامل الحال اسم الإشارة لتضمنه معنى الفعل، أي: أشير.

لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢﴾ قدرتنا فيتعظون.

۝٥٣- ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف[1] ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾ الشرك.

۝٥٤- ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرًا قبله، ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ أي: يبصر بعضكم بعضًا انهماكًا في المعصية.

۝٥٥- ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين[2] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ عاقبة فعلكم.



(١) قوله: (أربعة آلاف). كما تقدم في سورة هود الآية (٦٦)، قال القرطبي: «وخرج صالح ومن آمن معه إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح، فسميت حضرموت». وقصة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مفصلة في سورة الأعراف.

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). القراءات أربع:

١- تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما: قالون، أبو عمرو، أبو جعفر.

٢- تسهيل الثانية بدون ألف: ورش، وابن كثير، ورويس.

٣- بالتحقيق مع إدخال ألف وعدمه: هشام.

٤- بالتحقيق بدون ألف: الباقون.



٥٦- ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ من أدبار الرجال.

٥٧- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧﴾ الباقين في العذاب.

٥٨- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ هو حجارة السجيل[1] أهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨﴾ بالعذاب: مطرهم[2].

٥٩- ﴿قُلِ﴾ يا محمد[3] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ هم[4] ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين[5] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾[6]

---

(١) قوله: (هو حجارة...). كما تقدم في الأعراف وهود والحجر قصتهم وأنواع عذابهم.

(٢) وقوله: (مطرهم). مخصوص بالذم، مبتدأ مؤخر أو خبر لمبتدأ محذوف.

(٣) قوله: (يا محمد). أفاد أن الخطاب لنبينا ﷺ، وعليه جماهير المفسرين، ونقل القرطبي عن الفراء: «الخطاب للوط عَلَيْهِ السَّلَامُ»، ورجح الأول؛ لأنه الظاهر من خطابات القرآن الكريم.

(٤) قوله: (هم). قدره ليكون عائدًا من الصلة إلى الاسم الموصول. وعن ابن عباس: «المراد بهم أصحاب محمد ﷺ».

(٥) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). تحقيق الهمزتين، أي: ﴿أَأَللَّهُ﴾. قال القرطبي: «هذا أجازه أبو حاتم».اهـ. ولكن لم يقع ذلك في القراءات العشر، وإنما وقع فيها وجهان: إبدال همزة الوصل ألفًا مع المد اللازم وتسهيلها، فلعل ما ذكره المفسر سبق قلم.

(٦) ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾. أصله: «أم» العاطفة و«ما» الموصولة، وصلت بالخط على قاعدة الرسم العثماني.

بالياء والتاء[١]، أي: أهل مكة[٢]، به الآلهة خير لعابديها[٣].

(٦٠)- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ[٤] ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم[٥] ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة، وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حُسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين[٦] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة[٧] ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانه على ذلك، أي: ليس معه إله

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). قرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: بالياء. والباقون: بالتاء.

(٢) وقوله: (أي: أهل مكة). تفسير للضمير الغائب على قراءة ﴿يُشْرِكُونَ﴾.

(٣) وقوله: (به) عائدة على ما يشركون، أي: يشركون به أو تشركون به.

وقوله: (الآلهة). بدل من ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: (خير) خبر لـ«ما»، أي: آلله خير أم ما يشركون خير.

(٤) ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾. «أم» هنا وفيما يأتي منقطعة إضرابية، و«من» اسم موصول مبتدأ. والخبر محذوف أي: خير. أو يقال: «من» هنا وفي المواضع التالية استفهامية مبتدأ. والخبر: الجملة التي بعدها. وعلى هذا تكون «أم» خالية من معنى الاستفهام. والله أعلم.

(٥) قوله: (التفات من الغيبة...). أي: الغيبة في ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ إلى التكلم في ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾.

(٦) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). هنا القراءات الأربع السابقة في ﴿أَئِنَّكُمْ﴾. وعلى هذا كان على المفسر أن يقول: (وتركه). أي: ترك إدخال الألف.

(٧) قوله: (في مواضعه السبعة). ذكر ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ في خمسة مواضع فقط. وذكر في الآية (٦٧): ﴿أَءِذَا﴾، و﴿أَئِنَّا﴾. فلعل المفسر أراد بالسبعة هذه كلها. والله أعلم.

والاستفهام في ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ إنكاري. ويراد بالإله المستحق للعبادة أو المعبود بحق لا مطلق المعبود.

وقد ذكرنا أن الإله يطلق شرعًا على المستحق للعبادة، ولغة على المعبود مطلقًا.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ يشركون بالله غيره.

۝٦١- ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العَذْب والملح، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ توحيده.

۝٦٢- ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر[١] ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ بالإضافة[٢] بمعنى: في، أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ تتعظون، بالفوقانية والتحتانية[٣]، وفيه إدغام التاء في الذال و«مَا» زائدة لتقليل القليل[٤].

۝٦٣- ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلًا وبعلامات الأرض نهارًا ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ﴾

---

(١) قوله: (المكروب الذي...). وبمثله فسر العلماء. قال ابن عباس: «هو ذو الضرورة المجهود».

(٢) قوله: (بالإضافة). أي: إضافة ﴿خُلَفَاءَ﴾ إلى ﴿الْأَرْضِ﴾. والإضافة بمعنى: في؛ فالمعنى: يجعلكم خلفاء في الأرض.

(٣) قوله: (بالفوقانية...). قرأ أبو عمرو، وهشام، وروح: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: بالياء وتشديد الذال. وقرأ حمزة، وحفص، والكسائي، وخلف: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: بالتاء وتخفيف الذال. وقرأ الباقون: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾: بالتاء وتشديد الذال. فالقراءات ثلاث. وتشديد الذال بإدغام التاء فيها كما قال المفسر.

(٤) وقوله: (و﴿مَا﴾ زائدة...). كما تقدم نظيره مرارًا.

أي: قدام المطر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ به غيره.

﴿٦٤﴾- ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت، وإن لم يعترفوا بالإعادة[١]؛ لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِۗ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لا يفعل شيئًا مما ذكر إلا الله[٢]، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أن معي إلها فعل شيئًا مما ذكر.

﴿٦٥﴾- وسألوه عن وقت[٣] قيام الساعة، فنزل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن[٤] ﴿ٱللَّهُۚ﴾

---

(١) قوله: (وإن لم يعترفوا...). أي: كفار مكة ما كانوا يعترفون بالنشر بعد الموت. وكانوا يعترفون بأن الله خلقهم وخلق كل شيء أول مرة، فمن اعترف بذلك يلزمه الاعتراف بالبعث بعد الموت؛ لأن من خلق من عدم قادر على الإعادة؛ فبهذا الاعتبار ألزمهم في هذه الآية الحجة، والاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية. ومن هذا يعلم أن الاعتقاد بأن الله هو الخالق والمحيي بعد الموت من توحيد الربوبية، وكفار مكة ما كانوا مكتملين في ذلك، بل عندهم طرف من توحيد الربوبية، لا كله.

(٢) قوله: (أي: لا يفعل). توضيح وتقرير للاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية. أي: فمن كان مستقلًا بتلك الأمور لا شريك له، فهو المستحق بالعبادة دون غيره.

(٣) قوله: (وقت). تفسير بحاصل معنى: ﴿أَيَّانَ﴾، و﴿أَيَّانَ﴾ اسم استفهام في محل نصب بـ﴿يُبْعَثُونَ﴾ وهو معلق بـ﴿يَشْعُرُونَ﴾؛ فليس مفعولًا به له.

(٤) قوله: (لكن). أفاد أن الاستثناء منقطع؛ لأنه تعالى لا يوصف أنه في الأرض، وإن صح وصفه أنه في السماء بمعنى أنه في العلوّ مباينًا من خلقه، وعلى هذا في وجه رفع اسم الجلالة أقوال؛ فإن الأصل أن المستثنى في الاستثناء المنقطع يكون منصوبًا، وهذه الأقوال:

١- إنه مبتدأ، خبره محذوف، أي: اللهُ يعلمه. كما ذهب إليه المفسر.

٢- إنه على الاستثناء والاتباع جائز في الاستثناء المنقطع في لغة تميم. =

يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿٦٦﴾- ﴿بَلِ﴾ بمعنى: هل[(١)] ﴿أَدْرَكَ﴾[(٢)] وزن «أَكْرَمَ»، وفي قراءة أخرى: «ٱدَّٰرَكَ» بتشديد الدال، وأصله: تدارك، أبدلت التاء دالًا وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي: بلغ ولحق أوْ تتابع وتلاحقَ ﴿عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم

= ٣- الاستثناء متصل؛ فاسم الجلالة بدل من ﴿مَن﴾. والمراد بـ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: مطلق العلو فيشمل الحق تعالى.

٤- إنه فاعل ﴿لَّا يَعْلَمُ﴾ على أن الاستثناء مفرغ، و﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مفعول، و﴿ٱلْغَيْبَ﴾ بدل اشتمال منه. والمعنى: لا يعلم الغيْبَ إلا الله.

وفي ابن جرير ما يفيد أن هذه الآية نزلت جوابًا لسؤال المشركين عن الساعة متى هي؟

(١) قوله: (بمعنى: هل). يعني أن الكلام متضمن معنى الاستفهام الإنكاري، فيكون حاصل المعنى: أنه لم يبلغ علمهم بالآخرة، كما ذكر المفسر: ليس الأمر كذلك. وهذا الذي ذكره المفسر موافق لما روى عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿بَلَىٰ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ إنما هو استفهام أنه لم يدرك. وفي رواية عنه: أي: لم يدرك، قال ابن جرير: «وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث».اهـ.

(٢) قوله: ﴿أَدْرَكَ﴾. هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب. وقرأ الباقون: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾. وأصله: تدارك، كما قال المفسر. ومعناهما متقارب كما ذكر المفسر. و﴿بَلِ﴾ حرف إضراب انتقالي في المواضع الثلاثة. ذكره الدرويش في «إعراب القرآن»، وظاهر كلام المفسر: أن «بل» في ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ للإضراب الإبطالي؛ لأن المعنى: أي لم يبلغ علمهم بالآخرة بل هم في شك منها. وما قاله المفسر أوضح، والله أعلم. وفي رواية عن ابن عباس: «أدرك علمهم أي: بصرُهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر».اهـ. أي: أيقنوها حين لم ينفعهم.اهـ.

﴿مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله[١]، والأصل: «عميون»[٢] استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أيضًا في إنكار البعث ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ۝٦٧﴾ من القبور.

٦٨- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ جمع أُسطورة[٣] بالضم، أي: ما سطر من الكذب.

٦٩- ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩﴾ بإنكارهم[٤]، وهي هلاكهم بالعذاب[٥].

٧٠- ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ[٦] وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝٧٠﴾ تسلية للنبي ﷺ، أي: لا تهتم بمكرهم عليك فإنا ناصروك عليهم.

---

(١) قوله: (وهو أبلغ). أي: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ أبلغ من ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾.

(٢) قوله: (والأصل: «عميون») أي: فـ﴿عَمُونَ﴾ جمع عَمٍ. صفة مشبهة من عَمِيَ فهو عمٍ على وزن: فعٍ. وهو اسم منقوص، حذفت الياء وهي لام الكلمة لالتقاء الساكنين؛ لأن أصله: عَمِيٌ؛ حذفت الضمة لثقلها على الياء، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار: «عمٍ»، فلما لحقته واو جمع المذكر السالم ضمت الميم لمناسبة الواو: ﴿عَمُونَ﴾. هذا المشهور عند الصرفيين، كما نبه على ذلك الدكتور قباوة في شرحه على الجلالين. وما ذكره المفسر من أن ضم الميم هو المنقول من الياء هذا عند المعربين، وبه قال الدرويش في «إعراب القرآن». والأمر في ذلك يسير.

(٣) قوله: (جمع: أُسطورة). كما تقدم في سورة الفرقان الآية (٥).

(٤) قوله: (بإنكارهم). متعلق بـ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. والباء للسببية أو للتصوير.

(٥) وقوله: (وهي). أي: العاقبة.

(٦) ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على كفار مكة، أي: على توليهم وإدبارهم ومكرهم.

٧١- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ فيه.

٧٢- ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾ قرُبَ[١] ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فحصل لهم القتل ببدر[٢]، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه: تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه[٣].

٧٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ بألسنتهم.

٧٥- ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة[٤]، أي: شيء في غاية

---

(١) قوله: (قرُبَ). كما فسر بنحوه ابن عباس، قال: «اقترب»، و﴿عَسَىٰٓ﴾ هنا تامة، و﴿أَن يَكُونَ﴾ في تأويل مصدر فاعل ﴿عَسَىٰٓ﴾، أي: عسى كون الأمر ردف لكم بعض.

واسم ﴿يَكُونَ﴾ ضمير الشأن، ويحتمل أن يكون ﴿عَسَىٰٓ﴾ هنا ناقصة، واسمها ضمير الشأن، وخبرها: ﴿أَن يَكُونَ﴾. واللام في ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ لتضمين ﴿رَدِفَ﴾ معنى اقترب ودنا أو زائدة مؤكدة؛ لأن ﴿رَدِفَ﴾ يتعدى بنفسه. كما يعلم من القرطبي، وابن جرير، وغيرهما.

(٢) قوله: (فحصل لهم...). أي: فحصول القتل ببدر مصداق هذه الآية، كما ذكره القرطبي. وقيل: عذاب القبر. نقله القرطبي أيضًا.

(٣) قوله: (تأخير العذاب...). أي: وإدرار الرزق وغير ذلك.

(٤) قوله: (الهاء للمبالغة). المراد بالهاء تاء التأنيث في ﴿غَآئِبَةٍ﴾. وسميت هاءً؛ لانقلابها هاءً عند الوقف.

قوله: (للمبالغة) ذكره البيضاوي، أي: كالتاء في الراوية. وعلى هذا يكون ﴿غَآئِبَةٍ﴾ وصفًا. قال البيضاوي: «أو هو اسم لما يغيب ويخفى، فتاؤه كالتاء في العافية والعاقبة».

وعلى هذا تكون ﴿غَآئِبَةٍ﴾ اسمًا مؤنثًا. =

الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾ بيّن، هو اللوح المحفوظ[١]، ومكنون[٢] علمِهِ تعالى، ومنه: تعذيب الكفار[٣].

٧٦- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ أي: ببيان ما ذكر[٤] على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

٧٧- ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ من العذاب.

٧٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة[٥] ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: عدله

= وقال القرطبي: «وإنما دخلت الهاء في ﴿غَآئِبَةٍ﴾ إشارة إلى الجمع، أي: ما من خصلة غائبة عن الخلق إلا والله عالم بها...». فيعلم من ذلك أن التاء في ﴿غَآئِبَةٍ﴾ للتأنيث داخلة في الوصف. فتلخص: أن التاء فيها ثلاثة أوجه. والله أعلم.

(١) قوله: (وهو اللوح المحفوظ). كما قاله القرطبي. وقال ابن جرير: «وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلقه إلى يوم القيامة».اهـ.

(٢) وقوله: (ومكنونُ...). معطوف على اللوح المحفوظ. وهو مضاف إلى (علمه تعالى).

(٣) قوله: (ومنه تعذيب). أراد المفسر به ربط هذه الآية بما قبلها. وبيان أن تعذيب الكفار الذي اشتمل على ذكره ما تقدم من الآيات داخل في عموم هذه الآية الكريمة.

(٤) قوله: (ببيان ما ذكر...). كما قال القرطبي: «وذلك أنهم اختلفوا في كثير من الأشياء حتى لعن بعضهم بعضًا، فنزلت». وقال ابن جرير: «وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء».اهـ.

(٥) قوله: (كغيرهم). الكاف للتنظير. أفاد بها أن ذكر القضاء بينهم لخصوص سياق الآية، وإلا فالله سبحانه يقضي بينهم وبين غيرهم من الخلائق يوم القيامة. وقيل: يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرّفوه، ذكره القرطبي وجهًا.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدًا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

٧٩- ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾ أي: الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالًا[1] لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال:

٨٠- ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين[2] وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾.

٨١- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن﴾ ما ﴿تُسۡمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾ مخلصون بتوحيد الله.

٨٢- ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ حقَّ العذابُ أن ينزل بهم في جملة الكفار

---

(١) قوله: (ثم ضرب لهم). أي: بيّن الله تعالى مثلًا للكفار، في الآيات التالية، أشار به إلى أن إطلاق الموتى والصم والعمي هنا من باب الاستعارة.

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). قرأ بتسهيل الهمزة الثانية -وهي همزة ﴿إِذَا﴾-: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس. وبتحقيقها: الباقون.

تنبيه: ظاهر هذه الآية يدل على عدم سماع الأموات، ولكن استثني من ذلك مواضع، منها: أن النبي ﷺ خاطب الكفار القتلى بعد إلقائهم في القليب، وقال: «**والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**».

ومنها: ما ثبت من أن الميت المدفون يسمع قرع النعال إذا انصرفوا عنه، ومنها: ما روي من أن الأرواح تكون على شفير القبور في أوقات.

ومنها: ما وقع في ليلة الإسراء والمعراج من اجتماع النبي ﷺ بالأنبياء وصلاته لهم إمامًا، ومراجعته موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في شأن الصلاة، وغير ذلك. نبه على بعض ذلك القرطبي.

﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ[١]﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنّا[٢] ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة، وعلى قراءة[٣] فتحِ همزة «أَنَّ» تقدر الباء بعد «تُكَلِّمُهُمۡ»، ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾ أي: لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب. وبخروجها

---

(١) ﴿دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾. قال ابن كثير: «هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، يخرج الله لهم دابة من الأرض، قيل: من مكة وقيل: من غيرها. فتكلم الناس على ذلك». قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، ويروى عن عليّ: «تكلمهم كلامًا، أي: تخاطبهم مخاطبة».اهـ. ثم أورد ابن كثير الأحاديث الصحيحة التي فيها ذكر الدابة من أشراط الساعة، فمما روى مسلم عن عبدالله بن عمرو، قال النبي ﷺ: «**إن أولى الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبًا**».اهـ. ونقل القرطبي عن بعض المتأخرين: «أن هذه الدابة إنسان متكلم يناظر أهل البدع والكفر».اهـ. ثم انتقد على ذلك القول، وأورد أحاديث مفصلة في الدابة. ويعلم من الروايات الصحيحة أمور:

١- إن هذه دابة، وليست من بني آدم، تخرج من الأرض.

٢- إن خروجها من أشراط الساعة العظمى.

٣- إنها قريبة من طلوع الشمس.

٤- إنها تتكلم.

٥- بخروجه يتميز المؤمن من الكافر، فينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) قوله: (عنّا). أي: عن الله تعالى، جاء بضمير المتكلم لمناسبة ﴿أَخۡرَجۡنَا﴾.

(٣) قوله: (على قراءة: فتح همزة...). قرأ بكسر الهمزة: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر. وبفتحها: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: الباقون. ووجهه: تقدير الباء: بأن الناس. كما قال المفسر.

ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يَبقى مُنيبٌ ولا تائبٌ، ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح: «أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ» [هود: ٣٦].

(٨٣) - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم[1]، ثم يساقون.

(٨٤) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ من جهة تكذيبكم[2] ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام «ما»[3] الاستفهامية ﴿ذَا﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ مما أمرتم به.

(٨٥) - ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (٨٥)﴾ إذ لا حجة لهم.

---

(١) قوله: (بردّ آخرهم...). روي نحوه عن مجاهد. وعن ابن عباس: «فهم يُدفعون».

(٢) قوله: (من جهة تكذيبكم). أي: إن تكذيبكم كان عن جهلٍ وإعراض عن الاستدلال، فلم تعرفوها حق معرفتها، كما يعلم من ابن جرير، والقرطبي.

(٣) قوله: (فيه إدغام). أي: فأصل ﴿أَمَّا﴾ هنا «أم» المنقطعة، أدغمت ميمها في «ما» الاستفهامية، وهي مبتدأ، و﴿ذَا﴾ اسم موصول خبرها. وجملة ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ صلة الموصول. فقوله: (فيه إدغام ما...) أي: إدغام الميم من «أم» في «ما» الاستفهامية، وفي بعض النسخ «فيه ما الاستفهامية».اهـ. أي: بدون لفظة «إدغام».

و«ذا» تأتي موصولة: إذا تقدمتها «ما» أو «من» الاستفهاميتان، ولم يجعل «ماذا» و«من ذا» كلمة واحدة، ولم تكن «ذا» للإشارة، كما فصله النحاة.

ويجوز كون «ماذا» هنا اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿تَعْمَلُونَ﴾ فلا تكون ﴿ذَا﴾ موصولة.

٨٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا[١] ﴿اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم[٢] ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يبصر فيه ليتصرفوا فيه[٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٨٦﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

٨٧- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن[٤]، النفخة الأولى من إسرافيل[٥] ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خافوا الخوف المفضي إلى الموت[٦]، كما في آية

---

(١) قوله: (خلقنا). أشار إلى أن «جعل» هنا بمعنى: خلق، فله مفعول واحد وهو: ﴿اللَّيْلَ﴾. و﴿لِيَسْكُنُوا﴾ تعليل لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ويمكن كون «جعل» هنا بمعنى: صيّر. فله مفعولان، الأول: ﴿اللَّيْلَ﴾. والثاني: ﴿لِيَسْكُنُوا﴾. وذكر الوجهين الدرويش في «إعراب القرآن»، وقد تقدم في تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة أنواع «جعل». كما تقدم في الآية (٢٢) من سورة البقرة.

(٢) قوله: (كغيرهم). الكاف للتنظير. كما تقدم في تفسير الآية (٧٨).

(٣) وقوله: (بمعنى: يبصر فيه...). أشار به إلى أن إسناد الإبصار إلى النهار من المجاز العقلي.

(٤) قوله: (القرن). بالجر تفسير لـ﴿الصُّورِ﴾.

(٥) قوله: (النفخة الأولى) بالنصب مفعول مطلق. مبيّن للمراد بالنفخ هنا. قال القرطبي: «والصحيح في الصور: أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ». قال مجاهد: «كهيئة البوق».

(٦) قوله: (الخوف المفضي إلى الموت). أشار المفسر إلى أن النفخ يكون مرتين فقط، أولاهما: نفخة الفزع والصعق، أي: الموت. والثانية: نفخة البعث والنشور. وبينهما أربعون سنة كما ورد في حديث رواه مسلم [(٤/ ٢٢٥٨)]. وذكره القرطبي واختاره، كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨]. =

أخرى: «فَصَعِقَ» [الزمر: ٦٨]. والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه[١] ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[٢]، وعن ابن عباس: «هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون». ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه[٣]، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوۡهُ﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل[٤] ﴿دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه[٥].

= وذكر ابن كثير: «أن النفخة تكون ثلاث مرات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق ونفخة البعث»، كما ورد بذلك حديث الصور. رواه ابن جرير عن أبي هريرة.

(١) قوله: (والتعبير بالماضي...). هذه مسألة بلاغية.

(٢) قوله: (جبريل وميكائيل...). هذا القول عزاه القرطبي إلى مقاتل، ورواه ابن جرير في سورة الزمر عن السدي. وقال ابن جرير، وابن كثير: «أنهم الشهداء»، وروي عن أبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. ونقل عن القشيري: «الأنبياء داخلون في جملتهم؛ لأن لهم الشهادة مع النبوة».اهـ. نقله القرطبي.

(٣) قوله: (تنوينه عوض). تنوين العوض أحد أنواع التنوين التي هي من علامات الاسم. وأنواع التنوين: تنوين التمكين، والعوض، والمقابلة، والتنكير. والعوض، أي: عوض عن محذوف، والمحذوف إما حرف كتنوين نحو: جوارٍ عوضًا عن الياء، وإما كلمة كتنوين نحو: كلٍّ، وإما جملة كتنوين حينئذٍ عوضًا عن الجملة المضافة إليها «إذْ». وقد ذكرنا التفصيل مع التمثيل في «الثلاثيات». وتقدم التنبيه عليها في سورة آل عمران الآية (٤٠).

(٤) قوله: (بصيغة الفعل...). قرأ حفص، وحمزة، وخلف: بصيغة الفعل الماضي: ﴿أَتَوۡهُ﴾. والباقون: بصيغة اسم الفاعل: ﴿آتُوهُ﴾: بمد الهمزة وضم التاء. والهاء في محل نصب مفعول به على قراءة الفعل، وفي محل جر مضاف إليه على قراءة اسم الفاعل، كما هو واضح.

(٥) قوله: (والتعبير...). أي: على قراءة ﴿أَتَوۡهُ﴾ بصيغة الماضي.

﴿٨٨﴾- ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة[١] ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لعظمها[٢] ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المطر[٣] إذا ضربته الريح، أي:

---

(١) قوله: (تبصرها). أفاد أن الرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد، وهو ﴿ٱلْجِبَالَ﴾. وجملة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلْجِبَالَ﴾. وجملة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في محل نصب حال من ضمير جامدة. والواو فيها واو الحال.

(٢) قوله: (واقفة). كما قال ابن عباس: «قائمة». نقل القرطبي عن القتبي، قال: «وذلك أن الجبال تجمع وتسيّر، فهي في رؤية العين كالقائمة، وهي تسير، لكثرته وبُعْدِ ما بين أطرافه».اهـ. وبنحوه قال البيضاوي. اختصارًا. قال القرطبي: «إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها وإبراز ما كانت تواريه، فأول الصفات: الاندكاك، ثم تصير كالعهن المنفوش. والحالة الثالثة: أن تصير كالهباء، والرابعة: أن تنسف؛ لأنها مع الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها، فتنسف عنها لتبرز، والخامسة: أن الرياح ترفعها على وجه الأرض فتظهرها شعاعًا في الهواء كأنها غبار، والسادسة: أن تكون سرابًا فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئًا كالسراب».اهـ. باختصار. وفي كلام المفسر إشارة إجمالية إلى هذه الأحوال كما لا يخفى.

(٣) وقوله: (المطر). تفسير ﴿ٱلسَّحَابِ﴾ بالمطر لم أجده للمفسرين. بل أبقوا على المعنى الحقيقي. وقول المفسر في أول الآية: (وقت النفخة). وهي النفخة الأولى إذا كانت النفخة مرتين فقط كما عليه المفسر. أو النفخة الثانية إذا كانت ثلاث مرات. وما ذكر في هذه الآية بيانٌ لأهوال يوم القيامة كما يدل على ذلك سياق الآيات، وكما هو إطباق المفسرين المشهورين من السلف والخلف.

وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن ذلك ليس بيانًا لأهوال القيامة، بل بيان لواقع الحال الآن، قالوا: لأن الجبال نظنها واقفة وهي تسير سيرًا حثيثًا بدروان الأرض على محورها -كما عليه المعاصرون من علماء الفلك-، واستدل القائل به على ذلك بأمرين:

الأول: أن الخطاب في ﴿تَحْسَبُهَا﴾ لكل ناظر، ويوم القيامة يهلك الناس فلا يكون هنا ناظر.=

تسير سيره حتى تقع على الأرض، فتستوي بها مبثوثة ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباءً منثورًا ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله[(١)]، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي: صنع الله ذلك صنعًا ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالياء والتاء[(٢)]. أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

﴿٨٩﴾- ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله[(٣)] يوم القيامة ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ﴾ ثواب ﴿مِّنْهَا﴾ أي: بسببها[(٤)]، وليس للتفضيل، إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى:

= والثاني: قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مما يدل على إتقان وإحكام الخلق، فلا يناسبُ الإهلاك والتدمير. اهـ.

وهذا القول وإن كان له وجه من النظر ولكن مخالف لإطباق المفسرين، كما أنه مخالف لسياق الآيات، والآيات التي وردت بمعناها، ثم دوران الأرض على محورها لم يثبت شرعًا، وإنما هو ما وصل إليه الجغرافيون وعلماء الفلك المعاصرون، ولا داعي لجر الآيات والنصوص خلف آراء الفلكيين، والله أعلم.

(١) قوله: (مصدر). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، نحو: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢]، وهذا الإعراب عزاه القرطبي إلى الخليل وسيبويه. وأجاز كون نصبه على الإغراء، أي: انظروا صنع الله.

(٢) قوله: (بالياء والتاء). بالياء: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، ويعقوب. وبالتاء: الباقون.

(٣) قوله: (أي: لا إله إلا الله). تفسير الحسنة. وبه فسر ابن عباس وغيره، فيما رواه ابن جرير وغيره. وكذلك تفسير السيئة بالشرك. روي عن ابن عباس وغيره.

(٤) قوله: (أي: بسببها). أفاد أن «من» هنا للسببية، وليس للتفضيل الذي يدخل على المفضل عليه، إذ لا خير من الإيمان، كما نقل القرطبي، وابن جرير، عن عكرمة، وابن جريج: =

﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠][١]، ﴿وَهُم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿مِّن فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها[٢]، و«فَزَعٍ» منونًا وفتح الميم ﴿ءَامِنُونَ ٨٩﴾.

٩٠- ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ بأن وليتها[٣]، وذكرت الوجوه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس[٤]، فغيرها من

= «أما أن يكون له خير منها يعني من الإيمان فلا، فإنه ليس شيء خيرًا ممن قال: لا إله إلا الله، ولكن له منها خير».اهـ. ونقل القرطبي أيضًا وجهًا بأن «مِن» للتفضيل، والمعنى: ثواب الله خير من عمل العبد. وكذلك رضوان الله تعالى خير للعبد من فعل العبد، وعزاه إلى ابن عباس، وقيل: هذا يرجع إلى المضاعفة، فإن الله يعطي بالواحد عشرًا. وعزاه ابن جرير إلى ابن زيد ورواه عنه.

فقول المفسر: (إذ لا فعل خير منها) موافق لما نقل عن عكرمة، وابن جريج.

(١) وفي قول المفسر: (وفي آية ﴿عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾). إشارة لطيفة إلى احتمال كون «من» للمفاضلة. والله أعلم. وهذه الآية جزء من الآية (١٦٠) من سورة الأنعام.

(٢) قوله: (بالإضافة...). القراءات هنا ثلاث:

١- ﴿فَزَعِ يَوۡمَئِذٍ﴾: بإضافة ﴿فَزَعِ﴾ إلى ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ وفتح الميم من «يوم». هذه قراءة نافع، وأبي جعفر. ووجه فتح الميم أن «يوم» لما أضيف إلى المبني -إذ- اكتسب البناء من المضاف إليه. والمضاف قد يكتسب من المضاف إليه البناء، بل يكتسب عشرة أمور من المضاف إليه، فصلناها في «الثلاثيات».

٢- ﴿فَزَعِ يَوۡمِئِذٍ﴾: بالإضافة وكسر ميم «يوم»: قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب.

٣- ﴿فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ﴾: بتنوين ﴿فَزَعٍ﴾. وفتح الميم من «يوم»: هذه قراءة الباقين. ووجهها واضح، وقد ذكر المفسر هذه القراءات الثلاث، كما هو واضح من كلامه.

(٣) قوله: (بأن وليتها). أي: وليت النار الوجوه.

(٤) قوله: (وذكرت الوجوه...). أشار إلى أن إطلاق الوجوه من المجاز المرسل حيث أطلق =

باب أولى، ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَلْ﴾ أي: ما[١] ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ من الشرك والمعاصي.

﴿٩١﴾- قل لهم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾[٢] أي: جعلها حرمًا آمنًا[٣]، لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها. وذلك من النعم على قريشٍ أهلِها[٤] رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب[٥] ﴿وَلَهُ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ لله بتوحيده.

﴿٩٢﴾- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ المخوفين، فليس علي إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال[٦].

= الجزء وأريد الكل، ولابد أن يكون للجزء الذي يراد به الكلّ مزيّة تليق بالموضوع، بيّنها المفسر بقوله: لأنها موضع الشرف.

(١) قوله: (أي: ما). أفاد أن الاستفهام هنا للإنكار. كما أفاد تقدير مضاف بعد ﴿إِلَّا﴾.

(٢) ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ نعت لـ﴿رَبَّ﴾ باتفاق القراء.

(٣) قوله: (أي: جعلها حرمًا...). كما تقدم في سورة البقرة الآية (١٢٦).

(٤) قوله: (على قريشٍ أهلِها). أهلِها بالجر بدل من قريش أو نعت.

(٥) قوله: (والفتن الشائعة...). كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

(٦) قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال). أي: لأن السورة مكية، والقتال شرع بعد الهجرة، ويشير =

﴿٩٣﴾- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ فأراهم الله يوم بدر[1] القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم[2].



= المفسر إلى أن هذه الآية أي مضمونها منسوخة بآية القتال، ولم يذكر ذلك جمهور المفسرين، ولعل ذلك أقرب؛ لأن مضمون الآية ثابت ولو بعد شرع القتال، والله أعلم.

(١) قوله: (فأراهم الله...). بيان لبعض آياته التي أراهم الله تعالى في حياتهم. وذكر ذلك البيضاوي، قال: «كوقعة بدر، وخروج الدابة»، فيكون المراد بالآيات: الآيات الواضحة القاهرة، كما ذكره البيضاوي. وروى ابن جرير عن مجاهد، قال: «في أنفسكم والسماء والأرض والرزق».اهـ. وعلى هذا يكون المراد بالآيات: مطلق الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وصدق الرسول.

(٢) قوله: (بالياء والتاء). قرأ بالتاء: ﴿تَعْمَلُونَ﴾: نافع، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب. وبالياء: ﴿يَعْمَلُونَ﴾: الباقون.

٢٨- سورة القصص

مكية(١) **إلا** ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ إلى ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [٥٢-٥٥]،

وإلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ...﴾ [٥٨]؛ **فمدنية نزلت بالجحفة.**

وآياتها: سبع أو ثمان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١- ﴿طسٓمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢- ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات(٢) ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى «من»(٣) ﴿ٱلْمُبِينِ ٢﴾ المظهر الحق من الباطل.

٣- ﴿نَتْلُوا۟﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق(٤) ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنتفعون به.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء»، وقال ابن عباس، وقتادة: «إلا آية نزلت بين مكة والمدينة»، وقال ابن سلام: «بالجحفة وقت هجرة رسول الله ﷺ، وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾»، وقال مقاتل: «فيها من المدنيّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ٥٥﴾».اهـ.

وإلى هذه الأقوال أشار المفسر كما هو ظاهر، واختار المفسر أنها مكية إلا تلك الآيات.

(٢) قوله: (أي: هذه...). أشار إلى أن الإشارة إلى القريب بـ﴿تِلْكَ﴾ الموضوع للإشارة إلى البعيد؛ لنكتة بلاغية، وهي التعظيم.

(٣) قوله: (الإضافة بمعنى «من»). كما تقدم في أول سورة النمل وغيرها.

(٤) قوله: (بالصدق). فسر به؛ لأن الصدق يوصف به الكلام، والحق يوصف به الكلام وغيره، فهو تفسير بالأخص الذي هو المراد هنا. وتقدم نظيره أكثر من مرة. =

﴿٤﴾- ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ تكبّر[١] ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فِرَقًا في خدمته ﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المولودين ﴿وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ يستبقيهن أحياءً لقول بعض الكهنة له[٢]: إن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ بالقتل وغيره.

﴿٥﴾- ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾ بتحقيق الهمزتين[٣] وإبدال الثانية ياء، يقتدى بهم في الخير[٤] ﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ ملك فرعون.

﴿٦﴾- ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر والشام[٥] ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ

= قال القرطبي: «ذكر قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفرعون وقارون، واحتج على مشركي قريش، وبين أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره، وكذلك قرابة قريش لمحمد ﷺ، وبين أن فرعون علا في الأرض وتجبّر، فكان ذلك من كفره، فليجتنب العلوّ في الأرض، وكذا التعزز بكثرة المال، وهما من سيرة فرعون وقارون».اهـ.

(١) قوله: (تكبَّر). كما روي عن السدي: «تجبّر»، وعن قتادة: «بغى».اهـ. وهما متلازمان، أي: فالعلوّ هنا معنويّ.

(٢) قوله: (لقول بعض الكهنة). كما تقدم في سورة البقرة الآية (٤٩).

(٣) قوله: (بتحقيق الهمزتين). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: بتسهيل الهمزة الثانية بلا إدخال ألف بينهما. وبالتسهيل مع الإدخال: قرأ أبو جعفر. وبالتحقيق من غير إدخال: الباقون. فقول المفسر: وإبدال الثانية ياءً لعله أراد به التسهيل.

(٤) وقوله: (يقتدى بهم). تفسير للأئمة، وهو جمع إمام بمعنى: المقتدى به.

(٥) قوله: (أرض مصر والشام). كذا ذكره ابن جرير. وتقدم الكلام في ذلك في سورة الشعراء الآية (٥٩).

﴿وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾، وفي قراءة[١]: «وَيَرَى» بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يدِهِ.

٧- ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحي إلهام أو منام[٢] ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ[٣] فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر، أي: النيل[٤] ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي[٥]، وخافت

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿وَيَرَى﴾: بالياء، بصيغة المضارع من «رأى»، ورفع الأسماء الثلاثة: فرعون وهامان وجنودهما. على أنها فاعل ومعطوف.
وقرأ الباقون: ﴿وَنُرِيَ﴾: بالنون المضمومة، مضارع: «أرى»، ونصب الأسماء الثلاثة على المفعولية. فيكون ﴿مَّا كَانُوا۟...﴾ في محل نصب مفعولًا ثانيًا، وعلى القراءة الأولى: هو مفعول به.

(٢) قوله: (وحي إلهام أو منام). قال القرطبي: «وأجمع الكل على أنها لم تكن نبيّة، فهذا الوحي وحي إلهام، أي: ألقى الله في قلبها ذلك»، وبه قال قتادة، وقيل: منامًا، ذكره القرطبي بدون عزو. ونقل عن مقاتل: «أتاها جبريل بذلك»، فعلى هذا هو وحي إعلام لا وحي إلهام، وليس وحي نبوة، كما تمثّل جبريل لمريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، ولم تكن بذلك نبية.

(٣) ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾. ﴿أَنْ﴾: هنا تفسيرية.

(٤) وقوله: (أي: النيل). كما تقدم في طه.

(٥) قوله: (فأرضعته ثلاثة أشهر). ذكره القرطبي بغير عزو، وروى ابن جرير عن ابن جريج: «أربعة أشهر»، وحكى الكلبي: «ثمانية أشهر».
وعن السدي: «عقب ولادتها وإرضاعها»، قال ابن جرير: «لم تقم بتحديد ذلك حجة، فأي ذلك كان فقد فعلت لأمر الله به».اهـ. =

عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل، ممهّد له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلًا.

﴿٨﴾- ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان[1] ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ فوضعوه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص[2] من إبهامه لبنًا ﴿لِيَكُونَ لَهُمۡ﴾ في عاقبة الأمر[3] ﴿عَدُوّٗا﴾ يقتل رجالهم[4] ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم. وفي قراءة[5]: بضم الحاء وسكون الزاي، لغتان في المصدر، وهو هنا

= **فائدة:** هذه الآية جمعت بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين. كما حكاه القرطبي عن الأصمعي في حكاية له مع أعرابية.

وملخص ذلك: قال الأصمعي: «سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفـر الله لذنبي كلّـه قبّـلت إنسـانًا بغير حلّـه

مثـل الغزال ناعِمًا في دلّه فـانتصف الليلُ ولَمْ أُصلِّه

فقلت: قاتلكِ الله! ما أفصحك! فقالت: أو يُعدّ هذا فصاحة مع قول الله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ...﴾ الآية، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين».اهـ. القرطبي.

(١) قوله: (أعوان). تفسير الـ﴿ءَالُ﴾. هنا بالأعوان رواه ابن جرير عن ابن إسحٰق، وروى عن محمد بن قيس: «المراد: ابنة فرعون»، وعن السدي: «جواري آسية امرأة فرعون»، ولم يرجح شيئًا من هذه الأقوال.

(٢) وقوله: (وهو يمصّ...). لم أر هذا معزوًّا.

(٣) قوله: (في عاقبة الأمر). أفاد أن اللام في ﴿لِيَكُونَ﴾: لام العاقبة وليست لام التعليل، وذلك واضح.

(٤) قوله: (يقتل رجالهم...). لعل المراد بذلك ما وقع لفرعون وقومه من الغرق، وبقيت نساؤهم.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿وَحُزۡنًا﴾: بضم الحاء وسكون الزاء. والباقون: ﴿وَحَزَنًا﴾: بفتحهما. هما لغتان بمعنى واحد كما قال المفسر.

بمعنى: اسم الفاعل من «حَزَنَه»، كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ من الخطيئة، أي: عاصين، فعوقبوا على يدِه.

﴿٩﴾- ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ[1] لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا[2]﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ بعاقبة أمرهم معه.

﴿١٠﴾- ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَٰرِغًا ۖ﴾ مما سواه[3] ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنها[4] ﴿كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: بأنه ابنها[5] ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر، أي: سكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب «لَوْلَآ» دل عليه ما قبلها.

---

(١) قوله: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ﴾. الخطاب من آسية لفرعون، روى ابن جرير عن السديّ: «قال فرعون: هو قرة عين لك لا لي»، وعن ابن عباس: «لو قال: هو قرة عين لي لآمن به ولكن أبى»، وعن محمد بن قيس مرفوعًا: «لو قال فرعون: قرة عين لي ولك لكان لهما جميعًا».اهـ. وعن ابن عباس كذلك مرفوعًا.

(٢) ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾. قال القرطبي: «وكانت لا تنجب».اهـ.

(٣) قوله: (مما سواه). أي: من سوى ذكر موسى، روي ذلك عن ابن عباس، وابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وغيرهم. واختاره ابن جرير، وعن ابن زيد: «فارغًا عن الوعد الذي وعدناها به».

(٤) قوله: (واسمها محذوف). هذا بناءً على إعمال «إن» المخففة، والأكثر فيها الإهمال فلا يحتاج إلى تقدير الاسم، وقد تقدم نظير ذلك.

(٥) قوله: (أي: بأنه ابنها). كما قال ابن عباس: «أن تقول: يا ابناه».اهـ. وعن قتادة: «أي: لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها».اهـ.

﴿١١﴾- ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره[١] حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أبصرته[٢] ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاسًا[٣] ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أنها أخته[٤]، وأنها ترقبه.

﴿١٢﴾- ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل ردّه إلى أمه[٥]، أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمّه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ وفسّرت ضمير[٦] «لَهُۥ» بالملك جوابًا لهم، فأجيبت[٧]، فجاءت بأمه، فقبل ثديها وأجابتهم[٨] عن

---

(١) قوله: (أي: اتبعي أثره...). كذا فسره ابن جرير وغيره. قال ابن جرير: «يقال: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم».اهـ. وروى ذلك عن مجاهد وغيره.

(٢) قوله: (أبصرته): بصرت به وأبصرت لغتان؛ فالباء للتعدية، كما يعلم من ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (من مكان بعيد). وبنحوه روي عن مجاهد، وابن عباس، وقتادة.

(٤) قوله: (أنها أخته). قاله قتادة، والسدي وغيرهما.

(٥) قوله: (أي: قبل). أشار به إلى المضاف إليه المحذوف، ولذا بني ﴿قَبْلُ﴾ على الضم، كما هو معروف في علم النحو: أنه إذا حذف المضاف إليه ونوي معناه بني على الضم. هذا من أحكام قبل وبعد وأخواتها.

(٦) قوله: (وفسرت...). حاصله: أن أخت موسى لما قالت لهم: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾، اتهموها وقالوا لها: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون. رواه ابن جرير عن السدي، وبمثله عن ابن جريج.

(٧) قوله: (فأجيبت) أي: أجابوا لرأي أخت هارون، وطلبوا منها إحضار المرضع.

(٨) قوله: (وأجابتهم) يعني لمّا قبل موسى ثدي أمه قيل لها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع =

قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به، كما قال تعالى:

(١٣)- ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ ١٣﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه. فمكث عندها إلى أن فطمته وأُجري عليها[١] أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربيٍّ[٢]، فأتت به فرعون[٣]، فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء: «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨» [الشعراء: ١٨].

(١٤)- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو ثلاثون سنة[٤] أو وثلاث ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: بلغ

= من غيرك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني. قاله القرطبي بدون عزو، بل قال: رُوِيَ...

(١) قوله: (وأُجري عليها...). نقل ذلك القرطبي عن أبي عمران الجوني.

(٢) وقوله: (وأخذتها...). هذا جواب إشكال.

حاصله: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ فالجواب: ما كانت تأخذه على أنه أجر، ولكن مال حربيٍّ تأخذ على وجه الاستباحة. هذا الإشكال والجواب عزاه القرطبي إلى الزمخشري. مع أن أخذ الأجرة على إرضاع الولد مسألة فقهية، وذلك جائز في شريعتنا. على التفصيل المعروف في الفقه.

(٣) قوله: (فأتت به فرعون...). أي: أتت أم موسى بموسى إلى فرعون بعد فطامه.

(٤) قوله: (وهو ثلاثون سنة...). ذكر المفسر قولين في معنى بلوغ الأشد: ثلاثون سنة أو ثلاث وثلاثون سنة. وذكرهما ابن جرير. وعزا القول بأنه ثلاث وثلاثون إلى قتادة، ومجاهد. وعن ابن عباس: «بضع وثلاثون». وتقدم شرح كلمة «أشدّ» في سورة الأنعام الآية (١٥٢).

وأما معنى الاستواء: فهو بلوغ الأربعين. روي عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

أربعين سنة ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ حكمة[١] ﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾ فقهًا في الدين قبل أن يبعث نبيًّا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾ لأنفسهم.

١٥- ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلۡمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون، وهي: مَنْفُ[٢] بعد أن غاب عنه مدة[٣] ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ وقت القيلولة[٤] ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ أي: قبطيّ يسخر الإسرائيلي ليحمل حطبًا إلى مطبخ فرعون[٥] ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال له موسى: خل سبيله، فقيل: إنه قال لموسى[٦]: لقد هممت أن

---

(١) قوله: (حكمة). أي: الفهم في الدين والمعرفة. قاله ابن جرير، ورواه عن مجاهد، قال: «﴿حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾: الفقه والعقل والعمل قبل النبوة».اهـ. وعن ابن إسحٰق: «آتاه الله حكمًا وعلمًا وفقهًا في دينه ودين آبائه، وعلمًا بما في دينه وشرائعه وحدوده».اهـ.

(٢) قوله: (مَنْفُ). بفتح الميم وسكون النون، من أقدم عواصم الدنيا، لم يبق منها اليوم إلا أطلال حول قرية «ميت رهينة». قال القلقشندي في «صبح الأعشى»: «أصلها في السريانية مافه، ومعناها بالعربية: ثلاثون، وذلك أن مصر بن بيصر بن حام حين نزلها كان في ثلاثين رجلًا».اهـ. من هامش ابن جرير الطبري. وذكر ابن جرير أن المدينة هي: منف.

(٣) وقوله: (بعد أن غاب...). نقله ابن جرير، والقرطبي عن ابن زيد، قال: «كان فرعون نابذ موسى وأخرجه من المدينة وغاب عنها سنين».اهـ. وقيل غير ذلك.

(٤) قوله: (وقت القيلولة). قاله سعيد بن جبير، ، وقتادة فيما نقله القرطبي، وكذا ابن جرير عن ابن عباس: «نصف النهار».

(٥) قوله: (ليحمل حطبًا). قاله قتادة. وقال ابن جبير: «كان القبطيّ خبازًا لفرعون».اهـ.

(٦) قوله: (فقيل: إنه قال لموسى:...). أي: قال ذلك القبطي لموسى، روى ذلك ابن جرير عن سعيد بن جبير.

أحمله عليك ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضربه بجمع كفه(١)، وكان شديد القوة والبطش ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ أي: قتله، ولم يكن قَصَد قَتْله(٢)، ودفنه في الرمل(٣) ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي: قتله ﴿مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ المهيج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلّٞ﴾ له ﴿مُّبِينٞ ١٥﴾ بين الإضلال.

١٦- ﴿قَالَ﴾ نادمًا: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بقتله(٤) ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ أي: المتصف بهما أزلًا وأبدًا.

١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ﴾ بحق إنعامك(٥) ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة اعصمني(٦)

---

(١) قوله: (أي: ضربه بجمع كفه). قال القرطبي: «الوكز واللكز واللهز واللهد بمعنى واحد، وهو الضرب بجمع الكف مجموعًا كعقد ثلاثة وسبعين».اهـ.

(٢) قوله: (ولم يكن قصد). قاله قتادة، وابن إسحٰق.

(٣) قوله: (ودفنه في الرمل). رواه ابن جرير عن أبي بكر بن عبدالله عن أصحابه.

(٤) قوله: (بقتله). وذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبيّ أن يقتل حتى يؤمر، ولم يؤمر.اهـ. نقله ابن جرير عن ابن جريج.اهـ.

وقد يشكل بأن ذلك كان قبل النبوة؛ لأن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يبعث في ذلك الوقت، ثم لم يكن ذلك القتل عن عمد، قاله كعب الأحبار، والنقاش، وغيرهما، كما نقله القرطبي. ونقل عن الحسن: «لم يكن يحل قتل الكفار يومئذٍ في تلك الحال؛ لأنها كانت حال كفّ عن القتال».اهـ. وهذا أقرب من قول ابن جريج، وعلى كل حال ليس في هذا القتل دليل على عدم عصمة الأنبياء، كما وهمه بعضهم؛ لأن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يبعث نبيًّا عند القتل، وكان ذلك القتل خطأً، ولكنه ندم واستغفر وخضع لربه، فغفر له، كما يعلم من القرطبي.

(٥) قوله: (بحق إنعامك). أفاد أنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ توسل في دعائه بصفة الله تعالى، أو الباء للقسم.

(٦) قوله: (اعصمني). قدره ليتعلق به الجار والمجرور: ﴿بِمَآ أَنۡعَمۡتَ﴾ على أن الباء ليست للقسم. فالفاء في ﴿فَلَنۡ أَكُونَ﴾ الفاء الفصيحة؛ لوقوعها في جواب شرط مقدر. =

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عونًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافرين بعد هذه إن عصمتني.

﴿١٨﴾- ﴿فَأَصْبَحَ[(١)] فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به على قبطيّ آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ بيّن الغواية؛ لما فعلته بالأمس واليوم.

﴿١٩﴾- ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظنًّا أنه يبطش به[(٢)] لما قال له: «﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾» ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ[(٣)] وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ فسمع القبطي ذلك[(٤)]، فعلم أن القاتل موسى، فانطلق

= أي: إن عصمتني فلن أكون. وعلى هذا تكون «لن» داخلة في الجملة الخبرية لا في الجملة الدعائية؛ لأن «لن» لا تقع للدعاء عند الجمهور، خلافًا لابن السراج، فجوز ذلك، واستدل بهذه الآية. ذكره ابن هشام في «شرح القطر». والمراد بمظاهرة المجرمين: إما صحبة فرعون والانتظام في جملته وتكثير سواده، أو مظاهرة من تؤدي إلى الجرم والإثم، وقيل: كان ذلك الإسرائيلي كافرًا، وإنما قيل إنه من شيعته لكونه إسرائيليًّا.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(١) ﴿فَأَصْبَحَ﴾. أصبح: هنا بمعنى: صار.

(٢) قوله: (ظنًّا). أي: ظن ذلك الإسرائيلي أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يبطش به لما سمع منه قوله: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أراد أن يبطش بالقبطيّ، ومن غواية ذلك الإسرائيلي التصريح بأن موسى هو الذي قتل نفسًا بالأمس أمام ذلك القبطيّ، ولم يستر ذلك على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٣) قوله تعالى: ﴿جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. نقل القرطبي عن عكرمة، والشعبي: «لا يكون الإنسان جبارًا في الأرض حتى يقتل نفسين بغير حق».اهـ.

(٤) قوله: (فسمع...) أشار إلى تمام القصة وأن في الآية إيجاز حذف جُمَل، وما ذكره المفسر من الأمور مروي عن ابن عباس وغيره، رواه ابن جرير.

إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه[١].

(٢٠)- ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون[٢] ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم[٣] ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ (٢٠)﴾ في الأمر بالخروج.

(٢١)- ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طلب[٤]، أو غوث الله إياه[٥] ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٢١)﴾ قوم فرعون.

(٢٢)- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها[٦]، وهي قرية

---

(١) قوله: (فأخذوا). أي: شرعوا في الطريق للوصول إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) قوله: (وهو مؤمن...). قال القرطبي: «قال أكثر أهل التفسير: هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون». وعن قتادة: «شمعون من آل فرعون، وقيل: شمسان».اهـ. وقيل: سمعان بالمهملة، كما يعلم من ابن جرير، وقيل: هو طالوت. روي عن السهيلي.اهـ.

(٣) قوله: (من طريق أقرب). ذكر في رواية ابن عباس.

(٤) قوله: (لحوق طلب). مفعول به لـ﴿يَتَرَقَّبُ﴾. روي عن قتادة، وابن زيد.

(٥) قوله: (أو غوث الله) هذا احتمال آخر أن يكون المفعول به لـ﴿يَتَرَقَّبُ﴾. يعني: ينتظر من الله الغوث. ولم أجده معزوًّا.

(٦) قوله: (جهتها). ﴿تِلْقَآءَ﴾ من المصادر التي جاءت على وزن «تِفعال». بكسر التاء وهي نادرة، حتى قيل: لم يرد فيها إلا «تلقاء» و«تبيان»، كما في «مختار الصحاح»، وهو هنا منصوب على الظرفية. وتقدم التنبيه عليه في سورة الأعراف (٤٧).

شعيب[١] مسيرة ثمانية أيام من مصر[٢]، سميت بمدين بن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها[٣] ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قصد الطريق، أي: الطريق الوسط إليها[٤]، فأرسل الله ملكًا بيده عنزة[٥]، فانطلق به إليها.

﴿٢٣﴾- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ بئرًا فيها، أي: وصل إليها[٦] ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء[٧] ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ جمع راع، أي:

---

(١) وقوله: (وهي قرية...). أي: مدين قرية شعيب كما تقدم في الأعراف وغيرها. قال القرطبي: «توجه إلى مدين للنسب الذي بينه وبينهم؛ لأن مدين من ولد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وموسى من ولد يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ».اهـ. باختصار.

(٢) وقوله: (على مسيرة ثمانية أيام). روي ذلك عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (ولم يكن يعرف طريقها). روي ذلك عن السديّ، وابن عباس.

(٤) قوله: (أي: الطريق الوسط). فيه إشارة إلى أن ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، و﴿سَوَآءَ﴾ مصدر بمعنى: الاستواء، يستعمل بمعنى اسم الفاعل.

(٥) وقوله: (فأرسل الله). كما في رواية ابن جرير، عن ابن عباس، والسّدي.

(٦) قوله: (أي: وصل إليها). نبه به على أن الوورد هنا بمعنى: الوصول إليه، لا بمعنى: الدخول فيه. ولفظة الورود قد تكون بمعنى: الدخول في المورود، وقد تكون بمعنى: الوصول، وهو المراد، نبه على ذلك القرطبي.

(٧) قوله: (تمنعان). كما قال ابن عباس: «تحبسان»، أي: تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر. كما قاله ابن جرير.

يرجعوا من سقيهم خوف الزحام فنسقي، وفي قراءة[1]: «يُصْدِرَ» من الرباعي، أي: يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ لا يقدر أن يسقي.

﴿٢٤﴾- ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما[2]، رفع حجرًا عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسمرة[3] من شدة حر الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام[4] ﴿فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ محتاج، فرجعتا[5] إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي.

﴿٢٥﴾- قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: واضعة كُمَّ درعها على وجهها حياء منه[6] ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يَصْدُرَ﴾: الثلاثي المجرد، أي: يرجعوا. هذا الذي ذكر المفسر أولًا. وقرأ الباقون: ﴿يُصْدِرَ﴾: مضارع الثلاثي المزيد من باب «أفعل».فالمفعول به محذوف، أي: يصرفوا مواشيهم، كما قال المفسر ثانيًا.

(٢) قوله: (من بئر أخرى). روى ذلك ابن جرير عن مجاهد، وابن جريج، والسدي، وشريح. قال ابن جريج: «لا يرفعها إلا عشرة»، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «إلا ثلاثون، وعن ابن زيد: إلا سبعة».اهـ.

(٣) قوله: (لسمرة). روي عن السديّ.

(٤) قوله: (طعام). تفسير للـ﴿خَيْرٍ﴾ هنا، وبه فسر مجاهد. وبنحوه فسر ابن عباس، وابن جبير وغيرهما، نقل القرطبي عن ابن عباس: «وكان قد بلغ به الجوع، واخضرّ لونه من أكل البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق على الله».اهـ.

(٥) قوله: (فرجعتا...). هذه الجمل قدرها المفسر دخولًا إلى الآية التي بعدها، نقل القرطبي نحوًا من ذلك عن ابن إسحٰق. ففي الكلام إيجاز حذف.

(٦) قوله: (واضعة كُمّ...). روى ابن جرير ذلك عن عمر بن الخطاب وغيره.

فأجابها منكرًا في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها[(١)]، فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق، ففعلت إلى أن جاء أباها، وهو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)]، وعنده عشاء[(٣)]، فقال : اجلس فتعشَّ، قال: أخاف أن يكون عوضًا مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضًا، قال: لا عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص، من قتله القبطي[(٤)]، وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين[(٥)].

---

(١) قوله: (فجعلت الريح...). روى نحو ذلك عن السديّ، وابن إسحٰق، وابن عباس، كما في ابن جرير.

(٢) قوله: (وهو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ). قال القرطبي: «وأكثر الناس على أنهما -أي المرأتين- ابنتا شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ظاهر القرآن. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وعن أبي عبيدة: «ابن أخي شعيب يثرون»، وقال القرطبي: «يثرون هو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ»، ولم يرجح ابن جرير، بل قال: «لم يثبت بذلك خبر تجب حجته»، وأما اسم المرأتين: إحداهما: ليَّا، والأخرى: صفُّورا ابنتا يثرون. نقله ابن جرير عن شعيب الجَبَئِيِّ وبنحوه عن ابن إسحٰق.

(٣) قوله: (عشاء). بفتح العين. أي: الطعام الذي يؤكل مساءً، وما ذكره المفسر من التفصيل قاله القرطبي وغيره بسياق قريب مما قاله المفسر.

(٤) قوله: (من قتله). «من» بيانية، بيان للقصص التي قصها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٥) قوله: (إذ لا سلطان...). أي: وكان مدين خارجة عن مملكة فرعون. قاله القرطبي.

﴿٢٦﴾- ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اتخذه أجيرًا يرعى غنمًا، أي: بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنهما[١]، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: اِمشي خلفي، وزيادة[٢] أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه ولم يرفعه، فرغب في إنكاحه[٣].

﴿٢٧﴾- ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾[٤] وهي الكبرى أو الصغرى[٥] ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ تكون أجيرًا لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾

---

(١) قوله: (فسألها عنهما). أي: سألها أبوها عن القوة والأمانة التي وجدتها في موسى، فأخبر ته بأن القوة رفعه الحجر عن البئر، وأمانته قوله لها: امشي خلفي. روي ذلك ابن جرير عن عدد من أئمة التفسير.

(٢) قوله: (وزيادة). أي: زيادة على تلك الخصلة الدالة على أمانته أنه نزل رأسه عنها وكف بصره، قال مجاهد: «فتح عن بئر حجرًا على فيها فسقى لهما بها، والأمين: أنه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا».اهـ.

(٣) قوله: (فرغب). أي: رغب شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في إنكاحه إحدى ابنتيه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى فيه من الصدق والأمانة والقوة. هذا دخول إلى الآية التي بعدها.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾. ﴿إِحْدَى﴾: مفعول ثان لـ﴿أُنكِحَكَ﴾ وهو مضاف، و﴿ٱبْنَتَىَّ﴾: مضاف إليه مجرور بالياء، وهو مضاف إلى ياء المتكلم. و﴿هَٰتَيْنِ﴾: اسم إشارة نعت لـ﴿ٱبْنَتَىَّ﴾ مجرور بالياء.

(٥) قوله: (وهي الكبرى...). نقل المفسرون القولين بدون جزم، فقال القرطبي: «وقد قيل: إنه زوجه صفّورا وهي الصغرى»، وذكر حديثًا مرفوعًا عن أبي ذر، وحكى القشيري: «أنها الكبرى»، كما أن في رواية ابن جرير: «أن امرأة موسى هي صفورا»، بدون تحديد أنها الصغرى أو الكبرى، فالله أعلم.

أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين[١] ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾[٢] التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك[٣] ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الوافين بالعهد.

﴿٢٨﴾- ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة[٤]، أي: رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به، أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ حفيظ أو شهيد، فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته[٥] أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم

---

(١) قوله: (أي: رعي عشر). أفاد تقدير مضافين.

(٢) ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾. أي: إحسان من عندك وليس مما اشترطه عليك. قاله ابن جرير.

(٣) قوله: (للتبرك). أي: ذكر إن شاء الله كان للتبرك، وإلا فإن وفاءه بالعهد أمر مقطوع.

(٤) قوله: «ما» زائدة). أي: في ﴿أَيَّمَا﴾. و«أيّ»: اسم شرط منصوب مفعول به مقدم لـ﴿قَضَيْتُ﴾، وهو فعل الشرط، وجملة ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ في محل جزم جواب الشرط.
ومن المعلوم: أن «أيّ» معربة، في جميع استعمالاتها إلا في صورتين:
١- إذا كانت موصولة وأضيفت ثم حذف صدر صلتها، فهي مبنية على الضم كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩].
٢- إذا كانت وصلة لنداء ما فيه «أل» فتكون مبنية على الضم في محل نصب نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار، الانشقاق: ٦]. وقد فصلنا ذلك في «شرح الثلاثيات». وتقدم في سورة مريم شيء من ذلك الآية (٦٩).

(٥) قوله: (وأمر شعيب...). ما ذكر المفسِّر رواه ابن جرير عن السدي، وابن زيد بسياقٍ مفصل متقارب، وذكره القرطبي وغيره من المفسرين.

من آس الجنة[١]، فأخذها موسى بعلم شعيب.

(٢٩)- ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: رعيه، وهو ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون به[٢] ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها[٣] ﴿أَوْ جِذْوَةٍ﴾ بتثليث الجيم[٤]، قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال[٥]، من «صلي» بالنار، بكسر اللام وفتحها.

(٣٠)- ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى[٦] ﴿فِي

---

(١) قوله: (من آس الجنة). أس: نوع من الشجر. قال القرطبي: «وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى شعيب».اهـ.

(٢) قوله: (وهو المظنون به). أي: إتمام عشر سنين هو المظنون بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.وقد روى ابن جرير من عدة طرق عن ابن عباس وغيره: أنه قضى أتم الأجلين أي: عشر سنوات.

(٣) قوله: (وكان قد أخطأها). كما تقدم في طه الآية (١٠).

(٤) قوله: (بتثليث الجيم). قراءات: قرأ عاصم: بفتح الجيم: ﴿جَذْوَةٍ﴾. وحمزة، وخلف: بضمها: ﴿جُذْوَةٍ﴾. والباقون: بكسرها: ﴿جِذْوَةٍ﴾. وهي لغات كما يعلم من الجوهري.

(٥) قوله: (والطاء بدل...). إشارة إلى مسألة صرفية، وهي وجوب قلب التاء من الافتعال طاءً إذا كان فاؤه أحد أحرف الإطباق: «ص، ض، ط، ظ»، فأصل: ﴿تَصْطَلُونَ﴾: تصتلون. وقد تقدم نظير ذلك.

(٦) قوله: (﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى). الجار والمجرور حال من ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾، أي: حال كون الواد الأيمن واقعًا بيمين موسى.

﴿ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾[١] لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من «شَٰطِيِٕ»[٢] بإعادة الجار لنباتها فيه، وهو شجرة عناب أو عليق أو عوسج[٣] ﴿أَن﴾ مفسرة لا مخففة[٤] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾.

٣١- ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ فألقاها[٥] ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها[٦] ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ هاربًا منها ﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ أي: يرجع، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١﴾.

٣٢- ﴿ٱسۡلُكۡ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى: الكف ﴿فِي جَيۡبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرِجْها[٧] ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾ أي: برص[٨]، فأدخلَها[٩] وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى

---

(١) وقوله: ﴿ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾. لموسى، الجار والمجرور متعلق بـ﴿ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ أي: تلك البقعة مباركة لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بسبب سماع كلام الله هناك.

(٢) قوله: (بدل من ﴿شَٰطِيِٕ﴾). أي: بدل اشتمال، وبيّن المفسر وجه ذلك بقوله: لنباتها فيه، أي: لنبات الشجرة في ذلك الوادي. ولذا أبدل منه.

(٣) قوله: (وهي شجرة عناب...). تقدم الكلام في ذلك في تفسير طه الآية (١١).

(٤) قوله: (مفسّرة...) أي: لسبق ما فيه معنى القول دون حروفه، وهو: ﴿نُودِيَ﴾، وليست ﴿أَن﴾ هنا مخففة؛ لأنها المسبوقة بما يدل على اليقين أو الظن تارة. وقد تقدم ذلك.

(٥) قوله: (فألقاها). قدره ليعطف عليه الجملة (فلما ألقاها) ففي الكلام إيجاز حذف.

(٦) قوله: (من سرعة حركتها). توجيه لتشبيهها بالجان، أي: وإن كانت كبيرة لكنها تتحرك بسرعة كالحية الصغيرة. وتقدم في سورة النمل الآية (١٠).

(٧) قوله: (وأخرِجْها). بصيغة الأمر، قدره ليكون ﴿تَخۡرُجۡ﴾ جوابًا له.

(٨) قوله: (أي: برص). كما تقدم في طه الآية (٢٢).

(٩) قوله: (فأدخلها). بصيغة الماضي، أي: أدخل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يديه في جيب قميصه.

البصر ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ بفتح الحرفين[(١)] وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبّر عنها بالجناح[(٢)]؛ لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فَذَٰنِّكَ﴾ بالتشديد والتخفيف[(٣)]، أي: العصا واليد هما مؤنثان، وإنما ذكّر المشار به[(٤)] إليهما المبتدأُ لتذكير خبره ﴿بُرۡهَٰنَانِ﴾ مرسلان[(٥)] ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾.

٣٣- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا﴾ هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن

---

(١) قوله: (بفتح الحرفين). ثلاث قراءات:

﴿ٱلرَّهۡبِۖ﴾: بفتح الراء وسكون الهاء: قراءة حفص.

و﴿الرُّهۡبِۖ﴾: بضم الراء وسكون الهاء: قراءة ابن عامر، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف.

و﴿الرَّهَبِۖ﴾: بفتح الراء والهاء: قراءة الباقين. وكلها ذكره المفسر كما هو واضح.

(٢) قوله: (وعبّر عنها). أي: عن اليد بالجناح فيه إشارة إلى أنه من باب الاستعارة.

(٣) قوله: (بالتشديد والتخفيف). أي: بتشديد النون، هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ورويس. وبالتخفيف: قرأ الباقون.

وتشديد النون جائز في اللغة، وهي عوض عن حذف الألف في «ذا» عند التثنية، كما يجوز التشديد في تثنية الأسماء الموصولة: اللذان واللتان، نص على ذلك ابن مالك في ألفيته.

(٤) قوله: (وإنما ذكّر) بتشديد الكاف، أي: أتي باسم الإشارة المذكر في ﴿فَذَٰنِكَ﴾ مع كون المشار إليه مؤنثًا -أي: العصا واليد-، فإنهما مؤنثان سماعيان، ذلك لكون الخبر مذكرًا، وهو ﴿بُرۡهَٰنَانِ﴾، واسم الإشارة: مبتدأ، فقول المفسر: المبتدأ: بالرفع نعت لقوله: المشار به.

(٥) قوله: (مرسلان). قدره ليتعلق به الجار والمجرور: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

﴿يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾[(١)] به.

٣٤- ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ أبين ﴿فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا﴾ معينًا، وفي قراءة: بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بالجزم، جواب الدعاء، وفي قراءة[(٢)]: بالرفع، وجملته صفة «رِدۡءٗا»، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾.

٣٥- ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك[(٣)] ﴿بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ﴾ بسوء، اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ٣٥﴾ لهم.

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات، حال[(٤)] ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ

---

(١) ﴿أَن يَقۡتُلُونِ ٣٣﴾. النون فيه نون الوقاية مكسورة، وبعدها ياء المتكلم محذوفة، والفعل منصوب بـ﴿أَن﴾ علامة نصبه حذف النون.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص ﴿رِدۡءٗا﴾: بسكون الدال مع الهمزة، والحاصل أن هنا خمس قراءات في ﴿مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾.

١- ﴿مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾: حفص.

٢- ﴿مَعِي رِدًا يُصَدِّقۡنِيٓ﴾: نافع.

٣- ﴿مَعِي رِدۡءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾: شعبة، وحمزة وصلًا.

٤- ﴿مَعِي رِدَا يُصَدِّقۡنِيٓ﴾: أبو جعفر بإبدال التنوين ألفًا.

٥- ﴿مَعِي رِدۡءًا يُصَدِّقۡنِيٓ﴾: الباقون.

وجه جزم ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ أنه جواب الأمر. ووجه رفعه: أن الجملة نعت لـ﴿رِدۡءٗا﴾، ولم يقصد به الجواب.

(٣) قوله: (نقويك). فيه إشارة إلى أن شد العضد كناية عن التقوية، كشد الأزر السابق في طه.

(٤) قوله: (حال). أي: ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ حال منصوب، وهي حال من ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كائنًا[١] ﴿فِيٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿٣٧﴾- ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها[٢] ﴿مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم[٣] ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَن﴾ عطف على «مَن» قبلها[٤] ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٥] ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أي: وهو: أنا في الشقين[٦]، فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾[٧] الكافرون.

﴿٣٨﴾- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي

---

(١) قوله: (كائنًا). قدره ليتعلق به الجار والمجرور، فيكون حالًا.

(٢) قوله: (بواو ودونها). قرأ ابن كثير: بدون الواو: ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾. والباقون: بالواو: ﴿وَقَالَ﴾. والواو استئنافية.

(٣) قوله: (أي: عالم). يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل هنا بمعنى اسم الفاعل بدون رعاية معنى التفضيل. وفي ذلك زيادة ملاطفة مع فرعون، إذ لم يصرح بأنه على ضلال -مثلًا-. وفوض العلم بذلك إلى الله تعالى. وظاهر كلام المفسرين أن اسم التفضيل هنا على بابه، قال ابن كثير بعد قوله ﴿مِنْ عِندِهِۦ﴾: «أي مني ومنكم».اهـ. وعلى كل حال في هذا الخطاب ملاطفة بفرعون، كما قاله ابن جرير. اهـ.

(٤) قوله: (عطف). أي: فهو اسم موصول صلته جملة ﴿تَكُونُ...﴾.

(٥) قوله: (بالفوقانية...). قرأ بالياء التحتانية: ﴿يَكُونُ﴾: حمزة، والكسائي، وخلف. وبالتاء الفوقانية: الباقون.

(٦) قوله: (في الشقين). وهما: ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

(٧) ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ...﴾: الهاء: ضمير الشأن، اسم «إن» والجملة التي بعده خبرها.

﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبخ لي الآجر[١] ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في ادعائه إلهًا آخر، وأنه رسوله.

﴿٣٩﴾- ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول[٢].

﴿٤٠﴾- ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر المالح، فغرقوا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

﴿٤١﴾- ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياءً[٣]، رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ بدفع العذاب عنهم.

﴿٤٢﴾- ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ[٤] هُم مِّنَ

---

(١) قوله: (فاطبخ لي الآجر). نقل القرطبي عن ابن عباس، وابن جرير، عن ابن جريج أنه أول من صنع الآجر وبنى به. روى ابن جرير عن السدي: «إن هامان بنى صرحًا فرقي فيه فرعون، ورمى نشابة إلى السماء فردّت إليه وهي متلطخة بدم، فقال: قد قتلت إلٰه موسى». -تعالى الله عما يقولون- فإن كانت القصة صحيحة فهي من ابتلاء الله تعالى.

(٢) قوله: (بالبناء للفاعل...). ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾: بفتح الياء وكسر الجيم: قراءة نافع، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف. وبضم الياء وفتح الجيم: قراءة الباقين.

(٣) قوله: (بتحقيق الهمزتين...) كما تقدم في الآية (٥) من هذه السورة.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. يحتمل كونه معطوفًا على ﴿فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيكون ﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ جملة مستقلة. وهذا ظاهر ابن جرير، كما يحتمل كون =

﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ۝٤٢﴾ المبعدين.

﴿٤٣﴾- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة[١] ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من «ٱلۡكِتَٰبَ»، جمع بصيرة، وهي نور القلب، أي: أنوار القلوب ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٣﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

﴿٤٤﴾- ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان[٢] ﴿ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤﴾ لذلك، فتعلمه فتخبر به.

﴿٤٥﴾- ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا﴾ أممًا بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ﴾ أي: طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي، فجئنا بك

= ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ظرفًا لمحذوف دل عليه ﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾، أي: قبحوا يوم القيامة، أما كونه ظرفًا للمقبوحين وإن كان صحيح المعنى لكن يوجد مانع نحوي، وذلك أن «أل» في ﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ اسم موصول، ولا يتقدم معمول الصلة على الموصول، كما هو معروف في النحو.

(١) قوله: (التوراة). أي: فتكون «أل» في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ عهدية. وفسر بالتوراة ابن جرير وغيره. نقل القرطبي عن يحيى بن سلام: «هو أول كتاب -أي: التوراة- نزلت فيه الفرائض والحدود والأحكام».اهـ.

(٢) قوله: (الجبل...). أفاد أن ﴿ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ نعت لمحذوف، ويصح تقدير المحذوف بما ذكره، وروي عن قتادة، وابن جريج، الجبل: وهو الذي قدره ابن جرير، والقرطبي.

رسولًا، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا[١] ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان[٢]، فتعرف قصتهم فتخبر بها[٣] ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لك[٤] وإليك بأخبار المتقدمين.

٤٦- ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة[٥] ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك[٦] ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا

---

(١) قوله: (مقيمًا). يقال: ثَوى بالمكان يثوي ثواءً بمعنى: أقام.

(٢) قوله: (خبر ثان). أي: جملة ﴿تَتْلُواْ﴾ خبر ثان لـ«كان» في محل نصب، ويصح إعرابها حالًا من ضمير ﴿ثَاوِيًا﴾، فهي في محل نصب أيضًا.

(٣) قوله: (فتعرفَ...). أي: إذ كنت مقيمًا فيهم عرفت قصتهم بالمشاهدة، ولكن ليس الأمر كذلك بل عرفت قصتهم بالوحي، فهذا من دلائل النبوة كالآية السابقة.

(٤) قوله: (﴿مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لك...). اللام للتقوية، أي: مرسلين إياك.

(٥) قوله: (أن خذ الكتاب بقوة). لعل المفسر أراد أن هذا النداء كان عند إنزال التوراة، والآية الأولى: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ وقت بعثة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نبيًّا، وبينهما مدة طويلة، وإلى ذلك أشار البيضاوي، وأما نزول الأمر بأخذ الكتاب بقوة فكان عندما استنكف بنو إسرائيل عن قبول التوراة كما تقدم في سورة البقرة (٦٣). وقال القرطبي: «هذه المناداة لما جاء موسى الميقات مع السبعين»، وروى ابن جرير عن أبي هريرة، وقتادة، وابن جريج، وغيرهم: «نودوا: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني واستجبت لكم قبل أن تدعوني، أي: حين قال موسى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الأعراف: ١٥٦]».
الخلاصة: النداء المذكور في هذه الآية اختلف في المراد منه.

(٦) قوله: (أرسلناك). قدره ليفيد أن ﴿رَّحْمَةً﴾ منصوب على الحال، نقل القرطبي عن الأخفش أنه مفعول مطلق، أي: رحمناك رحمة، وعن الزجاج: «مفعول لأجله، أي: فعلنا ذلك بك لأجل الرحمة».

﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾ يتعظون.

٤٧- ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ[(١)]﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُواْ[(٢)] رَبَّنَا لَوۡلَآ﴾ هلّا ﴿أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ وجواب «لَوۡلَآ» محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها[(٣)]، أي لعاجلناهم بالعقوبة[(٤)] ولما أرسلناك إليهم رسولًا.

---

(١) ﴿وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم﴾. ﴿وَلَوۡلَآ﴾ هنا شرطية امتناعية. والمصدر المؤول بـ﴿أَن تُصِيبَهُم﴾ مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: كائن أو حاصل.

(٢) والفاء في ﴿فَيَقُولُواْ﴾ عاطفة وما بعدها معطوف على ﴿تُصِيبَهُم﴾ فهو منصوب بحذف النون. وذكر المفسر إعراب الآية إجمالًا. فقوله: (والمعنى...). أي: معنى الآية الإجماليّ... لولا الإصابة المسبب عنها قولهم لولا أرسلت...، أي: هذا القول مسبب عن إصابة العذاب، وأشار المفسر بقوله: (هلا) أن ﴿لَوۡلَآ﴾ هنا تحضيضية بخلاف «لولا» في أول الآية.

(٣) وقوله: (أو لولا قولهم...). أشار به إلى أن المبتدأ يمكن تقديره المصدر المؤول من المعطوف ﴿فَيَقُولُواْ﴾، كما يمكن تقديره المصدر المؤول من المعطوف عليه: ﴿أَن تُصِيبَهُم﴾؛ لأن المعنى: لولا قولهم ذلك عند نزول العذاب.

(٤) وقوله: (أي: لعاجلناهم...). أشار به إلى أن جواب ﴿لَوۡلَآ﴾ محذوف أيضًا، فهٰهنا حذفان: حذف الخبر بعد ﴿لَوۡلَآ﴾، وهذا حذف واجب، وحذف جواب ﴿لَوۡلَآ﴾، وهو جائز. ففي الكلام إيجاز بالحذف، والضمير في ﴿تُصِيبَهُم﴾ قيل لليهود، وقيل: لقريش. قاله القرطبي. وفي بعض النسخ لا يوجد: «أي: لعجلناهم بالعقوبة».

(٤٨)- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد[(١)] ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا[(٢)] لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما[(٣)]، أو الكتاب جملة واحدة. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد ﴿سَاحِرَانِ﴾ وفي قراءة[(٤)]: «سِحْرَانِ»، أي: القرآن والتوراة ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ من النَّبيينِ والكتابَيْن ﴿كَافِرُونَ (٤٨)﴾.

---

(١) قوله: (محمد). كما فسر به ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٢) ﴿قَالُوا﴾. أي: كفار مكة، وكان بلغهم أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل محمد ﷺ. قاله القرطبي. وعن مجاهد وغيره: «أن اليهود تأمر قريشًا أن تسأل محمدًا مثل ما أوتي موسى، يقول الله لمحمد ﷺ: قل لقريش يقولوا لهم: أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل».اهـ. فتكون الآية احتجاجًا على اليهود.

(٣) قوله: (كاليد...). ذكر المفسر قولين في المراد بـ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ وذكرهما القرطبي بدون عزو.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿سِحْرَانِ﴾. والباقون: ﴿سَاحِرَانِ﴾. والمراد بـ﴿سَاحِرَانِ﴾: موسى ومحمد ﷺ، قاله ابن عباس، والحسن. وبه قال المفسر، فيكون ذلك كلام المشركين.

وقيل: موسى وهاورن. فيكون من كلام اليهود في ابتداء الرسالة، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وابن زيد. وقيل: عيسى ومحمد ﷺ، وهذا كلام اليهود اليوم. وبه قال قتادة. ذكره القرطبي. وكذا على القراءة بـ﴿سِحْرَانِ﴾، قيل: المراد التوراة والقرآن. قاله ابن عباس. وقيل: التوراة والإنجيل. روي عن عكرمة، وقيل: الإنجيل والقرآن. روي عن الضحاك.

٤٩- ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ في قولكم.

٥٠- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دُعاءك بالإتيان بالكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أضل منه[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الكافرين.

٥١- ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بيّنا[2] ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يتعظون، فيؤمنوا.

٥٢- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أيضًا. نزلت في جماعة[3] أسلموا من اليهود، كعبدالله بن سلام وأصحابه، ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام.

٥٣- ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ

---

(١) قوله: (أي: لا أحد أضل منه). أفاد أن الاستفهام للنفي.

(٢) قوله: (بيّنا). روى ابن جرير هذا التفسير بلفظه عن ابن عيينة. وروى عن مجاهد: «فصّلنا»، وهما متقاربان، والضمير في ﴿لَهُمُ﴾ راجع إلى قريش في قول مجاهد. وعن رفاعة القرظي: «في طائفة من اليهود، قال: نزلت هذه الآية في عشرةٍ أنا أحدهم».اهـ. كما في ابن جرير.

(٣) قوله: (نزلت في جماعة...). نقل ذلك القرطبي عن قتادة. قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «أخبر أن قومًا ممن أوتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن؛ كعبدالله بن سلام، وسلمان ، ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلًا، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة اثنان وثلاثون رجلًا من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام، وكانوا أئمة النصارى، وأنزل الله فيهم هذه الآية والتي بعدها».اهـ. مختصرًا. وعزاه إلى قتادة.

﴿مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ موحدين.

٥٤- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[(١)] بإيمانهم بالكتابين[(٢)] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم[(٣)] على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يتصدقون.

٥٥- ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار[(٤)] ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلامَ متاركة[(٥)]، أي: سَلِمْتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لا نصحبهم.

---

(١) ﴿مَّرَّتَيْنِ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق.

(٢) وقوله: (بإيمانهم بالكتابين). عزاه ابن جرير إلى قتادة، وابن زيد. وعن الضحاك: «بإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث وباتباعهم إياه حين بعث».اهـ.

(٣) قوله: (بصبرهم). أفاد أن «ما» مصدرية. والباء هنا للسببية، وهي في معنى العطف على قوله (بإيمانهم). لأنه لا يتعلق حرفا جر بمعنى واحد بمتعلق واحدٍ إلا إذا كان الثاني بدلًا أو معطوفًا، وقد تقدم لنا هذا.

وفي «الصحيح» عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها**».اهـ.

(٤) قوله: (الشتم والأذى). كما روي عن مجاهد، قال: «كان ناس من أهل الكتاب أسلموا فكان المشركون يؤذونهم، فكانوا يصفحون عنهم، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾».

(٥) قوله: (سلام متاركة). أي: ليس سلام تحية، كما تقدم في الفرقان: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [٦٣]، كما في القرطبي.

(٥٦)- ونزل في حرصه ﷺ[١] على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالم[٢] ﴿بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾.

(٥٧)- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: قومه[٣] ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ أي: ننتزع منها بسرعة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين[٤] من بعض العرب على بعض ﴿تُجۡبَىٰٓ﴾ بالفوقانية والتحتانية[٥] ﴿إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من كلّ أوب[٦] ﴿رِّزۡقٗا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ أن ما نقوله حق.

---

(١) قوله: (ونزل...). ما ذكره المفسر مرويّ في الصحيحين بسياق مفصَّل، والمراد بالهداية هنا: هداية توفيق وإيصال إلى الحق، لا هداية إرشاد ودلالة، وبهذا المعنى النبي ﷺ هادٍ. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وغيره من الآيات، فالهداية تستعمل للمعنيين.

(٢) قوله: (أي: عالم). أفاد أن اسم التفضيل ﴿أَعۡلَمُ﴾ هنا ليس للمفاضلة؛ لأن ما ذكر لا يعلمه إلا الله، فيكون المراد باسم التفضيل المبالغة لا المفاضلة.

(٣) قوله: (أي: قومه). يعني كفار مكة، فعن ابن عباس: «أن الحارث بن نوفل قال للنبي ﷺ: إنا نعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا لاجتماعهم على خلافنا...اهـ. نقله القرطبي.

(٤) قوله: (الواقعين...). لأن العرب في الجاهلية كان يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضًا، وأهل مكة آمنون بحرمة الحرم.اهـ. ذكره القرطبي.

(٥) قوله: بالفوقانية...). قرأ بالتاء: ﴿تُجۡبَىٰٓ﴾: نافع، وأبو جعفر، ورويس. وبالياء: الباقون، ومعناه: يُجمع، كما روي عن ابن عباس وغيره.

(٦) وقوله: (أوب). أي: ناحية وِجهَةٍ.

٥٨- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا[١] مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: في عيشها. وأريد بالـ«قَرْيَةٍ»: أهلها[٢] ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يومًا أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ منهم.

٥٩- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بظلم أهلها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: أعظمها[٣] ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ بتكذيب الرسل.

٦٠- ﴿وَمَآ أُوتِيتُم[٤] مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ﴾ أي: تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا

---

(١) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾. «كم» هنا خبرية في محل نصب، مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾.

(٢) قوله: (وأريد بالـ﴿قَرْيَةٍ﴾). أفاد أن القرية هنا من المجاز المرسل حيث أطلق المحلّ وأريد الحال، أو يقال: هذا من المجاز العقلي، أسند الفعل ﴿بَطِرَتْ﴾ إلى المحلّ، كما في جرى النهر.

(٣) قوله: (أعظمها). ظاهر كلام المفسر أن الآية في كل قرية، كما هو ظاهر كلام القرطبي. حيث قال: أي: لم أهلكهم إلا وقد استحقوا الإهلاك لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم...اهـ. وفسر ابن جرير ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي حوالي مكة في زمانك وعصرك.

﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾. يقول: حتى يبعث في مكة رسولًا، وهي أم القرى...اهـ. أي: فخص الآية في النبي ﷺ وأهل ملته.

(٤) ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾. «ما»: شرطية جازمة في محل رفع مبتدأ، ﴿أُوتِيتُم﴾ في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعل، والمفعول الثاني لـ﴿أُوتِيتُم﴾ محذوف أي: أوتيتموه، والهاء هو الرابط. والفاء في ﴿فَمَتَٰعُ﴾ جوابية. و«متاع»: خبر لمبتدأ محذوف أي: فهو متاع.

تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالتاء والياء[١]، أن الباقي خير من الفاني.

٦١- ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ[٢] وَعۡدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ مصيبه، وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ النار. الأول: المؤمن[٣]، والثاني: الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

٦٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هم شركائي[٤].

٦٣- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بدخول النار، وهم رؤساء الضلالة[٥]: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ هم[٦]، مبتدأ وصفة[٧] ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾ خبره. فغووا ﴿كَمَا

---

(١) قوله: (بالتاء...). قرأ أبو عمرو: بالياء: ﴿يَعۡقِلُونَ﴾. والباقون: بالتاء: ﴿تَعۡقِلُونَ﴾.

(٢) ﴿أَفَمَن﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري. والفاء عاطفة، و«من» اسم موصول مبتدأ، خبره: ﴿كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ﴾.

(٣) قوله: (الأول...). أي: من وعدناه وعدًا حسنًا... والثاني، أي: من متعناه.... وظاهر كلام المفسر أن الآية في شأن كل مؤمن وكافر. هذا القول عزاه القرطبي إلى القشيري. واختاره، قال: «والصحيح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم».اهـ. وروى عن ابن عباس: «نزلت في حمزة بن عبدالمطلب وأبي جهل بن هشام». وروي عن مجاهد: «في حمزة وعلي وأبي جهل».

(٤) قوله: (هم شركائي). أشار به إلى أن مفعولي «زعم» هنا محذوفان لوجود القرينة. وإلا فالأصل عدم الحذف لكونهما عمدة لكونهما مبتدأ وخبرًا قبل دخول «زعم».

(٥) قوله: (وهم رؤساء الضلالة). قاله الكلبي. وقال قتادة: «هم الشياطين».

(٦) قوله: (هم) قدره ليكون عائدًا إلى الاسم الموصول.

(٧) وقوله: (مبتدأ وصفة). يعني ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، و ﴿ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ هم: صفة المبتدأ، =

﴿غَوَيۡنَاۖ﴾ لم نُكرههم على الغي ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣﴾ «مَا» نافية، وقدم المفعول للفاصلة[١].

٦٤- ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ أي: الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُاْ﴾ هم[٢] ﴿ٱلۡعَذَابَۚ﴾ أبصروه[٣] ﴿لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ٦٤﴾ في الدنيا لما رأوه في الأخرى[٤].

٦٥- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ[٥] فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ[٦] ٦٥﴾ إليكم.

= وخبره: ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾. وهذا الإعراب هو الذي اختارهُ الزمخشري، وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾: خبر. و﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ جملة مستأنفة كما يعلم من كلام القرطبي، و﴿كَمَا غَوَيۡنَاۖ﴾ في محل نصب مفعول مطلق، وهو نعت للمصدر المحذوف، وقدر المفسر عامله بقوله: (فغووا...).

(١) قوله: (وقدم المفعول) وهو ﴿إِيَّانَا﴾، فهو مفعول مقدم لـ﴿يَعۡبُدُونَ﴾. للفاصلة، أي: مطابقة رؤوس الآيات.

(٢) قوله: (هم). توكيد للواو في ﴿رَأَوُاْ﴾ الراجع إلى الكفار.

(٣) قوله: (أبصروه). أشار إلى أن «رأى» هنا بصرية.

(٤) قوله: (لما رأوه...). قدره ليكون جواب ﴿لَوۡ﴾. وبمثله قال الزجاج. قال ابن جرير: «يقول: فودّوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق».اهـ. وعلى هذا تكون ﴿لَوۡ﴾ مصدرية. والله أعلم.

(٥) ﴿يُنَادِيهِمۡ﴾. قال ابن جرير: «يوم ينادي الله هؤلاء المشركين».اهـ. كما قال البيضاوي: «فإن الله يسأل أولًا عن إشراكهم به، ثم عن تكذيبهم الأنبياء».اهـ.

(٦) ﴿مَاذَآ أَجَبۡتُمُ﴾. ﴿مَاذَآ﴾: استفهامية في محل نصب مفعول مطلق لـ﴿أَجَبۡتُمُ﴾. والمعنى: أيّ إجابة أجبتم. قاله الدرويش في «إعراب القرآن».

(٦٦)- ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب[١] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: لم يجدوا خبرًا لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٦٦)﴾ عنه فيسكتون[٢].

(٦٧)- ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدى الفرائض[٣] ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ (٦٧)﴾ الناجين بوعد الله.

(٦٨)- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء[٤] ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾

---

(١) قوله: (الأخبار). وبه فسر ابن جرير، وقال: «المراد به الحجة»، وروى عن مجاهد. وكذا فسره القرطبي.

(٢) قوله: (فيسكتون). ظاهره: أنهم لا يستاءلون في تلك الساعة ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة، كما قاله القرطبي وجهًا. وقال: «ثم يجيبون بعد ذلك كما أخبر عن قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)﴾ [الأنعام: ٢٣]».اهـ. فبِهِ يندفع ما يوهم التعارض بين هذه الآية وبين تلك الآية. وعن ابن عباس: «لا ينطقون بالحجة»، وعن مجاهد: «لا يتساءلون بالأنساب، أي: كما كانوا يفعلون في الدنيا»، وعلى هذين القولين لا إشكال في الآيتين؛ لأن المنفي هٰهنا هو الكلام بالحجة.

(٣) قوله: (الفرائض). لعل تخصيص الفرائض بالذكر؛ لأنها مدار السعادة، والنوافل زيادة حسنة وجبر لنقصان الفرائض، وعامة المفسرين فسروا بما يشمل الفرائض والنوافل. قال القرطبي: «أدى الفرائض وأكثر من النوافل».اهـ. وقال هو وابن جرير وغيرهما: «عسى من الله واجب».اهـ.

(٤) قوله: (ما يشاء). مفعول ﴿وَيَخْتَارُ﴾. فتكون ﴿مَا﴾ في ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾: نافية. وعليه جمهور المفسرين والوقف على ﴿وَيَخْتَارُ﴾ تام. نقله القرطبي عن علي سليمان والنحاس، وأبي إسحٰق، وقال القرطبي ما حاصله: «أي الاختيار إلى الله في الشفعاء لا إلى المشركين، وقيل: الاختيار في البعثة والرسالة إليه تعالى».اهـ. وجرى ابن جرير على أن ﴿مَا﴾ في ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ اسم موصول، مفعول به لـ﴿وَيَخْتَارُ﴾. =

للمشركين ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ عن إشراكهم.

﴿٦٩﴾- ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بألسنتهم من ذلك.

﴿٧٠﴾- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ الجنة[1] ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بالنشور.

﴿٧١﴾- ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا[2] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[3] بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ ذلك سماع تفهُّم، فترجعون عن الإشراك.

= والمعنى: ويختار ما كان لهم الخيرة، أي: يختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم.اهـ.

(١) قوله: (الجنة). خصها بالذكر، لقوله تعالى في أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]. نبه عليه البيضاوي.

(٢) قوله: (دائمًا). ﴿سَرْمَدًا﴾: من السرد وهو المتابعة، والميم زائدة كميم دلامص، قاله البيضاوي. وقيل: الميم أصلية فهو على وزن «فَعْلل»؛ لأن الميم لا تنقاس زيادتها في الوسط. وقد تقدم في سورة الأنعام شرح كلمة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ الآية (٤٠).

(٣) جملة ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ سدت مسد المفعول الثاني والثالث لـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، وهي معلَّقة بالاستفهام: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ﴾، والمفعول الأول ياء المتكلم، والله أعلم.

(٧٢) - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه.

(٧٣) - ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ تعالى[1] ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل[2] ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ النعمة فيهما.

(٧٤) - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤)﴾ ذكر ثانيًا ليبنى عليه[3].

(٧٥) - ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيهم[4] يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيها أحد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾ في الدنيا من أن معه شريكًا، تعالى عن ذلك.

---

(١) ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: خبر مقدم. و﴿جَعَلَ لَكُمُ...﴾ في تأويل مصدر بدون حرف مصدري، مبتدأ مؤخر، أي: من رحمته جَعْلُه تعالى الليل والنهار.

(٢) وقوله: (وفي الليل). أشار به أن الكلام على اللف والنشر المرتب؛ فـ﴿لِتَسْكُنُوا۟﴾ راجع إلى الليل، و﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ إلى النهار.

(٣) قوله: (ذكر ثانيًا). أي: هذه الآية ذكرت مرة أخرى لربط ما بعدها بها، وهو ﴿وَنَزَعْنَا...﴾.

(٤) قوله: (هو نبيهم). كما روي عن قتادة، ومجاهد. كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾ الآية، [النساء: ٤١].

(٧٦)- ﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عمّه أو ابن خالته[١]، وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَءَاتَيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُوْلِي﴾ أصحاب ﴿ٱلۡقُوَّةِ﴾ أي: تثقلهم. فالباء للتعدية[٢]، وعدّتهم، قيل: سبعون[٣]، وقيل: أربعون، وقيل: عشرة، وقيل: غير

---

(١) قوله: (ابن عمّه...). أي: قارون كان ابن عمّ موسى بن عمران النبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ؛ وذلك لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو: موسى بن عمران بن قاهث. كذا نقله ابن جرير، عن ابن جريج، وإبراهيم النخعي.

وقوله: (أو ابن خالته). هذا قول آخر. نقله القرطبي بدون عزو، وهنا قول ثالث عن ابن إسحٰق إنه كان عمّ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال ابن جرير: «وأكثر أهل العلم على ما قاله ابن جريج».اهـ. أي: إنه ابن عمّه. فقوله تعالى: ﴿كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾، أي: من عشيرته، كما قال ابن جرير.

قال القرطبي: «لما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَـٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ [القصص: ٦٠]، بيّن أن قارون أوتيها واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون، ولستم أيها المشركون بأكثر عددًا ومالًا من قارون وفرعون».اهـ.

(٢) قوله: (فالباء). أي: الباء في ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ للتعدية، واستحسنه القرطبي.

(٣) قوله: (قيل: سبعون). في عدد العصبة هنا أقوال: فعن أبي صالح: «سبعون». وعن الضحاك، وقتادة وغيرهما: «أربعون»، وروي عن ابن عباس أيضًا. وعن مجاهد: «ما بين عشرة إلى خمسة عشر»، وقيل غير ذلك كما يعلم من ابن جرير، والقرطبي، وهذا الاختلاف يدل على أنه لم يثبت فيه شيء قاطع، والله أعلم.

فائدة: ذكر القرطبي في المراد ببغي قارون أقوالًا، منها: عن شهر بن حوشب: زاد في ثوبه شبرًا. وعن الضحاك: «كفره بالله»، وعن ابن المسيب أنه كان غنيًّا وعاملًا لفرعون على بني إسرائيل. وعن ابن عباس: «عمد قارون إلى بغيّ وآتاها مالًا، وحملها =

ذلك. اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرحَ بَطرٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بذلك.

﴿٧٧﴾- ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة[١] ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم[٢].

﴿٧٨﴾- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: في مقابله، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون[٣]. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال؟

= تدعى على موسى الزنى بها»، والمفسر اقتصر على أنه بالكبر والعلو وكثرة المال، وهو المرويّ عن قتادة، وذكره ابن جرير مع قول شهر بن حوشب، ولا مانع من اجتماع ذلك كله فيه، والله أعلم.

(١) قوله: (أي: ان تعمل فيها للآخرة). روي ذلك عن ابن عباس وغيره.

(٢) قوله: (بمعنى: أنه يعاقبهم). فيه إشارة إلى تأويل صفة المحبة، كما تقدم في مواضع. والكاف في ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾ للتعليل وتحتمل التنظير.

(٣) قوله: (وكان أعلم بني إسرائيل...). قاله القرطبي. وقال أيضًا: «وكان فيما روي من أقرأ الناس لها -أي التوراة- ومن أعلمهم بها، وكان أحد العلماء السبعين الذين اختارهم موسى للميقات».اهـ. فمعنى قوله: أنه إنما أعطى المال لرضا الله عنه ولعلمه بفضله. ذكره ابن زيد. وقيل: لعلم عندي بوجوه التكسب والتجارة، أي: إنما اكتسبته بنشاطه وكدّه وحيلته. ذكره القرطبي، والبيضاوي، وغيرهما بدون عزو.

أي: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله[١] ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ لعلمه تعالى بها[٢]، فيدخلون النار بلا حساب[٣].

۝٧٩- ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون[٤] ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتباعه الكثيرين ركبانًا[٥] متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَا﴾ للتنبيه[٦] ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ وافٍ فيها.

۝٨٠- ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر[٧] ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: الجنة المثاب بها[٨] ﴿إِلَّا

---

(١) قوله: (ويهلكهم الله). مرتبط بما بعده، قدره ليعطف عليه ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ...﴾.

(٢) قوله: (لعلمه تعالى بها). أي: بالذنوب.

(٣) وقوله: (فيدخلون النار...). روى ذلك ابن جرير عن قتادة، وقال مجاهد: «لا تسأل الملائكة غدًا عن المجرمين، فإنهم يُعرفون بسيماهم؛ فإنهم يحشرون سود الوجوه، زرق العيون».اهـ.

(٤) ﴿فَخَرَجَ﴾. أي: على بني إسرائيل، يوم عيد لهم...ذكره القرطبي. والفاء لعطف الجملة.

(٥) قوله: (بأتباعه الكثيرين). ذكر في عددهم أقوال مختلفة، وليس بضروري ضبط ذلك العدد.

(٦) قوله: (للتنبيه) أي: ليس للنداء؛ لأن النداء خاص بالأسماء، و«ليت» ليس اسمًا.

(٧) قوله: (كلمة زجر). فهي معمول لفعل محذوف، أي: ألزمكم الله ويلكم. قاله الدرويش في «إعراب القرآن». وكلمة «ويل» تقدمت في سورة البقرة الآية (٧٩) وغيرها.

(٨) قوله: (الجنة). أشار به إلى أن الضمير في ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ عائد إلى الجنة التي دل عليها ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾.

﴿ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ على الطاعة وعن المعصية.

٨١- ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ﴾[(١)] بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ منه.

٨٢- ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ أي: من قريب[(٢)] ﴿يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾ يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ﴾ يضيق على من يشاء، و«وي» اسم فعل[(٣)] بمعنى: أعجب، أي: أنا والكاف بمعنى اللام،

---

(١) ﴿فَخَسَفۡنَا﴾. روى ابن جرير، عن ابن عباس بطرق مختلفة وبسياق متقارب ما حاصله: أنه لما فرضت الزكاة على بني إسرائيل وطلب موسى من قارون إخراجها وفي بعض الطرق -أن قدرها واحد من ألف- حسب ذلك قارون فكان الشيء الكثير، فأبى عن إخراجها، وأراد تفضيح موسى، فدعا بغية وآتاها مالًا لتفتري على موسى بالزنى بها، فأُحضرت المرأة وسألها موسى عن القصة فأقرّت بما فعله قارون من إعطاء المال لكي تفتري فأوحى الله إلى موسى أن مُرِ الأرض بما شئت، فقال: يا أرض خُذِيهم... حتى أخذتهم الأرض. قارون ومن كان معه وأمواله وداره.اهـ. ملخصًا، ونقل القرطبي عن مقاتل: «لما أخذت الأرض قارون قالت بنو إسرائيل: إنما أهلكه موسى ليرث ماله؛ لأنه كان ابن عمه، فخسف الله به وبداره وبجميع أمواله بعد ثلاثة أيام».اهـ.

(٢) قوله: (من قريب). أفاد أن المراد بالأمس: الزمن القريب، أي: قبل وقوع العذاب لا اليوم الذي قبل هذا اليوم. كما قال ابن جرير: «يعني قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله».اهـ.

(٣) قوله: («وي»: اسم فعل). ما ذكره المفسر من الإعراب منسوب إلى الخليل، وسيبويه. والمعنى على هذا: أعجب لأن الله يبسط، ولأنه لا يفلح الكافرون، أي: لبسط الله ولعدم فلاحهم، وعن الكسائي: «أصله: ويلك»، فيكون «أنه لا يفلح» معمولًا لمقدر أي: اعلم =

﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[١] ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ لنعمة الله كقارون.

٨٣- ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ بعمل المعاصي[٢] ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ عقاب الله بعمل الطاعات.

٨٤- ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾ ثواب بسببها[٣]، وهو عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٤﴾ أي: مثله.

٨٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أنزله[٤] ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾ إلى مكة[٥]، وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٨٥﴾

= أنه لا يفلح، وعن الفراء: «ويك»، بمعنى: ألا ترى»، و«أن» وما بعدها مستقل. وروى ابن جرير عن قتادة: «﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ﴾: أولا ترى أنه، ألم تر أنه»، وهذا يوافق ما قاله الفراء. وهذه الأقوال الثلاثة في ﴿وَيۡكَأَنَّهُۥ﴾ فصلها الدرويش في «إعراب القرآن» مع زيادة.

(١) قوله: (بالبناء...). قرأ حفص، ويعقوب: بالبناء للفاعل: ﴿لَخَسَفَ بِنَاۖ﴾. والباقون: بالبناء للمفعول: ﴿لَخُسِفَ بِنَاۖ﴾.

(٢) قوله: (بعمل المعاصي). روي عن ابن جريج. وقيل: أخذ المال بغير حق، رواه ابن جرير عن مسلم البطين.

(٣) قوله: (ثواب بسببها). أفاد أن ﴿خَيۡرٞ﴾ هنا ليس اسم تفضيل بل بمعنى: الثواب -وهو الجنة-، و«من» في ﴿مِّنۡهَاۖ﴾ للسببية. وليست الداخلة على المفضل عليه.

(٤) قوله: (أنزله). وبه فسر به ابن جرير، وهذا من معاني ﴿فَرَضَ﴾.

(٥) قوله: (إلى مكة). روي ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وجابر بن عبدالله وغيرهم، قاله =

نزل جوابًا لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجائي بالهدى وهم في ضلال، و«أَعْلَمُ» بمعنى: عالم[(١)].

(٨٦)- ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن[(٢)] ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معينًا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦)﴾ على دينهم الذي دعوك إليه.

(٨٧)- ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله: يصُدُّونَنَّكَ[(٣)]، حذفت نون الرفع للجازم

= القرطبي. ونقل عن مقاتل: «خرج النبي ﷺ من الغار ليلًا مهاجرًا إلى المدينة في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فقال له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، أي: إلى مكة ظاهرًا عليها. قال ابن عباس: «نزلت هذه الآية بالجحفة، ليست مكية ولا مدينة».اهـ. من القرطبي. وعن ابن عباس أيضًا: «المعاد: الجنة»، وكذا روى عن مجاهد، وأبي صالح وغيرهم. قال القرطبي: «والأول أكثر».

(١) قوله: (﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم). أي: ليس للتفضيل، ولذلك نصب المفعول به، وهو الاسم الموصول: ﴿مَن جَآءَ﴾، واسم التفضيل لا ينصب المفعول به. ويحتمل كونه للتفضيل فيكون ﴿مَن﴾ منصوبًا بفعل محذوف، أي: يَعْلَمُ من جاء بالهدى. كما ذكره البيضاوي.

(٢) قوله: (لكن). أفاد أن الاستثناء منقطع.

(٣) قوله: (أصله: يصدونن). يعني: أصله قبل دخول «لا» الجازمة عليه، وهذه مسألة صرفية، إذا دخلت نون التوكيد على المضارع حذفت منه نون الأمثلة الخمسة حالة الرفع، وأما عند الجزم والنصب فالنون محذوفة قبل نون التوكيد، وكذا تحذف من الفعل واو يفعلون وتفعلون وياء تفعلين، إذا كان ما قبل الواو مضمومًا وما قبل الياء مكسورًا، وتثبتان إذا كان ما قبلهما مفتوحًا، نحو: لَتُبْلَوُنَّ، وإما تَرَيِنَّ، وحذف الواو والياء لالتقاء الساكنين، وهما: الواو أو الياء، والنون الأولى المدغمة، وفي ذلك تفصيل ذكرنا ذلك في «الثنائيات».

والواو للفاعل؛ لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه[1].

﴿٨٨﴾- ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إياه[2] ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالنشور من القبور.



---

(١) قوله: (ولم يؤثر الجازم). مسألة نحوية، يعني: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾: ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَكُونَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم، وإنما بني لدخول نون التوكيد المباشرة عليه، ولذا لم يظهر الجزم فيه، فهو في محل جزم.

(٢) قوله: (إلا إياه). ذكره ابن جرير، وابن كثير: «وقيل: إلا ما أريد وجهه تعالى». نقله ابن جرير، ثم البقاء لله تعالى، وليس لصفة الوجه فقط.

الخلاصة: هذا ليس من التأويل الذي ينتقد عليه، بل تأويل ذكره أئمة التفسير، كابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

٢٩- سورة العنكبوت

مكية[١]، وآياتها تسع وستون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

(٢)- ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ[٢]﴾ أي: بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم.

(٣)- ونزل في جماعة آمنوا[٣] فآذاهم المشركون: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «مكية كلها في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر»، ومدنية كلها في أحد قولي ابن عباس، وقتادة، وفي القول الآخر لهما -وهو قول يحيى بن سلام- أنها مكية إلا عشر آيات في أولها، نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة، وقال علي بن أبي طالب: «نزلت بين مكة والمدينة».اهـ.

الخلاصة: فالأقوال أربعة. سميت بها لذكرها فيها.

(٢) ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ﴾. ﴿أَن﴾ في الموضعين مصدرية، والفعل بعدهما منصوب بحذف النون، والأكثر بعد أفعال الظن كون «أن» مصدرية لا مخففة، وقد تأتي مخففة كما في قراءة ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونُ فِتۡنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١]: برفع ﴿تَكُونُ﴾. و﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ سد مسد مفعولي «حسب».

وأشار بقوله: (بقولهم) إلى حذف حرف الجر، وهو جائز مع «أنّ» و«أن» مطردًا، كما تقدم مرارًا.

(٣) قوله: (ونزل في جماعة...). روى ابن جرير عن الشعبي ذلك بسياق أطول، حاصله: أنهم آمنوا ثم خرجوا مهاجرين، فأتبعهم المشركون فردوهم، ثم خرجوا، فلما أتبعهم المشركون قاتلوهم، فمنهم من قُتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ

قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم علم مشاهدة[١] ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ فيه.

٤- ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾[٢] يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي[٣] ﴿يَحۡكُمُونَ ٤﴾ـه، حكمهم هذا[٤].

٥- ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ يخاف[٥] ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿لَأٓتٖۚ﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٥﴾ بأفعالهم.

٦- ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس[٦] ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾ فإن منفعة

لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، بعد ما نزلت فيهم الآيتان من هذه السورة.اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (علم مشاهدة). قيّد به؛ لأن الله تعالى يعلم كل شيء قبل وقوعه.

وقوله: (في إيمانهم). متعلق بـ﴿صَدَقُواْ﴾.

(٢) ﴿أَن﴾: مصدرية وهي وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي «حسب».

(٣) قوله: (الذي). أشار إلى أن ﴿مَا﴾ موصولة فاعل ﴿سَآءَ﴾، ويجوز كون ﴿مَا﴾ نكرة تمييزًا لفاعل ﴿سَآءَ﴾. وفاعله ضمير مستتر مبهم.

(٤) وقوله: (حكمهم هذا). مخصوص بالذم.

(٥) قوله: (يخاف). فسر به القرطبي، وقال: «وأجمع أهل التفسير على أن المعنى: من كان يخاف الموت فليعمل عملًا صالحًا».اهـ.

(٦) قوله: (جهاد حرب). وهو جهاد الكفار.

وقوله: (أو نفس). وهو حبس النفس على الطاعات وعن الشهوات، وبالأول فسر ابن جرير، وبالثاني فسر البيضاوي. والمفسر فسر بهما، وهو أشمل.

جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.

۝٧ - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن[١]، ونصبه بنزع الخافض: الباء[٢] ﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ وهو الصالحات.

۝٨ - ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاءً ذا حسن[٣]، بأن يبرهما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع[٤]، فلا مفهوم

---

(١) قوله: (بمعنى: حسن). يعني أن ﴿أَحْسَنَ﴾ هنا وإن كان اسم تفضيل لكن التفضيل ليس مرادًا، لئلا يوهم أن الجزاء يكون على الأفضل دون ما سواه، بل يجزى على كل حسنة الفاضل والمفضول.

(٢) قوله: (ونصبه...). أي: نصب ﴿أَحْسَنَ﴾ بنزع الخافض، أي: بحذف حرف الجر. فإذا حذف ينتصب المجرور إلا في مواضع فيبقى مجرورًا فيها، فصلناها في كتاب «الاستثناءات»، وحذف الجار سماعيّ، إلا مع «أنّ» و«أن»، وقد تقدم في مواضع.

(٣) قوله: (أي: إيصاء...). أفاد أن ﴿حُسْنًا﴾ نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق، وأن الحُسن مصدر أريد به اسم الفاعل. ويحتمل كون ﴿حُسْنًا﴾ منصوبًا بنزع الخافض، أي: بحُسنٍ، كما يعلم من ابن جرير. ونقل عن بعض الكوفيين أنه مفعول به لفعل محذوف أي: أن يفعل حسنًا. روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص أن هذه الآية نزلت فيه؛ لأنه أسلم فحلفت أمه أنه لا تأكل ولا تشرب حتى يكفر، فأمر الله أن يبر بها ولا يطيعها في الكفر. وروى ابن جرير عن قتادة نحوه، قال: «لما هاجر سعد قالت أمه: والله لا يظلني بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليها ولا يطيعها في الشرك».اهـ.

(٤) قوله: (موافقة للواقع). يعني: أن قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ قيد ذكر لموافقة الواقع؛ لأنه ليس هناك شريك معلوم شراكته لله تعالى، وإذا كان القيد ذكر لموافقة الواقع فليس له مفهوم مخالفة، كما هو معلوم في علم الأصول، إذا ذكر القيد لغرض خاصّ فلا يكون له مفهوم مخالفة.

له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في الإشراك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فأجازيكم به.

﴿٩﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم.

﴿١٠﴾- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ[1] مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه، فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جَآءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات[2]، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان فأَشْرِكُونا في الغنيمة. قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم[3] ﴿بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

---

(١) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾. قال القرطبي: «نزلت في المنافقين»، وهو ظاهر كلام المفسر، وعن مجاهد: «نزلت في ناس أسلموا بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء افتتنوا»، وعن الضحاك: «في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك»، وعن ابن عباس كما في ابن جرير، وعكرمة كما في القرطبي: «في بعض المستضعفين بمكة لما هاجروا فلحقهم المشركون، فافتتن بعضهم»، وفي ابن جرير: «ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ [النحل: ١١٠]، الآية، فخرجوا فلحقهم المشركون، فقاتلوهم حتى نجا من نجا، وقتل من قُتِل».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (حذفت منه نون الرفع). كما تقدم في تفسير ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ [القصص: ٨٧]. وهو جواب القسم لتقدمه على الشرط في ﴿وَلَئِن...﴾، ودل على جواب الشرط.

(٣) قوله: (بعالم). أي: ﴿أَعْلَمَ﴾ هنا خال عن معنى التفضيل، كما تقدم نظيره.

(١١)- ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ (١١)﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

(١٢)- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١] ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ طريقنا في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت. والأمر بمعنى الخبر[٢]، قال تعالى[٣]: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٢)﴾ في ذلك.

(١٣)- ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين[٤] اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلدين ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (١٣)﴾ يكذبون على الله سؤالَ توبيخٍ. واللام في الفعلين لام قسم[٥]،

---

(١) ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. عن مجاهد، قال: «هذا قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم، قالوا: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا، إن كان عليكم شيء فهو علينا».اهـ.

(٢) قوله: (والأمر بمعنى الخبر). أي: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ لفظة أمر؛ لأن اللام فيه لام الأمر الجازمة، ومعناه خبر؛ لأنه في معنى الشرط والجواب، كما ذكره أئمة التفسير.

(٣) قوله: (قال تعالى:...). أشار به إلى أن ما بعده تكذيب من الله لمقالتهم.

(٤) قوله: (بقولهم...). أشار به إلى بيان وجه الإثمين عليهم، فهما إثم كفرهم وإثم إضلالهم. كما روى ابن جرير عن ابن زيد، قال في تفسير هذه الآية: «هذا كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)﴾ [النحل: ٢٥]».اهـ. ملخصًا.

(٥) قوله: (واللام في الفعلين). وهما: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ و﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾؛ فهما مرفوعان لعدم جازم وناصب، وعلامة رفعهما ثبوت النون المحذوفة لأجل نون التوكيد، وحذفت واو الجماعة التي هي الفاعل تخفيفًا أو لالتقاء الساكنين، ولوجود ضم دال عليها قبلها، كما تقدم نظير ذلك.

وحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

(١٤)- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[١] وعمره أربعون سنة أو أكثر[٢] ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير[٣]، طاف بهم وعلاهم، فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١٤)﴾ مشركون.

(١٥)- ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾[٤] أي: الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ (١٥)﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس.

(١٦)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)﴾ الخير من غيره.

---

(١) قال القرطبي: «ذكر قصة نوح تسلية للنبي ﷺ، أي: ابتلي النبيون قبلك بالكفار فصبروا».اهـ. ونحوه ذكر ابن جرير بسياق مفصل.

(٢) قوله: (وعمره أربعون...). ما قاله المفسر في عمره وعيشه بعد الطوفان عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وهناك أقوال أخرى، كما أشار إليها المفسر: (أو أكثر).

(٣) قوله: (أي: الماء الكثير). كما قال قتادة: «هو الماء الذي أرسل عليهم».اهـ. نقل القرطبي عن النحاس: «يقال لكل كثير عطيف بالجميع من مطر أو قتل أو موت: طوفان».اهـ. وإليه أشار المفسر بقوله: (طاف بهم وعلاهم)، فأفاد أن الألف والنون فيه زائدتان.

(٤) ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾. معطوف على الهاء في ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾، والضمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ راجع إلى السفينة أو العقوبة أو النجاة، ثلاثة أقوال ذكرها القرطبي.

(١٧)- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ﴾ تقولون كذبًا[١]: إن الأوثان شركاء لله[٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾.

(١٨)- ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ أي: تكذبوني[٣] يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْۖ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٨)﴾ الإبلاغ البيّن. في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ[٤].

(١٩)- وقال تعالى في قومه[٥]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ بالياء والتاء[٦]، ينظروا[٧]

(١) قوله: (تقولون كذبًا). كذا فسره ابن عباس في رواية، وفي أخرى: «تصنعون كذبًا»، وهما متقاربان. و«ما» في ﴿إِنَّمَا﴾ كافة، كما هو ظاهر.

(٢) وقوله: (إن الأوثان...). بيان لمقول القول.

(٣) قوله: (أي: تكذبون). هذا التفسير يفيد أن هذا مما أمر الله أن يقوله محمد ﷺ لقريش، وليس من مقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبنحوه فسر ابن جرير، ولكن قال ابن كثير: «الظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يحتج عليهم لإثبات المعاد، لقوله بعد هذا كله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ...﴾، والله أعلم».اهـ.

(٤) قوله: (في هاتين القصتين). أي: قصة نوح وإبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

(٥) قوله: (في قومه) أي: قوم محمد ﷺ.

(٦) قوله: (بالياء والتاء). قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالتاء: ﴿تَرَوْاْ﴾: بصيغة الخطاب. والباقون: بصيغة الغيبة: ﴿يَرَوْاْ﴾.

(٧) قوله: (ينظروا). الظاهر أن المراد به إفادة أن الرؤية هنا بصرية، ولكن كونها قلبية أظهر؛ لأن ما ذكر ليس مما يدرك بالبصر، وعلى ذلك أعرب الدرويش في «إعراب القرآن»، والجملة الاستفهامية سدت مسد المفعولين؛ لأن أداة الاستفهام معلقة.

﴿كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾ بضم أوله، وقرئ بفتحه من[١]: «بدأ، وأبدأ» بمعنىً أي: يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: الخلق كما بدأه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩﴾ فكيف ينكرون الثاني[٢].

٢٠- ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم[٣] ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ مدًّا وقصرًا مع سكون الشين[٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١- ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه[٥] ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾ تردون.

٢٢- ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ لو كنتم فيها[٦]، أي: لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيّٖ﴾

---

(١) قوله: (وقرئ). هذه قراءة شاذة، كما أشار إلى ذلك بقوله: (قرئ).

(٢) قوله: (فكيف ينكرون الثاني). أي: الإعادة بعد الموت بمعنى: البعث بعد الموت. كما روي عن ابن عباس، وقتادة.

(٣) قوله: (لمن كان). اللام للتقوية، و(من) مفعول به لـ﴿ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ في المعنى.

وقوله: (وأماتهم). بصيغة الماضي، معطوف على ﴿بَدَأَ﴾.

(٤) قوله: (مدًّا وقصرًا). المد: يعني: ﴿ٱلنَّشَاءَةَ﴾: قرأ به ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ الباقون: ﴿ٱلنَّشۡأَةَ﴾: بسكون الشين بلا مدّ. وهما لغتان كالرأفة والرآفة. أفاده القرطبي.

(٥) قوله: (تعذيبه). مفعول به لـ﴿يَشَآءُ﴾. وكذا: (رحمته).

(٦) قوله: (لو كنتم فيها). قيده لأن المخاطبين هم الإنس، وهم في الأرض، كما يقال: لا يفوتني فلان بالبصرة ولا هٰهنا، بمعنى: لا يفوتني بالبصرة لو صار إليها، وهذا المعنى=

يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ينصركم من عذابه.

﴿٢٣﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: القرآن[1] والبعث ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ أي: جنتي[2] ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ مؤلم.

﴿٢٤﴾- قال تعالى[3] في قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قذفوه فيها[4]، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا[5] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: إنجائه منها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها.

﴿٢٥﴾- ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تعبدونها، و«ما»

= عزاه القرطبي إلى قطرب. وروى ابن جرير عن ابن زيد: «أن المعنى: أن الله تعالى لا يعجزه أهل الأرض ولا أهل السماء إن عصوه، بتقدير: ولا مَن في السماء.

(١) قوله: (أي: القرآن...). القرآن: تفسير لـ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والبعث تفسير لـ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾.

(٢) قوله: (أي: جنتي). كذلك فسر القرطبي. وإطلاق الرحمة على الجنة يكون من باب المجاز المرسل، من إطلاق الحالّ وإرادة المحل؛ لأن الجنة محل الرحمة، ويمكن إجراء الرحمة على معناها الحقيقي كما هو ظاهر ابن جرير وغيره.

(٣) قوله: (قال تعالى:...). أفاد أن هذه الآيات معترضة بين قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تذكيرًا وتحذيرًا لأهل مكة، كما مشى عليه ابن جرير وغيره. وتقدم أن ابن كثير رجح جعلها كلها من كلام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه.

(٤) قوله: (التي قذفوه). أفاد أن «أل» في النار للعهد الذهني.

(٥) قوله: (بردًا وسلامًا). كما تقدم في سورة الأنبياء الآية (٦٩).

مصدرية[١] ﴿مَّوَدَّةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب: مفعول له، و«ما» كافة، المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع[٢] ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعًا ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ مانعين منها.

٢٦- ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدق بإبراهيم[٣] ﴿لُوطٞۘ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم[٤]: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ أي: إلى حيث أمرني

---

(١) قوله: (و«ما» مصدرية). أي: على قراءة الرفع في ﴿مَّوَدَّةُ﴾، فيكون المعنى: إن اتخاذكم مودة بينكم، وهذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، ورويس. وعلى قراءة: النصب: وهي قراءة الباقين، تكون «ما» كافة، و﴿مَّوَدَّةَ﴾ مفعول له، كما قال المفسر. ولكن قرأ حفص، وحمزة، وروح: بإضافة ﴿مَّوَدَّةَ﴾ إلى ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾. وقرأ الباقون: بتنوين ﴿مَّوَدَّةً﴾، ونصب ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾.

(٢) قوله: (يتبرأ...). كما في آيات أخرى، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة: ١٦٦].

(٣) قوله: (صدق...). فالإيمان هنا بمعنى: التصديق، كما فسر به ابن جرير، ورواه عن ابن عباس، وغيره، واللام بمعنى: الباء، وأفاد أنه ليس المراد بالإيمان له: الاستماع إلى قوله فقط، وقد تقدم في سورة التوبة (٦١) أن الإيمان إذا عدّي باللام يكون المعنى: قبل القول، فهٰهنا المراد: التصديق به، واللام بمعنى: الباء. والله أعلم.

قال القرطبي: «لوط أول من صدّق بإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين رأى النار عليه بردًا وسلامًا»، ونقل عن ابن إسحٰق: «أنه كان ابن أخيه، وأن زوجته سارة آمنت به أيضًا».

(٤) قوله: (إبراهيم). أفاد أن قائل ذلك هو إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما هو ظاهر سياق الآية،=

ربي، وهجر قومه، وهاجر من سواد العراق إلى الشام[١] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ في خلقه.

﴿٢٧﴾- ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل[٢] ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب، أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان[٣] ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الذين لهم الدرجات العُلا.

﴿٢٨﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَئِنَّكُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين[٤] ﴿لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي:

= وعليه جماهير المفسرين، وروى القرطبي ذلك عن قتادة وغيره، وقال القرطبي: «وقيل: قائل هذا لوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ونقل عن مقاتل: هاجر إبراهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة، وعن الكلبي: هو أول من هاجر من بلد الكفر».اهـ.

(١) قوله: (إلى الشام). كما ذكره عامة المفسرين، وتقدم في سورة الأنبياء (٧١).

(٢) قوله: (بعد إسماعيل) أفاد أن أول أولاده إسماعيل. كما قال القرطبي: «وإنما وهب له إسحٰق بعد إسماعيل».اهـ.

(٣) قوله: (وهو الثناء الحسن). روي عن ابن عباس وغيره، وفي رواية عنه: «الولد الصالح والثناء».

(٤) قوله: (في الموضعين). أي: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ و﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾. قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ و﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ الأولى بدون همزة الاستفهام، والثانية معها. والباقون: قرأوا بهمزة الاستفهام في الموضعين. وفي إثبات الهمزة الاستفهامية في الموضعين أو الموضع =

أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الإنس والجن.

﴿٢٩﴾- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة[(١)] بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس الممر بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي: متحدثكم[(٢)] ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض[(٣)] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾- ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ العاصين بإتيان الرجال، فاستجاب الله دعاءه.

﴿٣١﴾- ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ إسحٰق ويعقوب بعده[(٤)]

= الواحد: قرأ قالون، وأبو عمرو، وأبو جعفر بالتسهيل والمد، وورش، وابن كثير، ورويس: بالتسهيل والقصر. والباقون: بالتحقيق والقصر. وهشام: بالتحقيق وإدخال ألف بينهما؛ ففي كلام المفسر إجمال.

(١) قوله: (طريق المارة). وبذلك فسر ابن جرير، ونقله القرطبي عن ابن زيد، وقال وهب ابن منبه: «إنه قطع النسل بالعدول عن النساء».

(٢) قوله: (متحدثكم). أي: موضع تحدثكم. فهو ظرف بصيغة اسم المفعول؛ لأن اسم الظرف من غير الثلاثي المجرد يأتي على وزن اسم مفعوله، كما هو معلوم.

(٣) قوله: (فعل الفاحشة) فسر بذلك مجاهد فيما رواه ابن جرير. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانوا يتضارطون»، وعن أم هانئ مرفوعًا: «**كانوا يخذفون أهل الطريق أي: برميهم بالحصاة، ويسخرون منهم**».اهـ. ولعل جميع ذلك كان فيهم.

(٤) قوله: (إسحٰق). كما تقدم في الحجر (٥٣)، وفي هود من الآيات (٦٩)، وتقدم في هود مراجعة إبراهيم الملائكة في إهلاك قوم لوط.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١﴾ كافرين.

٣٢- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ﴾ أي: الرسل ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتخفيف والتشديد(١) ﴿وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ الباقين في العذاب.

٣٣- ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ(٢) رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ صدرًا(٣)؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسُل ربّه ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣﴾، ونُصِب «وَأَهۡلَكَ» عطفًا على محل الكاف(٥).

---

(١) قوله: (بالتخفيف...). قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بالتشديد: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾: مضارع: نجّى من باب فعّل. والباقون: بالتخفيف: ﴿لَنُنجِيَنَّهُۥ﴾: مضارع: أنجى، من باب أفعل. وهما بمعنًى واحدٍ.

(٢) ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ﴾. ﴿أَن﴾: زائدة إعرابًا مؤكدة معنًى، كما تقدم في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦].

(٣) قوله: (صدرًا). تفسير ﴿ذَرۡعٗا﴾: وهو منصوب على التمييز، فحول عن الفاعل، والمعنى: ضاق ذرعه بهم. وتقدمت هذه الكلمة في هذا التركيب في سورة هود (٧٧).

(٤) قوله: (بالتشديد...). أي: ﴿مُنَجُّوكَ﴾: اسم فاعل «نجّى»: قرأه نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر. وبالتخفيف: ﴿مُنجُوكَ﴾: اسم فاعل «أنجى»: الباقون.

(٥) قوله: (ونُصِبَ ﴿وَأَهۡلَكَ﴾). يعني: أن ﴿وَأَهۡلَكَ﴾: معطوف على الكاف في ﴿مُنَجُّوكَ﴾،=

(٣٤)- ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد[١] ﴿عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُواْ يَفۡسُقُونَ (٣٤)﴾ به[٢]، أي: بسبب فسقهم[٣].

(٣٥)- ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ ظاهرة، هي آثار خرابها ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٣٥)﴾ يتدبرون.

(٣٦)- ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ اخشَوْه، هو يوم القيامة ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٣٦)﴾ حال مؤكدة لعاملها[٤]، من «عثي» بكسر المثلثة، أفسد.

(٣٧)- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي

= والكاف مضاف إليه في محل جر، لكنها في المعنى مفعول به في محل نصب، فروعي ذلك ونصب ﴿وَأَهۡلَكَ﴾. ويحتمل كونه منصوبًا بفعل محذوف، أي: وننجّي أهلك.

(١) قوله: (بالتخفيف...). أي: مُنزِلون اسم فاعل «أنْزل»: وهي قراءة الجمهور ما عدا ابن عامر، فقرأ بالتشديد: ﴿مُنَزِّلُونَ﴾: اسم فاعل «نزّل»، ولذلك قدم المفسر التخفيف في الذكر هنا، بخلاف ﴿مُنَجُّوكَ﴾ فقدّم في الذكر التشديد؛ لأن التشديد هناك قراءة أبي عمرو وغيره، والمفسّر يجري على قراءة أبي عمرو، غالبًا.

(٢) قوله: (بسبب فِسقهم). يفيد أن «ما» مصدرية، وقوله أولًا: (بالفعل الذي) يفيد أنها موصولة. ولعل العبارة: أو بسبب فسقهم. ولكني لم أجد كذلك في النسخ المصححة.

(٣) وقوله: (به). قدره ليكون عائدًا للاسم الموصول، فيكون فيه حذف العائد المجرور بدون شرط الحذف. وذلك لوضوح المعنى. والله أعلم.

(٤) قوله: (حال...). أي: ﴿مُفۡسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعامله: ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾، وتقدم في هود (٨٥).

﴿دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿٣٨﴾- ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا﴾ بصرف «ثمود» وتركه، بمعنى الحيّ والقبيلة[1] ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ بالحِجْر واليمن[2] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ذوي بصائر.

﴿٣٩﴾- ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فائتين عذابنا[3].

﴿٤٠﴾- ﴿فَكُلًّا﴾[4] من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحًا عاصفة فيها حصباء[5]، كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم

---

(١) قوله: (بصرف...). أي: بتنوين «ثمود»: وهي قراءة الجمهور، وقرأ حفص، وحمزة، ويعقوب: بترك الصرف، أي: غير منوّن. وأشار المفسر إلى وجهها بقوله: بمعنى الحيّ، أي: فبهذا الاعتبار يكون منصرفًا لعدم إحدى العلتين، وهي: التأنيث، وباعتبار القبيلة وجدت العلتان: العلمية والتأنيث؛ فمنع من الصرف.

(٢) قوله: (بالحجر). وهي مساكن ثمود قوم صالح، واليمن مساكن عاد قوم هود عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، كما تقدم.

(٣) قوله: (فائتين). وبه فسر ابن جرير وغيره. وقيل: سابقين في الكفر بل قد سبقهم كثيرون في الكفر وأهلكهم الله تعالى. نقله القرطبي.

(٤) ﴿فَكُلًّا﴾ مفعول مقدم لـ﴿أَخَذْنَا﴾، وتنوينه عوض عن المضاف إليه.

(٥) قوله: (ريحًا عاصفة...) وقاله القرطبي، وقال أيضًا: «وتستعمل في كل عذاب».

نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾[(١)] فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ بارتكاب الذنب.

۝٤١- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصنامًا[(٢)] يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾

---

(١) ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾: اللام لام الجحود، والمضارع بعدها منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا.

(٢) قوله: (أي: أصنامًا). كما روي عن ابن عباس، قال: «ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، إن مثله كمثل العنكبوت»، ونحوه عن قتادة، وابن زيد، كما في ابن جرير.

فوائد:

الأولى: قال النحاة: «التاء في ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ مزيدة؛ لأنها تسقط في الجمع والتصغير، فلفظ ﴿ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ مؤنثة، وجمعها: عناكب، وعناكيب، وعِكاب، وعُكب، وأعْكُب، وتصغيرها: عُنَيكِب. قاله القرطبي. ويطلق هذا اللفظ على الذكر والأنثى، قال بعض المفكّرين: «إن اتخاذ البيت من شغل الإناث منها، وفي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَتْ﴾ بتاء التأنيث إشارة إلى ذلك.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ حكم على بيتها بأنها أوهن البيوت من حيث إنه بيت؛ فلا يفيد بيتها ما تفيده البيوت من الوقاية عن الحر والبرد والريح والعدوّ ونحو ذلك. فلا ينافيه كون الخيوط التي تعمل بها البيت فيها نوع صلابة وقوة، ولكنها لا تفيد فوائد البيوت؛ فبيتها أوهن البيوت بلا شك، وفي قول المفسر: لا يدفع عنها حرًّا... إشارة إلى ذلك.

الثالثة: نقل القرطبي عن عطاء الخراساني: نسجت العنكبوت مرتين، مرة على داود حين كان جالوت يطلبه، ومرة على النبي ﷺ، ولذلك نهي عن قتلها.

الرابعة: ونقل عن عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: «طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإن تركه في البيوت يورث الفقر، ومنع الخمير يورث الفقر».اهـ. والله أعلم.

أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ ذلك ما عبدوها[١].

﴿٤٢﴾- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء[٢] ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ في صنعه.

﴿٤٣﴾- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها[٣] ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ المتدبرون.

﴿٤٤﴾- ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: محقًّا[٤] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ خصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾- ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعًا، أي: من شأنها ذلك ما دام

---

(١) قوله: (ما عبدوها). جواب ﴿لَوْ﴾.

(٢) قوله: (بالياء والتاء). بالياء: ﴿يَدْعُونَ﴾: قرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب. وبالتاء: ﴿تَدْعُونَ﴾: الباقون. و﴿مِن دُونِهِۦ﴾: حال من ﴿مَا﴾ الموصولة، و﴿مِن شَىْءٍ﴾: بيان لها. وأشار بقوله: بمعنى الذي: أن «ما» موصولة، وليست نافية. وفي كلام المفسر: إثبات الحكمة في صنعه تعالى، ولا نزاع في ذلك بين المسلمين.

(٣) قوله: (نجعلها). وبهذا التفسير يكون الضمير «ها» مفعولًا أولًا، و﴿لِلنَّاسِ﴾ مفعولًا ثانيًا. وفسره القرطبي بقوله: (نبيّنها)، فلا يقتضي المفعولين، وكلاهما متحد في المآل.

(٤) قوله: (أي: محقًّا). أشار إلى أن الجار والمجرور ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في محل نصب حال.

المرء فيها(١) ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات(٢) ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فيجازيكم به.



(١) قوله: (ما دام المرء فيها). يعني: أن من انشغل بالصلاة فإن الصلاة تحجزه عن الفحشاء والمعاصي، ومن أتى فاحشة أو عصى الله في صلاته بما يفسدها فلا صلاة له، وهذا قاله ابن جرير، ورواه عن ابن عون. وقال القرطبي: «المعنى: إن الصلوات الخمس تكفّر ما بينها من الذنوب، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغسّل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من دونه شيء؟**»، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**».اهـ.

(٢) قوله: (من غير من الطاعات) يعني: أن يذكر اللهَ عبدُه أكبر من غيره من الطاعات، فيكون ذكر مضافًا إلى المفعول به، وحذف الفاعل، روى ابن جرير هذا المعنى عن قتادة وغيره، قال قتادة: «لا شيء أكبر من ذكر الله...».اهـ. وروى عن ابن عباس وآخرين أن المعنى: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه»، أي: ذكر الله إياكم بالثواب والثناء عليكم.اهـ. واختار هذا المعنى، وفي رواية عن ابن عباس: «الوجهان معًا»، أي: القولان جميعًا. قال ابن عباس: «لها وجهان: ذكر الله أكبر مما سواه، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه».اهـ.


الجزء (٢١)

(٤٦)- ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي ﴾ أي: المجادلة التي[1] ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله[2] بآياته والتنبيه على حججه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بأن حاربوا[3] وأبوا أن يُقروا بالجزية، فجادِلُوهم بالسيف حتى يُسْلِمُوا أو يُعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمنْ قَبِلَ الإقرار بالجزية[4]، إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (٤٦)﴾ مطيعون.

(٤٧)- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ القرآن[5]، كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبدالله بن سلام وغيره ﴿يُؤۡمِنُونَ

---

(١) قوله: (أي: المجادلة...). أفاد أن الاسم الموصول نعت لمحذوف.

(٢) قوله: (كالدعاء...). وبهذه العبارة فسر ابن جرير.

(٣) قوله: (بأن حاربوا...). بيان للمراد بـ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾، فهم من لم يسلموا، ولم يعطوا الجزية، فيحاربون بالسيف. روي عن مجاهد، وسعيد. وقال ابن زيد: «لا تجادلوا من آمن مِن أهل الكتاب إلا الذين ظلموا، أي: أقاموا على دينهم؛ فيجادل ويرفع إليه السيف»، وعلى كلا التفسيرين تكون الآية محكمة غير منسوخة، وعن قتادة: «منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾ [التوبة: ٢٩]».

(٤) قوله: (لمن قبِل الإقرار) أي: لمن صار منهم من أهل الذمة إذا أخبروكم... وفسر كذلك ابن جرير، وروى في ذلك حديثًا عن أبي هريرة، قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، قولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**».اهـ. الحديث رواه البخاري في مواضع من «صحيحه».

(٥) قوله: (القرآن). أفاد به أن «أل» عهدية، إشارة إلى القرآن، وكذلك «أل» في ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ عهدية إشارة إلى التوراة.

﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن(١) ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها(٢) ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: اليهود(٣)، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به مُحِقّ، وجحدوا ذلك.

٤٨- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿مِن كِتَٰبٍ(٤) وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا﴾ أي: لو كنت قارئًا كاتبًا ﴿لَّٱرْتَابَ﴾ شك ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ اليهود(٥)

---

(١) قوله: (بالقرآن). أي: الضمير راجع إلى الكتاب المذكور أولًا، وهو القرآن، هذا أحد الوجهين، والوجه الثاني: المراد بـ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مؤمنو بني إسرائيل السابقين، والمراد بالضمير: كتابهم، فهو راجع إلى الكتاب المذكور ثانيًا، وعلى هذا تكون المراد بالإشارة -هؤلاء- مؤمني بني إسرائيل في زمان النبي ﷺ، وعلى هذا فسر ابن جرير، والوجهان ذكرهما البيضاوي.

(٢) قوله: (بعد ظهورها) أفاد أن الجحد يكون بعد العلم، كما قال قتادة: «إنما يكون الجحود بعد المعرفة».اهـ.

(٣) قوله: (أي: اليهود). لعله أراد بيان ما في الواقع أو التمثيل؛ لأن الجحود صدر منهم، وليس المراد الحصر، والله أعلم.

(٤) ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾. ﴿مِن﴾: مزيدة إعرابًا، مؤكدة معنى، داخلة على المفعول به. والتنوين في ﴿إِذًا﴾ نائب عن الجملة المحذوفة المضاف إليها ﴿إِذًا﴾، أشار إليها المفسر بقوله: (أي: ولو كنت...)، وأتى المفسر بـ(لو) نظرًا للمعنى، ولوجود اللام في الجواب ﴿لَّٱرْتَابَ﴾.

(٥) قوله: (اليهود). وبنحوه روي عن مجاهد. قال: «كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن في كتابنا أنه أمّي لا يخط ولا يقرأ، فنزلت الآية».اهـ.

ويعلم من الآية أن الأمية كانت كمالًا في حق النبي ﷺ، وعُدت من خصائصه ﷺ، وعن مجاهد أيضًا في تفسير ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: «قريش».

فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمّي لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩- ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: المؤمنين، يحفظونه[1] ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٤٩﴾ اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: كفار مكة[2] ﴿لَوْلَآ﴾ هلّا[3] ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وفي قراءة[4]: «ءَايَـٰتٌ»، كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ بيّن الإنذار بالنار.

٥١- ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾[5] فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن

---

(١) قوله: (أي: المؤمنين). بيان للمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فهم المؤمنون، روي ذلك عن الحسن، وقال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: «المراد: أهل الكتاب»، قال ابن عباس: «كان الله تعالى أنزل شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلّمه لهم وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابًا ولا يخطه بيمينه، وهي الآيات البينات». اهـ. ابن جرير.

(٢) قوله: (أي: كفار مكة). وبذلك فسر ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٣) قوله: (هلّا). أشار إلى أن ﴿لَوْلَآ﴾ هنا تحضيضية كما سبق لها نظائر.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿ءَايَةٌ﴾: بالإفراد. والباقون: ﴿ءَايَـٰتٌ﴾: بالجمع.

(٥) ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة، وفاعل «يكف»: المصدر المؤول من جملة ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾، أي: إنزالُنا.

﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة[(١)] لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

٥٢- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ[(٢)] بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله[(٣)] ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ في صفقتهم[(٤)]، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ له[(٥)] ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بوقت إتيانه.

٥٤- ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

---

(١) قوله: (فهو آية...). أي: القرآن آية مستمرة معجز إلى يوم القيامة، بخلاف الوقائع الخاصة، فلا يشاهدها إلا من عاصر ذلك النبي.

(٢) ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: اسم الجلالة فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، والباء مزيدة للتأكيد، ودخولها في فاعل ﴿كَفَىٰ﴾ جائز، وقد تقدم.

(٣) قوله: (وهو ما يعبد...). عزا القرطبي هذا القول إلى ابن شجرة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

(٤) قوله: (في صفقتهم). أي: تجارتهم، ومعاملتهم.

(٥) قوله: (له). أي: للعذاب، وعن الضحاك: «المراد مدة أعمارهم»، وقيل: النفخة الأولى. قال القرطبي بعد نقل الأقوال: «وعلى الجملة فلكل عذاب أجل لا يتقدم ولا يتأخر»، ثم استعجال المشركين بالعذاب تقدم ذكره في الأنفال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾ الآية (٣٢). وغير ذلك.

(٥٥)- ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ﴾ فيه[١]، بالنون[٢] أي: نأمر بالقول، وبالياء: أي: يقول الموكَّل بالعذاب ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)﴾ أي : جزاءه[٣]، فلا تفوتوننا.

(٥٦)- ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ (٥٦)﴾ في أيّ أرض تيسرت فيها العبادة[٤]، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة، كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

(٥٧)-[٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ بالتاء والياء[٦]، بعد البعث.

---

(١) قوله: (فيه). أي: في ذلك اليوم.

(٢) وقوله: (بالنون...). بيان للقراءتين: ﴿وَيَقُولُ﴾: بالياء: قرأه نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبالنون: الباقون. وعلى كلا الوجهين: القائل من يأمره الله بالقول من الملائكة، وهذا أخذًا بظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾، وأما على أن المراد بذلك الكلام بالرحمة واللطف فلا يحتاج إلى هذا التأويل، وقد تقدم ذكر ذلك في تفسير آل عمران (٧٧).

(٣) قوله: (أي: جزاءه). أي: فيكون بتقدير مضاف.

(٤) قوله: (في أيّ أرض...). إشارة إلى سبب النزول، فعن مقاتل والكلبي: «هذه الآية نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، فأخبرهم الله بسعة أرضه وأن البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس بصواب».اهـ. ذكره القرطبي.

الفاء في ﴿فَإِيَّٰىَ﴾ الفاء الفصيحة، وإياي: مفعول لفعل محذوف، يفسره ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾، والنون في ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة، وهي مفعول به للفعل.

(٥) هذه الآية وما بعدها أيضًا في تحريض المؤمنين على الهجرة كما يعلم من ابن جرير وغيره.

(٦) قوله: (بالتاء والياء). قرأ شعبة: بالياء، بصيغة المبني للمفعول: ﴿يُرْجَعُونَ﴾. ويعقوب: بالتاء، وصيغة المبني للفاعل: ﴿تَرْجِعُونَ﴾. والباقون: بالتاء وصيغة المبني للمفعول: ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ ننزلنهم. وفي قراءة[1]: بالمثلثة بعد النون من الثواء: الإقامة، وتعديته إلى «غُرَفًا» بحذف «في»، ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود[2] ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ٥٨﴾ هذا الأجر.

٥٩- هم[3] ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

٦٠- ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم[4] ﴿مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾: من الإثواء، وإليها أشار المفسر بقوله: (وفي قراءة: بالمثلثة)، فيكون ﴿غُرَفًا﴾ منصوبًا على نزع الخافض «في» أو على المفعولية بتضمين «نثوينهم» بمعنى: نُعطينّهم، كما يعلم من القرطبي.

(٢) قوله: (مقدرين الخلود). أشار إلى أن ﴿خَلِدِينَ﴾ حال مقدرة، وقد تقدم ذلك.

(٣) قوله: (هم). أشار به إلى أن الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، ويصح كونه نعتًا للعاملين، فيكون في محل جر، ويصح أيضًا كونه في محل نصب على المدح، وذكر الوجوه الثلاثة في «إعراب القرآن».

(٤) قوله: (كم). تفسير لمعنى: «كأيّ» هنا كما تقدم في سورة الحج الآية (٤٥)، وهي هنا خبرية في محل رفع مبتدأ، وخبرها جملة ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا ...﴾، وجملة ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ نعت ﴿دَابَّةٍ﴾، ويحتمل كونها خبرًا، وجملة ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ خبرًا ثانيًا، ومعنى ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: لا تدخر شيئًا لغد، رواه ابن جرير عن علي بن الأقمر، ونقل القرطبي عن ابن عباس ما حاصله: «لما حث رسول الله ﷺ المؤمنين على الهجرة إلى المدينة قالوا: ليس لنا دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا؛ فنزلت الآية...».اهـ. وفي كلام المفسر إشارة إلى ذلك.

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زادٌ ولا نفقة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ بضمائركم.

﴿٦١﴾-[١] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ[٢] فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ يُصْرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

﴿٦٢﴾- ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحانًا[٣] ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُۥٓ﴾ بعد البسط، أي: لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ ومنه محل البسط والتضييق[٤].

﴿٦٣﴾- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[٥] ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

---

(١) قال القرطبي: «لما عير المشركون المسلمين بالفقر، وقالوا: لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء، أزال الله هذه الشبهة، أي: إذا اعترفتم بأن الله خالق هذه الأشياء فكيف تشكون في الرزق؟».اهـ.

(٢) ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: اسم الجلالة فاعل لفعل محذوف، أي: خلقهن. وهو جواب القسم الذي تقدم على الشرط في ﴿لَئِن﴾، ودال على جواب الشرط، كما تقدم له نظائر.

(٣) قوله: (امتحانًا). مفعول لأجله لـ﴿يَبْسُطُ﴾.

(٤) قوله: (ومنه). أي: من كل شيء محل البسط والتضييق، أي: من يبسط له الرزق ومن يضيق عليه، ومراد المفسر بيان دخول خصوص هذه الآية في عموم ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾، كما تقدم نظير ذلك، وهذه الآية مرتبطة بما قبلها، ففيها حث على الهجرة، كما نبه عليه ابن جرير.

(٥) قوله: (لام قسم). أي: فقد اجتمع هنا القسم والشرط، والقسم هو المتقدم فيكون الجواب له، وحذف جواب المتأخر، والجواب هنا: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾[(١)] ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ فكيف يشركون به ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ على ثبوت الحجة عليكم[(٢)] ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ تناقضهم في ذلك.

٦٤- ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ وأما القُرَب[(٣)] فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ بمعنى الحياة[(٤)] ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها[(٥)].

---

(١) ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾. المراد بالإحياء: إنبات النبات، وبالموت: الجدب والقحط، ذكر ذلك ابن جرير. فيكون الإحياء والموت من باب الاستعارة.

(٢) قوله: (على ثبوت الحجة). كما قال القرطبي: «على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته، وقيل: على إقرارهم بذلك، وقيل: على إنزال الماء وإحياء الأرض».اهـ.

(٣) قوله: (أما القُرَب). بضم القاف وفتح الراء جمع قربة، أي: عبادة، أفاد المفسر بذلك أن الحكم على الحياة الدنيا باللهو واللعب مقصور على ما كان من أمور الدنيا، أما ما يعمل في الدنيا من العبادات فليس من اللهو واللعب، ولا يدخل في هذا الحكم؛ لأنه من أمور الآخرة. ولذا جعل ابن جرير «أل» في ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ عهدية، حيث قال: ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون.اهـ.

(٤) قوله: (بمعنى: الحياة) فالحيوان مصدر حيي، وأصله: بياءين حييان، قلبت الثانية واوًا، ووزنه: فعلان، وهذا الوزن مما يدل على الحركة والتقلب، كجولان ودوران ونزوان؛ لأن الحياة حركة والموت سكون. أفاد ذلك في «إعراب القرآن»، ويسمى ذو الحياة حيوانًا، من إطلاق المصدر بمعنى اسم الفاعل، فالمراد هنا: دار الحياة الباقية، كما فسر به القرطبي.

(٥) قوله: (ذلك). مفعول به لـ﴿يَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله: (ما آثروا...). جواب ﴿لَوۡ﴾. قدرهما المفسر.

فائدة: جاء ذكر اللهو مقدمًا على اللعب هُهنا، وفي سائر المواضع بالعكس، ولذا قال بعض طلبة العلم:

يا صاحبي خذ نقطة لطيفة كي لا تفوت ... اللهو قبل اللعب جاء مقدَّما في العنكبوت

﴿٦٥﴾ - ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(١)] أي: الدعاء. أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[(٢)] به.

﴿٦٦﴾ - ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام. وفي قراءة[(٣)]: بسكون اللام: أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ عاقبة ذلك.

﴿٦٧﴾ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا[(٤)] ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ

---

(١) سبق نظير هذه الآية في سورة يونس (٢٢-٢٣)، مما يدل على أن المشركين عند الشدة يذكرون الله ويتركون آلهتهم، ويشركون حالة الرخاء.

(٢) ﴿إِذَا﴾ في ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فجائية، وهي حرف لا محل لها من الإعراب على المشهور.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقالون: بسكون اللام، فهي لام أمر. والباقون: بكسر اللام، فهي لام التعليل؛ فيكون «أنْ» مضمرة بعدها، والفعل منصوب، وعلى سكون اللام يكون الفعل مجزومًا، وعلامة النصب والجزم: حذف النون لكونه من الأمثلة الخمسة.

فائدة: لام الأمر تسكن تخفيفًا إذا دخل عليها: الواو أو الفاء أو ثم. نحو: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ﴾ [الحج: ٢٩]، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ [الحج: ١٥]. وفي حال التجرد عنها تكون اللام مكسورة، نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾ [الطلاق: ٧]. وهذا الحكم أي تسكين اللام خاص بلام الأمر، أما لام التعليل أي: لام الجر ولام التأكيد ولام الابتداء فكل ذلك على حركتها لاتسكن مع هذه الأحرف الثلاثة، وقد بينا ذلك في رسالة الاستثناء.

(٤) قوله: (يعلموا). أفاد أن الرؤية هنا قلبية، و«أنّ» ومعمولاها سدت مسد المفعولين.

﴿ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ﴾ قتلًا وسبيًا[(١)]، دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم[(٢)] ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ بإشراكهم.

﴿٦٨﴾ - ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد[(٣)] ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب[(٤)] ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أي: فيها ذلك[(٥)]، وهو منهم[(٦)].

﴿٦٩﴾ - ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا[(٧)] ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: طرق السير إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ المؤمنين بالنصر والعون[(٨)].



---

(١) قوله: (قتلًا وسبيًا). تمييز للنسبة في ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾. وهذا المعنى قاله الضحاك: «يقتل بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا».اهـ. والواو في ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾ عاطفة.

(٢) قوله: (الصنم). روي نحوه عن قتادة، قال: «أفبالشرك»، وقال يحيى بن سلام: «أفبإبليس».

(٣) قوله: (أي: لا أحد). أفاد أن الاستفهام للإنكار.

(٤) قوله: (بالنبي...) قاله ابن شجرة، وقال يحيى بن سلام: «بالقرآن»، وقال السدي: «بالتوحيد»، وكل ذلك متلازم كما قاله القرطبي.

(٥) قوله: (فيها ذلك). أي: في جهنم المثوى والاستقرار. أعاذنا الله منها، أفاد المفسر بذلك أن الاستفهام للتقرير.

(٦) وقوله: (وهو منهم). أي: من افترى على الله الكذب من الكافرين.

(٧) قوله: (في حقنا). أي: في طلب مرضاتنا، قاله القرطبي. المراد بالجهاد هنا: قتال الكفار، كما فسر بذلك ابن جرير، وعن ابن عباس وغيره: عموم الطاعة، قال: «والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبيل ثوابنا».اهـ. ذكره القرطبي. وفي كلام المفسر إشارة إلى هذا المعنى، والله أعلم.

(٨) وقوله: (بالنصر...). أفاد أن المعية هنا خاصة.

٣٠- سورة الروم

مكية[(١)]، وآياتها ستون أو تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿الٓمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢) - ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢)﴾ وهم أهل الكتاب غلبتها فارس[(٢)]، وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

(٣) - ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى

---

(١) قوله: (مكية). قال البيضاوي: «إلا قوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ...﴾ [١٧] الآية».

(٢) قوله: (غلبتها فارس...). ذكر المفسرون هذه القصة مفصلة، والمفسر أشار إلى ملخصها. وملخصها على ما رواه أئمة التفسير: أن الروم والفرس كانوا أقوى الملوك في العالم قبل الإسلام، وكانت بينهما حروب، وكان الفرس كفرة عباد النار، والروم أهل كتاب، وكان المسلمون يحبون أن تغلب الروم؛ لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون غلبة فارس؛ لأنهم مشركون، فجرى القتال بينهم، وذلك قبل الهجرة في الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم من الفرس، وقيل: بأذرعات، فغلبت فارس على الروم، وبلغ الخبر مكة، ففرح المشركون، واسم ملك فرس: سابور على ما قاله ابن كثير؛ فأنزل الله هذه الآيات، فراهنَ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المشركين على مائة بعير، إن غلبت الروم يعطيها المشركون إياه، وإلا فيعطيها الصديق إياهم، ثم في يوم بدر كانت قتال بين الفرس والروم، فغلبت الروم الفرسَ، فكان فيه فرحتان للمسلمين، فرحة بغلبتهم على المشركين وفرحة بغلبة الروم، وقبلَ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرهان، وأمر النبي ﷺ بالتصدق بها، وكان ذلك قبل تحريم القمار، كما صرح به القرطبي وغيره. قال البيضاوي: «والآية من دلائل النبوة؛ لأنها إخبار عن الغيب».اهـ.

فيها الجيشان، والبادي بالغزو: الفرس ﴿وَهُم﴾ أي: الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول[1]، أي: غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ فارس.

۝٤ - ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو: ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغَلبت الروم فارسَ. ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ أي: من قبل غلبة الروم ومن بعده[2]. المعنى: أن غلبة فارس أولًا، وغلبة الروم ثانيًا بأمر الله، أي: إرادته ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ أي: ويوم تغلب الروم[3] ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾.

۝٥ - ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يوم

---

(١) قوله: (أضيف المصدر). أي: أضيف «غلب» إلى الضمير «هم» الراجع إلى الروم وهي من إضافة المصدر إلى المفعول، والمعنى: من بعد غلبة الفرس إياهم، ويصح أن يكون المصدر هنا من المبني للمفعول: أي: غُلِبَ يُغْلَبُ غلبًا، فأضيف إلى نائب الفاعل، والمعنى: من بعد أن غُلِبوا.

(٢) قوله: (أي: من قبل غلبة الروم). أفاد أن قبل وبعدُ هنا مبنيان على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه، ومن المعلوم أن قبل وبعدُ وأخواتها تبنى في هذه الحالة، وتعرب في الحالات الباقية، وهي ثلاث حالات: ذكر المضاف إليه، حذف المضاف إليه مع نية لفظه، وحذف المضاف إليه ولا ينوي لفظه ولا معناه. كما هو معلوم في كتب النحو.

(٣) قوله: (أي: ويوم تغلب الروم). أشار به إلى أن التنوين في ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾ تنوين عوض عن الجملة المضاف إليها، والأصل: يومَ إذْ تغلب الروم. فحذفت الجملة، وعوض عنها بالتنوين.

تنبيه: ذكر ابن كثير في تفسيره فوائد كثيرة تاريخية عن الروم وملوكهم وديانتهم وغزواتهم؛ فليراجع.

وقوعه، أي: يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه. ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بالمؤمنين.

٦- ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله[١]، والأصل: وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفارِ مكة[٢] ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ وعده تعالى بنصرهم.

٧- ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: معايشها[٣] من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ إعادة «هُمْ» تأكيد.

٨- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ[٤] وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك، تفنى عند انتهائه، وبعده البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

---

(١) قوله: (مصدر بدل). أي: فهو منصوب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، وإذا أقيم المصدر مقام الفعل يكون الكلام خاليًا من التأكيد؛ لأن المصدر المؤكد لا يحذف فعله، كما صرح به ابن مالك في «ألفيته».

(٢) قوله: (أي: كفار مكة). تفسير لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

(٣) قوله: (أي: معايشها). كما روي عن ابن عباس وغيره.

فائدة: في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ﴾ ما يسمى بالطباق، وهو الجمع بين المتنافيين في الجملة، وهو من المحسنات المعنوية المذكورة في علم البديع.

(٤) قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. قيل: إلا للحق أي: الثواب والعقاب. وقيل: لإقامة الحق. وقيل: بالعدل. وقيل: للحكمة. ذكرها القرطبي، وقال: «المعنى متقارب».اهـ.

٩- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ من الأمم، وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس[1] ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾[2] بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٩﴾ بتكذيبهم رسلهم.

١٠- ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبر «كَانَ» على رفع «عَٰقِبَةُ»[3] واسم «كَانَ» على نصب «عَٰقِبَةَ»، والمراد بها جهنم[4] وإساءتهم[5] ﴿أَن﴾ أي: بأن[6] ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ١٠﴾.

---

(١) قوله: (حرثوها). فسر بذلك ابن جرير وغيره. قال القرطبي: «لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث».اهـ.

(٢) ﴿لِيَظْلِمَهُمْ﴾. اللام هي المسماة بلام الجحود، وبعدها تضمر «أن» وجوبًا، والمضارع منصوب بها، كما هو معلوم في علم النحو. وقد تقدم نظير ذلك.

(٣) قوله: (خبر ﴿كَانَ﴾). أشار إلى القراءتين. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب برفع: ﴿عَٰقِبَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾، وخبرها: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾. وقرأ الباقون: بنصب ﴿عَٰقِبَةَ﴾ على أنها خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، واسمها: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾.

(٤) وقوله: (والمراد بها جهنم). ورد ذلك عن قتادة، قال: «أي: النار». وعن ابن عباس: «العذاب»، وعلى هذا يحتمل كون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدرًا كالرجعى والعقبى والبشرى. وأشار إلى ذلك ابن جرير، والبيضاوي.

(٥) قوله: (وإساءتهم). مبتدأ، مرتبط بما بعده.

(٦) وقوله: (أي: بأن). الباء للسببية، خبر المبتدأ المقدر، أي: إساءتهم المعلومة من ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ بسبب أنهم كذبوا. وكذا فسر ابن جرير حيث قال: «لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله».اهـ.

(١١)- ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (١١)﴾ بالتاء والياء[١].

(١٢)- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (١٢)﴾ يسكت المشركون[٢]؛ لانقطاع حجتهم.

(١٣)- ﴿وَلَمۡ يَكُن﴾ أي: لا يكون[٣] ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ﴾ ممن أشركوهم بالله، وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ (١٣)﴾ أي: متبرئين منهم.

(١٤)- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ (١٤)﴾ أي: المؤمنون والكافرون.

---

(١) قوله: (بالتاء والياء). قرأ أبو عمرو، وشعبة: ﴿يُرۡجَعُونَ﴾: بالياء، وبصيغة المبني للمفعول. ورَوْح: ﴿يَرۡجِعُونَ﴾: بالياء، وصيغة المبني للفاعل. ورُويس: ﴿تَرۡجِعُونَ﴾: بالتاء، وصيغة المبني للفاعل. والباقون: ﴿تُرۡجَعُونَ﴾: بالتاء وبصيغة المبني للمفعول. فالقراءات أربع.

(٢) قوله: (يسكت...). وبه فسر القرطبي، والبيضاوي وغيرهما، من أبلس الرجل إذا سكت وانقطع حجته، قيل: إبليس مأخوذ من هذا، ورده النحاس بأنه لو كان مأخوذًا منه لكان منصرفًا، وهو غير منصرف في جميع المواضع.اهـ. نقله القرطبي. وفسر ابن جرير: «﴿يُبۡلِسُ﴾: أي: ييأس ويتندم ويكتئب»، وروى عن مجاهد: «يكتئب، أي: يتندم».

(٣) قوله: (أي: لا يكون). أفاد بأن التعبير بـ﴿وَلَمۡ﴾ المفيد لمعنى الماضي لغرضٍ بلاغيّ. وإلا فهو مستقبل معنًى، وكذا قوله: (أي: يكونون). ومن الأغراض البلاغية في التعبير بالماضي عن المستقبل: الإشارة إلى تحقّق الوقوع وتأكّده.

﴿١٥﴾- ﴿ فَأَمَّا[١] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ ﴾ جنة[٢] ﴿يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ يُسَرُّون[٣].

﴿١٦﴾- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٧﴾- ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبِّحُوا الله بمعنى: صلوا[٤] ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء[٥]، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾

---

(١) الفاء في ﴿ فَأَمَّا﴾ الفاء الفصيحة. والفاء في ﴿فَهُمْ﴾ داخلة في جواب ﴿أَمَّا﴾.

(٢) وقوله: (جنة). وبه فسر الضحّاك، نقل القرطبي عن القشيري: «الروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول، ولم يكن عند العرب شيء أحسن منه».اهـ.

(٣) قوله: (يُسَرّون). من السرور، روي نحوه عن مجاهد، وقتادة، قالا: «يُنَعَّمون»، وعن ابن عباس: «يُكرمون»، وحكى النحاس عن الكسائي: «حبرته: أي: أكرمته ونعمته».اهـ. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (أي: سبِّحوا) أشار إلى أن ﴿ فَسُبْحَٰنَ﴾ هنا بمعنى: الأمر، وأصله: أنه اسم مصدر «سبّح» كما تقدم في أول سورة البقرة، وفسره بقوله: (صلوا). فهذه الآية أمر بالصلوات الخمس، كما فسر المفسر، وبه فسر ابن جرير وغيره. وروى ذلك عن ابن عباس، قال ابن عباس: «جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة، ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾، قال: المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾: الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾: الظهر».اهـ. وفي رواية عنه: «هذه الآية أفادت أربع صلوات، والخامسة أفادتها آية: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ...﴾ [النور: ٥٨]».

(٥) قوله: (أي: تدخلون في المساء). أشار به إلى أن ﴿تُمْسُونَ﴾ -وكذا ﴿تُصْبِحُونَ﴾- هنا تامة، وليست ناقصة، فلا تحتاج إلى الخبر، بل تكتفي بالمرفوع على أنه فاعل، ويكون =

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

﴿١٨﴾- ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض[1]، ومعناه يحمده أهلهما ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على «حِينَ»، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

﴿١٩﴾- ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة[2]، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ من القبور، بالبناء للفاعل والمفعول[3].

﴿٢٠﴾- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم[4] مِّن تُرَابٍ﴾ أي:

= معنى أصبح: دخل في الصباح، ومعنى أمسى: دخل في المساء، وليس المعنى اتصف الاسم بالخبر وقت الصباح؛ لأنه معناها إذا كانت ناقصة، وذكر النحاة أن عشرة من أخوات «كان» تأتي تامة، وهي ما عدا: ما زال، ومادام، وليس، من أخواتها، فهذه الثلاثة ملازمة للنقصان.

(١) قوله: (اعتراض). يعني أنها جملة معترضة بين ذكر مواقيت الصلوات.

(٢) قوله: (كالإنسان...). تقدم في آل عمران الآية (٢٧)، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾: «أي: كما أحيا الأرض بإخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث، وفي هذا دليل على صحة القياس».اهـ.

(٣) قوله: (بالبناء للفاعل...). أي: ﴿تَخْرُجُونَ﴾: بفتح التاء وضم الراء: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان. وقرأ الباقون: بالبناء للمفعول: ﴿تُخْرَجُونَ﴾: بضم التاء وفتح الراء.

(٤) ﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾: ﴿أَنْ﴾: مصدرية، وهي بما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، و﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ خبر مقدم. وكذلك في الآيات التالية.

أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ في الأرض.

﴿٢١﴾- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم[١]، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء[٢] ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ جميعًا ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ في صنع الله تعالى.

﴿٢٢﴾- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم[٤] من عربية وعجمية وغيرهما ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ بفتح اللام وكسرها[٥]، أي: ذوي العقول وأولي العلم.

---

(١) قوله: (فخلقت حواء). تفسير لخلق الأزواج من أنفسكم. وبه فسر قتادة، وابن جرير.

(٢) وقوله: (وسائر الناس...). هذا تفسير آخر لذلك. ذكره القرطبي وغيره.

(٣) ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. والمودة والرحمة في المراد بهما أقوال: فعن ابن عباس، ومجاهد: «المودة: الجماع، والرحمة: الولد»، وعن السدي: «المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة»، وروي عن ابن عباس أيضًا. ولعل المفسر أشار بقوله: (جميعًا) إلى أن هذا الخطاب يشمل الرجال والنساء؛ بخلاف الخطاب في قوله: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فإنه كان للرجال خاصة، والله أعلم.

(٤) قوله: (أي: لغاتكم). إطلاق اللسان على اللغة من باب المجاز المرسل، من إطلاق اسم الآلة على ذي الآلة؛ لأن اللسان آلة للغات، كما ذكره البلاغيون.

(٥) قوله: (بفتح اللام وكسرها). قرأ حفص: بكسر اللام: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾، جمع عالِم، أي: ذي العقل. وقرأ الباقون: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: بفتح اللام، جمع عالَم، أو اسم جمع، كما تقدم في الفاتحة. ويطلق «العالمون» على ذوي العلم، وهم الإنس والجن والملائكة، ويدخل غيرهم فيه تغليبًا في نحو: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٢٣)- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحةً لكم ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار[1] ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)﴾ سماع تدبر واعتبار.

(٢٤)- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم[2] ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يُبْسِها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)﴾ يتدبرون.

---

(١) قوله: (بالنهار). ظاهر كلام المفسر أن الليل والنهار كليهما وقت للنوم، فالليل أصلًا، والنهار لإراحة البدن بالقيلولة، وظاهر كلام ابن جرير: «أن الليل للنوم، والنهار لابتغاء الفضل، فيكون في الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، وأشار إلى ذلك القرطبي. وقال القرطبي: «فجعل النوم بالليل دليلًا على الموت، والتصرف بالنهار دليلًا على البعث».اهـ.

(٢) قوله: (أي: إراءتكم). أفاد به أن الفعل المضارع «يُري» مؤول بالمصدر بدون حرف مصدري، بل لتوقف المعنى على ذلك. فالمسوّغ للتأويل بالمصدر هنا معنويّ. وهو سائغ في اللغة، كما قال طرفة: «ألا أيُّهذا الزاجري أحضر الوغى»، أي: عن حضور الوغى. فـ«أحضر» فعل مضارع مؤول بالمصدر بدون حرف مصدري، ومن ذلك المثل المشهور: «تسمعُ بالمعيديّ خير من أن تراه»، برفع تسمعُ، أي: سماعُك بالمعيدي.

و﴿خَوْفًا﴾ مفعول لأجله. واستشكل بأن المفعول لأجله يشترط فيه كون فاعل المصدر وفاعل العامل واحدًا، وهنا فاعل الإراءة هو الله، وفاعل الخوف هو المخاطب، وأجيب: بأن المعنى تخويفًا وتطميعًا، فيكونان اسمي مصدر، أو بتقدير مضاف، أي: إرادة خوفكم وطمعكم، وقيل غير ذلك. وذهب ابن خروف إلى عدم اشتراط اتحاد الفاعل في المفعول لأجله استدلالًا بظاهر هذه الآية. وعلى هذا لا إشكال، وأشار إلى الأوجه البيضاوي، والمعربون للقرآن الكريم.

(٢٥) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ[(١)]﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾ منها أحياء، فخروجكم منها بدعوة: من آياته تعالى.

(٢٦) - ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[(٢)] ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (٢٦)﴾ مطيعون.

(٢٧) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين[(٣)] من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا[(٤)]، وهي أنه لا اله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في

---

(١) ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلق بـ﴿دَعَاكُمْ﴾، و﴿إِذَا﴾ الأولى ظرفية شرطية، و﴿إِذَآ﴾ الثانية للمفاجأة، تقوم مقام الفاء الجوابية، ولذلك لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. فلا يكون ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقًا بـ﴿تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾. نبه عليه البيضاوي.

(٢) قوله: (ملكًا...). كل ذلك تمييز للنسبة، وقد تقدم. وقد فسر بذلك القرطبي، قال: «خلقًا وملكًا وعبدًا».اهـ.

(٣) قوله: (بالنظر...). يعني: أن اسم التفضيل ﴿أَهْوَنُ﴾ هنا يفيد المفاضلة بالنسبة إلى المخاطبين، لا بالنسبة إلى الله، فبالنسبة إلى المخاطبين تكون الإعادة أهون من الابتداء، وأما بالنسبة إلى الله تعالى فلا، بل كل شيء سهل عليه، فقول المفسر: (وإلا فهما عند الله سواء)، أي: وإن لم يكن على هذا التأويل فلا يصح؛ لأن الابتداء والإعادة عند الله تعالى سواء في السهولة.

(٤) قوله: (الصفة العليا). فسر بنحوه ابن جرير، ورواه عن قتادة. وتقدم في سورة النحل الآية (٦٠).

ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ في خلقه.

٢٨- ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلٗا﴾ كائنًا[1] ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ وهو[2] ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ أي: من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمۡ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٨﴾ يتدبرون.

٢٩- ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالإشراك[3] ﴿أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: لا هادي لهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٩﴾ مانعين من عذاب الله.

---

(١) قوله: (كائنًا). أفاد به أن الجار والمجرور ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ نعت لـ﴿مَّثَلٗا﴾.

(٢) وقوله: (وهو). بهذا التقدير تكون الجملة ﴿هَل لَّكُم ...﴾ في محل رفع خبرٍ، ويصح جعلها بدلًا من ﴿مَّثَلٗا﴾، فلا يحتاج إلى تقدير، ﴿هَل﴾: أداة استفهام إنكاري، و﴿لَّكُم﴾: خبر مقدم، و﴿مِّن مَّا مَلَكَتۡ ...﴾ في محل نصب حال من ﴿شُرَكَآءَ﴾. و﴿شُرَكَآءَ﴾: مبتدأ مؤخر، مجرور لفظًا بـ﴿مِّن﴾ الزائدة المؤكدة، و﴿فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ متعلق بـ﴿شُرَكَآءَ﴾، و﴿مِّنۡ﴾ في ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ ابتدائية، وفي ﴿مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ تبعيضية، وفي ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ زائدة مؤكدة. كما ذكره القرطبي.

قال القرطبي نقلًا عن بعض العلماء: «هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعضه ونفيها عن الله سبحانه».اهـ.

(٣) قوله: (بالإشراك). متعلق بـ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾. قال القرطبي: «لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك».اهـ.

(٣٠)- ﴿فَأَقِمْ﴾[(١)] يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلًا إليه، أي: أخلص[(٢)] دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه[(٣)]، أي: الزموها[(٤)] ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه[(٥)]، أي: لا تبدلوه[(٦)] بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم: توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ توحيد الله.

(٣١)- ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل «فَأَقِمْ»[(٧)]، وما أريد به، أي: أقيموا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

---

(١) ﴿فَأَقِمْ﴾. الفاء هنا الفاء الفصيحة.

(٢) وقوله: (أي: أخلص...) بيان لمضمون هذه الآية.

(٣) وقوله: (وهي دينه). أي: الفطرة هنا دينه، وبه فسر ابن زيد، ومجاهد، قال: «الفطرة: الإسلام»، وسمي الدين الفطرة؛ لأن الناس يُخلقون له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦]. أفاده القرطبي.

(٤) قوله: (أي: الزموها). أفاد أن فطرة مفعول به لفعل محذوف من باب الإغراء.

(٥) قوله: (لدينه). هذا التفسير مروي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن جبير، وابن زيد، والضحاك وغيرهم، كما في ابن جرير. وقيل: المعنى: نهي عن الخصاء في الفحول. روي عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد.

(٦) قوله: (أي: لا تبدلوه). أفاد أن النفي هنا بمعنى: النهي.

وقيل: الفطرة بمعنى: البداءة التي ابتدأهم الله عليها، فإنه تعالى خلق خلقًا إلى الجنة -جعلنا الله منهم- وآخرين إلى النار -أعاذنا الله- ولا تبديل لذلك فعلى هذا يكون ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ بمعنى النفي، كما يعلم من القرطبي.

(٧) قوله: (حال من فاعل ﴿فَأَقِمْ﴾). أو من فاعل: (الزموا) المقدر. أي: الزموا فطرة الله منيبين إليه. ذكر الوجهين البيضاوي. =

﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١﴾.

٣٢- ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾[(١)] باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ﴾ فرقًا في ذلك ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ ٣٢﴾ مسرورون. وفي قراءة[(٢)]: «فَٰرَقُواْ»، أي: تركوا دينهم الذي أمروا به.

٣٣- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: كفار مكة[(٣)] ﴿ضُرّٞ﴾ شدة ﴿دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيۡهِ﴾ دون غيرهم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ﴾ أريد به التهديد[(٤)] ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ

= **فائدة:** قال القرطبي: «وفي أصل الإنابة قولان:

أحدهما: أن أصله: القطع، ومنه أخذ اسم الناب؛ لأنه قاطع، فكأن الإنابة الانقطاع إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالطاعة.

الثاني: أصله: الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب: إذا رجع مرة بعد أخرى».اهـ.

(١) وقوله تعالى: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾. تأوله أبو هريرة، وعائشة، وأبو أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أنه لأهل القبلة من أهل الأهواء والبدع. وعن الربيع بن أنس، وقتادة، ومعمر: «هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى»، كما يعلم من القرطبي وغيره، وكلام المفسر يوحي إلى القول الثاني.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي: ﴿فَٰرَقُواْ﴾. والباقون: ﴿فَرَّقُواْ﴾.

(٣) قوله: (أي: كفار مكة). كذا فسره ابن جرير وغيره. وذكر معنى هذه الآيات في آيات أخرى.

(٤) قوله: (أريد به التهديد). على هذا تكون اللام في ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ لام الأمر، والفعل مجزوم علامة جزمه حذف النون، ويحتمل كون اللام اللام الجارة، وهي لام العاقبة فيكون الفعل منصوبًا بـ«أن» مضمرة وجوبًا بعدها. وذكر الوجهين البيضاوي، والقرطبي.

تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ عاقبة تمتعكم. فيه التفات عن الغيبة[١].

﴿٣٥﴾- ﴿أَمۡ﴾ بمعنى همزة الإنكار[٢] ﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾ حجة وكتابًا[٣] ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة[٤] ﴿بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا[٥].

﴿٣٦﴾- ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرهم[٦] ﴿رَحۡمَةٗ﴾ نعمة ﴿فَرِحُواْ

---

(١) قوله: (فيه التفات...). أي: في قوله ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾؛ لأنه صيغة أمر وخطاب. وكان ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾ صيغة غيبة، سواء كانت اللام لام أمر أم لام جرّ، فيكون الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

(٢) قوله: (بمعنى همزة). يريد أن ﴿أَمۡ﴾ هنا منقطعة، و«أم» المنقطعة تتضمن معنى الاستفهام غالبًا. ويحتمول كون المراد: أن الهمزة للاستفهام الإنكاري والميم مزيدة. كما هو مذهب بعض المعربين.

(٣) قوله: (حجة وكتابًا). حجة: قاله ابن عباس، والضحاك. كتابًا: قاله قتادة، والربيع بن أنس، على ما نقله القرطبي.

(٤) قوله: (تكلم دلالة). إشارة إلى أن الكلام هنا من باب الاستعارة التصريحية التبعية، شبهت الدلالة بالكلام ثم استعير لفظ الكلام واشتق منه الفعل: ﴿يَتَكَلَّمُ﴾، والله أعلم.

(٥) قوله: (لا). قدره ليكون جواب الاستفهام، أي: لم ينزل عليهم سلطانًا بذلك.

(٦) قوله: (كفار مكة وغيرهم). إشارة إلى أن «أل» في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ جنسية، وليست عهدية للإشارة إلى كفار مكة بخصوصهم؛ لأن ما ذكر في الآية شأن الكفار عمومًا. قال القرطبي: «والآية صفة للكافر يقنط عند الشدة، ويبطر عند النعمة، وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه بهذه المثابة، فأما المؤمن فيشكر ربه عند النعمة، ويرجوه عند الشدة».اهـ. باختصار. وتفسير الرحمة بالنعمة هنا ليس من تأويل الصفات؛ لأن المراد هنا الرحمة المتجاوزة، وبمثله فسر ابن جرير، وغيره. قال ابن جرير: «خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال».اهـ.

بِهَا﴾ فرحَ بطرٍ ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ييأسون من الرحمة. ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة.

﴿٣٧﴾- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا[(١)] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ بها.

﴿٣٨﴾- ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(٢)] القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة[(٣)] ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر من الصدقة، وأُمَّةُ النبي ﷺ تبع له في ذلك ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه بما يعملون[(٤)] ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الفائزون.

---

(١) قوله: (يعلموا). أفاد أن الرؤية هنا قلبية، و«أن» ومعمولاها سدت مسد المفعولين.

(٢) ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾. الفاء الفصيحة. لما تقدم أنه تعالى يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر من يشاء أمر من وسع عليه الرزق أن يوصل إلى الفقير كفايته. كما قال القرطبي.

(٣) قوله: (من البر والصلة). أي: فالمراد بالآية الأمر بالبر والصلة. قال القرطبي: «وهو الصحيح». وقيل: هذه الآية منسوخة بآية المواريث، والصحيح: ليست منسوخة، بل للقريب حق في البر. قال مجاهد، وقتادة: «صلة الرحم فرض». نقله عنهما القرطبي. فالأمر في الآية يكون للواجب على قولهما... ولكن الفقهاء فصّلوا النفقات الواجبة والمندوبة، وعلى ذلك يكون الأمر محمولًا على الوجوب والندب، والله أعلم.

(٤) قوله: (أي: ثوابه). قد يقال إنه تأويل لصفة الوجه، أو يقال: المراد هنا بالوجه الثواب ورضى الله تعالى، كما في آيات أخرى، كما قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]. قال ابن كثير: «أي: النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى».اهـ. فحمل الوجه على حقيقته.

(٣٩)- ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ أي: بأن يعطي شيئًا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه[١]، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المعطَيْنَ[٢]، أي: ليزيد[٣] ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا ثواب فيه للمعطِين[٤] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة[٥] ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ ثوابهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخطاب[٦].

(٤٠)- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ[٧] ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن

---

(١) قوله: (بأن يعطى). أفاد المفسر أن المراد بالربا هو ما ذكر، وليس الربا المحرم الذي سبق في سورة البقرة، وما فسر به المفسر ورد عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وغيرهم. فهذا مباح، ولكن لا ثواب فيه، كما قاله ابن كثير، وكما قاله المفسر، وقال ابن كثير عن الضحاك: «أن هذا الربا غير جائز للنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾ [المدثر: ٦]».

(٢) قوله: (المعطَيْن). بفتح الطاء على صيغة اسم المفعول، صفة لـ﴿ٱلنَّاسِ﴾.

(٣) قوله: (أي: ليزيد). تفسير لـ﴿يَرْبُواْ﴾.

(٤) قوله: (لا ثواب فيه للمعطِين). هنا بكسر الطاء، بصيغة اسم الفاعل، وذلك واضح.

(٥) قوله: (صدقة). كذا قال ابن عباس.

(٦) قوله: (فيه التفات). أي: في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ التفات إلى الغيبة من الخطاب الواقع في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم...﴾.

(٧) الآية تقريع للمشركين؛ لأن المعنى: أن شركاءهم لا تفعل شيئًا من ذلك، فكيف يُعبد من دون الله من لا يفعل شيئًا من ذلك؟ ثم برّأ تعالى نفسه عن الفرية التي افتراها المشركون، بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ...﴾.اهـ. ملخصًا من ابن جرير.

و﴿مِن﴾ في ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ تبعيضية والجار والمجرور خبر مقدم، و﴿مَن يَفْعَلُ﴾ مبتدأ=

﴿شُرَكَآئِكُم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ لا[1] ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾ به.

٤١- ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ﴾ أي: القفار[2] بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ أي: البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء والنون[3] ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ أي: عقوبته[4] ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ يتوبون.

= مؤخر، و﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ الجار والمجرور حال من ﴿شَيۡءٖ﴾؛ لأنه نعت في المعنى، وإذا قدم نعت النكرة أعرب حالًا، و﴿مِن﴾ ابتدائية متعلقة بمحذوف أي: كائنًا من ذلك. و﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ ﴿مِّن﴾: حرف جر زائد لإفادة العموم، و﴿شَيۡءٖ﴾: مفعول به في المعنى لـ﴿يَفۡعَلُ﴾. و﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: منصوب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، كما تقدم في سورة البقرة.

(١) وقول المفسر: (لا). قدره ليكون جواب الاستفهام.

(٢) قوله: (القفار). تفسير ﴿ٱلۡبَرِّ﴾ بالقفار، ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ بالبلاد التي على الأنهار مرويّ عن مجاهد، وعكرمة. وروي عن مجاهد وغيره: «البحر هو المعروف». والفساد في البرّ والبحر. عن ابن عباس: «القحط ونقصان البركة»، وعلى هذا جرى المفسر، وعن مجاهد: «فساد البر: ابن آدم الذي قتل أخاه، وفي البحر: الذي كان يأخذ كل سفينة غصبًا»، فيكون ذلك هو المراد بما عملت أيدي الناس، على هذا القول.

الخلاصة: وقع اختلاف في معنى البر والبحر والفساد. نقل القرطبي عن ابن عباس، قال: «هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا».اهـ. يعني معنى الفساد ذلك، ثم نقل عن النحاس قوله: «وهو أحسن ما قيل في الآية».اهـ.

(٣) قوله: (بالياء والنون). قرأ قنبل ورَوح: بالنون: ﴿لِنُذِيقَهُمۡ﴾. والباقون: بالياء: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾.

(٤) قوله: (أي: عقوبته). أفاد تقدير مضاف.

﴿٤٢﴾- ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنُهم ومنازلُهم خاوية.

﴿٤٣﴾- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد[١]، يتفرقون[٢] بعد الحساب إلى الجنة والنار[٣].

﴿٤٤﴾- ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره[٤]، وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يُوطِّئون منازلهم في الجنة[٥].

﴿٤٥﴾- ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ«يَصَّدَّعُونَ»[٦]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: يعاقبهم[٧].

﴿٤٦﴾- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ تعالى ﴿أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بمعنى: لتبشركم

---

(١) قوله: (فيه إدغام). أي: فأصله: يتصدّعون، من باب تفعّل، قلبت التاء صادًا وأدغمت فيها. والفاء في ﴿فَأَقِمْ﴾ الفصيحة، كما في الآية (٣٠).

(٢) وقوله: (يتفرقون). تفسير لـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾. وبه فسر ابن عباس وغيره، يقال: تصدع القوم: تفرقوا. ومنه اشتق الصداع؛ لأنه يفرق شعب الرأس. أفاده القرطبي.

(٣) قوله: (إلى الجنة...). قاله ابن زيد، وقتادة. كما في ابن جرير.

(٤) قوله: (وبال كفره). أشار المفسر إلى تقدير مضاف.

(٥) قوله: (يوطئون). وبمثله فسر القرطبي، والبيضاوي، وعن مجاهد: «يسوّون المضاجع»، وفي رواية عنه: «في القبر».

(٦) قوله: (متعلق بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾). أي: فالمعنى: يتفرقون ليتميز الكافر من المسلم، ويصح تعلقه بـ﴿يَمْهَدُونَ﴾، أي: يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله من فضله.اهـ. ذكرهما القرطبي وغيره.

(٧) قوله: (أي: يعاقبهم). فيه إشارة إلى تأويل صفة المحبة.

بالمطر[١] ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ المطر والخصب[٢] ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذه النعم يا أهل مكة، فتوحدونه.

﴿٤٧﴾ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٣] على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

﴿٤٨﴾ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾[٤] ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها[٥]، قطعًا متفرقة

---

(١) قوله: (بمعنى: لتبشركم). أفاد به أن قوله تعالى: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ معطوف على ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ لأنه يتضمن معنى التعليل، فيكون عطف علة على أخرى.

(٢) قوله: (المطر والخصب). وبمثله فسر ابن جرير، ورواه عن مجاهد، وقتادة. وأفاد بذلك: أن الرحمة هنا هي المطر، وليس صفة الرحمة القائمة بذاته تعالى. و﴿مِّن﴾ للتبعيض.

(٣) ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾: ﴿حَقًّا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم. و﴿نَصْرُ﴾: اسمها، والآية تسلية من الله لعبده محمد ﷺ. قاله ابن كثير. وقال أيضًا: «هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرمًا وتفضلًا، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]».اهـ.

(٤) ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. بالجمع: قراءة الجمهور. وقرأ حمزة، وابن كثير، والكسائي: بالإفراد. ونقل القرطبي عن أبي عمرو: «وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع، وما كان بمعنى العذاب فهو موحد».اهـ.

(٥) وقوله: (بفتح السين...). قرأ أبو جعفر، وابن ذكوان، وهشام: بسكون السين. والباقون: بفتحها. وقد تقدم معنى هذه الآية في الأعراف والنور وغيرهما.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون بالمطر.

﴿٤٩﴾ - ﴿وَإِن﴾ وقد[1] ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آيسين من إنزاله.

﴿٥٠﴾ - ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ﴾ وفي قراءة[2]: «ءَاثَٰرِ». ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: نعمته بالمطر[3] ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المحييَ الأرض ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿٥١﴾ - ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم[4] ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضِرَّة على نبات[5] ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟﴾ صاروا[6]، جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

---

(١) قوله: (وقد). أشار بذلك إلى أن ﴿وَإِن﴾ هنا مخففة من الثقيلة، وهي مهملة، ويدل على أنها مخففة دخول اللام في ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ واللام لازمة عند إهمالها.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿أَثَرِ﴾: بالإفراد. والباقون: ﴿ءَاثَٰرِ﴾: بالجمع.

(٣) وقوله: (أي: نعمته بالمطر). أي: أن الرحمة هنا الغيث، وبه فسر ابن جرير. وليست الصفة القائمة بالذات.

(٤) قوله: (لام قسم). أي: اجتمع هنا قسم وشرط، والجواب للقسم؛ لأنه المتقدم، وهو ﴿لَّظَلُّوا۟﴾، كما ذكره المفسر.

(٥) وقوله: (مضرة على نبات). أشار به إلى أن هاء الضمير في ﴿فَرَأَوْهُ﴾ راجع إلى الريح باعتبار أثرها، فيكون فيه نوع استخدام، وهو إطلاق اللفظ على معنًى ثم إعادة الضمير إليه باعتبار معناه الآخر، كما هو معلوم في علم البلاغة، ولفظ الريح يذكر ويؤنث كما أفاده القرطبي.

(٦) قوله: (صاروا). أفاد أن «ظَلّ» بمعنى: صار، لا بمعنى: اتصاف الاسم بالخبر في النهار.=

يجحدون النعمة بالمطر.

(٥٢)- ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ[١] وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء[٢] ﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ (٥٢)﴾.

(٥٣)- ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ (٥٣)﴾ مخلصون بتوحيد الله.

(٥٤)[٣]- ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين[٤] ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر[٥]، وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ

= وقد سبق أن ذكرنا أن خمسة من أخوات «كان» تأتي بمعنى: صار، وهن: كان، أصبح، أمسى، أضحى، ظلّ.

(١) المراد بالموتى والصم وكذا العمي في الآية التالية: المشركون. وصفوا بذلك على سبيل الاستعارة، كما يعلم من ابن جرير. قال ابن جرير: «وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم...إلخ».اهـ.

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين). أي: همزتي ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ و﴿إِذَا﴾ قرأ بتسهيل الثانية: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر. والباقون: بتحقيقهما.

(٣) مضمون الآية: الاستدلال على قدرته تعالى في نفس الإنسان ليعتبر، كما ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (ماء مهين). وبه فسر ابن جرير، ورواه عن قتادة.

(٥) قوله: (آخر). صفة لـ﴿ضَعْفٍ﴾. أي: فهذا ضعف آخر، وهو ضعف الطفولة، كما فسر كذلك ابن جرير. وهذا ينطبق على القاعدة المشهورة من أن النكرة إذا أعيدت نكرةً يراد بها غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة يراد بها نفس الأولى، فذكر ﴿ضَعْفٍ﴾ نكرة ثانية، فيراد بها غير الأولى. وكذا يراد بـ«ضعف» في ﴿ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف آخر، أي: ضعف الشيبة.

﴿بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه[١] ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾ على ما يشاء.

٥٥- ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في القبور[٢] ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥﴾ يصرفون عن الحق[٣]: البعث، كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللبث.

٥٦ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم[٤] ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي

(١) قوله: (بضم أوله...). قرأ حفص في وجه، وشعبة، وحمزة: بفتح الضاد في المواضع الثلاثة. والباقون: بضم الضاد فيها، وهي وجه ثان لحفص. قال القرطبي: «وهما لغتان»، ونقل عن الفراء: «الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم».اهـ.

(٢) قوله: (في القبور). هكذا فسر ابن جرير. قال القرطبي: «ليس هذا ردًّا لعذاب القبر؛ لأن عذاب القبر ثابت بأحاديث صحيحة. فالمعنى: قالوا ذلك؛ لأنه لابد قبل يوم القيامة من خمدة، وقول آخر: المراد أنهم ما لبثوا في الدنيا؛ لزوالها وانقطاعها، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾. الوجهان ذكرهما القرطبي.

(٣) وقوله: (يصرفون عن الحق: البعث...). بيان لمعنى التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾.

فائدة: في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ ﴿سَاعَةٖۚ﴾: الجناس التام. وهو إطلاق اللفظ في موضعين على معنيَيْه كما فصل في علم البديع.

(٤) قوله: (من الملائكة وغيرهم). إشارة إلى الخلاف في المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾، فقيل: الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: علماء الأمم، وقيل: مؤمنو هذه الأمة، ذكرها القرطبي بدون عزو.

كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦﴾ وقوعه.

٥٧- ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء[١] ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾ لا يطلب منهم العُتبى، أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

٥٨- ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ﴾ تنبيهًا لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[٢] ﴿جِئۡتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع[٣]؛ لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨﴾ أصحاب أباطيل.

٥٩- ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩﴾ التوحيد، كما طبع على قلوب هؤلاء.

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالياء: ﴿لَّا يَنفَعُ﴾. والباقون: بالتاء: ﴿لَّا تَنفَعُ﴾. والفاعل: ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾، والاسم الموصول: مفعول به مقدم.

(٢) قوله: (لام قسم). أي: فيه قسم وشرط، والمتقدم القسم؛ فالجواب له، وهو: ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾.

(٣) قوله: (حذف منه...). هذا لعله سبق قلم؛ لأن الفعل هنا بصيغة المفرد باتفاق القراء، وفاعله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، وإنما تحذف النون والواو إذا كان الفعل مسندًا إلى واو الجماعة، كما هو معروف، فهٰهنا الفعل مبني على الفتح للحوق نون التأكيد، وقد نسبه الصاوي إلى سبق قلم.

٦٠- ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ[(١)] الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالبعث، أي: لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر[(٢)]، أي: لا تتركنّه.



(١) ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: «لا»: ناهية جازمة، والمضارع: مبني على الفتح لوجود النون، في محل جزم، و﴿الَّذِينَ﴾: فاعل.

(٢) وقوله: (لا يحملنك...) بيان لمعنى: ﴿يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾، يقال: استخف فلان فلانًا، أي: استجهله حتى حمله على اتباعه في الغيّ. أفاده القرطبي.

٣١- سورة لقمان

مكية، أو إلا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ...﴾ الآيتين[١]، فمدنيتان.

وآياتها أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓمٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به.

(٢)- ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات[٢] ﴿ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ (٢)﴾ ذي الحكمة[٣]. والإضافة بمعنى: من[٤].

(٣)- هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع[٥] ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ (٣)﴾، وفي قراءة العامة بالنصب حالًا من الآيات، العامل فيها ما في «تِلْكَ» من معنى الإشارة.

---

(١) قوله: (الآيتين). هذا قول قتادة. وعن ابن عباس: «ثلاث آيات من ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾». ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (أي: هذه) أفاد أن الإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾. الموضوع للإشارة للبعيد أريد به القريب لنكتة بلاغية، وهي: التعظيم.

(٣) وقوله: (ذي الحكمة). وقيل: المحكم، أي: لا خلل فيه ولا تناقض، وقيل: الحاكم. ذكره الأوجه القرطبي.

(٤) قوله: (والإضافة...). كما تقدم في سورة النمل وغيرها.

(٥) قوله: (بالرفع). قراءة حمزة. والباقون قرؤوا: بالنصب. ووجه الرفع: أنه معطوف على ﴿هُدًى﴾ الواقع خبرًا لمبتدأ محذوف، قدره المفسر بقوله: (هو). ووجه النصب: أنه حال، كـ﴿هُدًى﴾، كما ذكر المفسر. وعامل الحال: اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾؛ لوجود معنى الفعل فيه. كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً...﴾ [النحل: ٥٢].

٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان للمحسنين[١] ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ «هُمۡ» الثاني تأكيد.

٥- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ الفائزون.

٦- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه[٢] عما يعني ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها[٣] ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفًا على «لِيَضِلَّ»[٤]، وبالرفع عطفًا على «يَشۡتَرِي»، ﴿هُزُوًاۚ﴾ مهزوءًا بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ ذو إهانة.

٧- ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ متكبرًا ﴿كَأَن لَّمۡ

---

(١) قوله: (بيان للمحسنين). أي: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للمحسنين لبيان حالهم، فهو في محل جر، وقد تقدم في أول سورة البقرة معنى هذه الآية والتي بعدها.

(٢) قوله: (أي: ما يلهي...). أشار المفسر إلى أن ﴿لَهۡوَ﴾ مصدر بمعنى: اسم الفاعل، وإضافته من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فالمعنى: الحديث الملهي، أو الإضافة بمعنى: «مِن». وقد رود التفسير لـ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ بالغناء في قول ابن عباس، وابن مسعود، وغيرهما كما في ابن جرير. وقال القرطبي: «هذه الآية إحدى الآيات الثلاث التي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه، والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ٦١﴾ [النجم: ٦١]، قال ابن عباس: «هو الغناء»، والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، قال مجاهد: «الغناء والمزامير».اهـ.

(٣) قوله: (بفتح الياء...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء، مضارع «ضَلَّ». والباقون: بضمها، مضارع «أضل».

(٤) قوله: (بالنصب). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: بالرفع. والباقون: بالنصب. ووجهها كما قال المفسر.

يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ صممًا، وجملتا التشبيه حالان من ضمير «وَلَّىٰ»[١]، أو الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ أعلمه[٢] ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٧﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به، وهو النضر بن الحارث[٣]، كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة، ويقول: إن محمدًا يحدثكم أحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

۝٨ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

۝٩ - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ حال مقدرة[٤]، أي: مقدرًا خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: وعدهم الله ذلك وحقه حقًّا[٥] ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ الذي لا يضع شيئًا إلا في محله[٦].

---

(١) قوله: (وجملتا التشبيه). وهما: ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾، ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾.

(٢) قوله: (أعلمه). أشار إلى أن التبشير هنا بمعنى الإعلام وأطلق التبشير الذي هو في الخير حقيقة، على ضده تهكمًا، وهي نكتة بلاغية، وقد تقدم في مواضع.

(٣) قوله: (وهو النضر بن الحارث). من كفار مكة، وما ذكره المفسر من أن الآية في شأنه، قال القرطبي: «حكاه الفراء، والكلبي وغيرهما»، وقيل: كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا شغله بالمغنية، ويقول: هذا خير مما يدعو إليه محمد. ذكره القرطبي.

(٤) قوله: (حال مقدرة). وهي ما يكون زمن وقوعها متأخرًا عن زمن العامل، وقد تقدم.

(٥) قوله: (أي: وعدهم الله). أفاد به أن ﴿وَعۡدَ﴾ و﴿حَقّٗاۚ﴾ كل منهما مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٦) قوله: (الذي لا يضع...). فيه إثبات الحكمة لله تعالى، ولم ينكر أحد ذلك وإنما نفى من نفى الغرض، وهو ما يستفيده الفاعل من فعله، فالله تعالى منزه عن ذلك؛ لكمال غناه عن خلقه، كما تقدم في سورة البقرة وغيرها، والله أعلم.

﴿١٠﴾- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ العمد جمع عماد، وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلًا[١] ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالًا مرتفعة لـ﴿أَن﴾ لا[٢] ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة[٣] ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠﴾ صنف حسن.

﴿١١﴾- ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ أي: مخلوقه[٤] ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ غيره، أي: آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، و«ما» استفهام إنكار[٥] مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي بصلته خبره، و«أَرُونِي» معلق عن

---

(١) قوله: (وهو صادق...). إشارة إلى تفسيرين في قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ تقدم ذكر ذلك في سورة الرعد الآية (٢). وحاصله: قال قتادة، والحسن: «لا عمد لها»، وعن ابن عباس، ومجاهد: «إنها بعمدٍ لا نراها».

(٢) قوله: (لـ﴿أَن﴾ لا). أي: فحذف حرف التعليل وحرف النفي، وعزا القرطبي هذا التقدير إلى الكوفيين، ويحتمل كون التقدير: مخافة أن تميد، بحذف مضاف، فلا يقدر حرف التعليل ولا حرف النفي، وذكره القرطبي وغيره.

تنبيه: روى ابن جرير عن قتادة، قال: «أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلقًا».اهـ. مما يفيد أن القول بتحرك الأرض ودورانها على محورها كما عليه الفلسفة الحديثة بعيد عن ظاهر النصوص، والعلم عند الله.

(٣) قوله: (فيه التفات...). أي: في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا﴾ بصيغة المتكلم التفات عن الغيبة في ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

(٤) قوله: (أي: مخلوقه). أي: فالمصدر بمعنى: اسم المفعول. والفاء في ﴿فَأَرُونِي﴾ الفصيحة.

(٥) قوله: (و«ما» استفهام...). ما ذكره من الإعراب أحد الوجهين، ويحتمل كون ﴿مَاذَا﴾ كلمة واحدة، اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿خَلَقَ﴾، وعلى كل حال ﴿أَرُونِي﴾=

العمل، وما بعده سدّ مسد المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال[١] ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾ بيّن بإشراكهم وأنتم منهم[٢].

﴿١٢﴾- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ[٣]﴾ منها: العلم والديانة[٤] والإصابة في القول، وحِكَمهُ كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك زمنه، وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت. وقيل له[٥]: أيُّ الناس

= معلق عن العمل في المفعول الثاني والثالث، أما المفعول الأول فهو ياء المتكلم المذكورة بعد نون الوقاية، فمراد المفسر بقوله (المفعولين): المفعول الثاني والثالث.

تنبيه: وزنُ ﴿أَرُونِي﴾: أفوني، حذفت منه عين الكلمة: الهمزة ولام الكلمة: الياء. وكان أصله: أرْئيوني بوزن: أفعِلوني، كما هو مفصل في علم الصرف.

(١) قوله: (للانتقال). أي: بل هنا حرف إضراب انتقالي، لا الانتقال الإبطالي، وهو واضح.

(٢) قوله: (وأنتم منهم). أي: من الظالمين، أفاد المفسر أن المخاطبين -وهم الكفار- داخلون في «الظالمين»، فينصبّ عليهم الحكم بأنهم في ضلال مبين.

(٣) ﴿لُقۡمَٰنَ﴾. نقل القرطبي عن ابن إسحٰق، وهو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح، وهو آزر أبو إبراهيم. وقال وهب: «كان -لقمان- ابن أخت أيوب، وقيل: ابن خالته. ونقل القرطبي أيضًا: «إنه عاش ألف سنة، وأدركه داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل بعثة داود، فلما بعث قطع الفتوى كما قاله المفسر. وروى ابن جرير، عن مجاهد: «كان لقمان الحكيم عبدًا حبشيًّا، غليظ الشفتين مصفح القدمين -أي: عريض القدمين-، قاضيًا على بني إسرائيل.

(٤) قوله: (منها العلم). أي: من الحكمة، أشار بذلك أنه ليس المراد بالحكمة النبوة، فلقمان لم يكن نبيًّا، قاله مجاهد، وقتادة وغيرهما. قال مجاهد: «الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة».اهـ. رواه ابن جرير.

(٥) قوله: (وقيل له...). هذا نقله القرطبي وغيره، وقال القرطبي: «ثبت معناه في حديث =

شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا ﴿أَنِ﴾، أي: وقلنا له[(١)] أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ محمود في صنعه.

﴿١٣﴾- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق[(٢)] ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ فرجع إليه وأسلم.

﴿١٤﴾-[(٣)] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرَّهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾

= «الصحيحين». قال ﷺ: «**كل أمتي معافًى إلا المجاهرون، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**».اهـ. [البخاري (٦٠٦٩)، مسلم (٢٩٩٠)].

(١) قوله: (أي: وقلنا). يشير المفسر إلى أن ﴿أَنِ﴾ هنا تفسيرية، وهي المسبوقة بفعل فيه معنى القول دون حروفه، وإيتاء الحكمة فيه معنى القول، فقول المفسر (وقلنا) توضيح لتضمن الإيتاء معنى القول، وليس المراد أنه يقدر هٰهنا وقلنا له: لأنه إذا قدّر ذلك لا يحتاج إلى «أن».

(٢) قوله: (تصغير إشفاق). يعني: أن «بُنَيَّ» تصغير للابن ثم أضيف إلى ياء المتكلم. والمراد بالتصغير هنا الإشفاق والترحم، والتصغير يأتي لأغراض شتى، منها: الإشارة إلى صغر العمر أو الحجم أو التنفير والتحقير أو الإشفاق وغير ذلك.

واسم الابن «ثاران» في قول الطبري، وقال الكلبي: «مشكم»، وقيل: «أنعم»، حكاه النقاش، وذكر القشيري: «أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال يعظمهما حتى أسلما».اهـ. القرطبي.

(٣) هاتان الآيتان (١٤-١٥) اعتراض بين أثناء وصية لقمان، نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص لما حلفت أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية ألا تأكل، قاله القرطبي، وعزاه إلى =

فوهنت[1] ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وقلنا له[2] ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي: المرجع.

﴿١٥﴾- ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع[3] ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ أي: بالمعروف البر والصلة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ ۚ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ فأجازيكم عليه. وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

﴿١٦﴾- ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخصلة السيئة[4] ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

= الجمهور، قال: وقيل إنها مما وصى به لقمان ابنه، أخبر الله به عنه، أي: قال لقمان لابنه: لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والِدَيْك». اهـ. وسيذكر المفسر إنها اعتراض.

(١) قوله: (فوهنت). أفاد به أن ﴿وَهْنًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو بسكون الهاء مصدر: وهَن، يهن، وهنًا، كوعد، يعد، وعدًا، وفيه لغة أخرى: وَهِنَ يَوْهنُ وهَنًا، بفتح الهاء في المصدر، كما يعلم من البيضاوي. وجملة ﴿حَمَلَتْهُ...﴾ في محل نصب حال.

(٢) قوله: (وقلنا له). أفاد به أن ﴿أَنِ﴾ في ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي﴾ تفسيرية؛ لأن ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ تضمنت معنى القول. كما تقدم نظيرها قريبًا.

(٣) قوله: (موافقة للواقع). يعني أن التقييد بـ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لموافقة الواقع؛ لأن الواقع عدم العلم باستحقاق عبادة غير الله؛ لأنه لا يستحق العبادة غير الله، فلا يمكن أن يعلم بخلاف ذلك، فإذا ذكر القيد لموافقة الواقع فلا يكون له مفهوم مخالفة.

(٤) قوله: (أي: الخصلة السيئة). أشار إلى أن الضمير المنصوب اسم «إنّ» عائد إلى الخصلة السيئة التي وقع عنها سؤال ابن لقمان إياه، فيما نقله القرطبي عن مقاتل: «قال ابن لقمان: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ...﴾».=

فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها[1] ﴿خَبِيرٞ ١٦﴾ بمكانها.

١٧- ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ بسبب الأمر والنهي[2] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ أي: معزوماتها[3] التي يعزم عليها لوجوبها[4].

= ويصح كون الضمير ضمير القصة، وهو كضمير الشأن إلا أنه ضمير مؤنث، وضمير الشأن يكون ضمير مذكر، وعلى الوجهين تكون الجملة الشرطية: ﴿إِن تَكُ ...﴾ في محل رفع خبر «إنّ».

و﴿تَكُ﴾ مجزوم، علامة جزمه السكون على النون المحذوفة تخفيفًا، وهي ناقصة اسمها الضمير المستتر، وخبرها: ﴿مِثۡقَالَ﴾ في قراءة الجمهور. وقرأ نافع، وأبو جعفر: برفع ﴿مِثۡقَالُ﴾، فتكون ﴿تَكُ﴾ تامة، و﴿مِثۡقَالُ﴾ فاعلها.

والخردل: حب صغير كرويّ أسود معروف، يضرب بها المثل في القلة، وتقدم ذكرها في سورة الأنبياء الآية (٤٧). ذكرت في القرآن مرتين، أي: هنا وفي سورة الأنبياء.

وما ذكره المفسر أحد الوجهين في معنى الآية، ذكره ابن جرير، والوجه الثاني: المعنى: لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، قاله القرطبي. وعلى هذا لا يكون في الآية ترجية وتخويف.

(١) قوله: (باستخراجها). كما قال قتادة: «أي: لطيف باستخراجها خبير بمستقرها».اهـ.

(٢) قوله: (بسبب الأمر...). وبمثله فسر ابن جرير. وحكى القرطبي وجهًا آخر: «أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، ولا يخرج إلى معصية الله عَزَّوَجَلَّ، قال: «هذا قول حسن لأنه يعمّ».اهـ.

(٣) قوله: (أي: معزوماتها). أفاد أن العزم مصدر أريد به اسم المفعول، وإضافته من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٤) وقوله: (لوجوبها). كما قال ابن جرير: «مما عزم الله وأمر به».اهـ.

﴿١٨﴾- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة: «تُصَاعِرْ»[١] ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تُمِلْ[٢] وجهك عنهم تكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾[٣] متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ على الناس.

﴿١٩﴾- ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسَّطْ فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار[٤] ﴿وَاغْضُضْ﴾ اخفض[٥] ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ أوله زفير وآخره شهيق[٦].

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾، مضارع: صعّر. والباقون: ﴿وَلَا تُصَاعِرْ﴾: مضارع: صاعر. ومعناهما متقارب.

(٢) وقوله: (لا تُمِلْ). بضم التاء من الإمالة، أي: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرًا، قاله ابن عباس. وروي نحوه عن مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وغيرهم.

(٣) ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾. هنا الكلام لعموم النفي، أي: لا يحب واحدًا منهم، لا لنفي العموم. والأكثر أن النفي إذا دخل على «كلّ» يفيد نفي العموم، نحو: لم ينجح كل طالب. وإذا دخل «كلّ» على النفي يفيد عموم النفي، نحو: كل ذلك لم يقع: أي: لم يقع شيء من ذلك. وقد نبهنا على ذلك في كتاب «البلغة في فنون البلاغة».

(٤) قوله: (وعليك السكينة). أي: فالأمر بالقصد في المشيء أمر بالسكينة والتواضع، كما قال مجاهد: «﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: التواضع».

(٥) قوله: (اخفض). قال القرطبي: «أي: لا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي».اهـ.

(٦) قوله: (أوله زفير...). كما قال قتادة: «أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته».اهـ. وفي الصحيح: قال ﷺ: «وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانًا».اهـ. [طرف من حديث البخاري (٣١٢٧)]. والزفير والشهيق مضى ذكرهما في سورة هود الآية (١٠٦).

(٢٠)- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين(١) ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ وهي: حسن الصورة(٢) وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

(٢١)- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتبعونه(٣) ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ أي موجباته؟ لا(٤).

(٢٢)- ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يقبل على طاعته(٥) ﴿وَهُوَ

---

(١) قوله: (تعلموا). أفاد أن الرؤية هنا علمية، وجملة ﴿أَنَّ﴾ سدت مسد المفعولين.

(٢) قوله: (وهي حسن الصورة). ما فسر به للنعمة الظاهرة والباطنة فسر به كذلك ابن جرير. وقيل: الظاهرة: نعم الدنيا، والباطنة: نعم العُقْبَى، وقيل غير ذلك، وكل الأقوال متقاربة، قال القرطبي: «وقيل: الظاهرة: ما يرى بالأبصار، والباطنة: ما يجده في نفسه، وقد سرد الماوردي في ذلك تسعة أقوال كلها يرجع إلى هذا».اهـ.

(٣) قوله: (يتبعونه). قدره ليفيد أن جملة ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ معطوفة على مقدر، ويقدر مثل ذلك في كل موضع ذكر فيه «أَوَ» أو «أَفَ»، وهذا مذهب الزمخشري ومن تبعه، وقد تقدم ذلك.

(٤) قوله: (لا). أي: لا ينبغي لهم ذلك. وهذا جواب الاستفهام الإنكاري.

(٥) أي: (يقبل على طاعته). قال البيضاوي: «بأن فوض أمره إليه وأقبل بشراشره عليه من: أسلمت المتاع إلى الزبون».اهـ. وفي سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [الآية: ١١٢]، فتعدى الفعل باللام.

مُحۡسِنٌ﴾ موحّد[١] ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ بالطرف الأوثق[٢] الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ مرجعها.

٢٣- ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ لا تهتمَّ بكفره ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٣﴾ أي: بما فيها كغيره، فمجازٍ عليه[٣].

٢٤- ﴿نُمَتِّعُهُمۡ﴾[٤] في الدنيا ﴿قَلِيلٗا﴾[٥] أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٢٤﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصًا.

٢٥- ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم[٦] ﴿سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال[٧]، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٥﴾ وجوبه عليهم.

---

(١) قوله: (موحّد). قال ابن جرير: «وهو مطيع لله في أمره ونهيه». ومثله في ابن كثير. وفي القرطبي ما يفيد أن المراد: وهو مخلص.اهـ. وكل ما ذكر في معناه متلازمة.

(٢) قوله: (بالطرف الأوثق...). هذا لفظ ابن جرير. وقال: «وهذا مثل، إنما يعني بذلك أنه قد تمسك ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة».اهـ. ملخصًا. وروى عن ابن عباس: «﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾: لا إله إلا الله».اهـ.

(٣) قوله: (فمجازٍ). الفاء عاطفة ومُجاز اسم فاعل من جازى يُجازى.

(٤) ﴿نُمَتِّعُهُمۡ﴾. يجوز كون هذه الجملة حالًا من فاعل ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾، أو بدل اشتمال من ﴿إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾، أو استئنافًا، والله أعلم.

(٥) ﴿قَلِيلٗا﴾. إما منصوب على المفعول المطلق أو الظرف، أي: متاعًا قليلًا، أو زمنًا قليلًا. وعلى كل حال هو نعت لمحذوف.

(٦) قوله: (لام قسم). كما تقدم أكثر من مرة.

(٧) قوله: (حذف منه...). أي: أصله: ليقولونَنَّ. وقد تقدم مرارًا.

(٢٦)- ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا[١]؛ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ (٢٦)﴾ المحمود في صنعه[٢].

(٢٧)- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرَ﴾ عطف على اسم «أنّ»[٣]

---

(١) قوله: (ملكًا...). كل من الكلمات الثلاث تمييز، وقد تقدم.

(٢) قوله: (المحمود). أشار إلى أن «فعيل» هنا بمعنى: اسم المفعول، وبه فسر ابن جرير. و«فعيل» قد يأتي بمعنى: اسم الفاعل، بل هو كثير في الصفة المشبهة من وزن «فَعُلَ» نحو: كَرُم فهو كريم، وعظم فهو عظيم. وقد يأتي محولًا عن فاعل فيكون من صيغة المبالغة نحو: سميع، وعليم، كما يأتي مصدرًا دالًّا على سيرٍ أو صوت نحو: رحيل، وصهيل، وقد تقدم بيان ذلك في تفسير سورة البقرة الآية (٢٦٧) وغيرها.

و«حميد» هنا بمعنى: المحمود أنسب للمقام، وقد وقع التفسير به في كلام ابن جرير وغيره، وقد نبهنا على هذا لأن بعض المعاصرين انتقد على المفسر بأن «حميد» ونحوه ينبغي أن يفسر بمعنى اسم الفاعل واسم المفعول معًا؛ لأنه تعالى حامد ومحمود، وهذا المعنى وإن كان صحيحًا في نفسه إلا أنّ فيه حمل اللفظ على معنييه في وقت واحدٍ، وهذا محل خلاف بين الأصوليين ثم معنى اسم المفعول هنا أنسب لـ«غني» وبه فسر أئمة التفسير، فالانتقاد على المفسر يضمحلّ جدًّا. وتقدم التنبيه على هذا: البقرة (٢٦٧).

(٣) قوله: عطف على اسم «أن»). لو: أداة شرط. و«أن» وما بعدها في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف، أي: ولو ثبت أن....، و«ما»: اسم موصول اسم «أن»، ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾: معطوف على اسم «أن»، ويجوز فيه النصب والرفع، النصب بالعطف على اسم «أنّ»، والرفع بالعطف على محل «أنّ» مع اسمها؛ لأن محلها الرفع على الفاعلية. وهما قراءتان. قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بالنصب. والباقون: بالرفع.

ويجوز كونه مبتدأ حالة الرفع، وخبره جملة ﴿يَمُدُّهُۥ...﴾، أو جملة ﴿يَمُدُّهُۥ...﴾ حال، و﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فاعل ﴿يَمُدُّهُۥ﴾.

روى ابن جرير عن الحسن في معنى هذه الآية، قال: «لو جعل شجر الأرض أقلامًا وجعل البحور مدادًا، وقال الله إن من أمري كذا ومن أمري كذا، لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام».اهـ. وإلى ذلك أشار المفسر بكلامه. =

﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ مدادًا ﴿مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتْبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٞ ٢٧﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته[١].

٢٨- ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ﴾ خلقًا وبعثًا؛ لأنه بكلمة «كن»[٢] فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ ٢٨﴾ يبصر كل مبصر، لا يشغله شيء عن شيء.

٢٩- ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ يُدْخِل ﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾ منهما ﴿يَجۡرِيٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٩﴾.

٣٠- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء[٣]،

= وروى عن ابن عباس: «أن أحبار اليهود قالوا: يا محمد أرأيت قوله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، إيّانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«كُلًّا»**، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء، فقال ﷺ: **«إنها في علم الله قليل، وعندكم من ذلك ما يكفيكم»**، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ الآية». أي: إن التوراة في هذا من علم الله قليل.اهـ. وعلى هذا تكون الآية مدنية كما تقدم أول السورة.

(١) قوله: (وحكمته). فيه إثبات الحكمة لله تعالى، وقد تقدم مرارًا.

(٢) قوله: (لأنه بكلمة «كن»). كما قاله مجاهد. وتقدم في تفسير سورة البقرة الآية (١١٧) أن كلمة «كن» كناية عن تعلق المشيئة.

(٣) قوله: (بالياء والتاء). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: بالتاء: ﴿تَدۡعُونَ﴾. والباقون: بالياء: ﴿يَدۡعُونَ﴾.

يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر[١] ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ العظيم.

﴿٣١﴾- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين[٢]، بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾[٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله[٤] ﴿شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ لنعمته.

﴿٣٢﴾- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال[٥] التي تظل مَنْ تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء[٦] بأن ينجيهم، أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان[٧]،

---

(١) قوله: (بالقهر). وكذا هو علي بذاته وقهره. وتقدمت الآيتان في الحج، وفيها ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الآية: ٦٢]، بزيادة ضمير الفصل، فيكون آكد.

(٢) قوله: (يا مخاطبين). أفاد به أن هذا الخطاب عام، وليس خاصًّا بمشركي العرب؛ وذلك لأنه أعرب المنادى بالنصب لكونه نكرة غير مقصودة. ولو كان المخاطب مقصودًا لقال: «يا مخاطبون» بالبناء على الواو.

(٣) و﴿مِّنْ﴾ في ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تبعيضية، قاله القرطبي.

(٤) وقوله: (عن معاصي الله...). وبنحوه فسر ابن جرير، قال: «لكل من صبر نفسه عن محارم الله وشكره على نعمه فلم يكفره».اهـ.

(٥) قوله: (كالجبال...) الظُّلل جمع ظُلَّة، وفسره مقاتل بالجبال، وعليه مشى المفسر، وقال قتادة، والكلبي: «كالسحاب»، شبه الموج بالسحاب؛ لكبره وارتفاعه، وذكر الموج بالإفراد والظلل بالجمع؛ لأن الموج يأتي شيئًا بعد شيء ويركب بعضه بعضًا. أفاده ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٦) قوله: (أي: الدعاء). تفسير لـ﴿ٱلدِّينَ﴾.

(٧) قوله: (متوسط...). ما ذكره المفسر قريب مما روي عن مجاهد، وابن زيد، قال مجاهد: =

ومنهم باق على كفره[١] ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ غدَّار[٢] ﴿كَفُورٖ ٣٢﴾ لنعم الله تعالى.

٣٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة[٣] ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئًا ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه ﴿شَيۡـًٔا﴾[٤] ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ الشيطان[٥].

٣٤- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد[٦]

= «المقتصد في القول وهو كافر».اهـ. وقال ابن زيد: «المقتصد الذي على صلاح من الأمر وهو كافر»، كما في ابن جرير. ونقل القرطبي عن الحسن: «﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾: مؤمن، متمسك بالتوحيد». وعن ابن عباس: «موف بما عاهد عليه الله في البحر».اهـ.

(١) وقوله: (ومنهم باق...). قدره ليكون الطرف المقابل لـ﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾. دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ...﴾.

(٢) قوله: (غدار). قال ابن جرير وغيره: «الختر: أسوأ الغدر»، وروي تفسيره بالغدار عن مجاهد، وقتادة، والحسن، وغيرهم.

(٣) قوله: (أي: أهل مكة). أي: الخطاب للمشركين، وبذلك فسر ابن جرير، وقال القرطبي: «يعني الكافر والمؤمن».

(٤) قوله: (فيه ﴿شَيۡـًٔا...﴾). قدر (فيه) ليكون الضمير رابطًا للجملة بموصوفها، فإن جملة ﴿لَّا يَجۡزِي...﴾ نعت لـ﴿يَوۡمٗا﴾، والجملة إذا وقعت نعتًا تحتاج إلى رابط، كما إذا وقعت صلة أو خبر مبتدأ، على التفصيل الذي ذكره النحاة.

(٥) قوله: (الشيطان). هذا التفسير عزاه القرطبي إلى مجاهد وغيره.

(٦) قوله: (بالتخفيف...). قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: مضارع: نزّل. والباقون: بالتخفيف: ﴿وَيُنۡزِلُ﴾: مضارع: أنزل. =

﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقتٍ يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى(١)، ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ بباطنه كظاهره. روى البخاري(٢) عن ابن عمر حديث: «**مفاتيح الغيب خمسة: إن الله عنده علم الساعة... إلى آخر السورة**».



= روى ابن جرير في سبب نزول هذه الآية عن مجاهد: «جاء رجل، قال أبو جعفر: أحسبه أنا قال: إلى النبي ﷺ، فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ماذا تلد، وبلادنا محل جدبة فأخرني متى ينزل الغيث، وقد علمتُ متى وُلِدتُ فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ إلى آخر السورة. قال: «فكان مجاهد يقول: هن مفاتح الغيب التي قال الله ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ...﴾ [الأنعام: ٥٩]».

(١) قوله: (أذكر أم أنثى). هذا مثال. كما يعلم من قول قتادة: «فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى، أحمر أو أسود أو ما هو».اهـ. أي: كيف يكون ومتى ينزل إلى الدنيا، وما شكله ووزنه وغير ذلك، وعلى هذا لا إشكال في أنه ربما يحدد جنس الجنين من ذكورة وأنوثة بالجهاز، ولكن هذا نوع من الظن والتخمين، وقد يكون الواقع خلاف ما حدده الجهاز، فالعلم عن الجنين عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده، وكذا ما يخبره أهل الرصد من أحوال الطقس ونزول الغيث إنما هو مجرد ظن استنتج من بعض القرائن والأحوال، وليس ذلك من علم الغيب بشيء، ولذا نرى كثيرًا يكون الواقع بخلاف ما أخبروه فلا يكن في قلب المؤمن ريب في مثل هذه الأمور.

(٢) قوله: (روى البخاري). [«فتح الباري» (٢/ ٦٠٩)]، وكذا روى الشيخان عن أبي هريرة حديث جبريل الطويل، وفيه ذكر علامات الساعة: «**...في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ...﴾ إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث....الآية**». [«فتح الباري» (٨/ ٣٧٣)، (١/ ١٤٠)، ومسلم (١/ ٣٩)].

٣٢- سورة السجدة

مكية[١]، وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿الٓمٓ ①﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

(٢)- ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، مبتدأ[٢] ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ②﴾ خبر ثان.

(٣)- ﴿أَمْ﴾ بل[٣] ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد، لا[٤] ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ③﴾ بإنذارك.

(٤)- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة[٥] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق

---

(١) قوله: (مكية). كذا أطلقه ابن جرير وغيره. وقال القرطبي: «إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ...﴾ تمام ثلاث آيات»، وعزاه إلى مقاتل والكلبي، وقال غيرهما: «إلا خمس آيات من قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ...﴾».اهـ.

(٢) قوله: (مبتدأ...). ويجوز كونه خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هذا تنزيل، ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (بل). أفاد به أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة، تتضمن إضرابًا واستفهام إنكار.

(٤) وقوله: (لا). أي: لم يفتره محمد ﷺ، جواب الاستفهام.

والمراد بالقوم: أهل الفترة بين عيسى ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، في قول ابن عباس، ومقاتل. قاله القرطبي. وقال ابن جرير: «وهم قومه من قريش».

(٥) قوله: (أولها الأحد...). كما تقدم في الأعراف وغيرها.

به[١] ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ اسم «مَا»[٢]، بزيادة «مِن»، أي: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ هذا فتؤمنونَ به[٣].

﴿٥﴾- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ في الدنيا، وفي سورة «سَأَلَ»: «خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾» [المعارج: ٤]، وهو يوم القيامة[٤]؛ لشدة أهواله

---

(١) وقوله: (استواء يليق به). كما تقدم في طه.

(٢) قوله: (اسم ﴿مَا﴾). ولعل المراد اسم ﴿مَا﴾ في المعنى لا في الإعراب؛ لأن ﴿مَا﴾ هنا لا تعمل لتأخر الاسم، فهو مبتدأ من حيث الإعراب، خبره: ﴿لَكُم﴾ ففي عبارة المفسر تسامح.

(٣) قوله: (هذا فتؤمنون). اسم الإشارة (هذا) مفعول به لـ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: (فتؤمنون). الفاء عاطفة.

(٤) قوله: (وهو يوم القيامة). أي: ذلك اليوم الذي مقداره ألف سنة، والذي يرجع إليه الأمر كله بعد فناء الدنيا، وهذا المعنى الذي ذكره المفسر أحد الأوجه في معنى الآية، ذكره البيضاوي، والقرطبي وغيرهما بدون عزو. وعلى هذا يكون المراد بـ﴿يَوْمٍ﴾: يوم القيامة، وصفه هٰهنا بمقدار ألف سنة، وفي «سأل سائل» بخمسين ألف سنة، أجاب المفسر عن ذلك بأنه تختلف مدة اليوم بالنسبة إلى الأشخاص، فبالنسبة إلى المؤمن تكون أخف من صلاة مكتوبة، وتقدم في الفرقان الآية (٢٤) انقضاء الحساب في نصف نهار، وبالنسبة إلى بعض الكفار تكون المدة ألف سنة، وإلى البعض الآخر خمسين ألف سنة، وهذا الحديث الذي ذكره المفسر أورده القرطبي من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، في تفسير الفرقان الآية (٢٤) وهو في «صحيح مسلم»، والنسائي، و«مسند أحمد». والذي اختاره ابن جرير في معنى هذه الآية ما رواه عن مجاهد، وقتادة وغيرهما: «يدبر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فمقدار خمسمائة سنة في النزول وخمسمائة سنة في الصعود،=

بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث.

﴿٦﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر[1] ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ بأهل طاعته.

﴿٧﴾- ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ بفتح اللام فعلًا ماضيًا صفة[2]، وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٖ ﴿٧﴾﴾.

﴿٨﴾- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ علقة[3] ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾ ضعيف، وهو النطفة.

﴿٩﴾- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾ أي: جعله حيًّا حسَّاسًا بعد أن كان جمادًا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ لذريته ﴿ٱلسَّمۡعَ﴾ بمعنى الأسماع

= وكل ذلك يقع في يومٍ واحدٍ»، وفسر ابن كثير بمثله، فيكون المراد بـ﴿يَوۡمٖ﴾: يومًا من أيام الدنيا. قال الضحاك: «تعرج الملائكة إلى السماء ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة».اهـ. ونحوه عن ابن عباس، وعكرمة.

(١) قوله: (أي: ما غاب). أشار إلى أن الغيب والشهادة مصدران بمعنى: اسم الفاعل.

(٢) قوله: (بفتح اللام...). قرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح اللام. فهو فعل ماضٍ، والجملة نعت لـ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾، وقرأ الباقون: بسكون اللام، مصدرًا، فيكون بدل اشتمال من ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾، والمعنى: أحسن خلقَ كل شيء.

(٣) قوله: (علقة). تقدم في سورة المؤمنون تفسيرها، بأنها من سللت الشيء، ولكن ذكر هناك ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾، وهنا ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٨﴾﴾. وفسره ابن عباس: «صفو الماء»، وقال قتادة: «والسلالة هي الماء المهين الضعيف».اهـ. ولم أجد من فسرها بالعلقة. و﴿مِن﴾ في ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ ابتدائية، وفي ﴿مِّن طِينٖ﴾ الجار والمجرور نعت لـ﴿سُلَٰلَةٖ﴾.

﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾﴾، «مَّا» زائدة مؤكدة للقلة.

﴿١٠﴾- ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ غِبنا[١] فيها بأن صرنا ترابًا مختلطًا بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ﴾ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين[٢] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿١١﴾- ﴿۞ قُلۡ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾[٣] أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ أحياءً، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿١٢﴾- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[٤] الكافرون ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾

---

(١) قوله: (غبنا). بكسر الغين من: غاب، يغيب. قال القرطبي: «أصله من قول العرب: ضل الماء في اللبن إذا ذهب».

(٢) قوله: (بتحقيق الهمزتين...). كما في نظائره. قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر، وقالون: بتسهيل الثانية مع إدخال ألف. وابن كثير، وورش، ورويس: بالتسهيل مع عدم الإدخال. وهشام: بالتحقيق مع الإدخال. والباقون: بالتحقيق بلا إدخال. فهذه أربع قراءات. وهناك قراءة خامسة: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ إِنَّا﴾ بحذف همزة الاستفهام من الموضع الثاني. قرأه نافع، والكسائي، ويعقوب. فالمراد بالباقين: غير هؤلاء، والمذكور في كلام المفسر أربع قراءات.

(٣) ﴿مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ﴾. قال القرطبي: «اسمه عزرائيل، معناه: عبد الله، وقد أُسنِدَ التوفي إلى الله سبحانه في ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، وإلى الملك هٰهنا، وإلى الملائكة في آية أخرى ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، فملك الموت يقبض والأعوان يعالجون والله تعالى يزهق الروح، هذا هو الجمع بين الآي والأحاديث».اهـ. القرطبي اختصارًا.

(٤) ﴿إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾. ﴿إِذِ﴾: مبني على السكون في محل نصب ظرف، وهو مضاف، =

مطأطئوها حياءً يقولون[١] ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ الآن فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب «لو»: لرأيت أمرًا فظيعًا.

١٣- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها[٢] ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾، وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها:

١٤- ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ تركناكم في العذاب[٣] ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ من الكفر والتكذيب.

= والجملة الاسمية ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ﴾ في محل جر مضاف إليه، و﴿إِذِ﴾ للماضي في الأصل فههنا نزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق الوقوع، والله أعلم.

(١) قوله: (يقولون). أفاد أن جملة ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف.

(٢) قوله: (باختيار منها). أي: من كل نفس، والمراد: لو كان الله كتب الإيمان على كل نفس لاختاروا الإيمان؛ لأنه كان أمرًا محتمًا عليهم، ولكن لم يكتب كذلك، ولم يجبرهم على الإيمان، وإنما هداهم الله تعالى إلى الإيمان والطاعة على طريق الاختبار حتى يصح التكليف، فمن شاء آمن وأطاع اختيارًا لا جبرًا. كما يعلم من القرطبي، خلافًا للجبرية والقدرية، وفي القرطبي هنا كلام نفيس في هذا الموضوع، والآية من دلائل أهل السنة والجماعة على قولهم بأن الإيمان والكفر والخير والشر كلها مقدرة، فمذهبهم بين مذهبي الجبر والقدر. كما هو معلوم في علم أصول الدين.

(٣) قوله: (تركناهم). وبه فسر ابن جرير وغيره. وأشار المفسر بذلك إلى أن النسيان هنا مؤول، وليس بمعنى الذهول، فلا يسند إلى الله تعالى، فهذا من التأويل المقبول، وقد تقدم ذلك في طه.

﴿١٥﴾- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وُعِظُوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ﴾ ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده(١) ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ عن الإيمان والطاعة.

﴿١٦﴾- ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا(٢) ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ يتصدقون.

﴿١٧﴾- ﴿فَلَا تَعْلَمُ(٣) نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ﴾ خُبِّئ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تقر به أعينهم،

---

(١) قوله: (أي: قالوا...). قال ابن جرير، والقرطبي: «أي: سبحوا الله في سجودهم بحمده وخلطوا التسبيح بالحمد، فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده وسبحان ربي الأعلى وبحمده».اهـ. ملخصًا. فالمراد بالسجود هنا: السجود بوضع الجبهة، وهو قول الأكثر فيما قاله القرطبي. وهذه أحد مواضع سجود التلاوة.

(٢) قوله: (لصلاتهم بالليل تهجدًا). أي: فالمراد بتجافي جنوبهم عن المضاجع قيامهم لصلاة الليل، وهذا قول جمهور المفسرين، وعزاه القرطبي إلى مجاهد، والأوزاعي، ومالك بن أنس، وأبي العالية، واختاره ابن جرير، ورواه عن معاذ بن جبل. وقيل: المراد: صلاة العشاء. روي عن الحسن، وعطاء. وقيل: التنفل بين المغرب والعشاء، روي عن أنس، وقتادة. وقيل: صلاة العشاء والفجر في جماعة. روي عن عبادة، وأبي الدرداء.

تنبيه: «قيام الليل»: اسم جامع لكل نافلة في الليل، وهي أقسام: فمنها: الوتر، أقلها ركعة وأكثرها أحد عشرة. ومنها التراويح، صلاة خاصة برمضان، عشرون ركعة تسمى قيام رمضان، ومنها: التهجد، وهي الصلاة بعد نوم، ومنها: النافلة المطلقة، ولكل منها أحكام ونيات، ذكرت في كتب الفقه، وقد ذكرنا ثمانية فروق بين الوتر والتراويح في تعليق على «النظم الجلي في الفقه الحنبلي». وجعلناها في نظم خاصّ.

(٣) ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾. الفاء إما عاطفة على جملة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ أو الفاء الفصيحة.

وفي قراءة[١]: بسكون الياء، مضارع ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾.

١٨- ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾[٢] أي: المؤمنون والفاسقون.

١٩- ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا﴾ هو ما يعد للضيف[٣] ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾.

٢٠- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾.

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض[٤] ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ إلى الإيمان.

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، ويعقوب: بسكون الياء: ﴿أُخۡفِي﴾، فهي صيغة المضارع للمتكلم. والباقون: بفتح الياء: ﴿أُخۡفِيَ﴾: صيغة الماضي المبني للمفعول. ونائب الفاعل: الضمير المستتر فيه. وعلى صيغة المضارع يكون المفعول به ضميرًا محذوفًا، أي: أخفيه، وهو العائد إلى «ما» الموصولة.

(٢) ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾. ذكر الأصوليون أن نفي المساواة يفيد العموم، أي: عدم المساواة في شيء مما يمكن الاشتراك فيه، فيكون مما يستدل به على انتفاء قصاص المسلم بالكافر. ونبهنا على ذلك في كتاب «القلائد الجلية في القواعد الأصولية».

(٣) قوله: (وهو ما يعد...). كما تقدم في آل عمران، وهو هنا منصوب على الحالية.

(٤) قوله: (بالقتل...). روي في تفسير العذاب الأدنى أقوال. فعن ابن عباس وغيره: «مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها»، وعن عبدالله بن مسعود، ومجاهد وغيرهما: «القتل بالسيف»، وعن إبراهيم النخعي: «سنون أصابتهم»، والمفسر جمع بين هذه الأقوال، وهكذا اختاره ابن جرير. وعن مجاهد أيضًا: «هو عذاب القبر»، أما العذاب الأكبر فهو عذاب الآخرة بلا خلاف.

﴿٢٢﴾- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي: لا أحد أظلم منه[١] ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء[٢] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: موسى أو الكتاب[٣] ﴿هُدًى﴾ هاديًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿٢٤﴾- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين[٤] وإبدال الثانية ياء، قادة[٥] ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم، وفي قراءة[٦]: بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿٢٥﴾- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من أمر الدين.

---

(١) قوله: (أي: لا أحد). أفاد أن الاستفهام في ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ للإنكار.

(٢) قوله: (وقد التقيا). أي: النبي محمد وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، كما ثبت في أحاديث الإسراء والتي تواترت معنًى. وهذا التفسير ذكره ابن جرير، وهو مروي عن ابن عباس، وقتادة. وقيل المعنى: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول، روي عن مجاهد، والزجاج.

(٣) قوله: (أي: موسى أو الكتاب). احتمالان في مرجع الضمير، وهما متلازمان، وفسر ابن جرير بأنه مُوسى، ورواه عن قتادة.

(٤) قوله: (بتحقيق الهمزتين) تقدم في سورة التوبة والقصص، والمذكور هناك: تخفيف الثانية، لا إبدالها، فلعل ذلك هو المراد بقوله: (وإبدال الثانية).

(٥) وقوله: (قادة). جمع قائد. تفسير لـ﴿أَئِمَّةً﴾.

(٦) قوله: (وفي قراءة: بكسر اللام...). أي: ﴿لِمَا صَبَرُوا۟﴾: بلام التعليل والميم المصدرية: هذه قراءة حمزة، والكسائي، ورويس. وقرأ الباقون: ﴿لَمَّا﴾: بفتح اللام مع تشديد الميم.

(٢٦) - ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي: يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرًا[١] ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير «لَهُمْ»، ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾ سماع تدبر واتعاظ.

(٢٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ اليابسة[٢] التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)﴾ هذا، فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم.

(٢٨) - ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم[٣] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨)﴾.

---

(١) قوله: (إهلاكنا كثيرًا). أشار به إلى أن ﴿كَمْ﴾ خبرية، وأن فاعل ﴿يَهْدِ﴾ ما دل عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾. وليست ﴿كَمْ﴾ نفسها فاعلًا. بل هي في محل نصب مفعول مقدم. و﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بيان لها.

(٢) قوله: (اليابسة). قال الزمخشري: «الجرز: الأرض التي جرز نباتها أي قطع، إما لعدم الماء وإما لأنه رُعِي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جُرُز»، وقد تقدمت الكلمة في سورة الكهف، وعن ابن عباس: «أرض باليمن».

(٣) قوله: (بينا وبينكم). عن مجاهد: «الفتح هنا: يوم القيامة، الذي فيه الثواب والعقاب»، ونحوه عن قتادة، قال: «قال أصحاب النبي ﷺ: إن لنا يومًا أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال المشركون: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨)﴾». وعن الفراء، والقتبي: المراد: فتح مكة. واختار ابن جرير الأول، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾، وقد آمن خلق كثير في فتح مكة وبعده.

٢٩- ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٣٠- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بك حادث موت أو قتل، فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم[1].



(١) قوله: (وهذا قبل الأمر). روى عن ابن عباس: «لأن هذه السورة مكية، والجهاد فرض بعد الهجرة»، وقيل: غير منسوخة. ذكره القرطبي.

٣٣- سورة الأحزاب(١)

مدنية(٢)، وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دُم على تقواه(٣) ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا (١)﴾ فيما يخلقه.

(٢)- ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) سورة الأحزاب: سميت بها لذكر غزوة الأحزاب فيه، وهي غزوة الخندق.

(٢) قوله: (مدنية). قال القرطبي: «في قول جميعهم نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ وطعنهم فيه وفي مناكحه ﷺ وغيرها».اهـ.

وقال أيضًا نقلًا عن أبيّ بن كعب: «كانت هذه السورة تعدل سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم»، فرفع الله منها ما يزيد على ما بأيدينا، أي: نسخت منه».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (دُم على تقواه). أفاد به أن المراد بالأمر بالتقوى الأمر بالمداومة عليها؛ لأن الشيء الحاصل لا يطلب تحصيله.

نقل القرطبي عن الواحدي، والماوردي، والثعلبي وغيرهم: «نزلت في شأن أبي سفيان ابن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن سفيان، نزلوا المدينة على عبدالله بن أبيّ رأس المنافقين، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان -زمان الموادعة التي كانت بينه وبينهم- فقالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل: إن لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ، فاستأذن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتلهم، فقال ﷺ: «**إني قد أعطيتهم الأمان**»، فأمر النبي ﷺ بخروجهم من المدينة».اهـ. ملخصًا.

خَبِيرًا ﴿٢﴾، وفي قراءة[١]: «تَعۡمَلُونَ» بالفوقانية.

﴿٣﴾- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾﴾ حافظًا لك[٢]، وأمته تبع له في ذلك كله.

﴿٤﴾- ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ ردًّا على من قال من الكفار[٣]: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء[٤] ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء، وبها[٥]. والتاء الثانية في

---

(١) قوله: (وفي قراءة: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾). قرأ أبو عمرو: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء. وعليه جرى المفسر. وقرأ الباقون: ﴿تَعۡمَلُونَ﴾: بالتاء بصيغة الخطاب.

(٢) قوله: (حافظًا). وبه فسر القرطبي، وبمثله ابن جرير.

والباء في ﴿بِٱللَّهِ﴾ مؤكدة زائدة إعرابًا. واسم الجلالة فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾، و﴿وَكِيلٗا ﴿٣﴾﴾: تمييز منصوب.

(٣) قوله: (ردًّا). أي: نزلت هذه الآية ردًّا على من قال... وهذا القول مرويّ عن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، قال قتادة: «إن رجلًا من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكذب».اهـ. وعن الواحدي، والقشيري وغيرهما: «هو جميل بن معمر الفهري، وكان رجلًا حافظًا لما يسمع، فقالت قريش ما يحفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان».اهـ.

وعن ابن عباس: «قام رسول الله ﷺ يصلي فخطر خطرة -أي: سها سهوة- فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين قلبًا معكم وقلبًا معهم؛ فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ...﴾ الآية». رواه ابن جرير.

وعن الزهري: «هذا مثل ضربه الله لزيد بن حارثة، أي: ليس ابنُ رجلٍ آخر ابنًا لك».

(٤) قوله: (بهمزة...). قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بإثبات الياء: ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾. وغيرهم بحذف الياء. مع تفصيل في تسهيل الهمزة وقلبها ياءً مذكور في كتب القراءات. و«اللائي» و«اللاء» كلاهما معروفان في اللغة.

(٥) وقوله: (بلا ألف). في هذه الكلمة أربع قراءات: =

الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنۡهُنَّ﴾ يقول الواحد لزوجته: «أنت علي كظهر أمي» ﴿أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾[1] أي: كالأمهات في تحريمها بذلك، المعد في الجاهلية طلاقًا، وإنما تجب به الكفارة بشرطه، كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ﴾ جمع دعيّ[2]، وهو من يُدْعى لغير أبيه ابنًا له ﴿أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾ أي: اليهود والمنافقين، لما قالوا: تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا : تزوج محمد امرأة

١- ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾: بتشديد الظاء، أصله: تتظهرون: قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب.

٢- ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾: بتشديد الظاء مع ألف بعدها، أصلها: تتظاهرون: قراءة ابن عامر.

٣- ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾: بضم التاء: مضارع: ظاهر: قراءة عاصم.

٤- ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾: بفتح التاء، أصله: تتظاهرون: حذفت إحدى التاءين: قراءة الباقين. والمعنى واحد.

والظهار: قول الرجل لزوجته: أنت كظهر أمي، كان طلاقًا في الجاهلية، فأبطله الإسلام، كما سيأتي في سورة المجادلة. إن شاء الله.

(١) و﴿أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ بكسر التاء. خبر «ما» النافية. وهي عاملة عمل ليس عند الحجازيين بشروط، ولذا تسمى «ما» الحجازية. وهذه من شواهد إعمالها.

(٢) قوله: (جمع دعيّ). قال القرطبي: «أجمع أهل التفسير على أن هذا ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ ...﴾ في زيد بن حارثة، وكان مسبيًّا من شام سبته خيل من تهامة فابتاعه حكيم بن حزام، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ، فأعتقته وتبنّاه، وكان يُقال: زيد بن محمد، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ...﴾».اهـ. ملخصًا. وقتل زيد بن حارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في غزوة مؤتة، وقصة زواج النبي ﷺ بزينب ستذكر في هذه السورة الآية (٣٦).

ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ سبيل الحق.

﴿٥﴾-[1] لكن ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ بنو عمكم[2] ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا﴾[3] ﴿تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه هو بعد النهي[4] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ بكم في ذلك.

﴿٦﴾- ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه[5] ودعتهم أنفسهم=

---

(١) قال القرطبي: «نزلت في زيد بن حارثة» -على ما تقدم-. وقال ما حاصله: «كان التبنِّي معمولًا به في الجاهلية والإسلام يتوارث به ويتناصر، إلى أن نسخ الله ذلك بقوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ...﴾، فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه، وأرشد إلى أن الأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه، وهو من نسخ السنة بالكتاب».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (بنو عمكم). الموالي: جمع مولىً. ويطلق على عشرة معانٍ، ذكرنا بعضها في آخر سورة البقرة، وما ذكره المفسر أحد المعاني، ومن معانيها: العتيق، وبه فسر ابن جرير. وفي «الصحيح»: قوله ﷺ لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**». في قصة اختصام عليّ، وزيد، وجعفر في ابنة حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) قوله: (﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا﴾) قدر حرف الجر؛ لإفادة أنّ ﴿مَّا﴾ معطوفة على ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم﴾. والعاطف: الواو في ﴿وَلَٰكِن﴾ وليس حرف «لكن» لوجود الواو معها، فهي حرف استدراك، ومن شروط كون «لكن» حرفَ عطف، خلوُّها من الواو.

(٤) قوله: (وهو بعد النهي...). أي: العمد هو ما كان بعد ورود النهي في ذلك، وبمثله روي عن مجاهد، قال: «فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره».اهـ.

(٥) قوله: (فيما دعاهم...). أي: يجب على المؤمن اتباع النبي ﷺ وإن خالف في ذلك هواه،=

إلى خلافه ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ في حرمة إنكاحهن عليهم[١] ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ ذوو القرابات[٢] ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ[٣] ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ بوصية[٤]، فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ وأريد بـ«ٱلۡكِتَٰبِ» في الموضعين اللوح المحفوظ[٥].

= وهذا المعنى قريب مما ذكره ابن عطية نقلًا عن بعض العلماء؛ لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، وهو يدعوهم إلى الجنة، قال: «ويؤيد هذا قوله ﷺ: «**وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه...**»»، الحديث طرف من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، فأيما مؤمن ترك مالًا فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني فأنا مولاه**».اهـ.

(١) قوله: (في حرمة إنكاحهن). أي: والاحترام والتوقير، ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا تنتشر الحرمة إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، ذكره ابن كثير، وكذا لا توارث، فيكون الكلام من التشبيه البليغ.

(٢) قوله: (ذوو القرابات). أشار المفسر إلى أن المراد بأولي الأرحام هنا المعنى اللغوي، أي: القرابات. لا المعنى الاصطلاحي الذي عند الفرضيين، وهو: كل قريب ليس بوارث، وفي توريثهم عند عدم الوارث خلاف فقهيّ، مفصل في كتب الفرائض.

(٣) قوله: (فنسخ). أي: بهذه الآية نسخ التوارث بالأخوة بين الأنصار والمهاجرين، فكان المهاجر يرث الأنصاري للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ أول الهجرة.

(٤) قوله: (بوصية). أي: أو إحسانٍ في الحياة، كما روي عن قتادة، والحسن، وعطاء. وأشار بقوله (لكن) أن هذا الاستثناء منقطع.

(٥) وقوله: (اللوح المحفوظ). قال القرطبي: «أو القرآن».اهـ. ملخصًا.

٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم[١]، كالذر جمع ذرة، وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة[٢] من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧﴾ شديدًا بالوفاء بما حملوه، وهو اليمين بالله تعالى[٣]، ثم أخذ الميثاق[٤]:

٨- ﴿لِّيَسۡـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتًا[٥] للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالى ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمٗا ٨﴾ مؤلمًا، وهو

---

(١) قوله: (حين أخرجوا...). أي: المراد بهذا الميثاق هو ما أخذ منهم حين أخرجهم في صورة الذر من صلب آدم، وتقدم ذكر ذلك في سورة الأعراف، وهذا القول رواه ابن كثير عن أبي بن كعب، وروي ذلك عن مجاهد أيضًا، واختار ابن كثير: أن هذا الميثاق هو الذي أخذ عليهم بعد إرسالهم كما في آل عمران (٨١): ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ...﴾ الآية. وكما في سورة الشورى (١٣): ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ...﴾ الآية.

(٢) قوله: (وذكر الخمسة). أي: هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم، قاله ابن كثير. وقال القرطبي: «وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلًا لهم، وقيل: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب».اهـ. قال ابن كثير: «فبدأ هنا بالخاتم -يعني النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾- لشرفه ﷺ ثم رتبهم بحسب وجودهم، صلوات الله وسلامه عليهم». وأشرتُ إلى ذلك في «لوامع الدرر من خصائص سيد البشر:

وقَدَّمَــه ذِكْـرًا لَدَى عَـدِّ رُسْلِــهِ ... كَما جَاءَ في «الأحزابِ» فانظُرْهُ إذْ تُلِي

(٣) قوله: (وهو اليمين بالله تعالى). قال القرطبي: «فالميثاق الثاني توكيد للميثاق الأول باليمين. وقيل: الأول: الإقرار بالله. والثاني: في أمر النبوة.اهـ.

(٤) قوله: (ثم أخذ الميثاق). دخول إلى الآية التالية.

(٥) قوله: (في تبليغ الرسالة). أي: فالمعنى: ليسأل الأنبياء عن تبليغهم الرسالة إلى قومهم، أو ليسأل الأنبياء عما أجاب به قومهم. ذكرهما القرطبي نقلًا ووجهين آخرين.

عطف على: «أَخَذْنَا»[١].

﴿٩﴾- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾[٢] من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء[٣]: من حفر الخندق، وبالياء: «يَعْمَلُونَ»: من

---

(١) قوله: (هو عطف)، أي: قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ﴾ عطف على ﴿أَخَذْنَا﴾.

(٢) من هنا يقص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا عن غزوة الأحزاب، وهي غزوة الخندق وما حدث من موقف المنافقين واليهود وغزوة بني قريظة. وهذه القصة مفصلة في كتب السير والتواريخ وكتب التفسير. وملخصها: أن نفرًا من يهود المدينة أتوا مكة وحثّوا قريشًا على حرب رسول الله ﷺ، فوافقتهم قريش ثم ذهب النفر إلى غطفان -قبل نجد- فدعوهم إلى مثل ذلك، فاجتمعت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان يقودهم عيينة بن حصن، فأحاطوا بالمدينة، ولحق بهم يهود المدينة ناقضين العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأصبح المسلمون في رعب شديد، وكان سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أشار لحفر الخندق، فوافق رسول الله ﷺ على ذلك فحفروا الخندق، وهم في مجاعة شديدة، ووقعت في ذلك آيات باهرات، وأظهر المنافقون كثيرًا مما كانوا يخفون، وعسكر المسلمون عند جبل سلع، وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون بضعًا وعشرين يومًا، ولم يقع بينهم قتال إلا الرمي بالنبل والحصار، حتى أرسل الله عليهم ريحًا شديدة باردة شتّتت المشركين وفرقتهم، فرجعوا خائبين، وبعد ذلك وقعت غزوة بني قريظة، وهم إحدى قبائل يهود المدينة، لما غدروا بالعهد، ووقفوا مع المشركين، حاصرهم المسلمون أيامًا، حتى حكَّموا سعد بن معاذ، فحكَمَ بقتل المقاتلة منهم وسبي الأولاد والنساء، فنفذ هذا الحكم، وأعز الله الإسلام وكان ذلك، أي غزوة الخندق وغزوة بني قريظة في السنة الخامسة الهجرية، وقيل: السنة الرابعة.

(٣) قوله: (بالتاء...). قرأ أبو عمرو: بالياء. والباقون: بالتاء. والخطاب للمؤمنين، وضمير الغائب على قراءة أبي عمرو راجع إلى المشركين، كما ذكره المفسر.

تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا ۝٩﴾.

١٠- ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله[١] من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[٢] جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ المختلفة بالنصر واليأس.

١١- ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبيَّن المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ حرّكوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ من شدة الفزع.

١٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٣] ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بالنصر[٤] ﴿إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ باطلًا.

---

(١) قوله: (من أعلى الوادي...). روى ابن جرير عن يزيد بن رومان: «فالذين جاؤوهم من فوقهم قريظة، والذين جاؤوا من أسفل منهم: قريش وغطفان».

(٢) ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾. قال الزمخشري: «قالوا: إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغمّ الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ويجوز أن يكون ذلك مثلًا في اضطراب القلب».اهـ. باختصار، يعني: أن بلوغ القلوب الحناجر إما حقيقة وإما كناية عن شدة الفزع.

(٣) من هذه الآية يذكر الله تعالى بعض مواقف المنافقين السيئة في تلك الأحوال الحرجة.

(٤) قوله: (بالنصر). متعلق بـ﴿وَعَدَنَا﴾. روى ابن جرير عن قتادة: «قال ذلك أناس من المنافقين: كان محمد يَعِدنا فتح فارس والروم، وقد حُصرنا هٰهنا، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا».اهـ.

وفي روايته عن يزيد بن رومان: «قاله معتَّب بن قشير»، وفيما روى ابن جرير عن عمرو بن عوف المزنيّ: «أنه بدا لهم صخرة بيضاء في الخندق ولم يستطيعوا كسرها، فجاء =

(١٣)- ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: المنافقين(١) ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة(٢)، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها(٣)، أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع(٤)، جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ(٥) مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾

= النبي ﷺ وأخذ المعول وسمى الله وضربها ثلاث ضربات، في كل ضربة تتكسر، فيخرج برق كالموج، ظهر له في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى، وفي الثاني قصور الحمر من أرض الروم، وفي الثالثة قصور صنعاء، وأخبره جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن أمته ظاهرة عليها كلها، فبشر النبي ﷺ أصحابه فاستبشر المسلمون، وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى...، وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ ...».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (أي: المنافقين). روى ابن جرير عن يزيد بن رومان أنهم: «أوس بن قيظي، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه».

(٢) قوله: (هي أرض المدينة). أي: يثرب كان اسم المدينة سميت بها؛ لأن الذي نزل بها من العمالق اسمه يثرب بن عميل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ من إرم. نقله القرطبي. وسماها رسول الله ﷺ بطابة وطيبة، ولها عدة أسماء. قال ابن حجر الهيتمي في شرحه لـ«إيضاح المناسك» للنووي: «يكره التسمية بيثرب؛ لأن التثريب الملامة والحزن، ولأن النبي ﷺ غير هذا الاسم».

(٣) قوله: (بضم الميم...). قرأ حفص: بضم الميم. والباقون: بفتحها. وهما إما مصدر ميميّ أو ظرف. الضم: ظرف أقام، والفتح: ظرف قام.

(٤) قوله: (إلى سلع). اسم جبل قريب من المسجد النبوي بنحو أربع كيلو. مقر المسلمين في الخندق، وكان هناك المساجد السبعة، وقد أزيلت بعضها وبني هناك مسجد كبير.

(٥) ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ﴾. روى ابن جرير عن ابن عباس: «هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخيلة تخشى عليها السرق».اهـ.

في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة، يُخشى عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ من القتال.

﴿١٤﴾- ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الشرك[(١)] ﴿لَآتَوْهَا﴾ بالمد والقصر[(٢)]، أي: أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿١٥﴾- ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ[(٣)] مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾ عن الوفاء به.

﴿١٦﴾- ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم[(٤)] ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم[(٥)] ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ بقية آجالكم.

---

(١) قوله: (الشرك). فسر بذلك ابن جرير، ورواه عن قتادة. و﴿الْفِتْنَةَ﴾: مفعول ثان لـ﴿سُئِلُوا﴾.

(٢) قوله: (بالمد والقصر). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: بالقصر: ﴿لَأَتَوْهَا﴾، أي: جاؤوها وفعلوها. والباقون: بالمد: ﴿لَآتَوْهَا﴾، أي: أعطوها. كما قال المفسر.

(٣) ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا...﴾. روى ابن جرير عن يزيد بن رومان: «هم بنو حارثة هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم».اهـ. وعن قتادة: «كان ناس غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلن...». وهذا تفسير آخر في المراد بهذه الآية.

(٤) قوله: (إن فررتم). أشار إلى أن التنوين في ﴿إِذًا﴾ تنوين عوض عن جملة. وعلى هذا تكون ﴿إِذًا﴾ في محل نصب ظرفًا، ويحتمل كونها حرف جوابٍ مهملًا، فليس لها محل من الإعراب، والله أعلم.

(٥) قوله: (في الدنيا...). كما قال قتادة: «وإنما الدنيا كلها قليل»، والمراد أن الفرار لا يزيد في أعمارهم، كما يعلم من ابن جرير.

١٧- ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء[1] إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيرًا ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ١٧﴾ يدفع الضر عنهم.

١٨- ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين[2] ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالَوا ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ رياء وسمعة.

١٩- ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة[3]، جمع شحيح، وهو حال من ضمير «يَأْتُونَ»، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى﴾ كنظر أو كدوران الذي[4] ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحِيزَت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي:

---

(١) قوله: (يصيبكم...). أشار بالتقدير إلى أن «أو» لعطف جملة مقدرة على الجملة الواقعة صلة الموصول، و﴿مَن ذَا﴾: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. و﴿ٱلَّذِى﴾: خبر المبتدأ. وفسر الرحمة بالخير؛ لأن المراد هنا الرحمة المتجاوزة لا الصفة القائمة في ذاته تعالى. وذلك واضح.

(٢) قوله: (المثبطين). أي: الصادين. وهذه الآية في المنافقين، على قول قتادة: «قالوا للمسلمين: ما محمد وأصحابه إلا أكلَة رأس، فتعالوا إلينا».اهـ. باختصار. وقوله: (أكلَة رأس) جمع آكل، كناية عن القلة، أي: بحيث يكفيهم رأس واحد لقلتهم. وقيل: هم اليهود، قالو ذلك لإخوانهم من المنافقين. نقله القرطبي. وقيل: غير ذلك.

(٣) قوله: (بالمعاونة). أي: بخلاء عليكم بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله. قاله مجاهد، وقتادة.

(٤) قوله: (كنظر أو ...). أفاد به تقدير مضاف، وفي هذا وصف لهم بالجبن. كما قاله القرطبي.

الغنيمة يطلبونها[(١)] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ حقيقة ﴿فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩﴾ بإرادته.

٢٠- ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ كَرَّةً أخرى ﴿يَوَدُّواْ﴾ يتمنوا ﴿لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ﴾[(٢)] أي: كائنون في البادية ﴿يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم﴾ هذه الكرة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠﴾ رياء وخوفًا من التعيير.

٢١- ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسۡوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها[(٣)] ﴿حَسَنَةٞ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من «لَكُمۡ»، ﴿كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ بخلاف من ليس كذلك.

٢٢- ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء

---

(١) قوله: (يطلبونها). قال قتادة: «أي: بسطوا لسانهم فيكم وقت قسمة الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا»، وعن ابن عباس، وابن زيد: «أي: كلموكم وآذوكم باللسان»، وعلى كل حال هذه صفة ذم.

و«سلَق» من باب: ضَرَب، وقيل: من باب «قتل» أيضًا. سلَق باللسان: آذى، وسلق البقل أو البيض: أغلاه بالنار. كما يعلم من كتب اللغة، ومنه البيض المسلوق، أي: المغلي في الماء.

(٢) ﴿لَوۡ﴾. هنا مصدرية، و«أن» ومعمولاها في تأويل مصدر فاعل فعل محذوف، والتقدير: لو ثبت أنهم. و«لو» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لـ﴿يَوَدُّواْ﴾، أي: يودوا ثبوتهم في البادية، والأعراب اسم جنس جمعي واحده: أعرابي، وهم سكان البادية.

(٣) قوله: (بكسر الهمزة...). قرأ عاصم: بضم الهمزة. والباقون: بكسرها. ومعناهما واحد. أي: قدوة. وهذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال، ذكره ابن جرير وغيره.

والنصر[١] ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ تصديقًا بوعد الله ﴿وَتَسۡلِيمًا ٢٢﴾ لأمره.

٢٣- ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ مات أو قُتِل في سبيل الله[٢] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين.

٢٤- ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٗا ٢٤﴾ به.

٢٥- ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: الأحزاب[٣] ﴿بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾

---

(١) قوله: (من الابتلاء...). قال قتادة ما حاصله: «كان الله وعدهم في سورة البقرة: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ...أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ...﴾ الآية».اهـ.

(٢) قوله: (مات أو قُتِل في سبيل الله). ﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾: أي: فرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه على نفسه، فاستشهد، قاله ابن جرير. وقال أيضًا: «النحب: النذر، ويطلق على الموت أيضًا».اهـ. ملخصًا. ولذا فسر مجاهد: «﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾: عهده فقتل أو عاش»، وفي رواية: «﴿قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾: مات على العهد».اهـ. ابن جرير.

(٣) قوله: (أي: الأحزاب). وهم قريش، وغطفان، ومن اجتمع معهم. كما قال يزيد بن رومان: «أي: قريش وغطفان»، وعن محمد بن عمرو يرفعه إلى عائشة: «هٰهنا أبو سفيان وعيينة بن بدر، رجع أبو سفيان إلى تهامة، ورجع عيينة إلى نجد».اهـ.

مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة[١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ غالبًا على أمره.

﴿٢٦﴾ - ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: قريظة[٢] ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، جمع صِيصِيَة وهو ما يتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم، وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ منهم، أي: الذراري.

---

(١) قوله: (بالريح والملائكة). قال ابن كثير: «ولولا أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح أشد عليهم من الريح العقيم التي أرسلها على عاد، ولكن قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]».اهـ. وهذه الآية بيان لنهاية أمر غزوة الأحزاب، أي: لم تحصل معركة بينهم حتى أذل الله الأحزاب ومزقهم وفرقهم، واستشهد أيام الخندق ستة من الصحابة، فيما نقله القرطبي عن أهل السير، وأصيب سعد بن معاذ بسهم، وكان ذلك سبب وفاته.

(٢) قوله: (أي: قريظة). هذه الآيات في غزوة بني قريظة، وهم من يهود المدينة، كانوا على عهد مع رسول الله، فنقضوا العهد ولحقوا الأحزاب في ذلك الموقف العظيم. فلما تفرق الأحزاب ورجع المسلمون إلى بيوتهم أتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال للنبي ﷺ: «إن كنتم وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بني قريظة»، فخرج النبي ﷺ والمسلمون نحو حصونهم وحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة، فرضي اليهود بحكم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاءهم، فحكم سعد بأن يقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم، فقال ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع أرقعة**»، فحفرت خنادق بجهة المدينة، ونفذ الحكم، ولله الحمد. وكانوا ما بين ستمائة وسبعمائة.اهـ. ملخصًا من القرطبي.

فقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بيان لـ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾، والضمير «هم» راجع إلى الأحزاب، و﴿مِن﴾ في ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: ابتدائية متعلقة بـ﴿وَأَنزَلَ﴾.

﴿٢٧﴾- ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعد، وهي خيبر[1] أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿٢٨﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾[2] وهن تسع[3]، وطلبن منه من زينة الدنيا

---

(١) قوله: (وهي خيبر). تفسير للأرض التي لم يطؤوها والتي وعدها الله إياهم، وهذا القول مروي عن يزيد بن رومان، وابن زيد، وقال الحسن: «الروم وفارس»، وقال قتادة: «مكة»، واختار ابن جرير عموم ذلك كله؛ لأنها كلها كانت غير موطوءة للمسلمين يومئذ.

(٢) هذه آية التخيير، أمر الله بها نبيه ﷺ أن يخير نساءه بين أن يفارقنه ويطلبن سعة العيش وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، كما قال ابن كثير. وقد روى البخاري وغيره القصة مفصلة، وكان اعتزلهن تسعًا وعشرين يومًا لما سألنه شيئًا من سعة العيش، ثم نزلت الآية، فخيرهن، وبدأ بعائشة، فاختارت الله ورسوله، وكذلك كل نسائه، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.اهـ. ملخصًا من ابن كثير، والقرطبي، وغيرهما.

(٣) قوله: (وهن تسع). وهن:

١- سودة بنت زمعة.

٢- عائشة بنت أبي بكر الصديق.

٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب.

٤- أم سلمة هند بنت أبي أمية.

٥- زينب بنت جحش.

٦- جويرية بنت الحارث.

٧- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان.

٨- صفية بنت حيي بن أخطب.

٩- ميمونة بنت الحارث، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ جميعًا، وكانت توفيت في حياته ﷺ زوجتان: خديجة بنت خويلد، وزينب أم المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ما ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي متعة الطلاق[١] ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ أطلقكن[٢] من غير ضرار.

﴿٢٩﴾ - ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: الجنة، فاخترن الآخرة على الدنيا.

﴿٣٠﴾ - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها[٣]، أي: بيّنت أو هي بيّنة ﴿يُضَٰعَفْ﴾، وفي قراءة[٤]: «يُضَعَّفْ» بالتشديد، وفي أخرى: «نُضَعِّفْ» بالنون معه ونصب «ٱلْعَذَابَ»، ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه[٥] ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.



---

(١) قوله: (متعة الطلاق). هي ما تعطى المطلقة عند الطلاق، تقدمت في سورة البقرة.

(٢) قوله: (أطلقكن). من هذا أخذت الشافعية أن لفظ «السَّراح» من الألفاظ الصريحة للطلاق، كلفظ الطلاق والفراق.

(٣) قوله: (بفتح الياء...). قرأ ابن كثير، وشعبة: بفتح الياء، بصيغة اسم المفعول. والباقون: بكسرها، بصيغة اسم الفاعل. ومعناهما فسره المفسر بقوله: (بيّنت) هذا معنى اسم المفعول، وقوله: (أو هي بينة). هذا معنى صيغة اسم الفاعل.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وابن عامر: بالنون، وصيغة الفاعل مع تشديد العين: ﴿نُضَعِّفْ﴾ ونصب ﴿ٱلْعَذَابَ﴾. وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: ﴿يُضَعَّفْ﴾: بالياء وصيغة المفعول ورفع ﴿ٱلْعَذَابُ﴾. والباقون: ﴿يُضَٰعَفْ﴾: بصيغة المفعول من باب المفاعلة ورفع ﴿ٱلْعَذَابُ﴾.

(٥) قوله: (مثليه). أشار به إلى أن الضعفين بمعنى: الضعف، أي: المثلين. وذكر ذلك البيضاوي وغيره.



الجزء (٢٢)

٣١- ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة[2] بالتحتانية في «تَعْمَلْ» و«نُّؤْتِهَآ»، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ في الجنة زيادة[3].

٣٢- ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة[4] ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله

---

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية والآية التي قبلها: «يقول تعالى واعظًا نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقر أمرهن تحت رسول الله ﷺ، فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء: بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وهي النشوز وسوء الخلق»، وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٣٥]، فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظًا...». إلى آخر ما قاله. وذكر القرطبي نحوًا مما قاله، وقال: «وجعل ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن أكثر مما لغيرهن...».اهـ.

و﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبتدأ في محل رفع، و﴿يَقْنُتْ﴾: فعل الشرط وفاعله الضمير المستتر، والجملة خبر المبتدأ، والجواب: ﴿نُّؤْتِهَآ﴾: مجزوم بحذف الياء. و﴿مَرَّتَيْنِ﴾ هنا و﴿ضِعْفَيْنِ﴾ في الآية السابقة: مفعول مطلق.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿وَيَعْمَلْ﴾: بالياء. والباقون: بالتاء. ووجههما واضح، مراعاة لفظ ﴿مَن﴾ ومعناه. كما اتفقوا في ﴿يَقْنُتْ﴾ على الياء مراعاة للفظ ﴿مَن﴾.

(٣) قوله: (في الجنة). كما قال ابن كثير: «أي: في الجنة فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش».اهـ.

(٤) قوله: (كجماعة). فسر به لموافقة المخاطبات، وبذلك فسر البيضاوي، وقال: «أصل أحد: وحد بمعنى: الواحد، ثم وضع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير، والمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل».اهـ.

فإنكن أعظم[١] ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطۡمَعَ[٢] ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ نفاق[٣] ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ من غير خضوع.

٣٣- ﴿وَقَرۡنَ﴾ بكسر القاف وفتحها[٤] ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار[٥]، وأصله: اِقررن بكسر الراء وفتحها من: قررت بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله[٦] ﴿تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: ما قبل الإسلام[٧] من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا

---

(١) قوله: (فإنكن...). قدره ليكون جواب الشرط: ﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾، وعلى هذا تكون جملة ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ﴾ مستأنفة، والفاء للسببية، ويجوز كون هذه الجملة جوابًا للشرط.

(٢) وقوله: ﴿فَيَطۡمَعَ﴾: الفاء هنا سببية، والفعل منصوب بـ«أن» مضمرة وجوبًا لتقدم النهي.

(٣) قوله: (نفاق). روي ذلك عن قتادة، وقال عكرمة: «حب الفاحشة»، قال ابن كثير: «هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك».اهـ.

(٤) قوله: (بكسر القاف). قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: بفتح القاف. والباقون: بكسرها.

(٥) وقوله: (من القرار). أي: قرن أمر مصدره: القرار، وماضيه: قرّ، من باب: سمع وضرب، فكان أصل الأمر: اقْرِرْنَ بفتح الراء الأولى أو كسرها، فحذفت الراء وهمزة الوصل، على غير قياس. وقيل: «قِرن»: أمر من الوقار، نحو: عِدْنَ. ذكره القرطبي.

(٦) قوله: (بترك إحدى التاءين). أي: أصله: تتبرّجن، وهذا الحذف جائز، فهو صيغة المضارع دخل عليه «لا» الناهية، مبني على السكون؛ لوجود نون النسوة.

(٧) قوله: (أي: ما قبل الإسلام). ظاهره: ما بين عيسى ومحمد ﷺ روي عن الشعبي. وعن ابن عباس: «ما بين نوح وإدريس»، وعن الحكم بن عيينة: «ما بين آدم ونوح»، وقيل غير ذلك. واختار ابن جرير: الإطلاق، فيشمل ذلك كله.

ما ظهر منها﴾، ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم يا[١] ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ﷺ[٢] ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

٣٤- ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ بجميع خلقه.

٣٥-[٣] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ

---

(١) قوله: (الإثم). وبنحوه فسر ابن جرير وغيره.

وقوله: (يا). قدره ليفيد أن أهل البيت منصوب على أنه منادى بحذف حرف النداء، ويصح إعرابه بأنه منصوب على المدح.

(٢) وقوله: (نساء النبي ﷺ) أي: المراد بـ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ هنا أزواج النبي ﷺ، كما روي عن ابن عباس، وعكرمة، قال عكرمة: «نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة»، أي: لأن الحديث معهن، واختاره ابن كثير لكن قال: «يدخل غيرهن في الآية تبعًا»، كما اختاره القرطبي.
وقيل: المراد: علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم؛ لما روى الترمذي عن أم سلمة: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فجلل عليهم كساءً خيبريًا فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا**».اهـ. [الترمذي: تفسير سورة الأحزاب]، وروى مسلم نحو ذلك -بسياق قريب- عن عائشة رضي الله عنها [(٢٠٨١)].

وأهل البيت يطلق على أربعة معانٍ، هذه أخصها، والثاني: الأزواج وغيرهم. والثالث: بنو هاشم وبنو المطلب الذين تحرم عليهم الزكاة، والرابع: جميع المؤمنين. هذا في مقام الدعاء.

تنبيه: الآية لا تدل على عصمتهم كما ظنته الشيعة؛ لأن العصمة للأنبياء فقط كما هو مجمع عليه.

(٣) روى ابن جرير عن مجاهد، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله، يُذكر الرجال، ولا نُذكَر! فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...﴾ الآية. ورواه الترمذي وغيره بألفاظٍ متقاربة.

﴿وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ على الطاعات.

﴿٣٦﴾ - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن تَكُونَ﴾ بالتاء والياء[(١)] ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت[(٢)] في عبدالله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما لظنهما قبلُ أنَّ النبي ﷺ خطبها لنفسه ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ بينًا، فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره[(٣)]

---

(١) قوله: (بالتاء والياء). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب: بالتاء. والباقون: بالياء.

(٢) قوله: (نزلت...). ما ذكره المفسر من سبب النزول مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، كانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي وأخوها. رواه ابن جرير. قال ابن كثير: «هذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته...».اهـ.

(٣) قوله: (ثم وقع بصره...). ما ذكره المفسر من أن النبي ﷺ وقع بصره على زينب فاستحسنها إلى آخر ما قاله هذا مروي عن بعض المفسرين، كمقاتل. أورده ابن جرير، والقرطبي. وقال القرطبي: «إن الله كان قد أوحى إلى النبي ﷺ أن زينب ستكون زوجًا له، بعد طلاق زيد، فلما أخبر زيد بأنه يريد طلاقها قال له ﷺ على جهة الأدب والوصية: =

عليها بعدَ حين[١]، فوقع في نفسه حبها، وفي نفس زيد: كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: «**أمسك عليك زوجك**»، كما قال تعالى:

(٣٧)- ﴿ وَإِذْ ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق[٢]، وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية

= ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾، وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها. وهو الذي أخفى في نفسه، وليس الذي أخفى في نفسه هو حبها وزواجها، وكان رسول الله ﷺ يخاف أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد؛ لأن زيدًا كان مولاه، وكان المتبنَّى كالابن الحقيقي في حكم الجاهلية، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من خشية الناس على ما أباحه الله. وقال القرطبي: «قال علماؤنا: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري، وابن العربي وغيرهم، وأما ما روي من أن النبي ﷺ هَوِي امرأة زيد فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ أو مستخف بحرمته».اهـ. ملخصًا.

(١) قوله: (بعد حين). نقل ابن كثير عن مقاتل: «أنها مكثت عند زيد قريبًا من سنة أو فوقها».اهـ.

(٢) قوله: (بالإعتاق). تقدم في تفسير أول هذه السورة قصة زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت وهبته للنبي ﷺ، فأعتقه، وتبنّاه، وعلى هذا يكون في كلام المفسر (اشتراه رسول الله ﷺ) تسامح، وعلى كل حال: المراد بالذي أنعم الله عليه، هنا زيد بن حارثة باتفاق. قال ابن كثير: «وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر، حبيبًا إلى النبي ﷺ ويقال له: الحِبّ، ويقال لابنه أسامة الحِبّ ابن الحِبّ، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمّر عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه» رواه الإمام أحمد.اهـ. قال القرطبي: «كان زيد يسمى زيد بن محمد، حتى نزل: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾، فقال: أنا زيد بن حارثة، فلما نزع عنه هذا الشرف شرفه الله بخصّيصة لم يعطها أحدًا من الصحابة، وذلك أن سماه في القرآن فكان اسمه قرآنًا يُتلى».اهـ. ملخصًا.

اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة، وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره من محبتها[١] وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ في كل شيء، ويُزوِّجُكها، ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة[٢] ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ[٣] بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾[٤] ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ مقضيُّه ﴿مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿٣٨﴾- ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحلّ[٥] ﴿اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي:

---

(١) قوله: (من محبتها...). تقدم ما فيه.

(٢) قوله: (حاجة). الوطر: كل حاجة للمرء له فيها همة، وجمعه: أوطار، وقضاء الوطر بمعنى: الطلاق في قول قتادة، وبمثله فسر ابن كثير، قال: «أي: لما فرغ منها وفارقها زوجناكها».

(٣) قوله: (فدخل عليها النبي ﷺ). وهذا من خصوصيات النبي ﷺ، ومما اختصت به زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ففي «صحيح البخاري» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «إن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات».اهـ. [«فتح الباري» (١٣/ ٤١٥)].

(٤) ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ إشارة إلى فائدة عظيمة من فوائد هذا النكاح العظيم، وهو هدم دأب الجاهلية من اعتبار المتبنى كالابن الحقيقي وتحريم زوجته على من تبناه. وقد هدم الله تعالى هذه القاعدة.

(٥) قوله: (أحل) تفسير ﴿فَرَضَ﴾، وبه فسر ابن جرير، ورواه عن قتادة.

كسنة الله، فنصب بنزع الخافض[١] ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك، توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ مقضيًّا.

﴿٣٩﴾- ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ«ٱلَّذِينَ» قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾[٢] حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسِبَهُم.

﴿٤٠﴾- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ فليس أبا زيد[٣]، أي: والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان[٤] ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾

---

(١) قوله: (فنصب بنزع الخافض). ويصح جعله مفعولًا مطلقًا، كما يشير إلى ذلك كلام القرطبي، قال: «أي: سن لمحمد ﷺ التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية...».اهـ.

(٢) ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾. اسم الجلالة فاعل ﴿وَكَفَىٰ﴾، والباء زائدة للتوكيد، و﴿حَسِيبٗا﴾: تمييز منصوب. كما تقدم مرارًا.

(٣) قوله: (فليس أبا زيد). إشارة إلى سبب نزول الآية، فإنها نزلت في زيد بن حارثة، كما روي عن قتادة، وذكره المفسرون، قال القرطبي: «لما تزوج زينب قال الناس: تزوج امرأة ابنه، فنزلت الآية، أي: ليس هو بابن حتى تحرم عليه حليلته، ولكنه أبو أُمَّتِهِ في التبجيل والتعظيم، وأن نساءه عليهم حرام، فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم».اهـ. وقال أيضًا: «ولم يقصد بهذه الآية أن النبي ﷺ لم يكن له ولد، فقد ولد له ذكور: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر، ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلًا».اهـ. وروى ابن جرير عن قتادة نحوه.

(٤) قوله: (كان) قدره ليفيد أن ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على أنه خبر لـ«كان» المحذوفة، وليس بالعطف بـ﴿وَلَٰكِن﴾، لأن «لكن» تكون للعطف بشروط ثلاثة منها: أن تكون =

فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبيًّا، وفي قراءة[١]: بفتح التاء كآلة الختم، أي: به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ منه بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته.

﴿٤١﴾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[٢].

﴿٤٢﴾- ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أول النهار وآخره[٣].

﴿٤٣﴾- ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم[٤] ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي: يستغفرون

= خالية من الواو، وهاهنا ذكرت الواو، فهذه من عطف الجملة على الجملة. والشرطان الباقيان: كونها داخلة على المفرد لا الجملة، وكونها مسبوقة بالنفي أو شبهه.

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم: بفتح التاء: ﴿وَخَاتَمَ﴾. والباقون: بكسرها: ﴿وَخَاتِمَ﴾. وعلى قراءة الفتح يكون من التشبيه البليغ كما أشار إليه المفسر بقوله: (كآلة الختم) وعلى كلتا القراءتين أفادت الآية أنه لا نبي بعده ﷺ. أما عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فينزل قرب القيامة ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ كما قال المفسر، وثبت ذلك في أحاديث، منها ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بني دارًا فأتمها إلا لبنة واحدة، فجئت أنا فأتممتُ تلك اللبنة**». [(٤/ ١٧٩١)].

(٢) قال ابن جرير: «اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرًا كثيرًا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك».اهـ.

(٣) قوله: (أول النهار...). ظاهر كلام المفسر أن المراد بالتسبيح التسبيح باللسان، كما قال القرطبي: «أي: اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم...»، وفسره ابن جرير بصلاة الصبح والعصر، وروي ذلك عن قتادة.

(٤) قوله: (أي: يرحمكم). تفسير للصلاة من الله، قال القرطبي: «والصلاة من الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه».اهـ. ونقل عن ابن عباس: «لما نزل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال المهاجرون والأنصار: هذا لك يا رسول الله ﷺ خاصة، وليس لنا فيه شيء؛ فأنزل الله هذه الآية...».اهـ.

لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

﴿٤٤﴾- ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى[1] ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ هو الجنة.

﴿٤٥﴾-[2] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة[3] ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ منذرًا من كذبك بالنار.

﴿٤٦﴾- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره[4] ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ أي: مثله في الاهتداء به[5].

﴿٤٧﴾- ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ هو الجنة[6].

---

(١) قوله: (منه تعالى). أفاد أن «تحية» مضافة إلى المفعول، والمعنى: تحية الله تعالى إياهم، وهذا الذي اختاره ابن كثير كقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، وفسر ابن جرير: «تحيتهم فيما بينهم»، فتكون مضافة إلى الفاعل، وروى نحو هذا المعنى عن قتادة، والمراد بـ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يوم القيامة بعد دخول الجنة، قال معناه الزجاج، وقيل: يوم يلقون ملك الموت، روي عن البراء: «أن ملك الموت يسلم على المؤمن عند قبض روحه».اهـ. ملخصًا من القرطبي.

(٢) في هذه الآية تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم، وتضمنت الآية على ستة أسماء النبي ﷺ. كما قاله القرطبي.

(٣) وقوله: (بالجنة). متعلق بـ﴿وَمُبَشِّرًا﴾، وكذا (بالنار) متعلق بـ﴿وَنَذِيرًا﴾.

(٤) قوله: (بأمره). كذا فسره ابن جرير وغيره.

(٥) وقوله: (أي: مثله...). أشار إلى أن السراج المنير هنا من باب التشبيه البليغ.

(٦) قوله: (هو الجنة). أي: كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ

(٤٨) - ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازهم عليه[1] إلى أن تؤمر فيهم بأمرٍ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾ مفوضًا إليه.

(٤٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة[2]: «تُمَاسُّوهُنَّ»، أي: تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها[3] ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي: إن لم يسم لهن أَصْدِقة[4]، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٢٢)﴾ [الشورى: ٢٢]، نبه على ذلك القرطبي.

(١) قوله: (لا تجازهم...). كما قال مجاهد: «أعرض عنهم»، وعن قتادة: «اصبر على أذاهم»، وعلى الأول يكون ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ مضافًا إلى المفعول، أي: لا تجازهم بالأذى، وعلى الثاني يكون مضافًا إلى الفاعل.اهـ.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾: قراءة حمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، وعلى كلتا القراءتين المراد: الجماع، كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٣) وقوله: (بالأقراء...). جمع قرء، وتقدم في سورة البقرة، القرء عند الشافعية الطهر، وعند غيرهم: الحيض.

وقوله: (وغيرها). أي: غير الأقراء مما يعتبر في العدة، وهو ثلاثة أشهر للآيسة والصغيرة، كما فصل ذلك الفقهاء.

(٤) قوله: (أي: إن لم يسمّ...). أشار إلى ما قاله قتادة عن سعيد بن جبير: «ثم نسخ هذا الحرف المتعة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ...﴾ [البقرة: ٢٣٧]»، وقد تقدم هناك ذكر هذه المسألة.

(٥٠)⁽¹⁾- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن⁽²⁾ ﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية⁽³⁾ ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ⁽⁴⁾ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ

---

(١) قال القرطبي وغيره: «لما اختار أزواج النبي ﷺ المقام معه ولو مع ضيق العيش جوزين بأن حرم الله على نبيه أن يتزوج غيرهن، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ...﴾ الآية [٥٢]، ثم نسخ ذلك الحكم بهذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن. روى أحمد، والترمذي، والنسائي، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء.اهـ. نقله ابن كثير.

(٢) قوله: (مهورهن). كانت مهوره ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونصفًا وهي خمسمائة درهم، إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان، فإنه أمهرها عنه النجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أربعمائة دينارٍ، وإلا صفية بنت حيي فإنها من سبي خيبر فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وكذا جويرية بنت الحارث أدى عنها كتابتها إلى ثابت بن قيس وتزوجها.اهـ. ذكره ابن كثير.

(٣) قوله: (كصفية وجويرية). هذا نوع آخر مما أباح له ﷺ، وهو من سباها من المغانم، فصفية من سبي خيبر، وجويرية من بني المصطلق، فأعتقهما، وكان ذلك صداقهما.

(٤) قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ هذا مما أحل الله له ولأمته، ولكن لم يتزوج النبي ﷺ أحدًا من بنات عمه أو عماته أو خاله أو خالاته. قال ابن كثير: «هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط، فالنصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدًا، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته؛ فجاءت هذه الشريعة المطهرة وسطًا بينهما».اهـ. ملخصًا.

فائدة: ذكر الخال والعم بلفظ المفرد، وجمع الخالات والعمات، قال ابن كثير: «لشرف الذكورة ونقصان الإناث، وكقوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ =

﴿مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن(١) ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾(٢) ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة(٣)، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ

= [البقرة: ٢٥٧]، وله نظائر كثيرة، وقال القرطبي: «الخال والعم: اسم جنس بخلاف العمة والخالة».اهـ. فهذا توجيه آخر.

(١) قوله: (بخلاف من لم يهاجرن). أفاد به أن النعت ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ له مفهوم، فلا يحل له غير المهاجرة، كما صرح بذلك ابن جرير. وروى عن أم هانئ قالت: «خطبني النبي ﷺ، فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ ...﴾ إلى قوله ﴿...ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ...﴾، قالت: فلم أحل له، لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء».اهـ. وقيل: المراد: باللاتي هاجرن: المؤمنات. ذكره القرطبي.

(٢) ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً﴾. هذا قسم رابع، مختص بالنبي ﷺ دون أمته، امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﷺ وقبِلَها، فهي زوج للنبي ﷺ، فذكر فيه ثلاثة شروط: كونها مؤمنة، وأن تهب نفسها، وقبولها من الرسول ﷺ، واختلف هل كان مع النبي ﷺ من وهبت نفسها؟ قال ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله ﷺ من وهبت نفسها».اهـ. رواه ابن جرير. وعن ابن عباس رواية: «أنها كانت ميمونة بنت الحارث»، وعن عروة: «هي خولة بنت حكيم»، وقيل: زينب بنت خزيمة أم المساكين، امرأة من الأنصار. ذكر الأقوال ابن جرير.

(٣) قوله: (بأن لا يزيدوا...). كما قال أُبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وابن جرير: «أي: من حصرهم في أربع نسوة حرائر، وما شاؤوا من الإماء، واشتراط الوليّ والمهر والشهود عليهم».اهـ. ابن كثير.

قبل الوطء ﴿لِكَيۡلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك[(١)] ﴿يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمٗا ٥٠﴾ بالتوسعة في ذلك.

٥١- ﴿۞ تُرۡجِئُ﴾ بالهمزة والياء بدله[(٢)]، تؤخر[(٣)] ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أي: أزواجك عن نوبتها[(٤)] ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ تضم ﴿إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ في طلبها وضمها إليك خُيِّر في ذلك، بعد أن كان القسم واجبًا عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ ما ذكر المخير فيه[(٥)] ﴿كُلُّهُنَّۚ﴾

---

(١) قوله: (متعلق بما قبل ذلك). أي: بـ﴿خَالِصَةٗ﴾، ويحتمل كونه متعلقًا بـ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾، كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن»، وقال القرطبي: «متعلق بـ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾».

(٢) قوله: (بالهمزة...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب: بالهمزة: ﴿تُرۡجِئُ﴾. والباقون: بالياء: ﴿تُرۡجِي﴾. والياء مقلوبة من الهمزة تخفيفًا، من الإرجاء بمعنى: التأخير.

(٣) وقوله: (تؤخر). تفسير ﴿تُرۡجِي﴾ على الوجهين، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس.

(٤) قوله: (عن نوبتها). أفاد المفسر أن معنى الآية التخيير للنبيّ ﷺ في القسم بين نسائه، ولم يكن القسم واجبًا عليه، ولكنه كان يقسم بينهن تفضلًا منه، وهذا المعنى قال ابن كثير: «روي عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وأبي رزين، وابن زيد وغيرهم، واحتج الشافعية على ذلك بهذه الآية».اهـ. ملخصًا. وروى ابن جرير عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا ما حاصله: «أن هذه الآية فيمن تهب نفسها للنبي ﷺ، والمعنى: تنكح منهن من تشاء وتترك من تشاء. فهذا تفسير آخر.

(٥) قوله: (ما ذكر المخير فيه). عطف بيان لـ﴿بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾، و(المخير فيه) نعت لـ(ما ذكر)، ويحتمل كون (ما ذكر) مفعولًا ثانيًا لـ﴿ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ وذلك إذا جعلنا «ما» فيه مصدرية. والمعنى: بإيتائهن ما ذكر الذي خيّر فيه. والله أعلم. =

تأكيد للفاعل في «وَيَرۡضَيۡنَ»، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ من أمر النساء، والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيرًا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمٗا ٥١﴾ عن عقابهم.

٥٢- ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء وبالياء[1] ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد التسع التي اخترنك[2] ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن، وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ من الإماء فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم، ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ حفيظًا.

٥٣-[3] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ في

= ومعنى الآية كما قال البيضاوي: «ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعًا».اهـ. قال قتادة: «إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن».اهـ. وقال ابن كثير ما حاصله: «إذا علمن أن الله قد خيَّرك ثم مع هذا تقسم لهن اختيارًا منك فرحن بذلك واعترفن بمنتك».اهـ.

(١) قوله: (بالتاء والياء). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بالتاء. والباقون: بالياء. وهما وجهان في النحو.

(٢) قوله: (بعد التسع...). قال ابن كثير: «ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن جرير وغيرهم: أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله، فحرم عليه أن يتزوج عليهن إلا اتخاذ الإماء، ثم نسخ هذا الحكم وأحل له النكاح، ولكن لم ينكح بعد ذلك، لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن».اهـ. باختصار. وما ذكره المفسر موافق لهذه الأقوال كما لا يخفى.

(٣) قال ابن كثر: «هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وروى البخاري عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال عمر بن الخطاب:=

الدخول بالدعاء[1] ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَاهُ﴾ نضجه، مصدر: أنى يأني[2] ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا﴾ تمكثوا[3] ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يخرجكم[4]، أي: لا يترك بيانه[5]، وقرئ[6]: «يَسْتَحِي» بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر[7]

= يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب».اهـ. وروى البخاري أيضًا عن أنس: «لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت وأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ الآية».اهـ.

(١) قوله: (بالدعاء). قدره ليفيد أن الفعل ﴿يُؤْذَنَ﴾ مضمن معنى الدعاء، ولذا عدي بـ﴿إِلَىٰ﴾.

(٢) قوله: (أني يأني). بوزن: رمى، يرمي، بمعنى: أدرك ونضج.اهـ. والنظر هنا بمعنى: الانتظار؛ ولذا عدّي بدون حرف جرّ.

(٣) قوله: (تمكثوا). أفاد بهذا التقدير أنه معطوف على ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾. و﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ حال من فاعل الفعل المقدّر.

(٤) قوله: (أن يخرجكم) بدل من ﴿الْحَقِّ﴾.

(٥) قوله: (أي: لا يترك بيانه). فيه إشارة إلى تأويل صفة الحياء، كما تقدم في سورة البقرة.

(٦) وقوله: (وقرئ) وهي شاذة، كما أشار إلى ذلك بقوله (وقرئ) وحذف الياء لغة.

(٧) قوله: (ستر). أي فالمعنى: كما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب.اهـ. ابن كثير.

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء[1] ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٤﴾ - ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فيجازيكم عليه.

﴿٥٥﴾ -[2] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أُمِرْتُن به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ لا يخفى عليه شيء.

---

(١) قوله: (بشيء). قال علماؤنا: ومن الإيذاء أن يصرح بأن أبويه من أهل النار، فلا ينبغي ذلك؛ لأن فيه إيذاءً لرسول الله ﷺ.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في هذه الآية: «نزلت في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده». نقله ابن كثير وغيره.

(٢) قال القرطبي: «لما نزلت الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: ونحن أيضًا نكلمهن من وراء الحجاب؟ فنزلت هذه الآية». ولم يعز هذا القول.

وقال أيضًا: «ذكر الله تعالى في هذه الآية من يحل للمرأة البروز له، ولم يذكر العم والخال؛ لأنهما يجريان مجرى الوالدين».اهـ. وقال أيضًا: «وقد ذكر في هذه الآية بعض المحارم، وذكر الجميع في سورة النور، فهذه الآية بعض تلك».اهـ.

وروى ابن جرير عن الشعبي، وعكرمة، وكذا القرطبي عن الزجاج: «أن العم والخال ربما ينعتان المرأة لأبنائهما، والمرأة لا تحل لابن العم وابن الخال».اهـ. أي: فكره هؤلاء الثلاثة: الشعبي، وعكرمة، والزجاج أن تضع المرأة خمارها عند عمها وخالها، بل تكون متغطية عندهما.

(٥٦)- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ[١] عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ أي قولوا: اللهم صلّ على محمد وسلم.

(٥٧)- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار يصفون الله[٢] بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله[٣] ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ ذا إهانة، وهو النار.

---

(١) ﴿يُصَلُّونَ﴾ الضمير يعود إلى الله ورسوله، فيكون فيه جمع بين الخالق والخلق في ضمير، وقد ورد النهي عنه، فيقال: إن النهي خاص بنا، ولله ورسوله أن يفعل ذلك. وتقدم هذا البحث.

وقيل: الضمير عائد على الملائكة فقط، وفي الكلام حذف تقديره: إن الله يصلي والملائكة يصلون. ذكر ذلك القرطبي، وقال أيضًا: «هذه الآية شرف الله بها رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حياته وموته وذكر منزلته منه...».

وصلاة الله تعالى: الرحمة عند الجمهور، وقال أبو العالية: «ثناؤه عليه عند الملائكة، أي: فهي رحمة خاصة، وقد جاءت الأحاديث المتواترة بالأمر بالصلاة عليه وكيفتها وفضلها، ذكرها العلماء والمفسرون، كما بين الفقهاء مواضع وجوبها واستحبابها مفصلة.

(٢) قوله: (يصفون الله). هذا معنى إيذاء الله. عزاه القرطبي إلى الجمهور، وأيده بأحاديث رويت في معنى ذلك، وروى ابن جرير عن عكرمة: «الذين يؤذون الله هم أهل التصاوير»، وعن مجاهد: «المنع من تصوير الشجر وغيرها، إذ كل ذلك تشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه».

(٣) قوله: (ويكذبون...). هذا بيان لمعنى إيذاء الرسول، وهو نوع من الإيذاء، ولذا قال القرطبي، وأذية الرسول ﷺ، هي: كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال، كوصفه بأنه شاعر، وساحر، وكسر رباعتيه يوم أحد ﷺ.اهـ. ملخصًا.

٥٨- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم(١) بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ بينًا.

٥٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب، وهي الملاءة(٢) التي تشتمل بها المرأة، أي: يرخين بعضها على الوجوه(٣) إذا خرجن لحاجتهن إلا عينًا واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر(٤) ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ بهن إذْ سَتَرَهُنَّ.

---

(١) قوله: (يرمونهم). قال القرطبي: «أذية المؤمنين والمؤمنات أيضًا بالأفعال والأقوال القبيحة».اهـ. وقد تقدم في سورة النساء ما يفيد معنى هذه الآية. [النساء: ١١٢].

(٢) قوله: (الملاءة). أي: الثوب الذي يستر جميع البدن. ذكره القرطبي.

(٣) وقوله: (أي: يرخين بعضها). معنى البعضية مأخوذ من ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ لأن ﴿مِن﴾ هنا للتبعيض، وما ذكره المفسر من معنى ﴿يُدْنِينَ﴾ مروي عن ابن عباس، قال: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة».اهـ.

(٤) قوله: (بأنهن حرائر). هكذا فسر ابن جرير وغيره، قال القرطبي ما حاصله: «كانت عادة العرب التكشف كما تفعل الإماء، فربما يتعرض بعض الفجار يظن أنها أمة، فأمر الله الحرائر بإرخاء الجلابيب ليعرفن أنها حرائر، فلا يؤذين»، وقال القرطبي أيضًا: «وقد قيل: إنه يجب التستر والتقنع الآن في حق الجميع من الحرائر والإماء، وهذا كما أن أصحاب رسول الله ﷺ منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله ﷺ مع قوله: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «لو عاش رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج إلى المسجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل».اهـ.

(٦٠)- ﴿ لَّئِن ﴾ لام قسم[١] ﴿لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنى[٢] ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو وسراياكم قُتِلوا أو هُزِموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنّك عليهم[٣] ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)﴾ ثم يخرجون.

(٦١)- ﴿ مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)﴾ أي: الحكم فيهم هذا على وجه الأمر به[٤].

(٦٢)- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن الله ذلك[٥] ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ منه.

(٦٣)- ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة[٦] ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا

---

(١) قوله: (لام قسم). أي: فاجتمع هنا القسم والشرط، والجواب للمتقدم وهو القسم. والجواب هو: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾.

(٢) قوله: (بالزنى)، وبذلك فسر عكرمة، وقتادة، وأبو صالح، وعلى هذا يكون العطف في ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ و﴿وَالْمُرْجِفُونَ﴾ من عطف بعض الأنواع على بعض، ونقل القرطبي عن أبي رزين أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، فيكون من عطف بعض الصفات على بعض، وهو جائز إذا تعددت النعوت.

(٣) قوله: (لنسلطنك). قاله ابن عباس.

(٤) قوله: (على وجه الأمر به). أي: جملة ﴿أُخِذُوا﴾ و﴿وَقُتِّلُوا﴾ وإن كانت خبرية لكن معناها إنشائية، وهذا الحكم إذا أظهروا النفاق. قاله قتادة، وقال القرطبي: «وقيل: إنهم انتهوا من الإرجاف، فلم يُغرَ بهم».اهـ.

(٥) قوله: (أي: سن الله ذلك...). أفاد أن ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٦) قوله: (أي: أهل مكة) لعل التخصيص بهم مأخوذ من الآية التالية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾، وظاهر كلام المفسرين شمول الناس أهل مكة وغيرهم، وهذه الآية مدنية =

﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ﴾[١] يُعْلِمك بها، أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد[٢] ﴿قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾.

﴿٦٤﴾- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ نارًا شديدة يدخلونها.

﴿٦٥﴾- ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدّرًا خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ يدفعها عنهم.

﴿٦٦﴾- ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿٦٧﴾- ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة[٣]:

= كما نص عليه ابن كثير. وقد تقدم في سورة الأعراف ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الآية: ١٨٧]، وهي مكية، فلعل المفسر أخذ من ذلك أيضًا أن المراد بالناس أهل مكة، وقال القرطبي: «وهؤلاء المؤذون لرسول الله ﷺ لما توعدوا بالعذاب سألوا عن الساعة».اهـ.

(١) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾. ﴿وَمَا﴾ استفهامية إنكارية مبتدأ كما أشار إليه المفسر بقوله: (أي: أنت لا تعلمها)، وجملة «يدري»: خبر المبتدأ، و«يدري» هنا من أدرى الذي يتعدى إلى مفعولين فقط، والأول: كاف الخطاب، والثاني: قدره المفسر بقوله: بها. تعدى بالياء، وهو الكثير.

(٢) وقوله: (توجد). أشار به إلى أن ﴿تَكُونُ﴾ تامة، فيكون ﴿قَرِيبًا﴾ حالًا، ويجوز كونها ناقصة، فـ﴿قَرِيبًا﴾: خبرها والألف في ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ لمناسبة رؤوس الآي، وليست منقلبة عن التنوين، كما في ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [١٠] قرأ بإثباتها وصلًا ووقفًا: نافع، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر. وبحذفها وصلًا ووقفًا: أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب. وقرأ الباقون: بإثباتها وصلًا وحذفها وقفًا. وكذلك في ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن عامر، ويعقوب: بصيغة جمع الجمع: ﴿سَادَاتِنَا﴾؛ لأن «سادة» جمع سيّد. والباقون: ﴿سَادَتَنَا﴾.

«سَادَاتِنَا» جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾ طريق الهدى.

٦٨- ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا[1] ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ﴾ عذبهم ﴿لَعۡنٗا كَثِيرٗا ٦٨﴾ عددُه[2]، وفي قراءة[3]: «كَبِيرًا» بالموحدة، أي: عظيمًا.

٦٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلًا[4]: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففر الحجر به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل فأدركه موسى، فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه ولا أدرة به، وهي نفخة[5] في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ ذا جاه، ومما أوذي به نبينا ﷺ[6] أنه قسم قسمًا، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: «**يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**». رواه البخاري.

---

(١) قوله: (أي: مثلي...). كما تقدم في الآية (٣٠) من هذه السورة.

(٢) قوله: (عددُه). بالرفع. بدل من فاعل ﴿كَثِيرٗا﴾ وهو الضمير المستتر فيه.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم: ﴿كَبِيرٗا﴾: بالياء. والباقون: بالثاء: ﴿كَثِيرٗا﴾.

(٤) قوله: (بقولهم مثلًا). أشار بقوله: (مثلًا) أن ما ذكر هو نوع من الإيذاء، وقد آذوه بغيره أيضًا، وما ذكره المفسر من قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مرويّ في «صحيح البخاري» [«فتح الباري» (٦/ ٥٠٢)]، وغيره بسياق مفصّل، وأورده ابن كثير، وابن جرير وغيرهما من المفسرين.

(٥) وقوله: (وهي نفخة). بيان لمعنى الأدرة، وهي من أمراض الرجال.

(٦) وقوله: (ومما أوذي النبي ﷺ). هذا رواه الشيخان وغيرهما. [البخاري (٣٤٠٤)، مسلم (١٠٦٢)].

تنبيه: لا غرابة في انكشاف العورة من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمام الملإ؛ لأن ذلك كان أمرًا معتادًا عندهم حال الاغتسال، بل استهزؤوا بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ واتهموه لمخالفته عادتهم.

الخلاصة: لم يقع من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ما يكون خارمًا للمروءة بالنسبة إلى عادتهم وزمانهم.

٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ صوابًا[١].

٧١- ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ نال غاية مطلوبه.

٧٢- ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها[٢] مما في فعلها من الثواب، وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهمًا ونطقًا[٣]

---

(١) قوله: (صوابًا). روي نحوه على الكلبي، قال: صدقا، وعن عكرمة: «قولوا: لا إله إلا الله».

(٢) قوله: (الصلوات وغيرها). فسر المفسّر الأمانة بما فسرها به الجمهور. قال القرطبي: «والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور. وروي عن ابن عباس، وابن جبير: «الأمانة: الفرائض»، وعن زيد بن أسلم: «الأمانة: الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة»».اهـ. وما ذكره المفسر أعمّ.

(٣) قوله: (بأن خلق فيهما...). مشى المفسر على ما هو قول الجمهور من أن الآية على ظاهرها وحقيقتها، نقل ابن كثير عن ابن عباس في معنى الآية: «يعني بالأمانة: الطاعة، عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها، فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم وتحملها».اهـ. وفي رواية عنه: «الأمانة: الفرائض، عرضها الله على السمٰوات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا عليه من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ الآية».اهـ.

قال القرطبي: «العرض على السمٰوات والأرض والجبال عرض تخيير، والعرض على الإنسان عرض إلزام».اهـ. وعلى هذا: يكون «أل» في ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ عهدية، والمراد:=

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خِفْنَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ به.

﴿٧٣﴾- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بـ«عَرَضْنَا» المترتب عليه حمل آدم[1] ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ بهم.



= آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويكون الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ أنه بعد تحمل الأمانة أخرجه إبليس من الجنة، كما قال ابن عباس: «فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية وأخرج منها».اهـ. وحكى القرطبي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: «المراد: الكافر والمنافق».اهـ. فـ«أل» جنسية، ونقل عن القفال وغيره: «العرض في هذه الآية ضرب المثل»، والمعنى: لو كانت بحيث يجوز تكليفها ثقل عليها تقلد الشرائع، وقد كلفه الإنسان.

تنبيه: استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الأصل في بني آدم الظلم والجهالة، ولكن في دلالة الآية على ذلك إشكال؛ لأنها تدل على أنه كان ظلومًا بسبب تحمله كما قال المفسر: (بما حمله). وقد ثبت في الحديث أن «**كل مولود يولد على الفطرة**».اهـ.

(١) قوله: (المترتب عليها...) يعني: اللام تفيد التعليل لحمل الإنسان الأمانة، وهي متعلقة بـ﴿عَرَضْنَا﴾ الذي رتب عليه ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فالمعنى: عرضنا الأمانة... وحملها الإنسان من أجل أن يعذب الله...إلخ، ويمكن كونها متعلقة بـ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، كما قاله الدرويش في «إعراب القرآن».

٣٤- سورة سبأ

مكية(١)، إلا آية ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية، فمدنية، وآياتها أربع أو خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به(٢) الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو(٣) الوصف بالجميل لله تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا(٤) ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدنيا(٥)، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة(٦) ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ (١)﴾ في خلقه.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول الجميع إلا آية واحدة: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾؛ فعن ابن عباس: «مكية أيضًا»، والمراد بهم أصحاب النبي ﷺ، وعن مقاتل: «مدنية، والمراد بهم من أسلم بالمدينة، كعبدالله بن سلام وغيره»».

(٢) قوله: (والمراد به). على هذا تكون جملة خبرية أريد بها الإنشاء، وقد تقدم في الفاتحة.

تنبيه: هذه السورة الرابعة التي ابتدأت بـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهن خمس سور؛ الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر. وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) وقوله: (وهو). أي: الحمد، الوصف بالجميل.

(٤) قوله: (ملكًا وخلقًا). تمييز، كما تقدم نظائره.

(٥) قوله: (كالدنيا). الكاف للتنظير.

(٦) وقوله: (إذا دخلوا الجنة...). قال القرطبي: «قيل: هو قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقيل: هو ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠)﴾ [يونس: ١٠]».

(٢)- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كماء وغيره[1] ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره[2] ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وغيره[3] ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره[4] ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿الْغَفُورُ (٢)﴾ لهم.

(٣)- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي[5] لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ بالجر: صفة[6]، والرفع: خبر مبتدأ، و«عَلَّامِ» بالجر، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب[7] ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣)﴾ بيّن، هو اللوح المحفوظ.

(٤)- ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ فيها[8] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ حسن في الجنة.

---

(١) قوله: (كماء وغيره). أي: كالكنوز والدفائن والأموات وغيرها.

(٢) وقوله: (كنبات وغيره) أي: كالماء والمعادن وغيرها.

(٣) وقوله: (من رزق وغيره). أي: كالأمطار والصواعق والمقادير والبركات.

(٤) وقوله: (من عمل وغيره). أي: كالملائكة وغيرهم.

(٥) ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ قال ابن كثير: «هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، فإحداهن: في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي ...﴾ [الآية: ٥٣]، والثانية: هذه الآية، والثالثة: في سورة التغابن ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [الآية: ٧]».اهـ. باختصار. وتقدم التنبيه عليه في سورة يونس.

(٦) قوله: (بالجرّ...). قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ورويس: بالرفع: ﴿عَالِمُ﴾. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿عَلَّامِ﴾: بصيغة المبالغة مجرورة. وقرأ الباقون: ﴿عَالِمِ﴾: بصيغة اسم الفاعل مجرورة. ووجه الرفع والجر ما قال المفسر.

(٧) قوله: (يغيب). فسر به ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

(٨) قوله: (فيها). أي: في الساعة، أي: يوم القيامة.

﴿٥﴾- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ﴾ إبطال[(١)] ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَجِّزِينَ﴾، وفي قراءة[(٢)]: هنا وفيما يأتي «مُعَٰجِزِينَ»، أي: مقدرين عجزنا[(٣)]، أو مسابقين[(٤)] لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيء العذاب[(٥)] ﴿أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ مؤلم، بالجر والرفع[(٦)]: صفة لـ«رِّجْزٍ» أو «عَذَابٌ».

﴿٦﴾- ﴿وَيَرَى﴾ يعلم[(٧)] ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب[(٨)] كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل[(٩)] ﴿الْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ أي: الله ذي العزة المحمودة.

---

(١) قوله: (إبطال). أشار إلى تقدير مضاف، فيكون الكلام من باب إيجاز الحذف.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾: بتشديد الجيم من صيغة التفعيل. والباقون: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: بصيغة المفاعلة.

(٣) وقوله: (مقدرين عجزنا). تفسير ﴿مُعَجِّزِينَ﴾.

(٤) وقوله: (أو مسابقين). تفسير للقراءة الأخرى، ويكون باب التفعيل على هذا لإفادة النسبة، أي: ناسبين إلينا العجز لظنهم ذلك، وقال القرطبي: «معجزين، أي: مثبطين الناس عن الإيمان».

(٥) قوله: (سيء العذاب). قال نحوه قتادة.

(٦) قوله: (بالجر والرفع). بالرفع: قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب. وبالجر: الباقون.

(٧) قوله: (يعلم). أشار المفسر إلى أن الرؤية هنا علمية، لها مفعولان؛ الأول: ﴿الَّذِيٓ أُنزِلَ﴾، والثاني: ﴿الْحَقَّ﴾.

(٨) قوله: (مؤمنو أهل الكتاب). على هذا التفسير تكون هذه الآية مدنية كما تقدم في أول السورة، وهذا الذي قدم ذكره ابن جرير. وعن قتادة: «هم أصحاب محمد ﷺ، فتكون الآية مكية»، ونقل عن ابن عباس في قول القرطبي.

(٩) قوله: (فَصْل). يعني: ﴿هُوَ﴾ هنا ضمير الفصل، ليس له محل من الإعراب على المشهور، وقد تقدم الكلام على ضمير الفصل في سورة آل عمران الآية (٦٢) وغيرها. كما سبق الكلام على كلمة ﴿الْحَمِيدِ﴾ في البقرة (٣٦٧).

(٧)- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب[١] لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم[٢] أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قُطِّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق[٣] ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾.

(٨)- ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام[٤]، واستغني بها عن همزة الوصل

---

(١) قوله: (على جهة التعجب). أي: التعجب المشتمل على الإنكار والاستهزاء، ولذلك قالوا: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ بصيغة النكرة مع أن محمدًا ﷺ كان معروفًا مشهورًا عندهم. أفاده الزمخشري، ونقله عنه القرطبي.

(٢) قوله: (يخبركم...). نبه به المفسر على أن «يُنَبِّئُ» هنا لا تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، بل إلى مفعولين فقط؛ لأنها بمعنى: يخبركم ويكلمكم، لا بمعنى: أعلم يُعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل. والمفعول الأول: الكاف، والثاني: جملة «أنّ» وما دخلت عليه كما قدر المفسر: (أنكم). ويحتمل كونها متعدية إلى ثلاثة مفاعيل، وعلى هذا درج أكثر المعربين، وعلى هذا تكون الجملة سدت مسد المفعول الثاني والثالث. والله أعلم.

(٣) قوله: (بمعنى تمزيق). أي: فهو مصدر ميميّ، وهو منصوب على المفعول المطلق؛ لأن «كل» و«بعض» المضافَين إلى المصدر ينوب عنه في النصب على المفعول المطلق، كما فصل ذلك في علم النحو. وعامل ﴿إِذَا﴾ هو ما تعلق به خبر «إنّ»، والمعنى: إنكم كائنون في خلق جديد إذا مزقتم.. فـ﴿إِذَا﴾ متعلق بـ(كائنون) أو نحوه... الذي هو متعلق الجار والمجرور ﴿لَفِى خَلْقٍ﴾. والله أعلم. وذكر نحوه الدكتور قباوة في شرحه على الجلالين.

(٤) قوله: (بفتح الهمزة). أي: فهو همزة استفهام كما في ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨]. و﴿أَم﴾ هنا متصلة، وهمزة الاستفهام للتعيين، الكافرون حصروا كلام النبي ﷺ عن البعث، في نوعين من الكذب، هل ذلك افتراء، أم كلام عن غير تأكد.

تنبيه: استدل الجاحظ بهذه الآية على أن الكلام لا ينحصر في الصدق والكذب بل بينهما واسطة؛ لأن الكفار حصروا كلامه في الافتراء وهو الكذب، وفي التكلم حال الجنة، وهذا ليس بصدق؛ لأنهم لا يعتقدون صدقه، ولا كذب لأنه ذكر في مقابله، فهو لا صدق ولا كذب بل واسطة، والجمهور على أن الخبر منحصر في الصدق والكذب=

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ جنون تخيّل به ذلك. قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ۝٨﴾ عن الحق في الدنيا.

٩- ﴿أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ينظروا[١] ﴿إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها[٢]، قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾، وفي قراءة[٣] في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

١٠- ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلًاۖ﴾ نبوة وكتابًا[٤]، وقلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي﴾ رجِّعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح[٥] ﴿وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ بالنصب[٦] عطفًا على محل الجبال، أي:

= ولا واسطة بينهما، فالصدق مطابقته للواقع، والكذب عدم مطابقته له، وأجابوا عن استدلال الجاحظ بأن قولهم هذا حصر للكلام في نوعين من الكذب على معتقدهم.

(١) قوله: (ينظروا). أفاد أن الرؤية هنا مضمن معنى النظر، ولذا تعدت بـ«إلى».

(٢) قوله: (بسكون السين): قرأ حفص: بفتح السين. والباقون: بسكونها.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالياء: ﴿يَشَأۡ﴾ ﴿يَخۡسِفۡ﴾ ﴿يُسۡقِطۡ﴾، والباقون: بالنون فيهن، لكن أبا عمرو، ويعقوب: قرؤوا بكسر الميم في ﴿بِهِمِ﴾، وغيرهم بضم الميم.

(٤) قوله: (نبوة...). ذكر القرطبيّ تسعة أقوال في تفسير الفضل. ومنها ما ذكره المفسر. وفسّر ابن كثير بما هو شامل لها، قال: «جمع له بين النبوة والمُلك والجنود وأعطاه الصوت الحسن العظيم...».اهـ. موجزًا.

(٥) قوله: (بالتسبيح). أي: فيكون معنى ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾: سبحي معه، كما فسر به ابن جرير، ورواه عن ابن عباس، وغيره.

(٦) قوله: (بالنصب). اتفق القراء العشرة على النصب، ووجهه أنه معطوف على محل «جبال»، =

ودعوناها تسبح معه[(١)] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠﴾ فكان في يده كالعجين[(٢)].

١١- وقلنا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعًا كوامل[(٣)] يجرّها لابسها على الأرض[(٤)] ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: نسج الدروع[(٥)]، قيل لصانعها: سرّاد، أي: اجعله بحيث تتناسب حَلَقُه ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي: آل داود معه ﴿صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١﴾ فأجازيكم به.

١٢- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾، وقراءة الرفع[(٦)] بتقدير: تسخير

= ويجوز في المعطوف على المنادى المبني على الضم، إذا كان المعطوف بـ«أل» النصبُ والرفع كما تقول: يا زيدُ والضحاكُ، بنصب الضحاك ورفعه. ولكن هنا لم تقع القراءة بالرفع إلا شذوذًا.

(١) وقوله: (أي: ودعوناها...). بيان لمعنى كونه معطوفًا على المنادى، ونقل القرطبي عن أبي عمرو بن العلاء: «النصب بتقدير فعل، أي: وسخرنا له الطير»، وذكر ابن جرير أيضًا هذا الوجه.

(٢) قوله: (فكان في يده...). روي عن الحسن، وقال ابن عباس: «صار عنده كالشمع»، روى ابن جرير، عن قتادة، والقرطبي، عن السدي وغيره: «كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يصرف الحديد بيده، بدون إدخال نار ولا ضرب بمطرقة».اهـ.

(٣) قوله: (دروعًا...). أشار إلى أن ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ نعت لمحذوف.

(٤) وقوله: (يجرها لابسها) كما قال القرطبي: «يقال: سبغ الدروع والثوب وغيرهما: إذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه».اهـ.

(٥) قوله: (أي: نسج الدروع) كما قال القرطبي: «السرد: نسج حِلَق الدروع»، قال قتادة: «كانت الدروع قبله صفائح فكانت ثقالًا، فأمر أن يسردها حلقًا».اهـ.

(٦) قوله: (وقراءة الرفع). مبتدأ، خبره: (بتقدير تسخير). أشار به إلى القراءات هنا. قرأ شعبة بالرفع، والإفراد: ﴿ٱلرِّيحُ﴾. وأبو جعفر: بالنصب والجمع: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. والباقون: بالإفراد والنصب: ﴿ٱلرِّيحَ﴾.

﴿غُدُوُّهَا﴾ سيرها من الغدوة[١]، بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: النحاس[٢]، فأجريت[٣] ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ النار في الآخرة[٤]، وقيل: في الدنيا[٥] بأن يضربه ملَك بسوط منها ضربة تحرقه.

۝١٣- ﴿يَعْمَلُونَ[٦] لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة[٧] يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، أي: صورًا[٨] من نحاس

---

(١) قوله: (سيرها من الغدوة). كذلك روي عن قتادة وغيره، وعن ابن زيد: «كان له مركب من خشب تحمله الريح».اهـ. ملخصًا، وتقدم في سورة الأنبياء الآية [٨١].

(٢) قوله: (أي: النحاس) قاله ابن عباس وغيره.

(٣) وقوله: (فأجريت له...). قال قتادة: «كانت بأرض اليمن وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان».اهـ. قال القرطبي: «ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله».اهـ.

(٤) قوله: (النار في الآخرة). عزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين.

(٥) وقوله: (وقيل في الدنيا). نقله القرطبي عن السدي فيما روى: إن الله وكل بهم ملكًا بيده سوط من النار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربةً بحيث لا يراه فأحرقه».اهـ.

(٦) ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: الجن.

(٧) وقوله: (أبنية مرتفعة) ذكر المفسرون نحوًا من هذا المعنى. نقل القرطبي: «هو ما يرقى إليه بالدرج كالغرفة الحسنة»، وعن الضحاك: «مساجد».

(٨) قوله: (أي: صورًا...). ذكره ابن جرير، ورواه عن أئمة التفسير.

وزجاج ورخام، ولم يكن[١] اتخاذ الصور حرامًا في شريعته. ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾[٢]، جمع جابية، وهي: حوض كبير يجتمع على[٣] الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات، لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن[٤] يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي.

﴿١٤﴾ - ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث قائمًا[٥]

---

(١) وقوله: (ولم يكن...). كما قال القرطبي بعد كلام: «وهذا يدل على أن التصوير كان مباحًا في ذلك الزمان، ونسخ ذلك بشرع محمد ﷺ».

(٢) (﴿كَٱلْجَوَابِ﴾). قدر المفسر الياء؛ لأن الجوابي اسم منقوص، والأكثر فيه إثبات الياء إذا كان محلى بـ«ال»، وهذا عند الوقف، وحذف الياء لغة فصيحة كما هنا، والجفنة: القصعة الكبيرة.

(٣) وقوله: (يجتمع على...). ذكره القرطبي بدون عزو.

(٤) قوله: (تتخذ من الجبال). نقله القرطبي عن الضحاك، ونقل عن غيره: قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين، أثافيها منها منحوتة هكذا من الجبال».اهـ. وقوله: أثافيها: الأثافي جمع: أُثْفِيّة، وهي أحجار التنور التي يوضع عليها القِدر.

(٥) قوله: (ومكث قائمًا...). ما ذكره المفسر من قصة موته روي مفصلًا عن أئمة التفسير، نقل القرطبي عن ابن مسعود: «أقام حولًا، والجن تعمل بين يديه حتى أكلت الأرضة منسأته فسقط»، وقال القرطبي: «ويروى أنه لما سقط لم يعلم منذ مات فوضعت الأرضة على العصا فأكلت منها يومًا وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة».اهـ. وإلى هذا أشار المفسر بقوله في آخر الآية: (وعلم كونه سنة بحساب...إلخ). وقال أيضًا: «وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل الله ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة، =

على عصاه حولًا ميتًا، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتًا ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر: أُرِضت الخشبة[1]، بالبناء للمفعول: أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز[2] وتركه بألف، عصاه؛ لأنها يُنسأ: يُطرد ويُزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتًا ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة، أي: أنهم[3] ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعُلِمَ كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يومًا وليلة مثلًا.

﴿١٥﴾- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه[4]، قبيلة[5] سميت باسم جدٍّ لهم

= وذلك لما قال قتادة وغيره: كانت الجن تدعي علم الغيب فلما مات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وخفي موته عليهم تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب».اهـ. باختصار.

(١) قوله: (مصدر: أُرِضت...). أي: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ هنا مصدر، أضيف إليه ﴿دَآبَّةُ﴾، أي: أضيفت إلى فعلها، كما في البيضاوي.

(٢) قوله: (بالهمز). قرأ بالألف: ﴿مِنسَاتَهُۥ﴾، على وزن مشكاة: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر. وبالهمزة: الباقون، لكن ابن ذكوان سكن الهمزة: ﴿مِنسَأْتَهُ﴾.

(٣) قوله: (أي: أنهم). توضيح للمعنى، وإلا فإن اسم ﴿أَن﴾ المخففة يكون ضمير الشأن.

(٤) قوله: (بالصرف وعدمه) قرأ الجمهور: بالصرف، أي: بجر ﴿لِسَبَإٍ﴾ بالكسرة. وقرأ أبو عمرو، والبزي: بمنع الصرف، أي: بفتح الهمزة. فعدم الصرف للتأنيث والعلمية، والصرف لعدم اعتبار التأنيث؛ لأنه في الأصل اسم رجل.

(٥) وقوله: (قبيلة...). روى ابن جرير عن فروة بن مسيك القطيعي، قال: قال رجل: يا رسول الله! أخبرني عن سبأ ما هو؟ أرض أم امرأة؟ قال: «**ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه** =

من العرب ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل[(١)] ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، قيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ[(٢)] طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباخ[(٣)] ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿١٦﴾- ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره[(٤)] وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع

= **رجل ولد عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاؤموا: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسّان، وأما الذين تيامنوا: فكندة والأشعريون، والأزد، ومذحج، وحِمير، وأغار**»، فقال رجل: ما أغار؟ قال: «**الذين منهم خثعم وبجيلة**».اهـ. رواه الترمذي بسياق مفصل، وقال: «حسن غريب»، قوله ﷺ: «تيامن» أي: عاش في اليمن، و«تشاءم»: أي: عاش في الشام، وذلك بعد السيل كما في ابن كثير.

قال ابن كثير: «قال علماء النسب -منهم ابن إسحٰق- اسم سبأ: عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإنما سمي سبأ؛ لأنه أول من سبأ في العرب».اهـ، وذكر كلامًا مفصلًا بتاريخ سبأ.

(١) قوله: (بدل). أي: ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٌ﴾، ويصح كونه خبرًا لمبتدأ محذوف.

(٢) قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ﴾. خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذه. وعطفت على هذه الجملة جملة ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ بتقدير مبتدأ كما ذكره المفسر.

(٣) قوله: (ليس فيها سباخ...). إلى آخر ما قاله المفسر، رواه ابن جرير عن ابن زيد، بطريق ابن وهب، قال قتادة وغيره: «كانت المرأة تمشي وفي رأسها المكتل، فما تخرج من بستانهم إلا وقد امتلأ المكتل من الثمار من غير حاجة لقطف؛ لكثرتها ونضجها».اهـ.

(٤) قوله: (عن شكره). نقل القرطبي عن السدي، ووهب: «أنه بعث إليهم ثلاثة عشر نبيًّا، فكذبوهم».

عَرِمة[١]، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي: سيل واديهم المسوك بما ذكر فأغْرقَ جنتَيْهم وأموالَهم ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ﴾ تثنية «ذوات»، مفرد على الأصل[٢] ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مُرّ بشع[٣] بإضافة «أُكُلٍ»،

---

(١) قوله: (جمع عرمة). أي: فالعرم: السد، عزاه القرطبي إلى ابن عباس، وعن قتادة: «اسم الوادي»، وقيل غير ذلك.

فقول المفسر: (أي: سيل واديهم...) توضيح للمعنى، والمراد بالسيل: الماء المجتمع في السد بسبب السيل. أي: الماء المحتبس بالسد في ذلك الوادي، والله أعلم.

قال ابن كثير: «عمد ملوكهم الأقادم فبنوا بين جبلين سدًّا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار، ولما أعرضوا عن عبادة الله إلى عبادة الشمس بعث الله على سدهم جُرَذًا فنقبت السد وانهار عليهم فأتلف الماء بستانهم وبيوتهم وتفرقوا».اهـ. ملخصًا. وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاثة مراحل.اهـ.

(٢) قوله: (مفرد على الأصل). يعني: أن «ذوات» لفظ مفرد. وأصله: ذَوَية، فالواو عين الكلمة والياء لامها؛ لأنه مؤنث «ذو». و«ذو» أصله: ذوي. قلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار: ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفًا، فعند التثنية جازت مراعاة لفظه فيقال: ذاتان، كما يجوز مراعاة أصله، فيقال: ذواتان. ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

تنبيه: كتبت تاء التأنيث في «ذات» تاءً مفتوحة على خلاف القياس، كما في: بنت وأخت. والأصل أن التاء في الأسماء المفردة تكون تاءً مربوطة، نحو: شجرة، رحمة، حمزة، عائشة.

(٣) قوله: (مُر بشع) تفسير لـ﴿خَمْطٍ﴾، وبنحوه قال الزجاج: «كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله».اهـ. وعن ابن عباس وغيره: «هو الأراك»، كما قال الجوهري: «الخمط ضرب من الأراك له حِمل يؤكل».اهـ.

قرأ نافع، وابن كثير: بتنوين ﴿أَكُلٍ﴾ وبفتح الهمزة، وأبو عمرو، ويعقوب: بالإضافة وضم الهمزة، والكاف. والباقون: بالتنوين مع ضم الهمزة والكاف. فقول المفسر: (وتركها) أي: ترك الإضافة.

بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿١٧﴾- ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ بالياء[1] والنون مع كسر الزاي ونصب «الْكَفُورَ»، أي: ما يناقش إلا هو.

﴿١٨﴾- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام[2] التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة[3]، ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، وقلنا ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

﴿١٩﴾- ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ وفي قراءة: «بَعِّدْ»[4] ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام،

---

(١) قوله: (بالياء...). قرأ نافع، وابن كثير، وابن عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: ﴿يُجَازَى﴾: بصيغة المبني للمفعول ورفع ﴿الْكَفُورُ﴾. والباقون: بالنون ونصب ﴿الْكَفُورَ﴾.

(٢) قوله: (وهي قرى الشام). قاله مجاهد، وقتادة. ذكر الله تعالى في هذه الآية نعمة أخرى أنعم بها عليهم، وذلك أنه كان بين اليمن والشام قرًى متقاربة بحيث يتيسر لهم سفرهم من اليمن إلى الشام والعودة منه إلى اليمن، وكانت بينها مسافات معلومة، وهي قرًى رغيدة، وأمينة، يسافر من شاء بدون حمل الزاد والماء؛ لتوفرهما في تلك القرى، فلا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا ظالمًا، فلما كانوا بهذه النعمة، كفروا بها كما كفروا بالله تعالى، فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، فأحبوا المفاوز والمهامهَ، ليبطر الغني على الفقراء، بقدرتهم على قطعها بعُدتهم، ويستقلوا بفوائد التجارة.اهـ. ملخصًا مما ذكره أئمة التفسير.

(٣) قوله: (بحيث يقيلون...). يقيلون: أي: يستريحون نهارًا. قال الحسن: «كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية، ويروح فيأوي إلى قرية أخرى».اهـ.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام: ﴿بَعِّدْ﴾ من التبعيد. =

اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالكفر[١] ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾[٢] لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ عبرًا ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٖ ١٩﴾ على النعم.

٢٠- ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد[٣] ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الكفار، منهم: سبأ ﴿إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ فصدق -بالتخفيف- في ظنه، أو صدّق -بالتشديد- ظنه، أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن[٤] ﴿فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠﴾ للبيان[٥]، أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

= والباقون: ﴿بَٰعِدۡ﴾ من المباعدة. إلا أن يعقوب قرأ: ﴿رَبُّنَا بَٰعَدَ﴾ برفع ﴿رَبُّنَا﴾ وبصيغة الماضي.

(١) قوله: (بالكفر). أي: فهم كفروا نعمة ربهم وكفروا بربهم بعبادة الشمس.

(٢) ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾. قال ابن جرير: «صيرناهم أحاديث للناس، يضربون بهم المثل في السبّ، فيقال: تفرّق القوم أيادي سبأ أو أيدي سبأ، إذا تفرقوا وتقطعوا».اهـ.

نقل القرطبي عن الشعبي: «فلحقت الأنصار -أي: الأوس والخزرج- يثرب، وغسان بالشام والأسد بعُمان وخزاعة بتهامة».اهـ.

(٣) قوله: (بالتخفيف...). قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالتشديد: ﴿صَدَّقَ﴾.

والباقون: بالتخفيف: ﴿صَدَقَ﴾. وعلى التخفيف يكون ﴿ظَنَّهُۥ﴾ منصوبًا على نزع الخافض، أي: في ظنه، كما قال المفسر. ويجوز تعدي «صَدَقَ» بنفسه، كما في: صدق وعده، قاله البيضاوي، وعلى هذا يكون ظنه مفعولًا به.

(٤) قوله: (بمعنى: لكن). أي: الاستثناء منقطع.

(٥) وقوله: (للبيان). أي: ﴿مِّنَ﴾ في ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بيانية. والمعنى: إلا فريقًا هم المؤمنون.=

(٢١) - ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ تسليط منّا ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ علم ظهور[(١)] ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ﴾ فنجازي كلًّا منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ (٢١)﴾ رقيب.

(٢٢) - ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أي: زعمتموهم آلهة[(٢)] ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال تعالى فيهم: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٖ﴾ من خير أو شر ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنۡهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٖ (٢٢)﴾ معين.

(٢٣) - ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى، ردًّا لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها[(٣)] ﴿لَهُۥ﴾ فيها[(٤)] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل

= عزاه القرطبي إلى ابن عباس، وقيل: تبعيضية؛ لأن أكثر المؤمنين أو كثير منهم عصاة، وذكر الوجهين القرطبي.

(١) ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ الاستثناء إما متصل وهو ظاهر كلام المفسر؛ فالمعنى: ما سلطناه عليهم إلا ليتم الابتلاء، أو منقطع؛ فالمعنى: لا سلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم المطيع والعاصي.اهـ. كما يعلم من كلام القرطبي.

(٢) قوله: (أي: زعمتموهم...). أشار به إلى أن مفعولَي «زَعَم» محذوفان؛ لدلالة المقام، وهما في الأصل عمدتان، لا يحذفان إلا لقرينة، وهذا خطاب توبيخ أي: الأمر فيه للتوبيخ. أفاده القرطبي. و﴿مِن﴾ في ﴿مِن شِرۡكٖ﴾ و﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾ زائدة لتأكيد العموم، وفي ﴿مِنۡهُم﴾ متعلق بمحذوف، والجار والمجرور: ﴿مِنۡهُم﴾ حال من ﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾، أي: حال كونه كائنًا منهم، فـ﴿مِن﴾ ابتدائية أو تبعيضية.

(٣) قوله: (بفتح الهمزة). قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم الهمزة على صيغة المبني للمفعول. والباقون: بفتحها على صيغة المبني للفاعل.

(٤) قوله: (فيها). أي: في الشفاعة.

والمفعول[١] ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها[٢] ﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها ﴿قَالُواْ﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي: قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر[٣] ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ العظيم.

﴿٢٤﴾ - ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره[٤] ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيّن، في الإبهام تلطف بهم[٥] داع إلى الإيمان إذا وفقوا له.

---

(١) وقوله: (بالبناء للفاعل). قرأ ابن عامر، ويعقوب: ﴿فَزَّعَ﴾ بصيغة المبني للفاعل. والباقون: ﴿فُزِّعَ﴾: بصيغة المبني للمفعول.

(٢) وقوله: (كشف عنها). أفاد أن باب التفعيل هنا لمعنى الإزالة، نحو: قشَّرتُه أي: أزلت قشره. قال ابن عباس وغيره: «خُلِّي عن قلوبهم الفزع».اهـ.

والمراد بـ(لمن قد أذن فيها). إما الشافع أو المشفوع له، ذكره القرطبي. ومعنى الآية كما هو ظاهر كلام المفسر: إن الشفاعة لا تكون لآلهتهم إلا أن الله يأذن فيها للأنبياء والملائكة ومن أراده من عباده، وهم على غاية الفزع قالوا للملائكة فوقهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون لهم: الحق، أي: أذن لهم في الشفاعة».اهـ. وذكر هذا المعنى القرطبي، وهو الظاهر من ترجيح ابن جرير، وفسرت الآية بأن هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الرب تعالى، كما يدل على ذلك حديث البخاري: «**إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله...**». إلى آخر الحديث. [«فتح الباري» (٨/ ٣٩٨)].

(٣) قوله: (بالقهر). اكتفى به على ما هو مذهب علماء الأشاعرة.

(٤) قوله: (لا جواب غيره). قال البيضاوي: «وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم».اهـ.

(٥) قوله: (في الإبهام...). كلام مستأنف أفاد به النكتة البلاغية في استعمال ﴿أَوْ﴾ هنا، وتسميه النحاة: أو للإبهام، وليست للشك، قال البيضاوي: «وهو بعد ما تقدم من التقرير =

٢٥- ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾[1] أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٢٥﴾ لأنا بريئون منكم.

٢٦- ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم[2] ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم[3] ﴿ٱلْعَلِيمُ ٢٦﴾ بما يحكم به.

٢٧- ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ أعلموني[4] ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من «ٱلنَّاسِ»[5] قدّم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ

= البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال أبلغ من التصريح؛ لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم».اهـ.

(١) ﴿أَجْرَمْنَا﴾. قال القرطبي: «اكتسبنا». وقال البيضاوي: «هذا أدخل في الإنصاف حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل للمخاطبين».اهـ. وظاهره أن الإجرام بمعنى: عمل الذنب كما فسر به المفسّر، والله أعلم.

(٢) قوله: (يحكم). كما قال قتادة: «يقضي».

(٣) وقوله: (الحاكم). كما قال ابن عباس: «القاضي».

(٤) قوله: (أعلموني). ظاهره: أن أروني بمعنى: أعلموني المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل. فالمفعول الأول: ياء المتكلم، والثاني: ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ﴾. والثالث: ﴿شُرَكَآءَ﴾. ويصح كونه من المتعدي لاثنين، فالأول: الياء، والثاني: الموصول، ويكون ﴿شُرَكَآءَ﴾ منصوبًا على أنه حال من الموصول، قال الوجهين الدرويش.

(٥) قوله: (حال من ﴿ٱلنَّاسِ﴾) يعني: أن ﴿كَآفَّةً﴾ حال من ﴿ٱلنَّاسِ﴾. وهذا جارٍ على =

﴿بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ذلك.

﴿٢٩﴾ - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيه.

﴿٣٠﴾ - ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عليه، وهو يوم القيامة.

﴿٣١﴾ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدَّمه[1]، كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث؛ لإنكارهم له[2]، قال تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد[3] ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون

= من جوّز تقدم الحال على صاحبها المجرور بحرف جر، وقد منعه الجمهور وأجازه الفارسي، وابن جنّي، وابن كيسان وغيرهم، ووافقهم ابن مالك، مستدلًا بهذه الآية وغيرها، وأجاب المانعون: أنها حال من الكاف، أو مفعول مطلق، والتقدير: إلا إرسالة كافة، كما قدره البيضاوي.

و﴿كَآفَّةً﴾ بمعنى: جميعًا، والتاء للمبالغة، مأخوذ من الكف، فإنها إذا عمتهم الرسالة كفتهم أن يخرج منها أحد، أفاده البيضاوي، وفي دخول «أل» فيها وجواز إضافتها نزاع بين النحويين.

(١) قوله: (تقدمّه). تفسير لـ﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، والمراد: الكتب والأنبياء في قول قتادة. وقيل: الآخرة.

(٢) وقوله: (لإنكارهم له). أي: للبعث. هذا تعليل لكفرهم بالكتب السابقة.

(٣) قوله: (يا محمد). أفاد أن الخطاب للنبي ﷺ، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، لإفادة التهويل. أي: لرأيت أمرًا فظيعًا هائلًا. كما ذكره القرطبي. وجملة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿مَّوْقُوفُونَ﴾، أي: الضمير المستتر فيه، وجملة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾ عطف بيان لها.

﴿مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الرؤساء ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ﴾ صددتمونا عن الإيمان[1] ﴿لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ بالنبيّ.

﴿٣٢﴾- ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُم﴾ لا ﴿بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ في أنفسكم.

﴿٣٣﴾- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مكر فيهما[2] منكم بنا ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء

---

(١) قوله: (صددتمونا) قدره ليكون خبرًا للمبتدأ: ﴿أَنتُمۡ﴾، ومما اشتهر في النحو: وجوب حذف الخبر بعد «لولا» الامتناعية، ولكن إنما يجب حذف الخبر إذا كان كونًا عامًّا، أي: إذا كان التقدير: موجود أو كائن نحو: لولا زيد لذهبت. أي: لولا زيد موجود، أما لو كان الخبر كونًا خاصًّا فلا يحذف إلا عند وجود القرينة، وههنا الخبر كون خاص لأن تقديره: (صددتمونا). ولكنه حذف لوجود القرينة، وهي في الآية التالي: ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ﴾.
ومذهب جمهور البصريين وجوب حذف الخبر بعد «لولا» مطلقًا سواء كان كونًا عامًا أو خاصًا، وإذا ذكر الخبر يقدرون الجملة مصدرًا مبتدأ، حذف خبره نحو: لولا زيد مريض لذهبت، التقدير عندهم: لولا مرض زيد موجود لذهبت.
وبقية المواضع التي يجب حذف الخبر فيها:
١- بعد الواو العاطفة التي هي نص في معنى المعية، نحو: كل رجل وصنعتُه. أي مقترنان.
٢- فيما إذا كان المبتدأ نصًّا في اليمين، نحو: لعَمْرُك إنهم: أي: لعمرك يميني.
٣- قبل حالٍ لا يصح جعلها خبرًا، نحو: ضربي زيدًا مسيئًا. والتفصيل في كتب النحو.
وتقدم شيء من التفصيل عن «لولا» في مواضع.

(٢) قوله: (مكر فيهما). أفاد أن إضافة «مكر» بمعنى: في. وضابطها: كون المضاف إليه ظرفًا للمضاف، نحو: صلاة الليل، يا صاحبي السجن.

﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أي: الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها[١] كل عن رفيقه مخافة التعيير ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿هَلْ﴾ ما[٢] ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء[٣] ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا.

٣٤ - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٣٥ - ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[٤].

٣٦ -[٥] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ذلك.

٣٧ - ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ قربى[٦]، أي: تقريبًا

---

(١) قوله: (أي: أخفاها). تفسير لـ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ وقيل: المعنى: أظهروا الندامة؛ لأن الإسرار من الأضداد يكون بمعنى الإخفاء والإبداء، قاله القرطبي.

(٢) وقوله: (ما). أي: الاستفهام بمعنى النفي.

(٣) وقوله: (جزاء). أفاد تقدير مضاف، فيكون الكلام من إيجاز الحذف، والله أعلم.

(٤) ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾. أي: في الآخرة، وذلك أنهم قاسوا الآخرة على الدنيا، ولم يعلموا أن الدنيا مقسومة على المطيع والعاصي، فحسبوا أنهم لم يعطوا سعة الدنيا إلا لرضا الله عنهم، فلا يعذبهم، ذكر معناه ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٥) هذه الآية رد على شبهتهم، وأن سعة الدنيا عليهم لا يدل على سعادتهم ورضا الله عنهم؛ لأن الدنيا دار ابتلاء، يرزق من يشاء ويقدر على من يشاء.

(٦) قوله: (قربى) قاله مجاهد. و﴿زُلْفَىٰٓ﴾: اسم مصدر: أزلف، منصوب على أنه مفعول مطلق، كما أشار إليه المفسر بقوله: (أي: تقريبًا).

﴿إِلَّا﴾ لكن[١] ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: جزاء الحسنة[٢] مثلًا بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ من الجنة ﴿ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة[٣]: «ٱلْغُرْفَةِ»، بمعنى: الجمع[٤].

﴿٣٨﴾- ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ لنا مقدرين عجزنا، وأنهم يفوتوننا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿٣٩﴾- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُۥٓ﴾ بعد البسط[٥]، أو لمن يشاء ابتلاء[٦] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ في الخير[٧] ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ يقال: كل

---

(١) وقوله: (لكن) أشار به إلى أن الاستثناء منقطع.

(٢) قوله: (أي: جزاء الحسنة). توضيح لمعنى جزاء الضعف، وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: يجزيه الضعف، أي: المضعّف، كما يعلم من القرطبي.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حمزة: بالإفراد: ﴿ٱلْغُرْفَةِ﴾. والباقون: بالجمع: ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾.

(٤) وقوله: (بمعنى الجمع) كما قال القرطبي: «والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس».اهـ. وكما تقدم في الفرقان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [٧٥].

(٥) قوله: (بعد البسط). أشار به إلى أن هذه الآية في شخص واحد باعتبار حالتين. أي: يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى، والآية السابقة (٣٦) في شخصين، فليست مكررة، كما أفاده البيضاوي.

(٦) وقوله: (أو لمن يشاء...) هذا احتمال آخر فتكون هذه الآية كالآية السابقة لكن في هذه الآية زيادة فائدة، وهي: الحث على الإنفاق في الخير؛ لأن ما أنفق فيه فالله يخلفه، وعلى كل حال: ليست الآية مكررة.

(٧) وقوله: (في الخير) أشار به إلى أن الآية وإن كانت مطلقة لكنها مقيدة بكون الإنفاق في الخير، كما فسر بذلك ابن جرير وغيره، وكما هو معلوم.

إنسان[1] يرزق عائلته، أي: مِنْ رزقِ الله.

(٤٠)- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: المشركين[2] ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين[3] وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٤٠)﴾.

(٤١)- ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال[4] ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾

---

(١) قوله: (يقال كل إنسان). أراد المفسر هنا توضيح المراد بكون الله تعالى خير الرازقين مع أن الله هو الرزاق، فأفاد أن الرزق يسند إلى الله تعالى؛ لأنه من الله حقيقة، ويسند إلى الخلق أيضًا باعتبار أنهم يرزقون، أي: يصرفون من رزق الله.

(٢) قوله: (أي: المشركين). تفسير للضمير المتصل «هم». و﴿جَمِيعًا﴾: حال منصوب، وليس توكيدًا -إعرابًا- لخلوه من الإضافة إلى ضمير المؤكد، وألفاظ التوكيد وجب إضافتها إلى ضمير المؤكد لكي تعرب توكيدًا إلا أجمع وفروعه وتوابعه فلا تضاف.

(٣) قوله: (بتحقيق الهمزتين). تحقيق الهمزتين: همزة ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ وهمزة ﴿إِيَّاكُمْ﴾: هذه قراءة الجمهور. وقرأ أبو عمرو: بإسقاط الأولى. وقرأ البزي وقالون: بتسهيل الأولى بينها وبين الياء، ولعل هذا هو مراد المفسر بقوله: (إبدال الأولى ياءً). ولورش، وقنبل: إبدال الثانية حرف مد. ولهما أيضًا وأبي جعفر، ورويس: تسهيل الثانية.

و﴿إِيَّاكُمْ﴾ مفعول به مقدم لـ﴿يَعْبُدُونَ﴾، وجملة ﴿يَعْبُدُونَ﴾ خبر ﴿كَانُوا۟﴾، ففيه تقديم معمول خبر «كان» عليها، واستدل به على جواز تقدم خبر «كان» وأخواتها عليها؛ لأن تقدم معمول الخبر يدل على جواز تقدم الخبر نفسه؛ لأن رتبة المعمول التأخر عن العامل، ولا يجوز ذلك في خبر «ليس» و«مادام» عند جمهور النحاة. فلا يقال: قائمًا لستُ؛ مثلًا؛ لأنه لم يسمع، والتفصيل في كتب النحو.

(٤) قوله: (للانتقال). أي: ليست للإبطال، بل للإضراب، فقد يكون إضرابًا انتقاليًّا أي: لإفادة الانتقال من كلام إلى آخر من غير إبطال الأول، وقد يكون إضرابًا إبطاليًا، أي: لإبطال الأول والانتقال إلى ما بعده، وقد تقدم ذلك مثلًا في سورة الأنعام الآية (٢٨).

الشياطين، أي: يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ مصدقون فيما يقولون لهم.

﴿٤٢﴾- قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيبًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿٤٣﴾- ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ[(١)] يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ بيّن.

﴿٤٤﴾- قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ فمن أين كذبوك؟[(٢)].

﴿٤٥﴾- ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي: هؤلاء ﴿مِعْشَارَ[(٣)] مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ

---

(١) الإشارة في ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ إلى محمد ﷺ، وفي ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ إلى القرآن. وذلك واضح، قال القرطبي: «تارة يقولون: سحر، وتارة: إفك، ويحتمل أن يكون منهم من قال: إفك، ومنهم من قال: سحر».

(٢) قوله: (فمن أين كذبوك؟). أي: فليس لتكذيبهم وجه يتثبت به ولا شبهة يُتعلق بها، كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتاب وشرائع...اهـ. ذكره القرطبي.

(٣) المعشار بمعنى: العُشر أي: واحد من العشرة. قاله الجوهري. وبذلك فسر ابن جرير، وقيل: المعشار عشر العُشر، أي: واحد من المائة. وقيل: المعشار عشر العشير والعشير عشر العُشر، فيكون المعشار واحدًا من الألف. نسب إلى الماوردي، والأقوال ذكرها القرطبي.

نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ إنكاري[١] عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي: هو واقع موقعه.

﴿٤٦﴾ -[٢] ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ هي[٣] ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ أي: لأجله[٤] ﴿مَثۡنَىٰ﴾ أي: اثنين اثنين[٥] ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحدًا واحدًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ جنون ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ﴾ أي: قبل ﴿عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

﴿٤٧﴾ - ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلۡتُكُم﴾[٦] على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ أي: لا أسألكم عليه أجرًا ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾﴾ مطلع، يعلم صدقي.

﴿٤٨﴾ - ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يلقيه[٧] إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ ما غاب

---

(١) قوله: (إنكاري). أفاد أن ﴿نَكِيرِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم حذفت اختصارًا، و﴿فَكَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. و﴿نَكِيرِ﴾: اسمها.

(٢) بهذه الآية تمم الحجة على المشركين. قاله القرطبي.

(٣) وقوله: (هي). أفاد أن ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ في موضع رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، ويصح كونه في موضع جرّ، بدلًا من واحدة.

(٤) قوله: (لأجله). أي: لوجه الله والتقرب إليه. قاله القرطبي.

(٥) قوله: (اثنين اثنين). كما تقدم في أول سورة النساء.

(٦) ﴿مَا سَأَلۡتُكُم﴾: ﴿مَا﴾: شرطية في محل نصب مفعول ثان لـ﴿سَأَلۡتُكُم﴾، وجواب الشرط ﴿فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾، ومعناه: النفي أي: لا أسألكم، كما ذكره المفسر، وذكر نحوه قتادة، قال: «لم أسألكم على الإسلام جُعْلًا».اهـ. وظاهر ابن جرير أن ﴿مَا﴾ نافية فيكون المفعول الثاني: ﴿مِّنۡ أَجۡرٖ﴾ و﴿مِّنۡ﴾ مزيدة للتوكيد، والفاء في ﴿فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ لعطف الجملة.

(٧) قوله: (يلقيه...). أي: فالمراد بالحق: الوحي، كما فسره به ابن جرير. والباء: إما للتعدية أو مزيدة للتوكيد.

عن خلقه في السمٰوات والأرض.

(٤٩)- ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام[١] ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفر[٢] ﴿وَمَا يُعِيدُ (٤٩)﴾ أي: لم يبق له أثر.

(٥٠)- ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ (٥٠)﴾.

(٥١)- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند البعث[٣] لرأيت أمرًا[٤] عظيمًا ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا، أي: لا يفوتوننا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)﴾ أي: القبور[٥].

(٥٢)- ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد[٦] أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بواو

---

(١) قوله: (الإسلام). قال ابن جرير: «القرآن ووحي الله».اهـ. وروى عن قتادة: «الحق: القرآن»، وهذا وما ذكره المفسر متلازمان، وفسر البيضاوي: الحق: بالإسلام، والباطل: بالشرك.

(٢) قوله: (الكفر). كما فسر البيضاوي. وعن قتادة: «الباطل: الشيطان»، والمعنى: أي: ما يخلق إبليس شيئًا ولا يبعثه.اهـ.

(٣) قوله: (عند البعث). روي نحوه عن الحسن، قال: «إذا خرجوا من قبورهم»، ومثله عن قتادة، وعن ابن مغفل: «إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة»، وكل ذلك قريب مما ذكر المفسر، وعن ابن عباس: «هذا من عذاب الدنيا»، فالمعنى: لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم. كما في القرطبي.

(٤) وقوله: (لرأيت أمرًا...). أفاد به أن جواب «لو» هنا محذوف للتهويل.

(٥) قوله: (أي: القبور). قاله القرطبي وغيره. وقيل: من حيث كانوا، أي: على التفسير بأن الآية في عذاب الدنيا.

(٦) قوله: (بمحمد). ذكر قولين في مرجع الضمير، فعن قتادة: «بمحمد ﷺ»، وعن الحسن: «بالبعث»، وعن مجاهد: «بالله تعالى»، وقيل: بالقرآن. ذكره ابن جرير، والقرطبي، وكل الأقوال متلازمة.

وبالهمزة بدلها(١)، أي: تناول الإيمان(٢) ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ عن محله، إذ هم في الآخرة، ومحلّه الدنيا.

٥٣- ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْغَيْبِ(٣) مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا(٤) في النبي ﷺ: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن(٥): سحر، شعر، كهانة.

٥٤- ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان(٦)، أي: قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ۝٥٤﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن(٧)، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.



---

(١) قوله: (بواو وبالهمزة...). قرأ أبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالهمزة: ﴿التَّنَاؤُشُ﴾. والباقون: بالواو: ﴿التَّنَاوُشُ﴾. والهمزة مبدلة من الواو. وقيل: أصلية. فالواو من النوش والهمزة من النأش وكلاهما بمعنى الأخذ والتناول في الجملة. كما يعلم مما نقله القرطبي.

(٢) وقوله: (أي: تناول...). تفسير على الوجهين، وبه فسر البيضاوي، وذكره القرطبي مع أوجه أخرى. ونقل عن ابن عباس، والضحاك: «التناوش: الرجعة»، وعن السدي: «التوبة».

(٣) ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾. قال القرطبي: «العرب تقول لكل متكلم بما لا يحقه: هو يقذف ويرجم بالغيب.اهـ.

(٤) وقوله: (حيث قالوا...). روي نحوه عن مجاهد.

(٥) وقوله: (وفي القرآن...). ونحوه عن ابن زيد.

(٦) قوله: (من الإيمان). بيان لـ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾. ونحوه روي عن الحسن، قال: «حيل بينهم وبين الإيمان».اهـ. وعن مجاهد: «من مال أو ولد أو زهرة».

(٧) قوله: (فيما آمنوا). متعلق بـ«الريبة»، أي: كانوا في الدنيا في ريبة مما آمنوا به في الآخرة.

٣٥- سورة فاطر

مكية[١]، وآياتها خمس أو ست وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١)- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، كما بيّن في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾ في الملائكة وغيرها[٣] ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١)﴾.

(٢)- ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ[٤] وَمَا يُمۡسِكۡ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ (٢)﴾ في فعله.

---

(١) قوله: (مكية). لم أر فيه اختلافًا.

(٢) ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نعت ﴿لِلَّهِ﴾. وإضافة ﴿فَاطِرِ﴾ معنوية؛ لأنها بمعنى الماضي. وكذلك ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾. و﴿مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ نعت للـ﴿أَجۡنِحَةٖ﴾، وقد تقدم في أول سورة النساء: أن هذه الكلمات ممنوعة من الصرف، ولا تقع إلا خبرًا أو حالًا أو نعتًا. عن قتادة: «بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة».

(٣) قوله: (في الملائكة وغيرها). وبنحو هذا فسر ابن جرير. ونقل القرطبي عن المهدوي: «﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾: أي: في خلق الملائكة، وعن الحسن: «أي: في أجنحة الملائكة»، وقيل غير ذلك، وما ذكره المفسر شامل كل ذلك.

(٤) ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ جملة في محل جزم جواب ﴿مَّا﴾ الشرطية الجازمة. وأنث الضمير باعتبار معنى ﴿مَّا﴾؛ لأنها واقعة على الـ﴿رَّحۡمَةٖ﴾. وذكّر الضمير في ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ باعتبار لفظ ﴿مَا﴾. أو باعتبار معناها أيضًا، أي: ما يمسك من ذلك، كما أشار إليه المفسر.

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة(١) ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ «مِنْ» زائدة(٢)، و«خَٰلِقٍ» مبتدأ(٣) ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر(٤) نعت لـ«خَٰلِقٍ» لفظًا ومحلًّا، وخبر المبتدأ: ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات، والاستفهام للتقرير(٥)، أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٣﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم(٦) بأنه الخالق الرازق.

٤- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا(٧) ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

---

(١) قوله: (أي: أهل مكة). فسر بذلك؛ لأن السورة مكية، وبناء على ما روي من أن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فالمراد: أهل مكة، كما تقدم في أول سورة البقرة.

(٢) قوله: (﴿مِنْ﴾ زائدة). أي: إعرابًا، ومؤكدة معنًى.

(٣) وقوله: (مبتدأ). أي: فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالجر بالحرف الزائد.

(٤) قوله: (بالرفع) قرأ بالجر: حمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف. وبالرفع: الباقون. ووجههما كما قال المفسر.

(٥) قوله: (للتقرير). يعني لتقرير معنى النفي، كما أوضحه.

(٦) قوله: (مع إقراركم...). أي: فهذا استدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية. وقد تقدم معنى «لا إله إلا هو»، والكلام في تقدير خبر «لا» في سورة البقرة [تفسير آية الكرسي] وغيرها.

(٧) قوله: (فاصبر...). في تقديره إشارة إلى جواب الشرط ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾، فهو محذوف، وأقيمت علته مقامه، والتقدير: وإن يكذبوك فلا تحزن واصبر؛ لأن الرسل من قبلك قد كذبت. والله أعلم، وكما يعلم من كلام ابن جرير.

﴿ٱلْأُمُورُ ۝٤﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين وينصر المرسلين.

۝٥ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ الشيطان[1].

۝٦ - ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾[2] أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ النار الشديدة.

۝٧ - ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ هذا بيان[3] ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه.

۝٨ - ونزل في أبي جهل وغيره[4]: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بالتمويه ﴿فَرَءَاهُ

---

(١) قوله: (الشيطان). به فسر ابن عباس.

(٢) ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾، «إن» مكفوفة، و«ما» كافة. و﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر، عند الجمهور، ففيها حصر دعائه في سبب جعلهم أصحاب السعير. أعاذنا الله منها.

(٣) قوله: (هذا بيان...). أي: فهذه جملة مستقلة، والاسم الموصول مبتدأ، وخبره: الجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، وكذا ما بعده. والجملة الثانية معطوفة على الأولى، وبينهما مناسبة التضاد، كما يعلم من علم البلاغة.

(٤) قوله: (نزل في أبي جهل...). ما ذكره من سبب النزول قاله القرطبي. وذكر ثلاثة أقوال أخرى أيضًا:

١- فعن أبي قلابة: أنهم اليهود والنصارى والمجوس؛ فالمراد بسوء عملهم معاندة الرسول ﷺ.

٢- أنهم الخوارج. رواه عمر بن القاسم، و﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: تحريف التأويل.

٣- الشيطان. قاله الحسن.

٤- كفار قريش. قاله الكلبي. وقال: «نزلت في العاص بن وائل السهمي»، وقال غيره: «نزلت في أبي جهل بن هشام».اهـ. واختار أنها في كفار قريش، ويؤيده أن السورة مكية.

حَسَنًاۖ﴾، «مَن»: مبتدأ[١]، خبره: كمن هداه الله؟ لا[٢]، دل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ﴾ على المزيّن لهم ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ فيجازيهم عليه.

٩- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، وفي قراءة[٣]: «ٱلرِّيحَ»، ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع[٤] لحكاية الحال الماضية، أي: تزعجه ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة[٥] ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ بالتشديد والتخفيف[٦]، لا نبات بها ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ من

---

(١) قوله: (﴿مَن﴾: مبتدأ). أي: وهو اسم موصول، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء داخلة على محذوف، وخبر المبتدأ محذوف، كما قدره المفسر، والفاء في ﴿فَرَءَاهُ﴾ عاطفة وما بعدها معطوف على ﴿زُيِّنَ﴾.

(٢) وقوله: (لا). جواب الاستفهام. حذف لأنه يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ﴾. والفاء في ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ﴾ الفاء الفصيحة، و«لا» ناهية جازمة، و﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ﴾، و﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ مفعول لأجله. أي: لأجل الحسرات. وليس الجار والمجرور ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلقًا بـ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾؛ لأن المصدر لا يعمل في المتقدم، نبه عليه القرطبي. وقوله المفسر: (باغتمامك) يشير إلى أن ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ مفعول لأجله، والله أعلم.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿ٱلرِّيحَ﴾: بالإفراد. والباقون: بالجمع: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾.

(٤) قوله: (المضارع...). أي: قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ﴾، بصيغة المضارع، بعد ما ذكر ﴿أَرۡسَلَ﴾ بصيغة الماضي، وذلك لنكتة بلاغية، وهي: حكاية الحال الماضية كأنها واقعة الآن.

(٥) قوله: (فيه التفات..) أي: في ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ التفات إلى التكلم من الغيبة في ﴿أَرۡسَلَ﴾، والالتفات من المحسنات، كما يعلم من علم البديع.

(٦) قوله: (بالتشديد...). قرأ نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: =

البلد ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يبسها، أي: أنبتنا به الزرع والكلأ(١) ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ أي: البعث والإحياء.

۝١٠- ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه(٢) ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعلمه، وهو لا إله الله ونحوها ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقبله(٣) ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

= بالتشديد: ﴿مَّيِّتٖ﴾. والباقون: بالتخفيف: ﴿مَّيۡتٖ﴾. قال القرطبي: «ميّت وميْت واحد، وكذا ميّتة وميْتة، وهذا قول الحذاق من النحويين».اهـ.

(١) قوله: (أي: أنبتنا...). أشار به إلى أن الإحياء والموت هنا مجازان. وقد تقدم ما يتعلق من معنى الآية في الأعراف وغيرها.

(٢) قوله: (فلا تنال...). إيضاح لمعنى الآية، فمعناها -كما قال ابن كثير-: «من كان يحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فيلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده؛ لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعًا».اهـ. روي هذا المعنى عن قتادة. وفيه إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، وأقيمت علته مقامه، وهي: فإن العزة لله جميعًا.

(٣) قوله: (يعلمه) و(يقبله). أي: كما يقال: رفع الأمر إلى القاضي بمعنى: أوصل إليه، ونسبه القرطبي إلى الزجاج. وقال البيضاوي: «وصعودهما مجاز عن قبولهما»، وعلى كل حال هذا نوع من التأويل، والأولى إبقاؤه على الحقيقة، وإن كان هناك قبول وعلم، كما يدل على ذلك ظاهر النصوص، روى ابن جرير عن ابن مسعود: «إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبدالله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ﴾ الآية.

بالنبي في دار الندوة[١] من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال[٢] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ يهلك.

﴿١١﴾ - ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورًا وإناثًا[٣] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال، أي: معلومةً له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر أو معمر آخر[٤] ﴿إِلَّا فِي

---

(١) (في دار الندوة). هذا التفسير عزاه القرطبي إلى أبي العالية، وعن مجاهد، وشهر بن حوشب: أنهم أهل الرياء.

(٢) وقوله: (في الأنفال). أي: الآية (٣٠).

(٣) قوله: (ذكورًا وإناثًا). بمثله فسر ابن كثير. وقال ابن جرير وغيره: «زوّج بعضكم بعضًا».اهـ.

(٤) قوله: (أي: ذلك المعمر). يعني: أن الضمير في ﴿عُمُرِهِ﴾ يعود على عين المعمر المذكور. وعلى هذا يكون معنى نقصان عمره: انقضاء عمره شيئًا فشيئًا. روي ذلك عن ابن عباس، قال: «وما يعمر من معمّر إلا كتب عمره كم هو سنة، كم هو شهرًا، كم هو يومًا، كم هو ساعةً، ثم يكتب في كتاب آخر، نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله».اهـ. نقله القرطبي.

وقوله: (أو معمر آخر) تفسير ثانٍ لهذه الآية، فالضمير في ﴿عُمُرِهِ﴾ يعود إلى المعمّر باعتبار جنسه، لا إلى عين المعمّر الأول، ويكون المعنى: لا يقضى لأحدٍ بطول العمر ولا لآخر بقصر العمر إلا في كتاب، فكلٌّ بالغ ما كتب له من العمر، وهذا المعنى مرويّ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا فيما رواه ابن جرير، قال ابن عباس: «يقول -أي: الله-: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرتُ له من العمر، وقد قضيت ذلك له، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له، لا يزاد عليه، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه،=

كِتَٰبٍۚ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ هيّن[(١)].

﴿١٢﴾-[(٢)] ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة[(٣)] ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شربه[(٤)] ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[(٥)] هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح[(٦)]، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً

= فذلك قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يقول: كل ذلك في كتاب عنده». اهـ. واختار ابن جرير هذا المعنى.

(١) قوله: (هيّن). فـ﴿يَسِيرٌ﴾ فعيل من اليُسر.

(٢) هذه الآية تنبيه على قدرته تعالى العظيمة كما يعلم من ابن كثير، أو تتضمن مثلًا للمؤمن والكافر كما نبه عليه البيضاوي.

(٣) قوله: (شديد العذوبة) فالفرات صفة مشبهة من فَرُتَ الماءُ فُروتَةً. والأجاج صفة مشبهة من أَجّ الماءُ: إذا اشتدت ملوحته، كما يعلم من كتب اللغة، و﴿سَآئِغٌ﴾ بمعنى سهل الانحدار في الحلق. و﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾ استطراد في صفة البحرين وذكرٌ لما فيهما من النعم، والمعنى: على أن الآية تمثيل للمؤمن والكافر: أن البحرين وإن استويا في بعض الصفات والفوائد لا يستويان فيما هو المقصود بالذات من الماء، فإن أحدهما صالح للشرب والآخر غير صالح، كذلك المؤمن والكافر وإن استويا في بعض الصفات كالكرم والشجاعة -مثلًا- لا يستويان فيما هو الخاصية العظمى، كما يعلم من البيضاوي، وتقدم معنى هذه الآية في سورة النحل (١٤).

(٤) قوله: (شربه). أفاد أن الشراب هنا بمعنى المصدر، وهو في الأصل: ما يُشرب.

(٥) ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾. هذا الوصف ﴿طَرِيًّا﴾ ليس له مفهوم المخالفة؛ لأنه ذكر في معرض الامتنان، فلا تفيد الآية حُرمة غير الطريّ، كما يعلم من كتب الأصول.

(٦) قوله: (من الملح). أي: اللؤلؤ والمرجان من البحر الملح، لا من العذب، وهذا هو المشهور، واقتصر عليه ابن جرير.

وقيل: يُستخرج ذلك من الملح والعذب، ذكر القولين القرطبي، وأقوالًا أخرى.

﴿تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء، أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ الله على ذلك.

١٣- ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد[1] ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ﴾ منهما ﴿يَجۡرِي﴾ في فلكه[2] ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ لِفَافة النواة[3].

١٤- ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ فرضًا[4] ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرؤون منكم[5] ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثۡلُ

---

(١) قوله: (فيزيد) كما روي عن قتادة: «زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا»، ونحوه عن ابن عباس، وقد تقدم.

(٢) قوله: (في فلكه). بفتح الفاء، أي: مساره من السماء.

(٣) قوله: (لفافة النواة) أي: ما يشبه الغلاف على النواة، وقد تقدم بيان ذلك في سورة النساء.

(٤) قوله: (فرضًا). أي: بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولًا متيسرًا له الجواب.اهـ. قاله ابن جرير. واستجاب مجرد عن معنى الطلب، كما أشار إليه المفسر.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ...﴾، ليس من القياس المنطقيّ؛ لاختلاف الحدّ الأوسط، فهو في القضية الأولى منفي ﴿لَا يَسۡمَعُواْ﴾، وفي الثانية مثبتة: ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾. ثم هذه القضية الثانية مهملة وليست كليّة، ومن شرط القياس على الشكل الأول كون الكبرى كلية، والله أعلم.

(٥) قوله: (أي: يتبروون...) كما قال ابن جرير: «ويوم القيامة تبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من كونها شريكًا في الدنيا».اهـ. وتقدم ذلك في تفسير سورة لقمان الآية (٢٦).

خَبِيرٍ (١٤)﴾ عالم، هو الله تعالى[١].

(١٥) - ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ[٢] إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ (١٥)﴾ المحمود في صنعه بهم[٣].

(١٦) - ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦)﴾ بدلكم.

(١٧) - ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)﴾ شديد.

(١٨) - ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس[٤] ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة، أي: لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحدًا ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قرابة كالأب والابن، وعدمُ الحمل[٥] في

---

(١) قوله: (هو الله). كما قال قتادة: «والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة».اهـ.

(٢) عرّف لفظ ﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ لإفادة نوع الحصر، فإنهم لشدة افتقارهم إليه كأنهم هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه، كما يعلم من الزمخشري.

(٣) قوله: (المحمود) فسر بذلك، وإن كان «فعيل» يصلح بمعنى الفاعل؛ لأن هذا مقام المدح، فيناسب تفسيره بالمحمود، وكما قال ابن جرير: «يعني: المحمود على نعمه».اهـ. ويراجع تفيسر «لقمان» أو سورة البقرة (٣٦٧).

(٤) قوله: (نفس). قدره في المواضع الثلاثة لإفادة أن هناك موصوفًا محذوفًا، فيكون الكلام من إيجاز الحذف.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾: فعل مضارع محذوف الفاء، أصله: «تَوْزِر» نحو: تَعِدُ. و«الحِمل» بكسر الحاء: ما على الظهر، والحَمل بفتح الحاء: حمل المرأة، وحمل النخل. نقله القرطبي عن الكسائي، وقول المفسر: (ليحمل بعضه). معنى البعضية مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾.

(٥) قوله: (وعدم الحمل). ولعل المفسر أشار بهذا الكلام أن هذا الحكم من الله تعالى، وهو على غناه وقدرته وتدبيره، فله الخلق والأمر، فتكون هذه الآية مناسبة لما قبلها من الآيات. والله أعلم.

=

الشقين حكم من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع، فيجزي بالعمل في الآخرة.

﴿١٩﴾[1] - ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ الكافر والمؤمن.

﴿٢٠﴾ - ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ الإيمان.

﴿٢١﴾ - ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الجنة والنار.

﴿٢٢﴾ - ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون والكفار، وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: الكفار شبههم بالموتى، فلا يجيبون[2].

= **تنبيه**: لا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؛ لأن تلك الآية في الضالين المضلين، فيحملون وزرَ ضلالهم وإضلالهم، وكلاهما من وزرهم. أفاده البيضاوي.

(١) ما ذكره المفسر من تفسير هذه الآيات مرويّ عن ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: «هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية...إلخ». وعن ابن زيد، قال: «هذا مثل ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله والكافر أعمى...إلخ». وكذا عن قتادة. وتفسير الظل والحرور بالجنة والنار، ذكره ابن جرير حكاية. وفسرهما البيضاوي بالثواب والعقاب، وأما المعنى اللغوي للحرور فهو فَعُول من الحرّ، وهو: الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار كالسموم لكن السموم تكون في النهار خاصة، كما يعلم من كتب اللغة والتفسير.

(٢) قوله: (شبههم بالموتى). سبق الكلام عن سماع الأموات في سورة النمل الآية (٨٠).

٢٣- ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ منذر لهم.

٢٤- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ نبي ينذرها[١].

٢٥- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم[٢] ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

٢٦- ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ إنكاري[٣] عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي: هو واقع موقعه[٤].

٢٧- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم[٥] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات[٦]

---

(١) قوله: (نبيّ ينذرها). كما قال قتادة: «كل أمة كان لها رسول». وقال البيضاوي: «﴿نَذِيرٌ﴾: من نبيّ أو عالم ينذر عنه».اهـ. وفسر ﴿أُمَّةٍ﴾ بأهل عصر.

(٢) قوله: (كصحف إبراهيم). وبه فسر البيضاوي. وظاهره: أن الزبر: الصحف. والكتاب المنير: الكتاب كالتوراة، ولكن ظاهر كلام القرطبي وغيره أن المراد بالزبر والكتاب واحد. قال: «وكرر الزبر والكتاب وهما واحد لاختلاف اللفظين»، وقول المفسر: (فاصبر كما صبروا): فيه إشارة إلى جواب الشرط: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ حذف الجواب وأقيم علته مقامه، كما تقدم في أول السورة الآية (٤).

(٣) قوله: (إنكاري). أفاد أن ﴿نَكِيرِ﴾ مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة.

(٤) وقوله: (أي: هو واقع...). أفاد أن الاستفهام فيه نوع من التقرير.

(٥) قوله: (تعلم). أفاد أن الرؤية هنا قلبية، وجملة «أن» ومعمولاها سدت مسد المفعولين.

(٦) قوله: (فيه التفات). أي: في قوله ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ التفات إلى التكلم من الغيبة في ﴿أَنزَلَ﴾ كما تقدم في الآية (٩).

عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ جمع جُدّة[١]، طريق في الجبل وغيره[٢] ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ عطف على «جُدَدٌ»[٣]، أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرًا[٤]: أسود غِرْبيب، وقليلًا: غِرْبيب أسود.

٢٨- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ[٥] وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف

---

(١) قوله: (جمع جُدّة). بضم الجيم وتشديد الدال، أما جمع الجديد فهو جُدُد، بضم الجيم والدال، وليس ذلك هنا.

(٢) وقوله: (طريق في الجبل...). قال القرطبي: «وهي الطرائق المختلفة الألوان»، و﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: أي: طرائق تخالف لون الجبل.اهـ. قاله القرطبي. أو مختلفة فيما بينها، كما قال الضحاك: «طرائق بيض وحمر وسود».

(٣) وقوله: (عطف على ﴿جُدَدٌۢ﴾). أي: فالمعنى: ومن الجبال غرابيب، وهو بتقدير مضاف، أي: ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون، وذو غرابيب سود متحدة اللون. كما يعلم من البيضاوي.

(٤) قوله: (يقال كثيرًا...). يعني: أن ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ نعت لـ﴿سُودٌ﴾ يوصف بها السود. وقد يعكس كما في الآية، فيقال: أسود غربيب كثيرًا، أو غربيب أسود قليلًا. فوقوع غربيب نعتًا لأسود أكثر إطلاقًا من وقوع أسود نعتًا لغربيب. وعلى كل حال هذا نعت للتأكيد. و«غربيب» على وزن «فعليل»، وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه. ومنه الغراب، كما ذكره الدرويش في «إعراب القرآن».

(٥) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ خبر مقدم وما بعدها معطوف، و﴿مُخْتَلِفٌ﴾ مبتدأ مؤخر وهو في الأصل نعت لمحذوف هو المبتدأ، أي: صنف مختلف، و﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾ فاعل ﴿مُخْتَلِفٌ﴾. قال ابن كثير ما حاصله: «ينبه الله تعالى على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، فخلق من الماء الذي ينزله من السماء ثمرات مختلفة الألوان والأشكال=

الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

﴿٢٩﴾ -[1] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ تهلك.

﴿٣٠﴾ - ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾[2] ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ لطاعتهم.

﴿٣١﴾ - ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدَّمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

= والطعوم والروائح، وخلق الجبال مختلفة الألوان، والناس والدواب كذلك، مختلفة ألوانهم وأشكالهم... فتبارك الله أحسن الخالقين».اهـ. ملخصًا. ثم قال بعد ذلك: «﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وذلك لأن شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، ولذا أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، روي عن ابن عباس: «﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، قال: «الذين علموا أن الله على كل شيء قدير».اهـ.
تنبيه: أفادت الآية فضل العلم، وأن الخشية من سمات أهل العلم، ولذا قال الربيع بن أنس: «من لم يخش الله تعالى فليس بعالم».اهـ. نقله القرطبي. ونقل عن ابن مسعود: «كفى بخشية الله علمًا وبالاغترار جهلًا».اهـ.

(١) قال القرطبي: «هذه آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق».اهـ. وروى ابن جرير عن مطرف بن عبدالله قال: «هذه آية القراء».اهـ.

(٢) ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾. كما تقدم في سورة النساء (١٧٣)، وفي سورة النور (٣٧).

٣٢- [(١)] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا[(٢)] ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به في أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يضم إلى العمل به التعليمَ والإرشادَ إلى العمل ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ٣٢﴾.

٣٣- ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة[(٣)] بالبناء للفاعل

---

(١) من أوضح ما فسرت به هذه الآية الكريمة ما قاله ابن كثير، ويوافقه كلام المفسر، قال ابن كثير: «يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسّمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات».اهـ. وروى ابن جرير عن ابن عباس: «قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب».اهـ. وروى قريب منه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفسرت الآية بغير ما ذكر، ولكن ما ذكر أوضح وأقرب. وقول المفسر: (يعمل به أغلب الأوقات..)، وقوله: (يضم إلى العمل...) كذلك فسره البيضاوي. وقوله: (إلى العمل). كذا في النسخ، ولعله زائد. وعبارة البيضاوي: «بضم التعليم والإرشاد إلى العمل».اهـ. وعلى وجوده فهو متعلق بـ(الإرشاد)، أي: يضم إلى العمل الإرشاد إليه.

(٢) قوله: (أعطينا). تفسير بالمراد بـ﴿أَوْرَثْنَا﴾، كما هو واضح.

(٣) قوله: (الثلاثة). أي: الأنواع الثلاثة المذكورة، كما يستفاد من كلام ابن كثير. وهو عطف بيان للواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

والمفعول[١]، خبر «جَنَّٰتُ»[٢] المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض[٣] ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿٣٤﴾- ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه[٤] ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ للطاعة.

﴿٣٥﴾- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقامة[٥] ﴿مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ إعياء من التعب؛ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني[٦] التابع للأول للتصريح بنفيه.

---

(١) وقوله: (بالبناء للفاعل). قرأ أبو عمرو: بالبناء للمفعول: ﴿يُدْخَلُونَهَا﴾. والباقون: بالبناء للفاعل: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾.

(٢) وقوله: (خبر ﴿جَنَّٰتُ﴾). أي: جملة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبر لـ﴿جَنَّٰتُ﴾ وهو مبتدأ. وهذا من أسلوب الاشتغال، ومن المواضع التي يترجح الرفع للاسم السابق. كما هو معلوم من كتب النحو.

(٣) قوله: (بعض). قدره ليفيد أن ﴿مِنْ﴾ هنا للتبعيض، وفي ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ تحتمل التبعيض أو للبيان. والله أعلم.

(٤) قوله: (جميعه). أشار إلى أن «أل» للاستغراق.

(٥) قوله: (أي: الإقامة). أفاد أن ﴿الْمُقَامَةِ﴾ مصدر ميميّ.

(٦) قوله: (وذكر الثاني...). يعني: أن اللغوب: الإعياء الناتج عن التعب، فذكره في قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ للتصريح بنفيه وإن كان انتفاؤه لازمًا من انتفاء التعب.

تنبيه: في هذه الآيات -على ما سبق تفسيرها- إبطال لمذهب الخوارج والمعتزلة القائلين بأن العاصي خارج عن الإيمان، ويجب دخوله وخلوده النار، ولا شفاعة له، وفي الآية (٣٢) ما يسمى الجمع مع التقسيم في علم البديع، وهو جمع المتكلم بين شيئين في حكم=

(٣٦)- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا۟﴾ يستريحوا[١] ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ (٣٦)﴾ كافر[٢]، بالياء والنون[٣] المفتوحة مع كسر الزاي ونصب «كُلَّ».

(٣٧)- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا[٤] نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم[٥]: ﴿أَوَلَمْ

= ثم يقسمه، أو بعكس ذلك، فذكر الأقسام الثلاثة ثم جمعهم في حكم وهو: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ والله أعلم.

(١) قوله: (يستريحوا). كما قال قتادة: «﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت، فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا».اهـ. وهو منصوب بأن مضمرة وجوبًا؛ علامة نصبه حذف النون.

(٢) قوله: (كافر). وبه فسر القرطبي. وأفاد المفسر بذلك: أن المراد بالـ﴿كَفُورٍ﴾ هنا الكافر مطلقًا، وليس المراد البالغ في الكفر؛ لأن صيغة ﴿كَفُورٍ﴾ صيغة مبالغة، والخلود في جهنم -أعاذنا الله منها- لكل كافر.

(٣) قوله: (بالياء والنون). توضيح للقراءتين. قرأ أبو عمرو: بالياء: بصيغة المبني للمفعول، ورفع «كلّ» على أنه نائب فاعل: ﴿يُجْزَىٰ كُلُّ﴾. وقرأ الباقون: بالنون على صيغة المبني للفاعل ونصب «كلّ» على المفعولية: ﴿نَجْزِى كُلَّ﴾.

(٤) ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا﴾. ﴿غَيْرَ﴾: هنا نعت لـ﴿صَٰلِحًا﴾، والأكثر في غير وقوعه نعتًا، وقد يستعمل للاستثناء كما فصله النحاة. بخلاف «إلا»، فالأصل وقوعه حرف استثناء، وقد يقع مع ما بعدها نعتًا، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقد سبق ذكر ذلك في تفسيره.

(٥) قوله: (فيقال...). أفاد أن الجملة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ...﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف.

﴿نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ وقتًا[١] ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الرسول[٢]، فما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٣٨﴾ بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس[٣].

٣٩ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة[٤]، أي: يخلف بعضكم بعضًا ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾[٥] غضبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ٣٩﴾ للآخرة.

---

(١) قوله: (وقتًا). روي عن ابن عباس في تحديد هذا الوقت أنه أربعون سنة. رواه عنه مجاهد. وقال مسروق: «إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله».اهـ. وروى مجاهد عن ابن عباس أيضًا أنه ستون سنة، وروى عنه مرفوعًا: «**إذا كان يوم القيامة نودي: أين أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال الله:** ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾».اهـ. ابن جرير.

(٢) قوله: (الرسول). روي نحوه عن ابن زيد، لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ٥٦﴾ [النجم: ٥٦]، وعن ابن عباس، وعكرمة، وسفيان وغيرهم: «النذير: الشيب»، وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (بالنظر إلى حال الناس). أفاد به أنه ليس شيء أولى من شيء في العلم بالنسبة إليه تعالى، وإنما ذكر ذلك لتقريب الفهم بما أَلِفه ابن آدم.

(٤) قوله: (جمع خليفة). تقدم شرح هذه الكلمة ووجه جمعها على «خلائف» أو «خلفاء». راجع الآية (٦٩) من سورة الأعراف مثلًا.

(٥) ﴿وَلَا يَزِيدُ ...﴾ فاعله: ﴿كُفْرُهُمْ﴾، و﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مفعول أول، و﴿مَقْتًا﴾: مفعول ثان، والاستثناء مفرغ، وكذلك الجملة التالية.

٤٠- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ[(١)] شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾ باطلًا بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[(٢)] أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما[(٣)] ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنْ

---

(١) ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾. بمعنى: أخبروني -كما تقدم-. لها ثلاثة مفاعيل: الأول: ياء المتكلم. والثاني: ﴿شُرَكَآءَكُمُ﴾. والثالث: جملة ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾؛ فهي في محل نصب معلقة عن العامل لوجود الاستفهام سدت مسدّ المفعول الثالث، وجملة ﴿أَرُونِي﴾ بدل من ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، كما ذكره البيضاوي، أو معترضة، وهذا الإعراب الأسهل، و﴿مَاذَا﴾ يجوز كون «ما» استفهامية في محل رفع مبتدأ، و«ذا»: اسم موصول في محل رفع خبر، وجملة ﴿خَلَقُوا﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: خلقوه. ويجوز كون ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام في محل نصب وهو مفعول مقدم لـ﴿خَلَقُوا﴾. فتكون «ذا» ملغاة غير موصولة، و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال بعض الأصوليين بمعنى: في، أي: في الأرض. و﴿أَمْ﴾ في ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ منقطعة لعدم تقدم همزة التسوية أو التعيين، تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري، كما أشار إلى ذلك المفسر بقوله: (لا شيء من ذلك).

(٢) ﴿أَن تَزُولَا﴾. زال هنا تامة، من: زال، يزول. وفاعلها: الألف. أما الناقصة: فهي زال، يزال، ويلزمها سبق النفي أو شبه النفي، نحو: ما زال، لا تزل، كما هو معلوم في النحو.

(٣) قوله: (ما). أشار المفسر إلى أن ﴿إِنْ﴾ نافية كما في مواضع. و﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ مزيدة للتوكيد في الموضعين، و﴿أَحَدٍ﴾ فاعل مرفوع تقديرًا. وجملة ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا...﴾ =

﴿بَعۡدِهِۦٓ﴾ أي: سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ في تأخير عقاب الكفار.

٤٢- ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ غاية اجتهادهم فيها[1] ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ اليهود والنصارى وغيرهما، أي: أيّ واحدة منها، لما رأوا[2] من تكذيب بعضهم بعضًا، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمۡ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا ٤٢﴾ تباعدًا عن الهدى.

٤٣- ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكۡرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ وهو

= جواب القسم، ودالة على جواب الشرط كما تقدم لذلك نظائر. وأمسك: ماض بمعنى المضارع، كما أفاد المفسّر؛ لأن «إنْ» الشرطية للتعليق في المستقبل، وذلك واضح.

(١) قوله: (غاية اجتهادهم...). أفاد أن ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ مفعول مطلق، ﴿جَهۡدَ﴾: نائب عن المصدر، مضاف إلى المصدر، نحو: كل، وبعض. كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ﴾ [النساء: ١٢٩]. وتقدمت الكلمة في سورة المائدة الآية (٥٣) وغيرها.

(٢) قوله: (لما رأوا...). قال القرطبي: «هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمدًا ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله جل اسمه: ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ أي: نبي، ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ يعني: ممن كذب الرسل من بني إسرائيل، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل، فلما جاءهم ما تمنوه، وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به». اهـ.

تنبيه: ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لأجل نون التوكيد، أي: لاجتماع الأمثال. واسمه: الواو المحذوفة، وأصل الكلمة: لَيَكُونونَنَّ، كما هو معلوم من علم الصرف والنحو.

الماكر، ووصف المكر بالسيء أصل[(١)]، وإضافته إليه قبلُ استعمال آخر، قدر فيه مضاف[(٢)] حذرًا من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه.

﴿٤٤﴾ - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأشياء كلها[(٣)] ﴿قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ عليها.

---

(١) قوله: (ووصف المكر بالسيئ) يعني: ذكر الله تعالى أولًا بإضافة المكر إلى السيئ ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، وثانيًا بجعل السيء نعتًا للمكر ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾، يقول المفسر: هذا هو الأصل أي: كون السيئ نعتًا للمكر. وأما الإضافة فهي من إضافة الموصوف إلى الصفة، فيقدر قبل المضاف إليه موصوف، لئلا تلزم إضافة الشيء إلى نفسه وهذا تخريج البصريين. والكوفيون أجازوا إضافة الموصوف إلى الصفة والعكس كما ذكره النحاة في باب الإضافة. فقول المفسر: (وإضافته إليه قبلُ) أي: إضافة المكر إلى السيء قبلَ هذا، يشير به إلى قوله تعالى: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾.

(٢) وقوله: (قدر فيه مضاف...). والمراد به مضاف إليه، وهو قوله: (العمل). وربما يطلقون المضاف على المضاف إليه.

(٣) قوله: (بالأشياء كلها). أشار بذلك أن حذف المفعول لـ﴿عَلِيمًا﴾ لإفادة العموم، وهي نكتة بلاغية.

تنبيه: ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبًا، واللام هي التي تسمى بلام الجحود، وهي المسبوقة بكونٍ منفيٍّ ماضٍ، كما هو معروف في علم النحو.

﴿٤٥﴾ - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها[1] ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ فيجازيهم[2] على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.



(١) قوله: (نسمة تدبّ عليها). شامل للإنس والجن وغيرهما، كما نقل القرطبي عن ابن مسعود، قال: «يريد جميع الحيوان مما دب ودرج».اهـ. قال قتادة: «وقد فعل ذلك زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وأفادت الآية أن أثر الظلم والمعاصي تتعدى إلى غير الفاعل، ولذا قال ابن مسعود: «كاد الجُعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم»، وقال الثمالي ويحيى بن سلام في هذه الآية: «يحبس الله المطر فيهلك كل شيء».اهـ. نقل ذلك كله القرطبي.

(٢) قوله: (فيجازيهم). فيه إشارة إلى أن جواب «إذا» محذوف دل عليه جملة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾، وليست هذه الجملة هي الجواب في المعنى، كما هو واضح.

٣٦- سورة يسٓ

مكية[١]، أو إلا آية[٢]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا...﴾ [٤٧] إلى آخرها، أو مدنية، وآياتها ثلاث أو اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) - ﴿يسٓ (١)﴾ الله أعلم بمراده به[٣].

(٢) - ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)﴾ المُحكَم بعجيب النظم وبديع المعاني.

(٣) - ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)﴾.

(٤) - ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله[٤] ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤)﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك:

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «بالإجماع»، وعلى هذا يكون القول بأنها مدنية ضعيفًا، وأطلق ابن جرير وغيره: أنها مكية، ولم أر القول بأنها مدنية معزوًّا.

(٢) قوله: (أو إلا آية:...). أي: بناءً على قول الحسن إنها نزلت في اليهود إذا أمروا بإطعام الفقراء. ونقل القرطبي قولًا بأن ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ مدنية، نزلت في بني سلمة حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، ولم يعزه إلى قائل.

(٣) قوله: (الله أعلم بمراده). كما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور. روي عن ابن مسعود، وابن عباس وغيرهما معناه: «يا إنسان». وعن ابن جبير: «هو اسم من أسماء النبي ﷺ». وعن مالك: «أنه من أسماء الله تعالى»، وقيل غير ذلك، ذكره القرطبي. وقد ورد في فضل «يسٓ» أحاديث وآثار، في أسانيد بعضها مقال، إلا أنه يدل مجموعها أن لهذه السورة فضلًا، ومن ذلك ما روى الضحاك عن ابن عباس مرفوعًا: «**إن لكل شيء قلبًا، وإن قلب القرآن يسٓ، ومن قرأها في ليلة أعطي يسر تلك الليلة، ومن قرأها في يوم أعطي يسر ذلك اليوم، وإن أهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرؤون شيئًا إلا طه ويسٓ**».اهـ. أورده القرطبي بدون عزو، والله أعلم.

(٤) قوله: (متعلق بما قبله). أي: الجار والمجرور متعلق بما قبله وهو ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.

التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم[١] وغيره رد لقول الكفار له: لست مرسلًا.

٥- ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ بخلقه، خبر مبتدأ مقدر، أي: القرآن.

٦- ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ«تَنزِيلَ» ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لم ينذروا في زمن الفترة[٢] ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ عن الإيمان والرشد.

٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ أي: الأكثر.

٨- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ بأن تضم إليها الأيدي[٣]؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِىَ﴾ أي: الأيدي مجموعة[٤] ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن، وهو

---

(١) قوله: (والتأكيد...). أي: فهنا عدة مؤكدات: القسم، وإنّ، واللام، واسمية الجملة، والتعقيب بـ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾، والتأكيد بها ردّ لقول الكفار. عزاه القرطبي إلى ابن عباس. وأما قول الكفار ذلك فقد تقدم في آخر سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية (٤٣). ومعلوم في علم البلاغة أن الكلام يؤكد للمنكر.

(٢) قوله: (أي: لم ينذروا). أفاد به أن ﴿مَّآ﴾ في ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ نافية، فلا محل لها من الإعراب، وهذا الوجه عزاه القرطبي إلى أكثر المفسرين، وعزاه إلى قتادة، وعلى ذلك جرى ابن كثير وغيره.

وروى عن ابن عباس، وعكرمة، وقتادة أيضًا: أن ﴿مَّآ﴾ موصولة، فهو مفعول ثانٍ لـ﴿لِتُنذِرَ﴾، فيكون المراد بالآباء: الأمم السابقة.

(٣) قوله: (بأن تضم إليها) أي: على الأعناق.

(٤) وقوله: (مجموعة). قدره ليتعلق به الجار والمجرور ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾. وأفاد به أن جعل الأغلال في الأعناق يلزم منه كون الأيدي مربوطة في العنق. فرجع الضمير «هي» إليها، كما يعلم من ابن جرير أيضًا.

مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل[١]، والمراد أنهم لا يُذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

٩- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين[٢] ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ تمثيل أيضًا[٣]؛ لسد طرق الإيمان عليهم.

١٠- ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين[٤] وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾.

---

(١) قوله: (وهذا تمثيل...). أي: فيكون الكلام من التشبيه المركب، شبه الكفار بالذين غلت أعناقهم بجامع عدم الوصول إلى الهدى، وبذلك فسر عامة المفسرين، قال ابن كثير: «يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المختوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه، فصار مقحمًا».اهـ. وروى ابن جرير عن ابن عباس: «قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ الآية هو كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ...﴾ [الإسراء: ٢٩]».اهـ.

(٢) قوله: (بفتح السين...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح السين. والباقون: بضمها، وهما لغتان كما أفاده القرطبي وغيره. وتقدم في سورة الكهف.

(٣) قوله: (تمثيل أيضًا...). كما قال ابن جرير: «وعني بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا...﴾ أنه زين لهم سوء أعمالهم، فهم يعمهون، ولا يبصرون رشدًا ولا ينتبهون حقًّا».اهـ. ثم ذكر ما يفيد هذا المعنى عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، وروى عن عكرمة: «أن هذه الآية نزلت في أبي جهل، قال: لئن رأيت محمدًا لأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزلت ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾، قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ لا يبصره».اهـ. ونقل القرطبي ذلك بسياق مفصل عن مقاتل وغيره.

(٤) قوله: (بتحقيق الهمزتين...) كما تقدم في أول سورة البقرة الآية (٦)، وتقدم هناك إعرابه.

(١١)- ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ خافه ولم يره[١] ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾ هو الجنة.

(١٢)- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكۡتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ في حياتهم من خير وشر[٢] ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ نصبه بفعل يفسره[٣] ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ كتاب بيّن، هو اللوح المحفوظ.

---

(١) قوله: (وخافه ولم يره). تفسير لـ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾، فيكون ﴿بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ حالًا من ضمير ﴿وَخَشِيَ﴾، أي: خشِيَهُ حال كونه لم يره، أو من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾، أي: حال كونه مغيبًا عن الأبصار، وذكر الوجهين الدرويش في «إعراب القرآن».

(٢) قوله: (من خير وشر)، وقوله: (ما استن به بعدهم). أفاد أن المراد بـ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ أعمالهم التي باشروها بأنفسهم من خير أو شر، والمراد بـ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ أي: أثروها من بعدهم مما استن بهم فيه. وبنحوه فسر ابن كثير، ثم أورد حديث مسلم: «قال ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئًا**».اهـ.

وروى ابن جرير عن ابن عباس وغيره أن هذه الآية نزلت في بعض الأنصار، الذين أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد النبوي، قال ابن عباس: «كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا، قال: فنزلت ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾، وفي حديث جابر: «أنهم بنو سلمة»، وعلى هذا يكون معنى ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ خطاهم بأرجلهم إلى المسجد، وبناءً على ذلك قيل إن هذه الآية مدنية، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك أول السورة.

(٣) قوله: (بفعل يفسره). أي: فهو من باب الاشتغال، وهو من مواضع جواز الرفع والنصب على السواء ولكن لم تقع القراءة هنا بالرفع. والله أعلم.

١٣- ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية[١] ﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾ إلى آخره، بدل اشتمال من «أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ»، ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾ أي: رُسل عيسى.

١٤- ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بدل من «إِذۡ» الأولى إلى آخره ﴿فَعَزَزۡنَا﴾ بالتخفيف والتشديد[٢]، قوينا الاثنين ﴿بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾.

---

(١) قوله: (أنطاكية). وهي من قرى الروم، كما روي عن قتادة، قال القرطبي: «وهي أنطاكية في قول جميع المفسرين، فيما ذكره الماوردي»، وعن ابن إسحٰق: «أنه كان بها ملك يقال له: أنطبخس بن أنطبخس بن أنطبخس، وكان يعبد الأصنام فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل، وهم: صادق وصدوق وشلوم، فكذبهم...».اهـ.

وأورد ابن كثير ما نقل في قصة هؤلاء من التفاصيل، ثم استشكل كون تلك القرية هي أنطاكية، وذلك لأمور:

الأول: أن ظاهر الآية أن هؤلاء رسل الله، وليسوا رسل عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما عليه جمهور المفسرين.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانت أول مدينة آمنت بعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة التي فيهن بتاركة، وهن: القدس، وأنطاكية، والإسكندرية، والرومية.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين كان بعد إنزال التوراة. وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغيره من السلف أن الله تعالى لم يُهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعد إنزال التوراة، وعلى هذا تكون القرية المذكورة هنا في القرآن غير أنطاكية المشهورة، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف، أو تكون قرية أخرى اسمها أنطاكية غير أنطاكية المشهورة، إذ كان هذا اللفظ محفوظًا في هذه القصة».اهـ. ملخصًا من ابن كثير.

(٢) قوله: (بالتخفيف...). قرأ شعبة: بالتخفيف من الثلاثي المجرد: ﴿فَعَزَزۡنَا﴾. والباقون: بالتشديد: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ من التعزيز.

١٥- ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾ ما[1] ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

١٦- ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم[2]، وزيد التأكيد به[3] وباللام على ما قبله؛ لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٧- ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ التبليغ[4] البيّن الظاهر بالأدلة

---

(١) قوله: (ما) أشار به إلى أن ﴿إِنْ﴾ هنا نافية، ويدل على ذلك وجود ﴿إِلَّا﴾ بعدها، وقد تقدم له نظائر.

(٢) قوله: (جار مجرى القسم). يعني أن جملة ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ تجري مجرى القسم، فكأنما قالوا: والله.

(٣) وقوله: (وزيد التأكيد). أشار المفسر به إلى مسألة بلاغية، وهي زبدة علم البلاغة، وهي: أن الكلام لابد أن يطابق المقام، والمقام هو حال المخاطب، وبالنسبة إلى إيراد الكلام قسموا المقام إلى ثلاثة:

١- أن يكون المخاطب خالي الذهن عن الحكم، فلا يؤكد الكلام الملقى إليه.

٢- أن يكون سائلًا مترددًا في الحكم، فيحسن تأكيد الكلام بمؤكدٍ أو مؤكدَين.

٣- أن يكون منكرًا للحكم، فيجب تأكيد الكلام حسب قوة إنكاره، إزالةً لإنكاره، ويسمى الأولى: ابتدائيًا، والثاني: طلبيًّا، والثالث: إنكاريًّا، فهٰهنا لما كذبوا الاثنين قالا لهم: إنا إليكم مرسلون، ففيه توكيد بـ«إن» واسمية الجملة. ثم لما اشتد تكذيبهم ناسب التأكيد بمؤكدات أكثر ولذا قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ففيه التأكيد بشبه القسم و«إن» واسمية الجملة ولام الابتداء.

فقول المفسر: (على ما قبله) متعلق بـ«زيدَ».

وقوله (لزيادة) يتعلق به قوله: (في: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ﴾...). أي: زيد التأكيد في ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ لزيادة إنكارهم.

(٤) قوله: (التبليغ). أشار به إلى أن البلاغ اسم مصدر: بلّغ، ومصدره: التبليغ.

الواضحة، وهي[١] إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت.

(١٨)- ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمۡۖ﴾ لانقطاع المطر[٢] عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بالحجارة[٣] ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٨)﴾ مؤلم.

(١٩)- ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمۡۚ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطية وفي همزتها[٤]: التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرۡتُمۚ﴾ وعظتم وخوفتم، وجواب الشرط

---

(١) قوله: (وهي). أي: الأدلة الواضحة، وهي من معجزات عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وتقدم ذكرها في سورة آل عمران وغيرها، وقد ذكر القرطبي -بدون عزو- إن هذه الآيات الثلاث قد أعطوا هؤلاء الرسل أيضًا، فكانوا يبرئون الأكمه والمريض ويحيون الموتى. والله أعلم، وهذا ظاهر كلام المفسر أيضًا.

(٢) قوله: (لانقطاع المطر). هذا على سبيل المثال، قال قتادة: «يقولون: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم».اهـ. رواه ابن جرير، فهذا يشمل انقطاع المطر وغيره. وقال مجاهد: «لم يدخل مثلكم قرية إلا عذب أهلها».اهـ.

(٣) قوله: (بالحجارة). قاله قتادة. وهنا تقدم القسم، فالجواب له، وهو ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ وهو دال على جواب الشرط، كما تقدم نظائره.

(٤) قوله: (وفي همزتها). أي: همزة «إن» الشرطية، وهي الهمزة الثانية، وذكر المفسر أربع قراءات:

١- قرأ أبو عمرو، وقالون: بالتسهيل مع إدخال الألف

٢- وابن كثير، وورش، ورويس: بالتسهيل بدون إدخال.

٣- وهشام: بالتحقيق مع الإدخال.

٤- والباقون: بالتحقيق بدون إدخال.

محذوف، أي: تطيرتم وكفرتم، وهو محل الاستفهام(١)، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ متجاوزون الحد بشرككم.

﴿٢٠﴾- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ وهو حبيب النجار(٢) كان قد كان آمن بالرسل، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدوًا لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿٢١﴾- ﴿اتَّبِعُوا﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ فقيل له(٣): أنت على دينهم.

﴿٢٢﴾- فقال: ﴿وَمَا لِيَ(٤) لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني، أي: لا مانع لي من

---

(١) قوله: (وهو محل الاستفهام). أي: الجواب المحذوف محل الاستفهام الإنكاري التوبيخي؛ لأن المراد الاستنكار والتوبيخ على تطيرهم عند التذكير.

(٢) قوله: (وهو حبيب...). روى ذلك ابن جرير عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه. ونقله ابن كثير وغيره، وفيما قال ابن جرير: «أن أهل تلك القرية عزموا على قتل هؤلاء الرسل، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمنًا، وكان اسمه فيما ذكر: حبيب بن مري».اهـ. وعن ابن عباس: «اسم صاحب يسٓ: حبيب النجار، فقتله قومه».اهـ. وإلى ما ذكر يشير المفسر كما هو واضح.

(٣) قوله: (فقيل له...). دخول إلى الآية التالية.

تنبيه: جملة ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ من باب الإطناب المسمى بالإيغال عند البلاغيين وهو: تعقيب جملة بشيء آخر -جملة أو غيرها- لنكتة، كالحث على الامتثال كما في الآية الكريمة، وكالمبالغة في المدح.

(٤) ﴿وَمَا لِيَ ...﴾، ﴿وَمَا﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿لِيَ﴾ : جار ومجرور خبر المبتدأ، وجملة ﴿لَا أَعْبُدُ ...﴾ في محل نصب حال من ياء المتكلم. =

عبادته الموجود مقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بعد الموت، فيجازيكم كغيركم.

﴿٢٣﴾- ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين[1] منه ما تقدم في «ءَأَنذَرْتَهُمْ»، وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره أصنامًا ﴿ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ صفة «ءَالِهَةً»[2].

﴿٢٤﴾- ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي: إن عبدت غير الله ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيّن.

﴿٢٥﴾- ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي: اسمعوا قولي، فرجموه فمات[3].

= وقول المفسر: (أيُّ مانع لي...إلخ) بيان لمضمون الآية، وأشار بقوله: (وأنتم كذلك). أن هذا من باب التعريض بهم، وحثهم على الإيمان، وفي ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ التفات إلى الخطاب من التكلم في ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

(١) قوله: (في الهمزتين...). إشارة إلى القراءات التي سبقت في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

(٢) قوله: (صفة ﴿ءَالِهَةً﴾). يعني: أن الجملة الشرطية ﴿إِن يُرِدْنِ ...﴾ صفة ﴿ءَالِهَةً﴾ فهي في محل نصب، والنون في ﴿يُرِدْنِ﴾ نون الوقاية، حذفت بعدها ياء المتكلم تخفيفًا. وجملة ﴿لَّا تُغْنِ﴾ جواب الشرط، فهي مجزومة بحذف حرف العلة الياء، والنون فيها أصلية عين الكلمة، و﴿لَا﴾ نافية ليس لها عمل، والنون في ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ نون الوقاية، وبعدها ياء المتكلم محذوفة تخفيفًا، والفعل مجزوم بالعطف على جواب الشرط: ﴿لَّا تُغْنِ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأمثلة الخمسة.

(٣) قوله: (فرجموه...). أي: رجموه بالحجارة حتى مات، روي ذلك عن قتادة، والسدي. =

﴿٢٦﴾ - ﴿قِيلَ﴾ له عند موته[١]: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ وقيل: دخلها حيًّا[٢] ﴿قَالَ يَا﴾ حرف تنبيه[٣] ﴿لَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾

﴿٢٧﴾ - ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه[٤] ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.



= قال قتادة: «ذكر لنا أنهم كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقصعوه، وهو كذلك».

وروى ابن جرير عن ابن مسعود: «أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصبه من دبره».اهـ.

وعن الحسن: «حرقوه وعلقوه من سور المدينة». نقله القرطبي.

(١) قوله: (عند موته). أفاد أنه دخل الجنة بعد موته، وعليه جماهير المفسرين.

قال مجاهد: «قيل لحبيب النجار: ادخل الجنة، وذلك أنه قتل فوجبت له، فلما رأى الثواب: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾».اهـ.

(٢) قوله: (وقيل: دخلها حيًّا). روى ابن جرير هذا القول عن ابن مسعود، قال: «قال الله له: ادخل الجنة، فدخلها حيًّا يرزق فيها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها...»، ويحتمل كون مراده أنه حيّ كحياة الشهداء، كما يشير إلى ذلك كلام القرطبي، والله أعلم.

(٣) قوله: (حرف تنبيه). تقدم نظيره في سورة النساء الآية (٧٣) وغيرها بمواضع.

(٤) قوله: (بغفرانه). أفاد أن ﴿مَا﴾ مصدرية.



(٢٨)- ﴿۞ وَمَآ﴾ نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي: حبيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ملائكة[1] لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨)﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

(٢٩)- ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ (٢٩)﴾ ساكنون ميتون.

(٣٠)- ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم[2] ممن كذبوا الرسل فأهلكوا،

---

(١) قوله: (أي: ملائكة...). فيكون المعنى: ما احتاج إلى إهلاكهم بعده إلى إنزال ملائكة من السماء، بل الأمر كان أيسر من ذلك. هذا المعنى رواه ابن جرير عن ابن مسعود، وفي حديثه: «فأهلك الله ذلك المَلِكَ وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم تبق منهم باقية».اهـ.

تنبيهان:

١- «مِن» في ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مزيد للتأكيد، وفي ﴿مِن جُندٍ﴾ مزيدة للمبالغة في العموم، وفي ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابتدائية متعلقة بـ﴿أَنزَلْنَا﴾.

٢- نقل القرطبي عن الزمخشري: «فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق؟ قلت: إنما يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود، وقوم صالح بصيحة، ولكن الله فضل محمدًا ﷺ بكل شيء على سائر الأمم، فمن ذلك أنه أنزل جنودًا من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا...﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨)﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعل لغيرك».اهـ.

(٢) قوله: (هؤلاء ونحوهم). أي: المراد بالعباد هنا المكذبون، وفاعل الحسرة محذوف، والمعنى: يا حسرة العباد على أنفسهم، كما قاله قتادة. وعن ابن عباس: «﴿يَٰحَسْرَةً﴾: يا ويل العباد».

وهي شدة التألم[١]، ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠)﴾ مسوق لبيان سببها[٢]؛ لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة.

(٣١)- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي ﷺ «لَسْتَ مُرْسَلًا» [الرعد: ٤٣]، والاستفهام للتقرير، أي: علِمُوا ﴿كَمْ﴾ خبرية[٣]، بمعنى: كثيرًا، معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى[٤]: أنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ كثيرًا ﴿مِّنَ

---

(١) وقوله: (وهي شدة التألم). أي: الحسرة: شدة التألم، ونداؤها مجاز؛ لأن النداء الحقيقي هو طلب الإقبال، فلا يتوجه إلى غير الحي، فكأن المعنى: أحضري فهذه من الأحوال التي يستحق أن تحضري فيها، كما في البيضاوي.

(٢) قوله: (مسوق...). أي قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ ذكر لبيان سبب الحسرة، فالحسرة سببها الهلاك، والهلاك سببه الاستهزاء بالرسل والتكذيب، فيكون الاستهزاء والتكذيب سببًا للحسرة؛ لأن سببَ السبب سببٌ.

(٣) قوله: (خبرية). يعني: أن ﴿كَمْ﴾ هنا خبرية، وليست استفهامية، و«كم» تأتي على الوجهين ولها الصدارة على كلا الوجهين، ولذا لا يعمل فيها ما قبلها، كما هو مفصل في النحو، وقد بينا المقارنة بين «كم» الخبرية والاستفهامية في رسالة «إحكام العُدد في أحكام العَدد»، فقول المفسر: معمولة لما بعدها، أي: إن «كم» هنا معمولة لما بعدها، وهو: ﴿أَهْلَكْنَا﴾. فـ«كم» هنا مفعول مقدم لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ في محل نصب، ومعلقة عما قبلها، أي: ليست معمولة لـ﴿يَرَوْا﴾.

(٤) وقوله: (والمعنى:...). أي: معنى الآية على كون ﴿كَمْ﴾ خبرية: أنا أهلكنا قبلهم كثيرًا. وأشار بقوله: (أي: علموا) أن الرؤية هنا قلبية. وفي بعض النسخ: (المكيّين) بدلًا من (المكذّبين).

﴿ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و«أَنَّهُمْ»...الخ: بدل مما قبله[١] برعاية المعنى المذكور.

﴿٣٢﴾- ﴿وَإِن﴾ نافية أو مخففة[٢] ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل الخلائق[٣]، مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد[٤] بمعنى: إلّا، أو بالتخفيف فاللام فارقة و«ما» مزيدة ﴿جَمِيعٌ﴾ خبر المبتدأ، أي: مجموعون ﴿لَّدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ للحساب خبر ثان.

﴿٣٣﴾- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ بالتخفيف والتشديد[٥]

---

(١) قوله: (﴿أَنَّهُمْ...﴾ إلخ بدل). يعني: جملة «أن» ومعموليها ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ بدل اشتمال من ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ باعتبار المعنى؛ لأن المعنى: ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم، كونهم غير راجعين، أي: ألم يعتبروا بذلك؟ كما أشار إليه المفسر بقوله: (أفلا يعتبرون بهم؟).

(٢) قوله: (نافية أو مخففة). فإذا كانت نافية يكون ﴿لَّمَّا﴾ بتشديد الميم بمعنى: إلا، والمعنى: ما كل إلا جميع لدينا... وإذا كانت مخففة من الثقيلة تكون «لما» بتخفيف الميم، و«ما» مزيدة للتأكيد، واللام فارقة، أي: بين «إن» المؤكدة المخففة، و«إن» النافية، ويكون المعنى: إنّ كلًّا أي: كل الخلائق لمجموعون لدينا.

(٣) قوله: (أي: كل الخلائق). أشار به إلى أن التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه، وتنوين العوض أحد أنواع التنوين الأربعة، كما فصلها النحاة، وقد ذكرنا التفصيل في ذلك في كتاب «الثلاثيات».

(٤) قوله: (بالتشديد) بيان للقراءتين، قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وابن جماز: بتشديد الميم: ﴿لَّمَّا﴾. والباقون: بتخفيفها: ﴿لَمَا﴾. وقد ذكرنا وجههما.

(٥) قوله: (بالتخفيف...). قرأ نافع، وأبو جعفر: بالتشديد: ﴿ٱلْمَيِّتَةُ﴾. والباقون: بالتخفيف: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾. وهما بمعنًى واحد كما تقدم في فاطر: (٩).

﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالماء، مبتدأ[1] ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣﴾.

٣٤- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٣٤﴾ أي: بعضها[2].

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وضمتين[3]، أي: ثمر المذكور من النخيل والأعناب وغيرهما[4] ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر[5] ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ٣٥﴾ أنعمه تعالى عليهم.

٣٦- ﴿سُبْحَٰنَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ٣٦﴾

---

(١) قوله: (مبتدأ). يعني: ﴿الْأَرْضُ﴾: مبتدأ، و﴿الْمَيْتَةُ﴾: صفتها. وجملة ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ في محل نصب حال من ﴿الْأَرْضُ﴾، أو في محل رفع نعت لها؛ لأن «أل» في ﴿الْأَرْضُ﴾ جنسية فإذا وقعت الجملة بعد اسم معرف بـ«أل» الجنسية جاز إعرابها حالًا أو نعتًا، وقد فصلنا ذلك في رسالة «الاستثناء».

(٢) قوله: (أي: بعضها). أشار إلى أن ﴿مِّن﴾ تبعيضية.

(٣) قوله: (بفتحتين...). قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضمتين: ﴿ثُمُرِهِۦ﴾: جمع ثمر. والباقون: بفتحتين: ﴿ثَمَرِهِۦ﴾.

(٤) وقوله: (أي: الثمر المذكور...). أشار به إلى أن إفراد الضمير في ﴿ثَمَرِهِۦ﴾ باعتبار المذكور، فيشمل ثمر النخيل وغيره.

(٥) قوله: (أي: لم تعمل). أي: لم تعمل الأيدي الثمر، وإنما خلقها الله تعالى. وأشار المفسر به إلى أن «ما» هنا نافية، وعزا القرطبي هذا القول إلى ابن عباس، والضحاك، ومقاتل، وعزا إلى غيرهم أن «ما» اسم موصول بمعنى: الذي، فيكون الضمير -الهاء- عائدًا إلى «ما»، ويكون المراد بذلك ما يحصل بالكسب كالزرع وأنواع الحلاوات والأطعمة والأخباز ونحو ذلك كما يعلم من القرطبي، وذكر الوجهين ابن جرير وغيره.

من المخلوقات العجيبة الغريبة(١).

٣٧- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾ نفصل(٢) ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ داخلون في الظلام(٣).

٣٨- ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلى آخره، من جملة الآية لهم(٤)، أو آية أخرى

---

(١) قوله: (من المخلوقات...). كما قال القرطبي: «أي: من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض».اهـ. وقال: «ووجه الاستدلال في هذه الآية أنه إذا انفرد بالخلق فلا ينبغي أن يشرك به».اهـ.

(٢) قوله: (نفصل). أي: نزيل. فإذا أزيل النهار من الليل ثبتت الظلمة، ولذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾. وقد يقال: سلخ بمعنى: أخرج. فيقال: سلخت الشاة من الإهاب أي: أخرجتها منه، فظهرت الشاة دون الإهاب، وعلى هذا يكون المعنى: نخرج النهار من الليل، أي: نظهر من الليل، فيكون معنى المفاجأة أن هذا النهار الذي أخرج من الليل لم يلبث إلا قليلًا حتى دخل الظلام ثانيًا. فيتضح معنى المفاجأة، وذكر البلاغيون كلا الوجهين. وقالوا: السلخ هنا من باب الاستعارة. وأصله في نحو الشاة، وجملة ﴿نَسۡلَخُ﴾ في محل نصب حال.

(٣) قوله: (داخلون في الظلام). أفاد أن ﴿مُّظۡلِمُونَ﴾ اسم فاعل من: أظلم، وهو من باب أفعل بمعنى: الدخول في الشيء، نحو: أصبح، أي: دخل في الصباح، وأنجد: أي: دخل في نجد.

(٤) قوله: (من جملة الآية). أي: على هذا تكون الواو عاطفة، و﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ معطوفة على ﴿ٱلَّيۡلُ﴾، بمعنى: وآية لهم الشمس، وكذلك ﴿ٱلۡقَمَرُ﴾ معطوف، بمعنى: وآية لهم القمر. والجملة ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ مستأنفة أو حال بتقدير (قد)، وهذا على أن ﴿وَٱلۡقَمَرُ﴾ مرفوع، كما يصح كونه مبتدأ وما بعده خبرًا. وعلى كونه منصوبًا ﴿وَٱلۡقَمَرَ﴾ فهو مفعول لفعل مقدرٍ، كما سيذكره المفسر.

والقمر كذلك[١] ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: إليه[٢]، لا تتجاوزه[٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ بخلقه.

﴿٣٩﴾- ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب[٤]، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلًا[٥] في ثمان وعشرين

---

(١) وقوله: (أو آية أخرى). بمعنى: هذه آية أخرى مستقلة، فتكون الواو استئنافية أو لعطف الجملة.

(٢) قوله: (أي: إليه...). تفسير لمعنى اللام في ﴿لَّهَا﴾.

(٣) وقوله: (لا تتجاوزه). أي: ذلك المستقر. ذكر ابن كثير وغيره للمستقر تفسيرين:

الأول: المستقر المكاني، وهو تحت العرش. روى البخاري عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال ﷺ: «**يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى:** ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾». [«فتح الباري» (١/ ٤٠٢)].

القول الثاني: المستقر الزماني. وهو يوم القيامة، أي: تجري الشمس إلى نهاية سيرها يوم القيامة فيتوقف سيرها، وعزا ابن كثير هذا القول إلى قتادة. ولا مانع من إرادة المعنيين جميعًا؛ فإنه يجوز إطلاق اللفظ المشترك في معنييه، كما ذكره الأصوليون، وعلى كل حال: النصوص واضحة في أن الشمس لها حركة، خلافًا لما يزعمه بعض الفلكيين، وكلام المفسر يحتمل الوجهين. وإن كان الأظهر: المستقر الزماني.

(٤) قوله: (بالرفع والنصب). قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وروح: بالرفع: فهو مبتدأ. والجملة التي بعده خبر. والباقون: بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: قدرنا. فهذا من باب الاشتغال، كما هو معروف في النحو.

(٥) قوله: (ثمانية وعشرين...). هذه الأمور من المسائل الفلكية، والمراد بمنازل القمر: مواقعها في كل يوم، فالقمر نجد في كل يوم في موقع مختلف عن اليوم الذي قبله وبعده،=

ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا وليلة إن كان تسعة وعشرين يومًا ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ أي: كعود الشماريخ إذا عتق[(١)]، فإنه يرق ويتقوس ويصفر[(٢)].

﴿٤٠﴾ - ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يسيرون، نُزِّلوا منزلة العقلاء[(٣)].

﴿٤١﴾ - ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة[(٤)]: «ذُرِّيَّاتِهِمْ»

= فله في كل يوم من أيام الشهر موقع طلوعًا وغروبًا ومسيرًا؛ لأن القمر يتأخر عن الشمس في المسير دقيقتين في كل ساعة، فيتأخر في اليوم والليلة ثمانيًا وأربعين دقيقة، فإذا حصل القمر تحت الشمس في نهاية الشهر سمي محاقًا، ثم إذا تأخر عن الشمس بقدر محدود يرى منه الهلال، ثم يتأخر ويتأخر حتى نراه بدرًا في وسط الشهر، ثم يتأخر حتى يصل إلى تحت الشمس في نهاية الشهر؛ فالقمر يكمل دائرة كاملة في الشهر، وفسر القرطبي وغيره: المنازل بالمنازل المذكورة. وكما يشير إلى ذلك المفسر.

(١) قوله: (كعود الشماريخ). أي: العود الذي عليه الشماريخ، والشماريخ جمع شمراخ، وهي القضبان التي عليها التمر، والتمر يتمسك ويتعلق بها.

(٢) قوله: (فإنه يرق...). إشارة إلى وجه الشبه في هذا التشبيه الرائع.

(٣) قوله: (نُزِّلوا...). أي: نزلت الشمس والقمر والنجوم منزلة العقلاء فقيل: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بالواو والنون، ولم يقل: تسبح، أو يسبحن، وهذا من باب البلاغة، وكذا إطلاق السباحة على سيرها من باب الاستعارة.

(٤) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: بصيغة الجمع: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾. والباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

أي: آباءهم الأصول[١] ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ المملوء.

﴿٤٢﴾- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مثل فلك نوح، وهو ما عملوه[٢] على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه.

﴿٤٣﴾- ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ينجون.

﴿٤٤﴾- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي: لا ينجّيهم إلا رحمتنا لهم[٣]، وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

---

(١) وقوله: (أي: آباءهم...) تفسير للذرية على الوجهين، وسمي الآباء ذرية؛ لأن منهم ذرأ الأبناء، وهذا أحد الأوجه في معنى الذرية، وبه فسر ابن كثير، وعزاه القرطبي إلى أبي عثمان، وروي عن الضحاك، وقتادة. وعلى هذا فالمراد بالفلك: سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، و«أل» فيه عهدية. وقيل: ذرية المخاطبين، أي: أهل مكة، والمراد بهم أولادهم وضعفاؤهم، ذكره القرطبي بدون عزو، وعلى هذاتكون «أل» في ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ جنسية.

(٢) قوله: (وهو ما عملوه). أي: فالمراد بمثله: السفن. رواه ابن جرير عن ابن عباس، وعن الضحاك، وقتادة، وغيرهم كذلك.

وروى عن ابن عباس أيضًا: «أنها الإبل»، قال ابن عباس: «قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: الإبل، خلقها الله كما رأيت، فهي سفن البر يحملون عليها ويركبونها».اهـ. وروي ذلك أيضًا عن عكرمة، وعبدالله بن شداد، والحسن. كما في ابن جرير. فيكون معنى الآية: وخلقنا لهم من مثل الفلك ما يركبون، أي: الإبل التي يركبونها. ولعل التفسير الأول أرجح لمناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾؛ لأن الغرق يكون في الماء. والله أعلم.

(٣) قوله: (أي: لا ينجيهم...). تفسير لتوضيح المعنى. و﴿رَحْمَةً﴾ في الآية مفعول لأجله، والاستثناء مفرّغ، و﴿مَتَٰعًا﴾ معطوف، وهو اسم مصدر بمعنى: التمتيع، كما قاله المفسر.

٤٥- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيركم[١] ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة[٢] ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٥﴾ أعرضوا[٣].

٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ[٤] مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٤٦﴾.

٤٧- ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة[٥] ﴿لَهُمْ أَنفِقُواْ﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ

---

(١) قوله: (من عذاب الدنيا). تفسير لـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾. وقول المفسر: (كغيركم) أي: كما نزل في غيركم من الأمم الماضية.

(٢) وقوله: (من عذاب الآخرة). تفسير لـ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾. وبنحوه فسر قتادة، كما في القرطبي، وعن ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد: «﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما مضى من الذنوب، ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: ما يأتي من الذنوب، أي: اتقوا عقاب ذلك». وقيل غير ذلك في تفسيرهما، وكلها متلازمة.

(٣) قوله: (أعرضوا). قدره ليكون جواب الشرط، حذف الجواب لدلالة الآية التالية على ذلك، كما يعلم من ابن جرير، والقرطبي، وغيرهما.

(٤) ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾، ﴿مِّنْ﴾: هنا مزيدة لتأكيد العموم، وفي ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: تبعيضية.

(٥) قوله: (أي: قال فقراء الصحابة). بهذا أوضح فاعل القول، وهم فقراء الصحابة، وظاهر كلام المفسر أن الآية مكية، والقائل: فقراء الصحابة من أهل مكة، ونقل عن الحسن: «أُمِرَ اليهود أن ينفقوا على الفقراء فقالوا ذلك»، وعلى هذا قيل هذه الآية مدنية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في أول السورة، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «كان بمكة زنادقة، كانوا يسمعون المؤمنين يقولون لو شاء الله لأغنى فلانًا، أي: يعلّقون الأمر بمشيئة الله تعالى، فأخرج هؤلاء جوابهم مخرج الاستهزاء بالمؤمنين.اهـ. ملخصًا.

ونقل أيضًا بدون عزو: أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يطعم المساكين، فقال له أبو جهل: يا أبا بكر، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قومًا بالفقر وقومًا بالغنى وأمر الفقراء بالصبر والأغنياء بالإعطاء، قال: والله يا أبا بكر ما أنت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ولا يطعمهم ثم أنت تطعمهم؛ فنزلت الآية.اهـ. وهذا يدل على أن مشركي مكة لم يكونوا على توحيد الربوبية كما ينبغي. خلافًا لما يذكره بعض الناس.

﴿ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ في معتقدكم ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَنتُمۡ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾﴾ بيّن، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم[(١)].

﴿٤٨﴾- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فيه.

﴿٤٩﴾- قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى[(٢)] ﴿تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بالتشديد[(٣)]، أصله: يختصمون، نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد، أي: وهم في غفلة عنها[(٤)]

---

(١) قوله: (وللتصريح بكفرهم). يعني: أنه ذكر هنا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالاسم الظاهر، دون الضمير «قالوا»، وذلك للتصريح بكفرهم، وفيه مبالغة، وهي نكتة بلاغية.

(٢) قوله: (وهي نفخة إسرافيل...). أي: وهي نفخة الفزع، كما قاله ابن كثير وغيره. قال ابن كثير: «ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعاشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم...إلخ». وروى ابن جرير معناه عن عبدالله بن عمرو، وقتادة.

(٣) قوله: (بالتشديد) أي: بتشديد الصاد، ثم في ذلك قراءات؛ فقرأ أبو جعفر: ﴿يَخۡصِّمُونَ﴾: بسكون الخاء. وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وابن ذكوان: بكسر الخاء: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾. وقرأ أبو عمرو باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، وقرأ ابن كثير، وهشام، وورش: بفتح الخاء: ﴿يَخَصِّمُونَ﴾. وقرأ حمزة: بصيغة الثلاثي المجرد: ﴿يَخۡصِمُونَ﴾. كما أشار إليه المفسر بقوله: (وفي قراءة: ﴿يَخۡصِمُونَ﴾ كيضربون).

(٤) وقوله: (أي: وهم في غفلة عنها). تفسير لـ﴿يَخِصِّمُونَ﴾. وأصل: يخصِّمون: يختصمون، أي: من باب الافتعال، والماضي: اختصم، قلبت التاء صادًا بعد نقل حركتها إلى الخاء، وحذفت همزة الوصل، فصار: خَصَّمَ، وتصريفه: خَصَّمَ يَخصِّمُ خِصَّامًا، فهو مُخَصِّم، كما ذكره الصرفيون. وهذا على قراءة ابن كثير وغيره بفتح الخاء ﴿يَخَصِّمُونَ﴾. =

بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة: «يَخْصِمُونَ» كيضربون، أي: يخصم بعضهم بعضًا.

(٥٠)- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

(٥١)- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو قرن[١]: النفخة الثانية للبعث[٢]، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور[٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١)﴾ يخرجون بسرعة.

(٥٢)- ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الكفار منهم ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدر[٤] لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين[٥] لم

= وأما على القراءة بكسرها ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، فقال البيضاوي: «أصله: يختصمون، حذفت حركة التاء وأدغمت في الصاد، فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين».

(١) قوله: (وهو قرن). أي: الصُّورُ قرن.

(٢) وقوله: (النفخة الثانية). مفعول مطلق، وهذا بناءً على أن النفخ يكون مرتين. وقد تقدم في سورة النمل (٨٧) الاختلاف في ذلك، وأن ابن كثير اختار أن النفخ يكون ثلاث مرات، وعلى كل حال لا خلاف في أن المراد بهذا النفخ نفخ البعث، أي: النفخة التي يكون بها البعث.

(٣) قوله: (القبور). الأجداث جمع جَدَث، وهو القبر، ونقل ابن جرير فيه لغة أخرى بالفاء: جدف.

(٤) قوله: (وهو مصدر) أي: الويل في الأصل مصدر بمعنى: الهلاك، وليس له فعل من مادته بل من معناه، وهو هلك. وتقدمت هذه الكلمة في مواضع.

(٥) قوله: (لأنهم كانوا). أي: كانوا نائمين بين النفختين، وهذا النوم هو المراد هنا، قاله قتادة، فيما روى ابن جرير، وروى عن أُبيّ بن كعب، قال: «ناموا نومة قبل البعث». =

يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي: البعث[١] ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به[٢] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك.

﴿٥٣﴾ - ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿٥٤﴾ - ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا[٣] وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

= وقال ابن كثير: «المراد بمرقدهم: لبثهم في قبورهم»، ولا ينافي هذا أنهم يعذبون في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما شاهدوه من الأهوال والشدة كالرقاد، ونقل قول قتادة أيضًا.

(١) قوله: (البعث). أفاد به أن هذا مبتدأ، وليس نعتًا لـ﴿مَّرْقَدِنَا﴾. وخبره الاسم الموصول: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

(٢) وقوله: (به). قدره ليكون عائدًا إلى الاسم الموصول وقدره مجرورًا، وحذف العائد المجرور مشروط بشروط، وهي: كون حرف الجر بلفظه ومعناه ومتعلقه داخلًا على الاسم الموصول، نحو: سلمتُ على الذي سلمتَ، أي:عليه ويشرب مما تشربون، أي: منه، ولكن ربما يحذف العائد المجرور بدون هذه الشروط، كما صرح به الخضري وغيره، فيكون هنا -على تقدير المفسر- من ذلك الباب. وقد تقدم لنا ذكر هذه المسألة.

تنبيه: صريح كلام المفسر أن هذا القول ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ من كلام هؤلاء، وهذا مروي عن ابن زيد، كما في ابن جرير. وروى عن مجاهد: «هذا من كلام المؤمنين حين يبعثون»، وعن الحسن: «إنما يجيبهم بذلك الملائكة»، قال ابن كثير: «ولا منافاة إذ الجمع ممكن».اهـ. وأشار المفسر إلى القولين الآخرين بقوله: (وقيل: يقال لهم ذلك).

(٣) ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾. قال القرطبي: «أي: لا تنقص من ثواب عمل».اهـ. يشير إلى أن الظلم بمعنى: نقصان الثواب، أو زيادة في السيئة، وإن لم يكن ظلمًا حقيقة؛ لأن ثوابه فضل منه، وحرمان الفضل ليس ظلمًا، ومن معتقد أهل السنة أن الله لا يجب عليه شيء؛ فثوابه من فضله، وعقابه من عدله. والله أعلم. وكل من ﴿نَفْسٌ﴾ و«شيء» عام؛ لوقوعهما نكرتين في سياق النفي.

٥٥- ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ بسكون الغين وضمها[١]، عما فيه أهل النار[٢]، مما يتلذذون به، كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن الجنة لا نَصَبَ فيها[٣] ﴿فَٰكِهُونَ ٥٥﴾ ناعمون، خبر ثان لـ«إِنَّ»، والأول: «فِي شُغُلٍ».

٥٦- ﴿هُمۡ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظُلّة أو ظِلّ[٤]، خبر[٥]، أي: لا تصيبهم الشمس[٦] ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهو السرير[٧] في الحُجَلَة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ ٥٦﴾ خبر ثان، متعلق «عَلَى»[٨].

٥٧- ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾ يتمنون.

---

(١) قوله: (بسكون الغين...). قرأ بالسكون: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو. وبالضم: الباقون. وهما لغتان بمعنًى، كما في القرطبي، ونظيره: الرعُب والرعْب.

(٢) وقوله: (عما فيه...). متعلق بـ﴿شُغُلٍ﴾، و(مما يتلذذون) بيان له.

وقال البيضاوي: «في تنكير ﴿شُغُلٍ﴾ تفخيم»، وقول المفسر: (كافتضاض...). تمثيل للشغل، وإنما ذكره لأنه فسر بذلك ابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، كما في ابن جرير. ولمناسبة الآية التالية.

(٣) قوله: (لا نصب). أي: لا تعب وكدّ.

(٤) قوله: (جمع ظُلّة) الظُّلّة بضم الظاء، جمعه: ظُلَل، وقرأ به حمزة، والكسائي، وخلف. أو ﴿ظِلَٰلٍ﴾ كقبة وقباب، وهو جمع ظِلّ أيضًا، قرأ به الباقون. فلعل المفسر أشار إلى القراءتين.

(٥) وقوله: (خبر). أي: الجار والمجرور ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾ خبر المبتدأ ﴿هُمۡ﴾.

(٦) وقوله: (أي: لا تصيبهم...) توضيح لمعنى كونهم في ظلال.

(٧) قوله: (وهو السرير). كما فسر به وبالفرش ابن جرير. والحجلة -بفتح الحاء والجيم-: الغرفة المهيأة للعروس.

(٨) قوله: (متعلق ﴿عَلَى﴾). أي: يتعلق الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ بقوله ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾.

٥٨- ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ[١] ﴿قَوۡلٗا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم.

٥٩- ﴿وَ﴾ يقول[٢]: ﴿ٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم[٣].

٦٠- ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾[٤] لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾ بيّن العداوة.

٦١- ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾.

٦٢- ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا﴾ خلقًا[٥]، جمع جبيل كقديم، وفي

---

(١) قوله: (مبتدأ). ما ذكره المفسر أحد الأوجه الإعرابية، وهو واضح، ويصحّ: ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، و﴿قَوۡلٗا﴾ منصوب بنزع الخافض، والخبر: ﴿مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾. ويؤيده ما رواه ابن جرير من طريق محمد بن كعب القرظي عن عمر بن عبدالعزيز قال: «إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظلل من الغمام والملائكة، قال: فيسلم على أهل الجنة، فيردون عليه السلام...». الحديث.

(٢) قوله: (يقول). أفاد أن ما بعده مقول لقول محذوف، في محل نصب.

(٣) وقوله: (أي: انفردوا...) كما قال ابن جرير: «وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله، فإنكم واردون غير موردهم، داخلون غير مدخلهم».اهـ. وروى معناه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾. ﴿أَن﴾: مفسرة؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وهي: ﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾، و﴿لَّا﴾: ناهية، و﴿تَعۡبُدُواْ﴾ مجزوم بـ﴿لَّا﴾، و﴿أَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ معطوفة على ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ...﴾.

(٥) قوله: (خلقًا). فسر به مجاهد وغيره، وهو من جَبَلَ، أي: خلَق. وفاعل ﴿أَضَلَّ﴾: الضمير المستتر العائد إلى الشيطان.

قراءة(١): بضم الباء ﴿كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾ عداوته وإضلاله(٢)، أو ما حلّ بهم من العذاب فتؤمنون، ويقال لهم في الآخرة(٣):

٦٣- ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ بها.

٦٤- ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝٦٤﴾.

٦٥- ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: الكفار لقولهم: «وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ۝٢٣» [الأنعام: ٢٣]، ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٦٥﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه(٤).

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). هنا أربع قراءات:

- ﴿جِبِلًّا﴾: نافع، وعاصم، وأبو جعفر.
- ﴿جُبُلًا﴾: بضمتين وتخفيف اللام: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ورويس، وخلف.
- ﴿جُبۡلًا﴾: بتسكين الباء: أبو عمرو، وابن عامر.
- ﴿جُبُلًّا﴾: بضمتين وتشديد اللام: روح. نقل القرطبي عن المهدوي والثعلبي: «وكلها لغات بمعنى: الخلق».اهـ.

(٢) قوله: (عداوته...). مفعول به لـ﴿تَعۡقِلُونَ﴾.

(٣) قوله: (ويقال لهم...). أفاد بهذا التقدير أن الجملة التالية في محل نصب مقول لقولٍ محذوف.

(٤) قوله: (فكل عضو...). ثبت ذلك في أحاديث منها ما روى ابن جرير، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم، أي رب، عملت، عملت، عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض من خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته، فودّ أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول: أي رب وعزتك، لقد كتب عليّ هذا الملك ما لم أعمل،** =

(٦٦) - ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمسًا ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾ ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ (٦٦)﴾ حينئذ؟ أي: لا يبصرون[١].

(٦٧) - ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة[٢] ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾، وفي قراءة[٣]: «مَكَٰنَٰتِهِمْ»، جمع مكانة، بمعنى: مكان، أي: في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧)﴾ أي: لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.

= فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا، فيقول: لا وعزتك، أي رب ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه».

قال الأشعري: «فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى». وقال تعالى في سورة «حم السجدة»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢٠)﴾ [٢٠] الآيات.

(١) قوله: (أي: لا يبصرون). أي: فمعنى الآية: لو نشاء لتركناهم عميًا يترددون، روي ذلك عن قتادة، والحسن.

وعن ابن عباس: «المعنى: لو نشاء للأضللناهم عن الهدى»، أي: فالمراد العمى عن الهدى، لا العمى عن البصر، واختار ابن جرير الأول؛ لأن الآية تهديد للكفار بالعقوبة على ضلالتهم، وقد وقعوا في الضلالة، فلا معنى للتهديد بذلك عقوبةً.

(٢) قوله: (قردة...). قال القرطبي: «المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرًا أو جمادًا أو بهيمة»، وما قال المفسر موافق لقول السدي: «لغيّرنا خلقهم».اهـ. وقال ابن عباس: «لأهلكناهم في مساكنهم».اهـ. وعن الحسن: «لأقعدهم على أرجلهم».اهـ.

(٣) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ شعبة: بصيغة الجمع: ﴿مَكَٰنَٰتِهِمْ﴾. والباقون: بصيغة الإفراد: ﴿مَكَانَتِهِمْ﴾. ومعناهما واحد في المآل؛ لأن المضاف إلى المعرفة يعمّ، مفردًا كان المضاف أو جمعًا، كما ذكره الأصوليون.

٦٨- ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نَنكُسْهُ﴾ وفي قراءة[١]: «نُنَكِّسْهُ» بالتشديد من التنكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ أي: خلقه، فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفًا وهرمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ٦٨﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث، فيؤمنون، وفي قراءة بالتاء[٢].

٦٩- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿الشِّعْرَ﴾ رد لقولهم: إنَّ ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ٦٩﴾ مظهر للأحكام وغيرها[٣].

---

(١) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ عاصم، وحمزة: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾: بتشديد الكاف من التنكيس. والباقون: ﴿نَنكُسْهُ﴾: بصيغة الثلاثي المجرد، ومعناهما واحد.
وقول المفسر: (فيكون بعد قوته...إلخ) بيان للتنكيس -أو النكس- كما فسر به ابن جرير وغيره.

(٢) قوله: (وفي قراءة: بالتاء...)، أي: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: وهي قراءة نافع، وابن ذكوان، وأبي جعفر، ويعقوب. والباقون: بالياء: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

(٣) قال ابن كثير في معنى الآية: «أنه ما علمه الشعر، وما هو في طبيعته، فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته».اهـ. وهذا من دلائل نبوته ﷺ، وسّد لذريعة الاتهام به ﷺ أن القرآن من عنده.
قال القرطبي: «وربما كان كلامه ﷺ يوافق بعض الأوزان، ولا يلزم منه كونه شاعرًا، كما أن بعض الآيات القرآنية توافق الأوزان الشعرية، وليس بشعر، ومن ذلك قوله ﷺ: «**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب**»، وغير ذلك».اهـ. ملخصًا.
وقد ذكر علماء علم العروض مثالًا من القرآن الكريم لكل وزنٍ من الأوزان الشعرية، وهذا لسلاسة القرآن وحسن نظمه، ولا يقتضى ذلك أنه شعر، كما ذكره العلماء.

(٧٠)- ﴿لِيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء[١]، به[٢] ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به، وهم المؤمنون[٣] ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٠)﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به.

(٧١)- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا[٤]، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف[٥] ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي: عملناه بلا شريك ولا معين[٦] ﴿أَنْعَٰمًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ (٧١)﴾ ضابطون.

---

(١) قوله: (بالياء والتاء). بالتاء: ﴿لِّتُنذِرَ﴾: قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب. والباقون: بالياء.

(٢) وقوله: (به). متعلق بـ﴿لِيُنذِرَ﴾.

(٣) قوله: (وهم المؤمنون). كما قال قتادة: «حيّ القلب، حيّ البصر»، وقال الضحاك: «من كان عاقلًا».

(٤) قوله: (يعلموا) أفاد أن الرؤية علمية، و«أن» ومعمولاها سدت مسد المفعولين.

(٥) قوله: (والواو الداخلة...). وقد تقدم نظير ذلك كثيرًا. فعلى مذهب الزمخشري ومن تبعه الواو عاطفة على محذوف، وعلى مذهب غيرهم، الواو استئنافية موقعها قبل الهمزة، قدمت الهمزة لصدارتها.

(٦) قوله: (أي: عملناه بلا شريك). أشار إلى أن العمل باليدين كناية عن العمل بلا شريك ولا معين. وبه قال القرطبي وغيره، ويوافقه قول ابن جرير: «مما خلقنا من الخلق». علمًا بأن مذهب السلف إثبات اليدين لله تعالى كما تليقان به عَزَّوَجَلَّ، ويكون التعبير بالجمع هنا ﴿أَيْدِينَآ﴾ لمناسبة لغوية.

وقول المفسر: (عملته) يفيد أن «ما» هنا اسم موصول، لتقديره الضمير العائد، ويكون الجار والمجرور حالًا من ﴿أَنْعَٰمًا﴾، ويحتمل كون «ما» مصدرية كما ذكره القرطبي.

٧٢- ﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢﴾.

٧٣- ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها[١] وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها، جمع مشرب بمعنى: شرب أو موضعه[٢] ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنوا، أي: ما فعلوا ذلك.

٧٤- ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره[٣] أصنامًا ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ٧٤﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم، بزعمهم.

٧٥- ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ أي: آلهتهم، نزلوا منزلة العقلاء[٤] ﴿نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ﴾ أي: آلهتهم من الأصنام[٥] ﴿لَهُمۡ جُندٞ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿مُّحۡضَرُونَ ٧٥﴾ في النار معهم.

٧٦- ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ لك[٦]: لست مرسلًا وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعۡلَمُ مَا

---

(١) قوله: (كأصوافها...). تقدم شرح ذلك في النحل (٨٠).

(٢) قوله: (بمعنى شرب...). أي: على أنه مصدر ميمي أو ظرف.

(٣) قوله: (غيره). فسره به ليكون مفعولًا أولًا لـ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾، و﴿ءَالِهَةً﴾ مفعول ثان، أو بالعكس.

(٤) قوله: (نزلوا). أي: الآلهة، منزلة العقلاء ولذا أعيد إليها الضمير الواو.

(٥) قوله: (أي: آلهتهم). فمعنى الآية: أن آلهتهم تحضر معهم في النار، وهذا المعنى قريب مما قاله مجاهد: «أن آلهتهم محضرة عند الحساب أي: عند حساب عابديها»، وذكر القرطبي ما قاله المفسر وجهًا في معنى الآية بدون عزو، والذي روي عن قتادة، واختاره ابن جرير: «أن المعنى: وهم أي: الكفار لهم، أي: لآلهتهم جندٌ محضرون، أي: يغضبون لآلهتهم في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرًا ولا تدفع عنهم شرًّا».اهـ.

(٦) قوله: (لك...). أفاد به أن مقول القول محذوف، و﴿إِنَّا نَعۡلَمُ...﴾ جملة مستأنفة؛ ولذا يكون الوقف على ﴿قَوۡلُهُمۡۘ﴾ وقفًا لازمًا يرمز إليه في المصحف بحرف الميم «ـمۘ»، والآية تسلية للنبي ﷺ.

﴿يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ من ذلك وغيره، فنجازيهم عليه.

٧٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعلم[١]، وهو العاصي بن وائل[٢] ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيّ إلى أن صيّرناه شديدًا قويًّا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ بيّنها في نفي البعث[٣].

٧٨- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ من المنيّ، وهو أغرب من مَثَلِه ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ أي: بالية، ولم يقل: رميمة بالتاء[٤]؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميمًا، ففتّته، وقال للنبي ﷺ: «**أترى**

---

(١) قوله: (يعلم) أفاد أن الرؤية قلبية.

(٢) وقوله: (وهو العاصي بن وائل...) هذا القول مرويّ عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وروي عن مجاهد، والسدي، وعكرمة، وغيرهم أنها نزلت في أبيّ بن خلف جاء برميم وقال للنبي ﷺ: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا... والروايتان متشابهتان في الصياغة والواقعة، وقول ثالث: روى ابن جرير، عن ابن عباس: أنها نزلت في عبدالله بن أبيّ جاء بعظم فكسره ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم.
قال ابن كثير: «هذه الآيات عامة في كل من أنكر البعث».اهـ.

(٣) قوله: (بيّنها). برفع «بيّن» وهو مضاف إلى «ها» الراجع إلى الخصومة، أي: بيّن الخصومة. أفاد أن ﴿مُّبِينٌ﴾ اسم فاعل من: أبان، بمعنى: بان اللازم.

(٤) قوله: (ولم يقل...). يعني: أن ﴿رَمِيمٌ﴾ خبر لـ﴿وَهِيَ﴾ الراجعة للعظام فهو خبر لمؤنثٍ، فلم تركت التاء؟ فأجاب المفسر أن ﴿رَمِيمٌ﴾ اسم للعظم البالي، وهو في الأصل بمعنى اسم فاعل: رمّ، يرِمّ، ولكن غلبت عليه الاسمية، وذكر هذا الوجه البيضاوي وغيره، وذكر البيضاوي وجهًا آخر: وهو أنه بمعنى: اسم المفعول، و«فعيل» إذا كان بمعنى اسم المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث نحو: رجل قتيل، وامرأة قتيل. والله أعلم.
وقد ذكرنا سابقًا معاني وزن «فعيل» إجمالًا في سورة البقرة الآية (٢٦٧) وغيرها.

يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم؟»، فقال النبي ﷺ: «نعم ويدخلك النار»[١].

٧٩- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ مجملًا ومفصلًا قبل خلقه وبعد خلقه.

٨٠- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾[٢] في جملة الناس ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والعَفار أو كل شجر إلا العناب[٣] ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ تقدحون،

---

(١) قوله: (فقال النبي ﷺ...). وهذا الحديث رواه ابن جرير، عن سعيد بن جبير، وروى نحوه في شأن أُبي بن خلف، عن مجاهد، وقتادة. وفي شأن ابن أُبيّ: عن ابن عباس...اهـ.

(٢) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم...﴾. قال القرطبي: «إن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة، فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾، أي: إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير».اهـ.

وكلام المفسر: (وهذا دال على القدرة...إلخ). فيه إشارة إلى مضمون ما قاله القرطبي.

فالمراد بالشجر: المرخ والعفار، كما قاله القرطبي أيضًا.

وهما شجران ينبتان في أرض الحجاز، يؤخذ منهما غصنان كالمسواكين يقطران ماء، فيحك أحدهما على الآخر، فتخرج منهما النار، كما يعلم من ابن كثير، والقرطبي وغيرهما، وعزا هذا القول ابن كثير إلى ابن عباس.

(٣) قوله: (أو كل شجر...). أي: على أن «أل» في ﴿الشَّجَرِ﴾ للجنس، فإن كل شجر فيه نار يتقد، إلا العُنّاب، نقل ابن كثير عن الحكماء: «في كل شجر نار إلا العُنّاب»، وفسر ابن كثير الآية بوجه آخر، وذلك: «أن الذي خلق هذا الشجر من ماء حتى صار رطبًا مثمرًا ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا توقد به النار، كذلك فهو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد».اهـ.

وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

(٨١) - ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: الأناسي في الصغر ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه[1] ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الكثير الخلق[2] ﴿ٱلْعَلِيمُ (٨١)﴾ بكل شيء.

(٨٢) - ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾ أي: فهو يكون[3]، وفي قراءة[4]: بالنصب عطفًا على «يَقُولَ».

(٨٣) - ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾[5] ملك، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ تردون في الآخرة.



---

(١) قوله: (أجاب نفسه). أي: أجاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ على ذلك السؤال: ﴿أَوَلَيْسَ...﴾، وفي هذا الأسلوب من البلاغة ما لا يخفى.

(٢) قوله: (الكثير الخلق). أخذه من صيغة المبالغة. وكذا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ صيغة مبالغة.

(٣) قوله: (أي: فهو يكون). هذا على قراء رفع «يكون»، فالفاء استئنافية، و﴿يَكُونُ﴾ فعل مضارع مرفوع، و﴿كُن﴾ و﴿فَيَكُونُ﴾ كلتاهما تامة، فاعلهما الضمير المستتر فيهما.

(٤) وقوله: (وفي قراءة:...) قرأ ابن عامر، والكسائي: بالنصب: ﴿فَيَكُونَ﴾، والباقون: بالرفع. ووجه النصب: بالعطف على ﴿يَقُولَ﴾، فالفاء عاطفة.

روى ابن جرير عن قتادة: «هذا مثل إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون»، وكما قال القرطبي: «أي إذا أراد خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة»، ومثله في البيضاوي. وتقدم في سورة البقرة الآية (١١٧) وغيرها أن لفظ «كُن» كناية عن تعلق القدرة. والله أعلم.

(٥) ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ تقدم بيان لفظه وإعرابه في سورة البقرة.

٣٧- سورة الصافات

مكية[١]، وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١)﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة[٢]، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به.

(٢)- ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢)﴾ الملائكة تزجر السحاب[٣]، أي: تسوقه.

(٣)- ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ أي: جماعة قُرّاءِ القرآن يتلونه[٤] ﴿ذِكْرًا (٣)﴾

---

(١) قوله: (مكية). ولم أر في ذلك خلافًا ولا في عدد آياتها.

(٢) قوله: (الملائكة). وبذلك فسر عامة المفسرين، ورواه ابن جرير عن قتادة، والسدي، ومسروق، وابن زيد وغيرهم.

وقوله: (تصف نفوسها). أي: للملائكة صفوف في السماء كما روي عن قتادة، وروى مسلم عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فُضِّلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعل لنا ترابها طهورًا إذا لم نجد الماء**». [١/ ٣٧١].

(٣) قوله: (الملائكة تزجر...). أي: فالمراد بالزاجرات: الملائكة. كما روي عن ابن عباس، وابن مسعود وغيرهما؛ لأنها تزجر السحاب، في قول السدّي، أو لأنها تزجر عن المعاصي، ذكر الوجهين القرطبي.

وعن قتادة: «الزاجرات زواجر القرآن، أي: الآيات الزاجرات الكائنة في القرآن».

(٤) قوله: (أي: جماعة قُرّاء القرآن). ظاهره أن المراد الملائكة التي تقرأ القرآن. وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود، وابن عباس، والحسن وغيرهم.

ويحتمل أن يراد به: كل من تلا ذكر الله تعالى، كما نقل عن قتادة.

مصدر[١] من معنى التاليات.

﴿٤﴾- ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل مكة[٢] ﴿لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿٥﴾- ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾﴾ أي: والمغارب للشمس[٣]، لها كلَّ يومٍ مشرق ومغرب[٤].

﴿٦﴾- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ أي: بضوئها[٥]، أو بها[٦]،

---

(١) وقوله: (مصدر). يعني: أنه مفعول مطلق. ويجوز كونه مفعولًا به للتاليات. الواو في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ للقسم، والفاء في الآيتين التاليتين عاطفة، وجواب القسم: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾.

(٢) قوله: (يا أهل مكة). أفاد أن الخطاب معهم، ويلاحظ أن الإله هنا بمعنى: مستحق العباد، فهو بالمعنى الخاص، لا مطلق المعبود، أي: بالمعنى العام؛ لأن لهم آلهة متعددة، وقد ذكرنا ذلك في مواضع. راجع مثلًا آية الكرسيّ.

(٣) قوله: (أي: والمغارب). أشار إلى أن في الآية اكتفاءً، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ أي: والبرد.

(٤) قوله: (لها كل يوم...). روي ذلك عن السدّي، وهذا أمر فلكيّ ذكره العلماء فللشمس ثلاثمائة وستون مطلعًا ومغربًا، ففي كل يوم تطلع من نقطة مجاورة للنقطة التي تطلع من الغد، وكذلك الغروب، ويكون الفرق بقدر درجة واحدة، فتكمل في السنة دورة كاملة في مسيرها؛ لأن الدائرة ثلاثمائة وستون درجة.

(٥) قوله: (أي: بضوئها). تفسير للزينة. والمعنى: بضوء الكواكب، فإضافة زينة إلى الكواكب بمعنى: اللام.

(٦) وقوله: (أو بها). أي: بالكواكب، وعلى هذا تكون الإضافة بيانية، والمعنى: بزينة هي الكواكب، فيكون الكواكب بمعنى: عطف البيان من زينة، كما ثبتت القراءة بذلك. وهذا المراد بقوله: (كقراءة تنوين) يعني: إذا كانت الإضافة بيانية يكون المعنى موافقًا للقراءة بتنوين زينة، والتنوين: قراءة حفص، وحمزة، وشعبة، إلا أن شعبة نصب «الكواكب» على المفعولية لزينة. وقرأ الباقون: بالإضافة.

والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب.

(٧)- ﴿وَحِفۡظًا﴾ منصوب بفعل مقدر[١]، أي: حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر[٢] ﴿شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ (٧)﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة[٣].

(٨)- ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: الشياطين، مستأنف، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الملائكة في السماء[٤]، وعدّي السماع بـ«إِلَى» لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة[٥]: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمّعون،

---

(١) قوله: (منصوب). أي: فهو مفعول مطلق لفعل محذوف، وهو أحد الأوجه في نصبه.

(٢) وقوله: (متعلق) أي: الجار والمجرور ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بـ(حفظناها) المقدر.

(٣) وقوله: (عاتٍ): اسم فاعل من: عتا، يعتو.

(٤) قوله: (الملائكة). كما قال ابن كثير: «لئلا يصلوا إلى الملإ الأعلى وهي السمٰوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى...إلخ».اهـ.

(٥) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾: بتشديد السين والميم. وأصله: يتسمّعون. كما قال المفسر. والباقون: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ﴾: من الثلاثي المجرد.

تنبيه: هذه الآيات صريحة في أن الشياطين كانوا يسترقون السمع كانت لهم مقاعد في السماء، وكما تدل عليه آيات أخرى وأحاديث، وتقدم ذكر ذلك في سورة الحجر الآية (١٦، ١٧، ١٨)، وروى ابن جرير هنا عن ابن عباس من طرق قال: «كانت الجن يصعدون إلى السماء الدنيا يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة فتكون حقًّا، وأما ما زادوا فيكون باطلًا، فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلي، فأتوه فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث».اهـ.

وقال القرطبي ما حاصله: «واستمر هذا الرجم بعد وفاة النبي ﷺ لأن الكهانة باطلة محرمة، فلو عادوا إلى الاستماع لعادت الكهانة».اهـ. وراجع تفسير سورة الحجر.

أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقۡذَفُونَ﴾ أي: الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨﴾ من آفاق السماء.

۝٩- ﴿دُحُورٗاۖ﴾ مصدر دحره، أي: طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩﴾ دائم.

۝١٠- ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ﴾ مصدر، أي: المرة، والاستثناء من ضمير «يَسَّمَّعُونَ»، أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٞ ۝١٠﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله.

۝١١- ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ اسْتخبر[1] كفار مكة تقريرًا أو توبيخًا ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ[2] خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾ من الملائكة[3] والسموات والأرضين وما فيها، وفي الإتيان بـ«مَّنۡ»[4] تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم﴾ أي: أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ۝١١﴾ لازم يلصق باليد[5]، المعنى[6]: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا بإنكار النبي، والقرآن المؤدي إلى هلاكهم اليسير.

---

(١) قوله: (استخْبر) أي: سَلْ. قاله القرطبي.

(٢) ﴿أَهُمۡ أَشَدُّ﴾. الهمزة استفهامية للتعيين، و﴿أَم﴾ متصلة عاطفة. و﴿مَّنۡ﴾ معطوف على «هم».

(٣) وقوله: (من الملائكة...). بيان لـ﴿مَّنۡ﴾. وفسر مجاهد: «السموات والأرض والجبال»، وعن سعيد بن جبير: «الملائكة»، وقيل: الأمم الماضية كانوا أشد خلقًا.

(٤) وقوله: (وفي الإتيان بـ﴿مَّنۡ﴾). أي: في قوله: ﴿أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ﴾. عبر بـ﴿مَّنۡ﴾ تغليبًا للعقلاء مع أن المراد به مع الملائكة: الأرض والجبال والسموات. على ما فسره المفسّر.

(٥) قوله: (لازم يلصق باليد). وبنحوه فسر ابن عباس وغيره.

(٦) وقوله: (المعنى...). أي: معنى هذه الآية الكريمة الإجماليّ.

﴿١٢﴾- ﴿بَلْ﴾ للانتقال[1] من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء[2]، خطابًا للنبي ﷺ، أي: من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم[3] ﴿يَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ من تعجبك.

﴿١٣﴾- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ لا يتعظون.

﴿١٤﴾- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ يستهزءون بها.

﴿١٥﴾- ﴿وَقَالُوا﴾ فيها ﴿إِنْ﴾ ما[4] ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بيّن.

﴿١٦﴾- وقالوا منكرين للبعث: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ في الهمزتين في الموضعين[5] التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

---

(١) قوله: (للانتقال). يعني ليس ﴿بَلْ﴾ للإبطال، بل لمجرّد الانتقال. و«بل» قد تأتي لإبطال الشيء والانتقال إلى خلافه، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ [السجدة: ٣]، وقد تكون لمجرد الانتقال بدون إبطال كما هنا، وقد تقدم هذا البحث.

(٢) قوله: (بفتح التاء). يعني: ﴿عَجِبْتَ﴾: بتاء الخطاب: وهذه قراءة الجمهور. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم التاء: ﴿عَجِبْتُ﴾؛ فيكون إسناد العجب إلى الله تعالى كما يليق به، وليس بمعنى استعظام أمر خفي سببه؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء.

(٣) قوله: (هم) قدره ليفيد أن جملة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ حالية. والجملة الحالية المبدوءة بالمضارع المثبت تكون خالية من الواو، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف: ١٦]، فإذا وردت بالواو يقدر بعدها مبتدأ لتكون الجملة اسمية. كما نص عليه ابن مالك في ألفيته.

(٤) قوله: (ما) أشار إلى أن ﴿إِنْ﴾ نافية، كما يدل على ذلك ذكر إلا بعدها.

(٥) قوله: (في الموضعين). أي: ﴿أَإِذَا﴾ و﴿أَإِنَّا﴾. وأشار إلى أربع قراءات، كما تقدم نظير ذلك، مثلًا: العنكبوت: [٢٩].

١٧- ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ بسكون الواو عطفًا بـ«أَوَ»[١] وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو، والمعطوف عليه محل «إن» واسمها، أو الضمير في «لَمَبۡعُوثُونَ»، والفاصل همزة الاستفهام.

١٨- ﴿قُلۡ نَعَمۡ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨﴾ صاغرون.

١٩- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضمير مبهم[٢] يفسره ﴿زَجۡرَةٞ﴾ أي: صيحة[٣] ﴿وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ﴾ أي: الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ ١٩﴾ ما يفعل بهم.

٢٠- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الكفار ﴿يَا﴾ للتنبيه[٤] ﴿وَيۡلَنَا﴾ هلاكنا، وهو

---

(١) قوله: (بسكون الواو). يعني: ﴿أَوۡ ءَابَآؤُنَا﴾: هذه قراءة أبي جعفر، وابن عامر، وقالون. وقرأ الباقون: بفتح الواو: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا﴾. وذكر المفسر التوجيه الإعرابي على القراءتين. فعلى قراءة ﴿أَوۡ﴾ بسكون الواو فهي حرف عطف و﴿ءَابَآؤُنَا﴾ معطوف على محل اسم «إنّ»، ويجوز العطف على اسم «إن» بالرفع بعد ذكر خبرها، تقول: إنّ زيدًا قائمٌ وعمرًا أو عمرٌو، ويصح كون ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ مبتدأ حذف خبره، أي: مبعوثون. والجملة معطوفة على الجملة السابقة ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾. وعلى فتح الواو: تكون الهمزة استفهامية، والواو عاطفة، والمعطوف عليه إما محل اسم «إنّ»، أو على ضمير «مبعوثون» أي: «نحن». وعطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل المرفوع يحتاج إلى فاصل عند الجمهور والفاصل هنا: همزة الاستفهام، وهذا ملخص ما ذكره المفسر.

(٢) قوله: (ضمير مبهم) أي: فيعود إلى ما بعده، والضمير المبهم هو الذي لا يعود إلى شيء سابق، وإنما يعود إلى مفسِّره اللاحق، وهو من المواضع الستة التي يعود فيها الضمير إلى المتأخر لفظًا ورتبة. وقد ذكرناها في «رسالة الاستثناء» وكتاب «الثلاثيات».

(٣) قوله: (صيحة). فسر بذلك ابن جرير وغيره، والمراد بها النفخة كما رواه عن السدّي.

(٤) قوله: (للتنبيه). أي: «يا» هنا للتنبيه، وليست للنداء باعتبار المعنى، أما إعرابًا فهو حرف نداء، و«ويل» منادًى منصوب وهو مضاف، و«نا» مضاف إليه. وتقدم في «يسٓ» وغيرها.

مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: يوم الحساب والجزاء.

﴿٢١﴾ - ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿٢٢﴾ - ويقال للملائكة[1]: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين[2] ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿٢٣﴾ - ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ دلّوهم[3] وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ طريق النار.

﴿٢٤﴾ - ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم عند الصراط[4] ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم[5]، ويقال لهم توبيخًا:

---

(١) قوله: (ويقال...). أفاد أن الآية ﴿ٱحْشُرُوا۟ ...﴾ مقول لقول محذوف، كما قال القرطبي: «هو من قول الله تعالى للملائكة».

(٢) قوله: (قرناءهم من الشياطين) هذا التفسير عزاه القرطبي إلى الضحاك، ومقاتل. وعن ابن عباس: «نظراءهم»، وفي رواية: «أتباعهم ومن أشبههم من الظَّلَمة»، وروي عن عمر قال: «الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة».اهـ. وعلى هذا يكون المراد بالظلم أعمّ من الكفر والفسوق.

(٣) قوله: (دلّوهم) فسر الهداية بمعناه اللغوي، وذكره القرطبي، وعن ابن عباس: «وجّهوهم».اهـ. وهو قريب مما ذكره المفسر.

(٤) قوله: (احبسوهم عند الصراط). قال القرطبي: «هذا يكون قبل السوق إلى الجحيم، ففيه تقديم وتأخير: أي: قفوهم للحساب ثم سوقوهم، وقيل: يساقون إلى النار أولًا ثم يحشرون للسؤال إذا قربوا من النار».اهـ.

(٥) وقوله: (عن جميع أقوالهم...). عزاه القرطبي إلى القرظيّ، والكلبي.

٢٥- ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ لا ينصر بعضكم بعضًا، كحالكم في الدنيا ويقال لهم:

٢٦- ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦﴾ منقادون أذلاء[1].

٢٧- ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ[2] يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ يتلاومون ويتخاصمون[3].

٢٨- ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ عن الجهة التي[4] كنا نأمنكم لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم. المعنى[5]: أنكم أضللتمونا.

٢٩- ﴿قَالُواْ﴾ أي: المتبعون لهم ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩﴾ وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا.

٣٠- ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ قوة وقدرة[6] تقهركم على متابعتنا ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠﴾ ضالين مثلنا.

---

(١) قوله: (منقادون). روي نحوه عن ابن عباس، قال: «خاضعون ذليلون»، نقله القرطبي.

(٢) ﴿بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾. أي: الرؤساء والأتباع. قاله القرطبي.

(٣) قوله: (يتلاومون...) أما قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١] فالمنفي السؤال بالرحم كما كانوا يسألون به في الدنيا. ذكره القرطبي عن النحاس.

(٤) قوله: (عن الجهة التي...). ونحوه عن السدي، قال: «تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق»، ونحوه عن قتادة.

(٥) قوله: (المعنى) أي: معنى الآية الإجمالي: أن الأتباع يقولون للمتبوعين: ذلك، والمراد: أنكم أضللتمونا. وعن مجاهد: «أن هذا التساؤل بين الإنس، أي: الكفار مع الشياطين.

(٦) قوله: (قوة وقدرة). وبقريبٍ منه فسر البيضاوي، وقال ابن جرير وغيره: «من حجة»، وهما متلازمان، قال البيضاوي: «أجابهم الرؤساء أولًا ... إضلالهم بأنهم كانوا ضالين من أنفسهم، وثانيًا بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن عليهم تسلط...إلخ».

(٣١)- ﴿فَحَقَّ﴾[1] وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ بالعذاب، أي قوله: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ﴿إِنَّا﴾ جميعًا ﴿لَذَآئِقُونَ (٣١)﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم[2]:

(٣٢)- ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ المعلل بقولهم[3]: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢)﴾.

(٣٣)- قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)﴾ لاشتراكهم في الغواية.

(٣٤)- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾ غير هؤلاء، أي: نعذبهم التابع منهم والمتبوع.

---

(١) ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا...فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ قال البيضاوي: «ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمرًا مقضيًا، لا محيص لهم عنه.

قال ابن جرير: «إنا لذائقوا العذاب بما قدمنا من ذنوبنا...». أي: حق عليهم العذاب بسبب ذنوبهم.

(٢) وقول المفسر: (ونشأ عنه قولهم). أي: ونشأ عن كون العذاب مقدّرًا عليهم بسبب ذنوبهم قولهم التالي وهو: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ ...﴾.

(٣) وقول المفسّر: (المعلّل...) نعت لـ(قولهم). يعني: أن قولهم فأغويناكم: علته: غوايتهم في أنفسهم، فالحاصل: أن الغواية مكتوبة على الفريقين بسبب ذنوبهم، وغاية ما فعل الرؤساء أن دعوا الضعفاء التابعين، بدونِ أن يكون لهم سلطنة على التابعين، فما دام الغواء مكتوبًا عليهم صار دعوتهم سببًا لغواية التابعين المكتوبة عليهم، فلا منافاة بين ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠)﴾ وبين ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ ظاهرًا؛ لأن الغواية مكتوبة على الفريقين بسبب فسقهم، وصار دعوة الرؤساء سببًا ظاهرًا في غواية التابعين، وهذا الذي يعلم من كلام المفسر وغيره.

(٣٥) - ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء[١] بقرينة ما بعده ﴿كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾.

(٣٦) - ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم[٢] ﴿لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦)﴾ أي: لأجل محمد.

(٣٧) - قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ الجائين به، وهو[٣]: قول لا إله إلا الله.

(٣٨) - ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات[٤] ﴿لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨)﴾.

(٣٩) - ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾.

(٤٠) - ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع[٥]، أي: ذُكِر جزاؤهم[٦] في قوله:

(٤١) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١)﴾ بكرة وعشيًّا[٧].

---

(١) قوله: (هؤلاء) الإشارة إلى المشركين كما يعلم من ابن جرير، ورواه عن السدّي.

(٢) قوله: (ما تقدم) أي: في ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ الآية (١٦).

(٣) قوله: (وهو...). أي: الحق الذي جاء به.

(٤) قوله: (التفات...). أي: إلى الخطاب من الغيبة، حيث ذكره أولًا بصيغة الغيبة.

(٥) قوله: (استثناء منقطع) أي: المستثنى ليس من جنس المستثنى منه؛ وذلك واضح.

(٦) قوله: (أي: ذُكِر...). توضيح لكون الاستثناء منقطعًا، ذكر الله تعالى جزاءهم في الآيات التالية، وذكر فيها مأكولهم ومشروبهم ومنكوحهم. وهي الملاذ الثلاثة التي تمتع الحياة.

(٧) قوله: (بكرة وعشيًّا). كما تقدم في سورة مريم الآية (٦٢).

(٤٢)- ﴿فَوَٰكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذًا[١] لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢)﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى.

(٤٣)- ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣)﴾.

(٤٤)- ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤)﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض[٢].

(٤٥)- ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه[٣] ﴿مِّن مَّعِينٍ (٤٥)﴾ من خمر تجري على وجه الأرض كأنهار الماء[٤].

---

(١) قوله: (وهو ما يؤكل...). أي: الفواكه، كما قال البيضاوي: «فإن الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي، والقوت بالعكس»، وأشار المفسر بذلك إلى أن طعام أهل الجنة ليس منحصرًا في الثمار؛ لأن لهم لحم طير وغير ذلك مما يشتهون، فالمراد بالفواكه ما يؤكل تلذذًا. وكذا كلّ طعامهم يكون تلذذًا لعدم الحاجة إلى ما يحفظ البدن.

(٢) قوله: (لا يرى بعضهم...). أي: لا يكون في مجالسهم ومكان اجتماعهم تقدم بعض وتأخر بعض كما في مجالس الدنيا، حتى لا ينسب بعضهم إلى بعد المنزلة، بل يكونون متقابلين كالحلقة.

وقول المفسر: (لا يرى بعضهم...) عزاه القرطبي إلى عكرمة، ومجاهد.

(٣) قوله: (هو الإناء...) كما قال القرطبي: «الكأس عند أهل اللغة: اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغًا فليس بكأس»، ونقل عن الضحاك، والسدّي: «كل كأس في القرآن فهي الخمر، والعرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر قالوا: إناء وقدح».اهـ.

(٤) قوله: (كأنهار الماء). قال القرطبي: «المعين: الماء الجاري الظاهر»، قال البيضاوي: «من عان الماء إذا نبعَ».اهـ. أي: فالميم في ﴿مَّعِينٍ﴾ مزيدة.

روى ابن جرير عن قتادة: «كأس من خمر جارية».اهـ.

(٤٦)- ﴿بَيۡضَآءَ﴾ أشد بياضًا من اللبن[١] ﴿لَذَّةٖ﴾ لذيذة[٢] ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦)﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب.

(٤٧)- ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ﴾ ما يغتال عقولهم[٣] ﴿وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ (٤٧)﴾ بفتح الزاي وكسرها[٤]، من نزف الشارب وأنزف، أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

(٤٨)- ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظُرْن إلى غيرهم لحسنهم[٥] عندهن ﴿عِينٞ (٤٨)﴾ ضخام الأعين حسانها[٦].

(٤٩)- ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيۡضٞ﴾ للنعام[٧] ﴿مَّكۡنُونٞ (٤٩)﴾ مستور بريشِهِ، لا

---

(١) قوله: (أشد بياضًا) ظاهره أنها صفة للخمر، وهو أحد الوجهين، والثاني: أنها صفة للكأس. ذكرهما القرطبي.

(٢) قوله: (لذيذة). أشار به إلى أن ﴿لَذَّةٖ﴾ مصدر، بمعنى: الوصف، أو يقال: على تقدير مضاف، أي: ذات لذة. وصف بالمصدر مبالغةً.

(٣) قوله: (ما يغتال...). أي ما يذهب عقولهم.

(٤) قوله: (بفتح الزاء) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: ﴿يُنزِفُونَ﴾: بضم الياء، وكسر الزاء، من الثلاثي المزيد. والباقون: ﴿يُنزَفُونَ﴾: بفتح الزاي، بصيغة المبني للمفعول من الثلاثي المجرد. وكلاهما يؤدي معنًى واحدًا، كما ذكره المفسر. أي: يسكرون. كما روى عن ابن عباس، ومجاهد: «لا تذهب عقولهم».اهـ.

(٥) قوله: (لا ينظُرْن...). روى معناه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدّي وغيرهم.

(٦) قوله: (ضخام الأعين...) العِينُ: جمع عيناء، وهي ضخيمة العين، كما قاله ابن زيد، والسدّي. وعن مجاهد: «حسان العيون»، وعن الحسن: «الشديدات بياض العين الشديدات سوادها».اهـ. قال القرطبي: «الأول أشهر».

(٧) قوله: (للنعام). قاله الحسن، وابن زيد. شبهن ببيض النعام، تكنها النعام بالريش من الريح والغبار.اهـ. =

يصل إليه غبار، ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء.

٥٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾ عما مرّ بهم في الدنيا[١].

٥١- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ صاحب ينكر البعث[٢].

٥٢- ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتًا: ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ بالبعث.

٥٣- ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا﴾ في الهمزتين[٣] في الثلاثة مواضع ما تقدم[٤] ﴿لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

٥٤- ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٥] معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا[٦].

= وعن ابن جبير، والسدّي: «شبهن ببطن البيض أي: داخلها حين يقشر قبل أن تمسه الأيدي»، وروى ابن جرير عن ابن عباس: «البيض المكنون: اللؤلؤ المكنون».اهـ.

(١) قوله: (عما مرّ بهم...). قال القرطبي: «وهو من تمام الأنس في الجنة».اهـ.

(٢) قوله: (صاحب...) روي ذلك عن ابن عباس: «هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان».اهـ. وعن مجاهد: «﴿قَرِينٌ﴾: شيطان».

(٣) قوله: (في الهمزتين...). أي: في ﴿أَإِنَّكَ﴾، ﴿أَإِذَا﴾، ﴿أَإِنَّا﴾.

(٤) وقوله: (في الثلاثة مواضع). مواضع بدل من الثلاثة.
وقوله: (ما تقدم) أي: من أوجه القراءات.

(٥) ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾. قال القرطبي: «الاستفهام بمعنى: الأمر، أي: اطلعوا».اهـ. والمراد الأمر الاستئناسي، لا الإلزامي، كما هو واضح.

(٦) قوله: (فيقولون: لا). لعله أخذه من قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ﴾ ولم يقل: فاطلعوا. ولم أجد هذا التفصيل معزوًّا، بل قال ابن جرير... وفي الكلام متروك -محذوف- استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو: فقالوا: نعم...اهـ.

(٥٥) - ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوَى الجنة[١] ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ (٥٥)﴾ في وسط النار.

(٥٦) - ﴿قَالَ﴾[٢] له تشميتًا: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة[٣] ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرۡدِينِ (٥٦)﴾ لَتُهْلِكُنِي بإغوائك.

(٥٧) - ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامه علي بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ (٥٧)﴾ معك في النار.

(٥٨) - ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨)﴾[٤].

(٥٩) - ﴿إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)﴾ هو استفهام تلذذ[٥] وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب.

---

(١) قوله: (من بعض كوى الجنة). الكوى جمع كُوّة وهي الفتحة كالنافذة، نقل القرطبي عن ابن عباس في تفسير الآية: «إن في الجنة كوًى ينظر أهلها منها إلى النار وأهليها».اهـ.

(٢) ﴿قَالَ﴾. أي: المؤمن للكافر الذي في النار، تشميتًا، والتشميت: الراحة عند رؤيته العدوّ في العذاب.

(٣) قوله: (مخففة...). أي: وهي مهملة عن العمل، واللام في ﴿لَتُرۡدِينِ﴾ الفارقة بينها وبين ﴿إِن﴾ النافية، واللام لازمة إذا أهملت «إن» المخففة ولم تكن قرينة، كما فصّل في علم النحو. هنا مشى المفسّر على قول الجمهور حيث لم يقدّر اسم «إن».

(٤) ﴿أَفَمَا نَحۡنُ﴾. الهمزة استفهامية، والفاء عاطفة على مقدر، أي: أنحن مخلدون فما نحن ميتين. و«ما» نافية.

(٥) وقوله: (هو استفهام تلذذ...). ذكر القرطبي نحو هذا المعنى بدون عزو، وذكر تفسيرًا آخر: «هذا من قول أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت، ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت».اهـ.

٦٠- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾.

٦١- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾[(١)] قيل[(٢)]: يقال لهم ذلك، وقيل: هم يقولونه.

٦٢- ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعدّ[(٣)] للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ المعدة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر[(٤)] المر بتهامة، ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي.

٦٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ أي: الكافرين من أهل مكة إذ قالوا[(٥)]: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟

---

(١) ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾. الإشارة إلى الجزاء المذكور، والفاء في ﴿فَلْيَعْمَلِ﴾ الفاء الفصيحة.

(٢) قوله: (قيل:...). أي: هذه الجملة: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا...﴾ يحتمل كونها من كلام الملائكة لهم أو كلام الله، أو كلامهم. فسر ابن جرير على أنه من كلام الله تعالى، وذكر القرطبي الاحتمالات الثلاثة بدون عزو.

(٣) قوله: (وهو ما يعدّ...). قال القرطبي: «والنزل في اللغة: الرزق الذي له سعة»، وقال: «واشتقاقه أنه الغذاء الذي يصلح أن ينزلوا معه، ويقيموا فيه».اهـ.

(٤) قوله: (وهي من أخبث الشجر). هذا القول عزاه القرطبي إلى قطرب. وعلى هذا فهي شجرة تعرفها العرب. وقيل: هي كل نبات قاتل. وقيل: إنها لا تعرف في شجرات الدنيا. الأقوال ذكرها القرطبي. وقال: «الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها».

(٥) قوله: (إذ قالوا...) هذا القول رواه ابن جرير عن قتادة. وروى عن السدّي: «أن أبا جهل قال لجاريته: ائتني بتمر وزبدٍ، فقال: دونكم تزقّموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؛ فأنزل الله ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾ الآية، ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾: لأبي جهل وأصحابه».اهـ. فهذا وجه آخر في معنى كونها فتنة للظالمين. ومعنى «تزقّموا»: تلقّموا.

٦٤- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.

٦٥- ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ الحيات القبيحة المنظر[١].

٦٦- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

٦٧- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ أي: ماء حار[٢] يشربونه، بالمأكول منها، فيصير شوبًا له.

٦٨- ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم[٣] وأنه خارجها.

---

(١) قوله: (الحيات...). تفسير لـ﴿الشَّيَاطِينِ﴾. عزا القرطبي هذا القول إلى الزجاج، والفراء. وقيل: المراد بالشياطين: الشياطين أنفسهم. والعرب تصوّر القبيح وتعبر عنه بالشيطان، فرؤوس الشياطين متصورة في نفوسهم وإن لم يروها. وقيل: إن رؤوس الشياطين اسم لنبت قبيح المنظر، مرّ خشن منتن. ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير وغيره من المفسرين. وأجاب ابن جرير بهذه الأقوال عن الإشكال بأن التشبيه بغير معروف لا يفيد، والأصل أن التشبيه يكون بشيء معروف. أي: فعلى كل قول يكون التشبيه بالأمر المعروف عندهم.

(٢) قوله: (أي: ماء...). تفسير الحميم. قال ابن جرير: «وهو الذي أسخن فانتهى حرّه، وأصله مفعول -يعني محموم- فصرف إلى فعيل».اهـ. والشوب: الخلط والمزج.

(٣) قوله: (يفيد...). هذا القول عزاه القرطبي إلى مقاتل...، قال مقاتل: «الحميم خارج الجحيم، فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون إلى الجحيم لقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٣-٤٤]».اهـ.

٦٩- ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ٦٩﴾.

٧٠- ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ٧٠﴾ يزعجون إلى اتباعهم، فيسرعون إليه[١].

٧١- ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٧١﴾ من الأمم الماضية.

٧٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢﴾ من الرسل مخوّفين.

٧٣- ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ٧٣﴾ الكافرين، أي: عاقبتهم العذاب[٢].

٧٤- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ[٣] ٱلْمُخْلَصِينَ ٧٤﴾ أي: المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة[٤]، أو لأن الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

٧٥- ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: ربِّ إنِّي مغلوب فانتصر، ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ٧٥﴾ له[٥]: نحن[٦]، أي: دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق.

---

(١) قوله: (فيسرعون إليه...). أي: إلى اتباعهم، قال قتادة، والسدي: «﴿يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون». وقال ابن زيد: «يستعجلون».اهـ. وهما بمعنى.

(٢) قوله: (أي: عاقبتهم...). يشير إلى أن الاستفهام في ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ يفيد معنى التقرير.

(٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾. استثناء من ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

(٤) قوله: (لإخلاصهم...). هذا التفسير راجع إلى القراءة بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل. وهي قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، ويعقوب. وقرأ الباقون: بصيغة اسم المفعول: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، أي: أخلصهم الله تعالى لعبادته. والقراءتان ثابتتان في الآية الأربعين من هذه السورة. ولم يذكرهما المفسر هناك.

(٥) قوله: (له). أي: لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، متعلق بـ﴿ٱلْمُجِيبُونَ﴾.

(٦) وقوله: (نحن). مخصوص بالمدح.

٧٦- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦﴾ أي: الغرق[١].

٧٧- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧﴾؛ فالناس كلهم[٢] من نسله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب والفرس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك.

٧٨- ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناءً حسنًا[٣] ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ ٧٨﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

٧٩- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ٧٩﴾[٤].

٨٠- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم[٥] ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٠﴾.

---

(١) قوله: (أي: الغرق). وبه فسر السدّي فيما رواه ابن جرير. وفسر ابن جرير بما هو أعمّ فقال: «من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح».اهـ.

(٢) قوله: (فالناس كلهم). وبمثله قاله قتادة، وعليه عامة المفسرين، قال ابن جرير: «وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصيالقة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح. وبذلك جاءت الآثار وقالت العلماء».اهـ. وقد تقدم ذلك كما تقدم في سورة هود أن ابنه كنعان هلك في الطوفان.

(٣) قوله: (ثناءً حسنًا). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿وَتَرَكْنَا﴾، روى ابن جرير عن قتادة قال: «أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين».اهـ.

(٤) قال ابن جرير في معنى هذه الآية: «أمنة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء».اهـ.

﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ مرفوع، والمسوغ للابتداء بالنكرة: تضمنه معنى الدعاء.

(٥) قوله: (كما جزيناهم) الجار والمجرور مفعول مطلق نعت لمصدر محذوف، أي: جزاء مثل جزائهم.

(٨١)- ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.

(٨٢)- ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ كفار قومه.

(٨٣)- ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: ممن تابعه[1] في أصل الدين ﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة[2]، وكان بينهما هود وصالح[3].

(٨٤)- ﴿إِذۡ جَآءَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه[4] ﴿رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ من الشك وغيره[5].

(٨٥)- ﴿إِذۡ قَالَ﴾ في هذه الحالة[6] المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ موبخًا

---

(١) قوله: (أي: ممن تابعه...) أي:فالمراد من أنه من شيعته أنه على أصل دينه، كما قال ابن عباس: «يقول: من أهل دينه»، وقال مجاهد: «على منهاج نوح وسنته»، وكذا عن قتادة، والسدي.

(٢) قوله: (وهوألفان...). قاله القرطبي أيضًا ثم قال: «حكاه الزمخشري».

(٣) وقوله: (وكان بينهما...) قال القرطبي: «وما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيّان: هود وصالح».اهـ.

(٤) قوله: (أي: تابعه...). يعني: تابع إبراهيم نوحًا عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ إذ جاء إبراهيم ربه بقلب سليم، وأشار المفسر بهذا التقدير إلى أن ﴿إِذۡ﴾ الظرفية متعلقة بالفعل الذي دل عليه الجار والمجرور ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾، كما قدر بقوله: (أي: تابعه في دينه).

(٥) قوله: (من الشك وغيره). أي: كالشرك. قال قتادة: «من الشرك»، وقال القرطبي: «أي: مخلصٍ من الشرك والشك».اهـ.

(٦) قوله: (في هذه الحالة...). أفاد بهذا التقدير أن تلك الحالة، أي: متابعة نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كانت مستمرة فيه، وليس المراد أنه كان متابعًا لنوح عند قوله لأبيه وقومه ذلك فقط، كما قد يوهمه كون ﴿إِذۡ﴾ بدلًا من ﴿إِذۡ﴾ الأولى.

﴿مَاذَا﴾ ما الذي[١] ﴿تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾.

٨٦- ﴿أَئِفۡكًا﴾ في همزتيه ما تقدم[٢] ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ و«إِفۡكًا» مفعول له[٣]، و«ءَالِهَةً» مفعول به لـ«تُرِيدُونَ»، والإفك[٤]: أسوأ الكذب، أي: أتعبدون غير الله؟

٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ إذا عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين[٥] فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا.

٨٨- ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨﴾ إيهامًا لهم[٦] أنه يعتمد عليها ليتّبعوه.

٨٩- ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ عليل، أي: سأسقم[٧].

---

(١) قوله: (ما الذي). أي: «ذا» هنا اسم موصول في محل رفع خبر «ما» الاستفهامية. ويصح جعل ﴿مَاذَا﴾ كلمة واحدة: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لـ﴿تَعۡبُدُونَ﴾.

(٢) قوله: (ما تقدم). أي: مافي الآية (٥٢).

(٣) قوله: (مفعول له). هذا أحد الأوجه، أو مفعول به لـ﴿تُرِيدُونَ﴾ و﴿ءَالِهَةً﴾ بدل. وقيل: ﴿إِفۡكًا﴾: حال بمعنى: آفكين، ذكر المعربون هذه الأوجه.

(٤) قوله: (والإفك...) نقله القرطبي عن المبرّد.

(٥) قوله: (وكانوا نجامين...) وبمثله قال القرطبي. وقال: «إنهم كانوا أهل رعاية وفلاحة، وهما يحتاجان إلى نظر في النجوم»، ونقل عن ابن عباس: «كان علم النجوم من النبوة، فلما حبس الله الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك».

(٦) قوله: (إيهامًا لهم...) وبمثله قال القرطبي وغيره، وعلى ما نقله عن ابن عباس كان نظره حقيقيًّا كما ذكره القرطبي.

(٧) قوله: (سأسقم) أفاد أن قوله ﴿سَقِيمٞ﴾ مع أنه كان صحيحًا ليس من الكذب، ومعناه: أنه سيسقم، هذا روي عن الضحاك، وقيل: سقيم النفس. =

٩٠- ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

٩١- ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية[١] ﴿إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام، وعندها الطعام[٢] ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ فلم ينطقوا.

٩٢- فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فلم يجب.

٩٣- ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ بالقوة[٣]، فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه.

٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: يسرعون المشي[٤]، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها.

٩٥- ﴿قَالَ﴾ لهم موبخًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا.

= وفي الصحيح: قال ﷺ: «**لم يكذب إبراهيم** عليه الصلاة والسلام **غير ثلاث كذبات؛ ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا...﴾** [الأنبياء: ٦٣]، **وقوله في سارة: هي أختي...**».اهـ. [«فتح الباري» (٦/ ٤٤٧)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠)]، والمراد بالكذب في هذا الحديث التعريض لا حقيقة الكذب، كما ذكره ابن كثير وغيره، وتقدم في سورة الأنبياء (٦٣).

(١) قوله: (مال). يقال: راغ، يروغ، روغًا، وروَغانًا إذا مال. ذكره القرطبي.

(٢) قوله: (وعندها الطعام). أي: الطعام الذي تركوه عندها للتبرك، وقيل: قدّم هو إليها طعامًا على سبيل الاستهزاء، كما في القرطبي. وابن جرير مشى على هذا الوجه الأخير.

(٣) قوله: (بالقوة) تفسير اليمين بالقوة هنا عزاه القرطبي إلى الفراء وثعلب، وذكره ابن جرير وجهًا، وروى عن ابن عباس: «﴿بِالْيَمِينِ﴾: أي: باليد اليمنى»، وخص الضرب اليمين؛ لأنها أقوى، والضرب بها أشد. ذكره الضحاك، والربيع بن أنس، فيما نقله القرطبي.

(٤) قوله: (يسرعون). قاله ابن زيد. وعن قتادة، والسدي: «يمشون».

(٩٦) - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾ من نحتكم ومنحوتكم[(١)]، فاعبدوه وحده، و«مَا» مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

(٩٧) - ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ فاملؤوه[(٢)] حطبًا، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ٩٧﴾ النار الشديدة.

(٩٨) - ﴿فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ٩٨﴾ المقهورين، فخرج من النار سالمًا.

(٩٩) - ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ مهاجرًا[(٣)] إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ ٩٩﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه، وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال:

(١٠٠) - ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولدًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾.

---

(١) قوله: (من نحتكم). هذا بناءً على كون ﴿مَا﴾ مصدرية.

وقوله: (ومنحوتكم). هذا على أن ﴿مَا﴾ موصولة أو موصوفة، أي: الذي تنحتونه أو شيئًا تنحتونه. كما سيذكر المفسر الأوجه الثلاثة في ﴿مَا﴾. وعلى المصدرية يكون المعنى: والله خلقكم ونحتكم. ورجح هذا المعنى ابن كثير، والقرطبي وغيرهما؛ ففيه إثبات مذهب أهل السنة من أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، واستدل على ذلك ابن كثير بحديث البخاري في كتاب أفعال العباد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، قال: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**».اهـ. [«خلق أفعال العباد» (ص٧٣)].

(٢) قوله: (فاملؤوه...) أفاد المفسر أن هٰهنا حذف جمل، فيكون من باب الإيجاز بالحذف، وقد تقدم في سورة الأنبياء أكثر مما هنا تفصيلًا.

(٣) قوله: (مهاجرًا). كما ذكر تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٦﴾ [الآية: ٢٦]. نقل القرطبي عن مقاتل: «هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة إلى الأرض المقدسة، وهي أرض الشام».اهـ.

(١٠١) - ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ (١٠١)﴾ أي: ذي حلم كثير[١].

(١٠٢) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه[٢]، قيل: بلغ سبع سنين[٣]، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت[٤] ﴿فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾

---

(١) قوله: (أي: ذي حلم كثير). أخذ هذا المعنى من صيغة فعيل، وهي من صيغ المبالغة. إذا كانت محوّلة عن فاعل، نحو: عليم، وسميع. كما تقدم مرارًا.

تنبيه: هذا الغلام المذكور هنا هو إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، لا إسحٰق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال القرطبي: «وممن قال بأنه إسماعيل: أبو هريرة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وابن عمر، وابن عباس في رواية عنهما، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، والربيع بن أنس...» وذكر آخرين، ونقل ابن كثير النصوص التي تدل على أنه إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وذكر البيضاوي أدلة كثيرة على ذلك، ونقل القرطبي القول بأنه إسحٰق عن العباس، وابنه عبدالله بن عباس، وابن مسعود وغيرهم.

(٢) قوله: (أي: أن يسعى معه...). فيه إشارة إلى أن ﴿مَعَهُ﴾ متعلق بـ﴿ٱلسَّعۡيَ﴾، لكن هل هو متعلق بالسعي المذكور أو بمقدّر؟ قال البيضاوي، والزمخشري، وبعض المعربين إنه متعلق بمحذوف؛ لأن السعي مصدر، والمصدر لا يعمل في المتقدم، ومن النحاة من أجاز تقدم معمول المصدر إذا كان المعمول ظرفًا أو جارًا أو مجرورًا. فهٰهنا ﴿مَعَهُ﴾ ظرف، فجاز تقدمه على المصدر الذي عمل فيه. كما ذكر الخضري.

(٣) وقوله: (قيل بلغ...). أقوال في عمر إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين وقوع الرؤيا، فنقل القرطبي عن الفراء: «ثلاثة عشر سنة»، وعن ابن عباس: «الاحتلام أي: البلوغ»، وعن مجاهد: «لما شب وأدرك سعيه سعيَ إبراهيم».

وقيل: بلغ سبع سنين، ولم أجده معزوًّا.

(٤) قوله: (أي: رأيت). أشار إلى أن المضارع ﴿أَرَىٰ﴾ بمعنى: الماضي. وأتى بالمضارع لحكاية الحال، وهي نكتة بلاغية.

ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي[١]، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة[٢] ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ على ذلك.

﴿١٠٣﴾- ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ خضعا[٣] وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة[٤]، وكان ذلك

---

(١) قوله: (من الرأي). أي: بخلاف «رأى» السابق في ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾، فهو من رؤيا المنامية. وقد سبق لنا أن «رأى» له أربع استعمالات، بمعنى: اعتقد فله مفعولان، وبمعنى: رأى في المنام، فله مفعولان كذلك، وبمعنى: أبصر: فله مفعول واحد، وبمعنى صار إلى أمر، فله مفعول واحد، ولذا يقال: رأى العلمية والحلمية والبصرية والمذهبية. وهناك استعمال خامس لكنه قليل وهو بمعنى: أصابَ الرئةَ.

(٢) قوله: (التاء عوض...). أي: فأصله: يا أبي بياء المتكلم، حذفت وعوض عنها التاء، وفي نداء الأب والأم المضافين إلى ياء المتكلم عشرة أوجه. ذكرها النحويون، والتاء حرف مبني على الكسر، وجاز فيها الفتح، فهو عوض حرف عن اسم. والحرف قد يكون عوضًا عن حرف، ويكون العوض في مكان المعوض، كعوض التنوين في نحو: جوارٍ عن الياء، وقد يكون في غير مكانه، نحو: «عدة» التاء عوض عن الواو «وعد» وقد يكون عوضًا عن اسم، نحو: تنوين «كل» و«بعض»، وقد يكون عوضًا عن فعل كحرف النداء عوض عن فعل النداء، وقد يكون عوضًا عن الجملة كالتنوين في: «حينئذٍ».

(٣) قوله: (خضعا...). قال ابن جرير: «أسلما جميعًا لأمر الله، ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه».اهـ.

(٤) قوله: (ولكل إنسان...) يريد بيان معنى الجبين وتله عليه، فالجبين: ما على حافة الوجه. قال ابن جرير: «والجبين ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما».اهـ. وقال ابن عباس: «أكب على وجهه».اهـ. أي: لئلا يشاهد وجهه عند الذبح، كما ذكره ابن كثير.

بمنى[١]، وأمرّ السكين[٢] على حلقه فلم تعمل شيئًا بمانع من القدرة الإلهية.

(١٠٤)- ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤﴾.

(١٠٥)- ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي: يكفيك ذلك، فجملة «وَنَٰدَيۡنَٰهُ» جواب «لما» بزيادة الواو[٣] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك

---

(١) قوله: (وكان ذلك بمنى). روى ابن جرير عن ابن عباس ما حاصله: «لما أمر إبراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند جمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى».اهـ. وذكره القرطبي.

(٢) وقوله: (وأمرّ السكين...). جرى المفسر هنا على القول المرجوح، فإن الصحيح أنه لم يقع إمرار السكين كما يصرح بذلك الحديث الذي رواه ابن جرير، وأحمد عن ابن عباس، وفيه: «ثم تله للجبين، وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أعين أبيض فذبحه».اهـ. وقال القرطبي: «إن نفس الذبح لم يقع، وإنما وقع الأمر بالذبح قبل أن يقع الذبح، ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل».اهـ. وعزاه إلى أهل السنة.

الخلاصة: استدل بذلك أهل السنة على صحة النسخ قبل التمكن من العمل، وهي مسألة أصولية، وخالف فيها المعتزلة فقالوا: لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل، واضطربت أقوالهم في تأويل قصة ذبح إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن أقوالهم في ذلك ما قاله المفسر من أنه ذبحه ولم يؤثر فيه السكين. وقيل: انقطع ثم التأم، وقيل غير ذلك. وكل تلك الأقوال لم تثبت بنقل صحيح، وإنما هي من تأويلات المعتزلة، وكما ذكرها ابن قدامة في «روضة الناظر» نقلًا عنهم.

(٣) قوله: (بزيادة الواو) يعني: أن جملة ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ جواب: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾، والواو في ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ مزيدة، وهذا القول عزي إلى الكوفيين والأخفش، وقال غيرهم جواب «لما» =

﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥)﴾ لأنفسهم[١] بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم[٢].

(١٠٦)- ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦)﴾ أي: الاختبار الظاهر.

(١٠٧)- ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ﴾ أي: المأمور بذبحه، وهو إسماعيل أو إسحٰق، قولان ﴿بِذِبۡحٍ﴾ بكبش[٣] ﴿عَظِيمٖ (١٠٧)﴾ من الجنة، وهو الذي قربه هابيل، جاء به جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فذبحه السيد إبراهيم مكبِّرًا.

(١٠٨)- ﴿وَتَرَكۡنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨)﴾ ثناء حسنًا.

(١٠٩)- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩)﴾.

(١١٠)- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١١٠)﴾.

(١١١)- ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١١١)﴾.

= محذوف، تقديره: ظهر صبرهما، أو جزيناهما أو نحو ذلك. والواو في ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ عاطفة، كما في «إعراب القرآن» للدرويش.

(١) قوله: (لأنفسهم). اللام للتقوية متعلقة بـ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

(٢) وقوله: (بامتثال الأمر...) متعلق ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، والباء للسببية أو للتصوير.

وقوله: (بإفراج) الجار والمجرور متعلق بـ﴿نَجۡزِي﴾ أي: الجزاء يكون بإفراج الكرب والشدائد عنهم.اهـ.

(٣) قوله: (بكبش). تفسير للمراد بالذبح، والذِّبح بكسر الذال: المذبوح. والذَّبح بفتحها: المصدر. كما أفاده القرطبي وغيره. و﴿عَظِيمٖ﴾: أي: عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة، قاله القرطبي. وعن مجاهد: «﴿عَظِيمٖ﴾: أي: متقبل». وروي أنه كان كبشًا عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد وغيرهم. وقول المفسر: وهو الذي قربه هابيل. هذا القول مروي عن ابن عباس، كما في ابن جرير وغيره. وقصة هابيل وقابيل مرت في سورة المائدة، وروى ابن جرير عن الشعبي: «وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة»، وذكر ذلك المفسرون.

﴿١١٢﴾- ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ استدل بذلك[١] على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة[٢]، أي: يوجد مقدرًا نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿١١٣﴾- ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله[٣] ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر[٤] ﴿مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ بيّن الكفر.

﴿١١٤﴾- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ بالنبوة.

﴿١١٥﴾- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ أي: من استعباد فرعون إياهم.

﴿١١٦﴾- ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القبط[٥] ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿١١٧﴾- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾﴾ البليغ البيان[٦] فيما أتى به من الحدود

---

(١) قوله: (استدل بذلك...). أي: بعطف قصة إسحٰق على القصة السابقة، وهذا مما يدل على أن الذبيح المذكور سابقًا ليس هو إسحٰق، بل هو إسماعيل. كما أنه إذا بشر بكونه نبيًّا لا يناسب الأمر بذبحه؛ لأن التبشير بكونه نبيًّا من باب الإخبار، والخبر لا يدخله النسخ، فلا يمكن نسخه بالأمر بذبحه، وهذا كله من أدلة أن الذبيح إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. حتى إن ابن عباس قال: «المفدي إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحٰق، وكذبت اليهود!». رواه ابن جرير.

(٢) قوله: (حال مقدرة). قد تقدم لنا أن الحال المقدرة هي التي يكون وقوعها بعد وقوع عاملها.

(٣) قوله: (بجعلنا أكثر الأنبياء). أي: فكل الأنبياء بعد إسحٰق من ذريته إلا محمدًا ﷺ خاتم النبيين وأفضلهم وسيدهم، فهو من ذرية إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما هو معلوم ومتواتر.

(٤) قوله: (مؤمن)، (كافر) وبذلك فسر ابن جرير وغيره.

(٥) قوله: (على القبط). أي: فرعون وقومه.

(٦) قوله: (البليغ البيان). فسر بنحوه البيضاوي. قال القرطبي: «يقال: استبان كذا، أي: =

والأحكام وغيرها، وهو التوراة.

﴿١١٨﴾- ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿١١٩﴾- ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ثناءً حسنًا.

﴿١٢٠﴾- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿١٢١﴾- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿١٢٢﴾- ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

﴿١٢٣﴾- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمزة أوله وتركها[1] ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ قيل: هو ابن أخي هارون أخي موسى[2]، وقيل: غيره، أرسل إلى قوم

= صار بينا، واستبانه فلان».اهـ. أي: استبان يستعمل لازمًا ومتعديًا، وهنا استعمل لازمًا.

فائدة: ﴿ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ و﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ من أنواع الجناس كما يعلم من علم البديع.

(١) قوله: (بالهمزة...). قرأ الجمهور: بهمزة القطع: ﴿إِلْيَاسَ﴾. وفي رواية لابن ذكوان: بهمزة الوصل فلا ينطق بها: ﴿وَإِنَّ ٱلْيَاسَ﴾. وهذا هو المراد بقول المفسّر: (بتركه).

(٢) قوله: (قيل: هو ابن أخي هارون...). نقل ابن جرير عن ابن إسحٰق: «إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العِيزار بن هارون بن عمران» أي: فهو من أحفاد هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. كما قال البيضاوي: «هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ»، وعلى قول المفسر هو ليس من ذرية هارون، بل من ذرية أخيه كما ذهب إليه بعض المفسرين. ففي «التلخيص»: إلياس بن بشير بن ياسين من ولد أخي هارون. ونقل د. قباوة: أن في بعض نسخ الجلالين: «هو ابن هارون».اهـ. والله أعلم.

وقوله: (ابن أخي هارون أخي موسى) فيه ركاكة، وكان الأولى أن يقال ابن أخي موسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

وروي عن ابن مسعود: «إلياس هو إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ». ذكره القرطبي، وقال: «ذكر ذلك =

ببعلبك(١) ونواحيها.

﴿١٢٤﴾- ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدرًا ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ الله.

﴿١٢٥﴾- ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم(٢) لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضًا، مضافًا إلى بك، أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ فلا تعبدونه.

= عكرمة، وقال عكرمة: هو في مصحف عبدالله: وإن إدريس لمن المرسلين».اهـ. قال القرطبي: «وانفرد بهذا القول، ونقل ابن كثير وغيره عن وهب بن منبه: «أن إلياس بعثه الله إلى بني إسرائيل بعد حزقيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وكانوا قد عبدوا صنمًا يقال له: بعل. وكان ملكهم آمن به ثم ارتد، واستمروا على الكفر، فقحطوا ثلاث سنوات، فوعدوه بالإيمان، فجاءهم الغيث، ثم أصبحوا أخبث ما كانوا عليه، فسأل الله أن يقبضه إليه... إلى آخر القصة.

(١) قوله: (بعلبك). من بلاد الشام غرب دمشق، وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجي. سميت المدينة باسم الصنم الذي كانوا يعبدونه وهو: بعل، روي ذلك عن زيد بن أسلم كما في ابن كثير. و«بك» هو اسم ذلك البلد في الأصل، ثم جعل «بعلبك» اسمًا مركبًا مزجيًّا بإضافة اسم الصنم، كما يعلم من البيضاوي وغيره.

(٢) قوله: (اسم صنم). هذا القول مروي عن الضحاك، وزيد بن أسلم، ومقاتل. وقال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم: «﴿بَعْلًا﴾، أي: ربًّا». ونقل القرطبي عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي: «البعل: الرب بلغة اليمن».اهـ. ومنه سمي الزوج بعلًا. وقول المفسر: (اسم صنم) هو المشهور، ولا منافاة بين هذا القول وبين من فسره بربّ، كما نقله القرطبي عن النحاس؛ لأن هذا الصنم جعلوه ربّهم. وذكر القرطبي عن ذلك الصنم بدون عزو: «كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعًا، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام».اهـ.

١٢٦- ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦﴾ برفع الثلاثة[١] على إضمار هو، وبنصبها على البدل من «أَحْسَنَ».

١٢٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧﴾ في النار.

١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨﴾ أي: المؤمنين منهم، فإنهم نجوا منها.

١٢٩- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ١٢٩﴾ ثناءً حسنًا.

١٣٠- ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠﴾ قيل: هو إلياس[٢] المتقدم ذكره،

---

(١) قوله: (برفع الثلاثة). قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف بنصب الثلاثة، والباقون: برفعها: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. ووجهها كما قال المفسر.

(٢) قوله: (قيل: هو إلياس...). لخص المفسر هنا الأقوال المختلفة في «إلياسين»، فذكر ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لغة في «إلياس»؛ لأن الأسماء العجمية يقع فيها التصرف عند استعمال العرب كما حكاه القرطبي عن ابن جنّي، فإلياس وإلياسين واحد، كما يقال: إدريس وإدريسين، وميكائيل وميائيل وميكائين، وإسرائيل وإسرائين، وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير، وابن كثير وغيرهما.

القول الثاني: أنه جمع إلياس، جمع بجمع مذكر سالم، عزا القرطبي هذا القول إلى أبي عبيدة، والمراد بهم: هو ومن آمن به، ويشكل على هذا أن جمع «العَلَم» يكون مع الألف واللام، تقول: الزيدون، ولا تقول: زيدون، وعلى هذا قيل إن اسمه: ياس، ثم دخل عليه «أل» فصار «إلياس» ثم جمع فقيل: «الياسين»، نقله ابن جرير.

القول الثالث: إنه «آل يٰسن» بإضافة «آل» إلى «يٰسن»، وهي قراءة نافع، وابن عامر، ويعقوب. وعلى هذا يكون «يٰسين» من اسمه وسلم على آله، ويشمل السلام عليه وعلى الآل أو المراد به نفسه كما هو ظاهر كلام المفسر، ورجّح الوجه الأول بأنه الموافق لسائر الآيات: نحو: سلام على نوح، إبراهيم...، فإن السلام وقع على الأشخاص لا على آله. وعود الضمير في ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كما نبه على ذلك البيضاوي. وفي بعض النسخ بإسقاط (قيل) في الموضعين.

وقيل: هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليبًا كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: «ءَالِ يَاسِينَ»، بالمد أي: أهله المراد به إلياس أيضًا.

(١٣١) - ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣١)﴾.

(١٣٢) - ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾.

(١٣٣) - ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٣)﴾.

(١٣٤) - اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (١٣٤)﴾.

(١٣٥) - ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ (١٣٥)﴾[١] أي: الباقين في العذاب.

(١٣٦) - ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْءَاخَرِينَ (١٣٦)﴾ كفار قومه.

(١٣٧) - ﴿وَإِنَّكُمْ[٢] لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ (١٣٧)﴾ أي: وقت الصباح، يعني: بالنهار.

(١٣٨) - ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به.

(١٣٩) - ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٣٩)﴾.

(١٤٠) - ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب[٣] ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٤٠)﴾ السفينة المملوءة، حين

---

(١) ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾. وهي امرأة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد تقدمت قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ في مواضع.

(٢) ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ الخطاب لكفار مكة؛ لأنهم كانوا يمرون بسدوم قرية لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ في أسفارهم إلى الشام. كما قاله قتادة.

(٣) قوله: (هرب). قال البيضاوي: «أصله: الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه»، وقد تقدم ملخص قصة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة يونس الآية (٩٨)، وفي سورة الأنبياء الآية (٨٧).

غاضب قومه[١]، لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر[٢]، فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة.

(١٤١)- ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ (١٤١)﴾ المغلوبين[٣] بالقرعة فألقوه في البحر.

(١٤٢)- ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ (١٤٢)﴾ أي: آتٍ بما يُلام عليه[٤] من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه.

---

(١) وقوله: (حين غاضب قومه...). كما يعلم مما نقله القرطبي عن ابن عباس، وذكر القرطبي اختلاف العلماء في أن إرساله إلى قومه -وهم أهل نينوى- هل هو بعد إباقه أو قبله. وصحح أنه كان أرسل قبل إباقه، فوعدهم العذاب إن لم يؤمنوا، وفارقهم، فلما رفع عنهم العذاب بسبب توبتهم كره أن يرجع إليهم، ولم يقع ما وعدهم من العذاب، فركب سفينة، وكان ذلك بغير إذنٍ من الله في الهجرة. هذا ملخص ما ذكره القرطبي ونقله عن ابن عباس في رواية.

(٢) قوله: (فوقفت في لجة البحر). أي: وقفت السفينة ولم تجر، كما روى ابن جرير عن قتادة، قال: «فاحتسبت السفينة، فعلم القوم إنما احتبست من حدثٍ أحدثوه...».اهـ. ولكن قال ابن كثير: «وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق».اهـ. فهما تفسيران: إما أن السفينة وقفت في البحر، وإما أنها كادت تغرق لتراكم الأمواج، ويمكن أن يجمع بين القولين: بأن السفينة تحركت واضطربت يمينًا وشمالًا ولم تتقدم في مسيرها. والله أعلم.

(٣) قوله: (المغلوبين). كما فسر به البيضاوي. وهو بمعنى ما روى عن ابن عباس، والسدي: «من المقروعين»، وعن مجاهد: «من المسهومين».اهـ. فكل ذلك بمعنى واحد.

(٤) قوله: (آتٍ...). يعني: أن ﴿مُلِيمٞ﴾: اسم فاعل من: ألام الرجل إذا أتى ما يلام عليه، كما أفاده ابن جرير.

تنبيه: لا يُنافي فعله هذا؛ لعصمته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فإن الإنبياء كلهم معصومون؛ لأن ذلك كان من نوع من الاجتهاد، فنبه على ما كان هو الأولى به.

١٤٣- ﴿فَلَوْلَآ[١] أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ الذاكرين[٢] بقوله كثيرًا في بطن الحوت «لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧».

١٤٤- ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤﴾ لصار بطن الحوت قبرًا[٣] له إلى يوم القيامة.

١٤٥- ﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بوجه الأرض، أي: بالساحل[٤] من يومه[٥] أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يومًا ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥﴾ عليل، كالفرخ الممعّط[٦].

---

(١) ﴿فَلَوْلَآ﴾. لولا: امتناعية، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبًا، والتقدير: فلولا كونه من المسبحين حاصل، وجواب «لولا»: ﴿لَلَبِثَ﴾.

(٢) وقوله: (الذاكرين...). وهذا أحد التفاسير لـ﴿ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾. كما قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]. روي عن سعيد بن جبير وغيره. وروى عن ابن عباس، والسدي، وابن جبير في رواية: «المصلين»، وعن الضحاك، وقتادة وغيرهما: «لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء».

(٣) قوله: (لصار بطن الحوت). قاله قتادة.

(٤) قوله: (أي: بالساحل). قاله ابن عباس. وقال قتادة: «بأرض ليس فيها شيء ولا نبات».

(٥) وقوله: (من يومه...). أشار إلى اختلاف الأقوال في مدة لبثه في بطن الحوت، فقال مجاهد عن الشعبي: «التقمه ضحى ولفظه عشية»، وقال مقاتل: «ثلاثة أيام»، وعطاء: «سبعة أيام»، والضحاك: «عشرين يومًا»، والسدي، والكلبي، ومقاتل: «أربعين يومًا»، كما في القرطبي، وابن كثير وغيرهما.

(٦) قوله: (كالفرخ الممعّط) أي: المنتوف الريش، روى ذلك القرطبي عن ابن مسعود في حديث طويل، كما روى عن ابن عباس وغيره: «كالصبي المنفوس، لم ينقص من خلقه شيء».

(١٤٦)- ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ (١٤٦) ﴾ وهي القرع[١]، تظله بساق على خلاف العادة[٢] في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلة[٣] صباحا ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي.

(١٤٧)- ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ ﴾ بعد ذلك كقبله[٤] إلى قوم نينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ﴾ بل[٥] ﴿يَزِيدُونَ (١٤٧)﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا[٦].

(١٤٨)- ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أبقيناهم ممتعين بما لَهُمْ ﴿إِلَىٰ حِينٖ (١٤٨)﴾ تنقضي آجالهم فيه.

---

(١) قوله: (وهي القرع). قاله ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والسدي وغيرهم. كما نقله ابن كثير.

(٢) وقوله: (تظله بساق). لعله أخذ هذا من إطلاق الشجرة عليه؛ لأن اليقطين: كل شجرة لا ساق لها. وإذا كان لها ساق يطلق عليه شجرة فقط. كما في القرطبي وغيره، ولم أر معزوًّا أن اليقطين الذي أنبته الله ليونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان له ساق.

(٣) وقوله: (وكانت تأتيه وعلة). أي: شاة من شياه الجبل، وهذا في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٤) قوله: (بعد ذلك كقبله). صريح في أنه كان مبعوثًا ونبيًّا إلى أهل نينوى قبل التقام الحوت وبعده، وهذا الذي اختاره القرطبي وغيره، واستدل عليه بأدلة وضعف ما روي عن طريق شهر بن حوشب من أنه إنما أرسل نبيًّا بعد التقام الحوت.

(٥) وقوله: (بل). أفاد أن ﴿أَوۡ﴾ هنا لإضراب الانتقال، فيكون الإخبار الأول بحسب ما يراه الناظر والثاني إضراب لما في الواقع، وهذا قول الفراء، ورواه ابن جرير عن ابن عباس، وقيل في معنى ﴿أَوۡ﴾ غير ذلك.

(٦) قوله: (عشرين...). روي عن أُبيّ بن كعب مرفوعًا، وثلاثون: عن ابن عباس، وسبعون: عن سعيد بن جبير، كل ذلك رواه ابن جرير.

(١٤٩)- ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ استخبر كفار مكة توبيخًا لهم[١] ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ (١٤٩)﴾ فيختصون بالأسنى[٢].

(١٥٠)- ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ (١٥٠)﴾ خلقنا، فيقولون ذلك.

(١٥١)- ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ (١٥١)﴾.

(١٥٢)- ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢)﴾ فيه.

(١٥٣)- ﴿أَصۡطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام[٣]، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت، أي: اختار[٤] ﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ (١٥٣)﴾.

(١٥٤)- ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ (١٥٤)﴾ هذا الحكم الفاسد.

(١٥٥)- ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ (١٥٥)﴾ بإدغام التاء في الذال[٥]، أنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ[٦] منزه عن الولد.

(١٥٦)- ﴿أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ (١٥٦)﴾[٧] حجة واضحة أن لله ولدًا[٨].

---

(١) قوله: (استخبر...). يعني: سلهم، كما فسر به ابن جرير.

(٢) قوله: (بالأسنى). أي: الأفضل.

(٣) قوله: (بفتح الهمزة). يعني: الهمزة هنا همزة قطع، وهي استفهامية، وحذفت همزة الوصل التي في الفعل، وقد قرأ أبو جعفر: بحذف همزة الاستفهام، فتكون مقدرة. والاستفهام هنا للإنكار.

(٤) وقوله: (أي: اختار). تفسير لـ﴿أَصۡطَفَى﴾.

(٥) قوله: (بإدغام...). أي: فأصله: تتذكرون، أدغمت التاء الثانية في الذال، وهذه قراءة الجمهور. وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: بحذف إحدى التاءين: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٦) وقوله: (أنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ). قدره ليكون مفعولًا به لـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

(٧) ﴿أَمۡ لَكُمۡ﴾، ﴿أَمۡ﴾: منقطعة، متضمنة معنى الاستفهام التوبيخي الإنكاري.

(٨) وقوله: (حجة...). وبها فسر ابن جرير، ورواه عن السدي.

١٥٧- ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التوراة[١]، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٥٧﴾ في قولكم ذلك.

١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: الملائكة[٢] لاجتنانهم عن الأبصار[٣] ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائلي ذلك[٤] ﴿لَمُحْضَرُونَ ١٥٨﴾ للنار يعذبون فيها.

١٥٩- ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٥٩﴾ بأن لله ولدًا.

١٦٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٦٠﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع[٥]، أي: فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.

١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١﴾[٦] من الأصنام.

---

(١) قوله: (التوراة). لعله فسر به؛ لأن التوراة كانت معلومة عند مشركي العرب، أو بناءً على أن بعض اليهود كانوا يقولون إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تزوج إلى الجن، فخرج منهما الملائكة -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- كما رواه ابن جرير عن قتادة في تفسير الآية التالية. ولم أجد هذا القول معزوًّا، وابن جرير، وابن كثير والقرطبي وغيرهم فسروا الآية: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله. واكتفى القرطبي بقوله: «بحججكم».

(٢) قوله: (الملائكة). هذا القول مرويّ عن مجاهد، والسدي، وقتادة، كما قال ابن جرير.

(٣) وقوله: (لاجتنانهم...). تعليل لتسمية الملائكة بالجنة؛ لأنهم مجتنون أي: مستترون عن الأبصار.

(٤) قوله: (أي: قائل ذلك). أفاد به مرجع الضمير، وهو: قائلو ذلك وهم المشركون، محضرون في العذاب، روي هذا المعنى عن السدي، وعن مجاهد: «﴿إِنَّهُمْ﴾: أي: إن الجن محضرون للحساب»، ورجح ابن جرير، والقرطبي: الأول؛ لأن لفظ ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ مستعمل في مشاهدة العذاب والوقوع فيه.

(٥) قوله: (منقطع) أي: ليس المستثنى -وهم- المؤمنون من جنس المستثنى منه -وهم المشركون-.

(٦) ﴿فَإِنَّكُمْ﴾. الفاء: الفصيحة، أو استئنافية، على ما ذكر بعض المعربين.

١٦٢- ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[١] أي: على معبودكم، و«عَلَيْهِ» متعلق بقوله: ﴿بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ أي: أحدًا[٢].

١٦٣- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾ في علم الله تعالى.

١٦٤- قال جبريل للنبي ﷺ[٣]: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ في السمٰوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه[٤].

١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ أقدامنا في الصلاة[٥].

---

(١) ﴿مَآ أَنتُمْ﴾. ﴿مَآ﴾: نافية.

(٢) وقوله: (أحدًا). قدره ليكون المستثنى منه، والاستثناء هنا مفرغ؛ لأنه لم يذكر المستثنى منه، ومعنى هاتين الآيتين كما رواه ابن جرير عن ابن عباس: «لا تضلون أنتم، ولا أضل منكم إلا من قد قضيت أنه صال الجحيم». وفي رواية: «ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحدًا، إلا من قد سبق أنه صال الجحيم».اهـ. ونحوه عن الحسن، وقتادة وغيرهما. ففي هذه الآية ردّ على القدرية كما ذكره القرطبي.

(٣) قوله: (قال جبريل...). نقل القرطبي عن مقاتل: «هذه الثلاث الآيات نزلت ورسوله الله ﷺ عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل، فقال النبي ﷺ: «**أهنا تفارقني؟**»، فقال: «**ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني**»، وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾. وقال ابن كثير: «قال تعالى منزهًا للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله: ﴿وَمَا مِنَّآ...﴾».

(٤) قوله: (يعبد الله فيه). كما روى ابن جرير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم، فذلك قوله تعالى:** ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾».

(٥) قوله: (أقدامنا في الصلاة) روى ابن جرير وغيره أحاديث في صف الملائكة، ونقل =

(١٦٦)- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾ المنزهون الله عما لا يليق به.

(١٦٧)- ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة[1] ﴿كَانُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ (١٦٧)﴾.

(١٦٨)- ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتابًا ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨)﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

(١٦٩)- ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩)﴾ العبادة له.

(١٧٠)- قال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بالكتاب الذي جاءهم، وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)﴾ عاقبة كفرهم.

(١٧١)- ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١)﴾ وهي[2]: «لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ» [المجادلة: ٢١].

(١٧٢)- أو هي قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢)﴾.

= القرطبي حديث مسلم عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد فقال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها...**» الحديث.

(١) قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: وهي مهملة، وإهمال المخففة أكثر ودخول اللام بعدها واجب عند الإهمال، وهي هنا اللام في ﴿لَيَقُولُونَ﴾.

قال القرطبي: «كانوا أي: المشركون قبل بعثة محمد ﷺ إذا عُيّروا بالجهل قالوا: لو أن عندنا ذكرًا من الأولين أي: لو بعث إلينا نبي ببيان الشرائع لاتبعناه... وقيل: معنى لو أن عندنا ذكرًا أي: كتابًا من كتب الأنبياء». وذكر الوجهين ابن جرير أيضًا.

(٢) قوله: (وهي:...). أي الكلمة المذكورة هنا، نقله القرطبي، أي: المراد بالكلمة هي قوله تعالى: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾. وقال ابن كثير: «أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾» وذكر آيات أخرى في معناها، ثم قال: «في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣)﴾، أي: في الدنيا والآخرة، كما تقدم بيان نصرهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم، كيف أهلك الله الكافرين، ونجّى عباده المؤمنين».اهـ.

﴿١٧٣﴾- ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض[١] منهم في الدنيا ففي الآخرة.

﴿١٧٤﴾- ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾[٢] أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤﴾ تؤمر فيه بقتالهم[٣].

﴿١٧٥﴾- ﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ﴾[٤] إذ نزل بهم العذاب ﴿فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ١٧٥﴾ عاقبة كفرهم.

﴿١٧٦﴾- فقالوا استهزاءً: متى نُزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديدًا لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ١٧٦﴾.

﴿١٧٧﴾- ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ﴾ بفنائهم[٥]، قال الفراء: «العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم»[٦] ﴿فَسَآءَ﴾ بئس صباحًا[٧] ﴿صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٧﴾ فيه إقامة الظاهر

---

(١) وقول المفسر: (وإن لم ينتصر...). إشارة إلى حل إشكال، والإشكال: أن بعض المؤمنين قد استشهدوا وأصابهم ما أصابهم من الضيق والمشقة، وحاصل الجواب أن ذلك خير لهم لأنه يزداد بذلك أجرهم ورتبتهم عند الله.

(٢) ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾. الفاء: الفاء الفصيحة، و«تولّ»: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، أي: الألف، والخطاب للنبي ﷺ.

(٣) قوله: (تؤمر فيه بقتالهم). بيان لـ﴿حِينٖ﴾. وما ذكره المفسر يطابق قول الزجاج، قال: «إلى الوقت الذي أمهلوا إليه»، وقال السدّي: «إلى يوم بدر»، وابن زيد: «إلى يوم القيامة»، وقتادة: «إلى الموت»، وروى عن ابن عباس ما قاله السدي، واختاره ابن جرير.

(٤) ﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ﴾. قال ابن جرير: «وأنظرهم». ورواه عن ابن زيد.

(٥) قوله: (بفنائهم). قال القرطبي: «الساحة والسحسة في اللغة: فناء الدار الواسع».اهـ.

(٦) قوله: (العرب...). يعني: أن المراد بنزول العذاب في ساحتهم: النزول بهم، فهو نوع من الكناية.

(٧) قوله: (بئس صباحًا). بهذا التقدير يكون فاعل «ساء» ضميرًا مبهمًا حذف تمييزه، وهو =

مقام المضمر[١].

١٧٨- ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾.

١٧٩- ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ كرّر تأكيدًا لتهديدهم، وتسلية له ﷺ.

١٨٠- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ بأن له ولدًا.

١٨١- ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[٢] المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢- ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.



= «صباحًا»، ويكون ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ مخصوصًا بالذم، ويجوز كون ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ فاعل: ساء، والمخصوص بالذم محذوف، أي: صباحهم. وأشار المفسر بقوله: (بئس) إلى أن «ساء» مما استعمل للذم كـ«بئس»، وكان أصل: ساء: فعلًا متعديًا، ثم حول إلى فَعُلَ لإنشاء الذم، واستعمل استعمال «بئس»، وكذلك يصح من كل فعل ثلاثي صالح للمدح أو الذم تحويله إلى فعُلَ واستعماله كـ«نعم» و«بئس» كما فصله النحاة.

(١) وقوله: (فيه إقامة الظاهر...). يعني أن الأصل: صباحهم، فأقيمت الاسم الظاهر ﴿الْمُنذَرِينَ﴾ مقام الضمير لنقطة بلاغية.

(٢) ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾. قال ابن كثير: «أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيته».اهـ. وذكر ما رواه البغوي في تفسيره عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾».اهـ.

٣٨- سورة ص

مكية[(١)]، وآياتها ست أو ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١)- ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به[(٢)] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ (١)﴾ أي: البيان أو الشرف[(٣)]، وجواب هذا القسم محذوف[(٤)]، أي: ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة.

---

(١) قوله: (مكية). قال القرطبي: «في قول الجميع». وذكر الاختلاف في عدد آياتها، أي: القولين بدون عزو، وأكثر المفسرين أطلقوا أنها ثمان وثمانون آية.

(٢) قوله: (الله أعلم...). كما في سائر الحروف المقطعة، وقيل: معناه هنا: عارض القرآن بعملك، وقيل: من أسماء القرآن، وقيل: حرف أقسم به، وقيل: معناه: صدق الله، وقيل غير ذلك. ذكرها ابن جرير.

(٣) قوله: (أي: البيان). هذا مرويّ عن قتادة، ونحوه عن الضحاك، ومقاتل، وروي عن ابن عباس.

وقوله: أو الشرف). روي هذا عن ابن عباس أيضًا، والسدي، وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٤) قوله: (وجواب القسم...). أكثر المعربين أن جواب القسم محذوف، تقديره كما قال المفسر، وهذا التقدير عزاه صاحب «إعراب القرآن» -الدرويش- إلى ابن عطية.

وقدر كذلك القرطبي في جملة من الأوجه، وقدره البيضاوي: «إنه لمعجز أو لواجب العمل، أو إن محمدً لصادق، أو ما في «صٓ» من معنى التحديث على أحد الأوجه، أو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

(٢)- ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان[١] ﴿وَشِقَاقٍ (٢)﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

(٣)- ﴿كَمۡ﴾ أي: كثيرًا[٢] ﴿أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَواْ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ (٣)﴾ أي: ليس الحين حين فرار[٣]، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «فَنَادَواْ»، أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

(٤)- ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم[٤] مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾ رسول من أنفسهم يدعوهم إلى الله ويخوفهم بالنار بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر[٥] ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ (٤)﴾.

(٥)- ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ حيث قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف

---

(١) قوله: (حمية)، و(خلاف...). كما قال قتادة: «أي في حمية وفراق».

(٢) قوله: (كثيرًا). أشار به إلى أن ﴿كَمۡ﴾ هنا خبرية، وهي في محل نصب مفعول به مقدم لـ﴿أَهۡلَكۡنَا﴾.

(٣) قوله: (أي: ليس الحين). أشار به إلى أن ﴿حِينَ﴾ خبر «لات»، واسمها محذوف، وهي من الحروف التي ألحقت بـ«ليس» في العمل والمعنى، ولكن يجب كون معموليها من الظروف المبهمة، وحذف أحد المعمولين والأكثر حذف اسمها وبقاء خبرها كما في الآية، قال ابن مالك:

وما للات في سوى حين عمل ... وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

(٤) ﴿أَن جَآءَهُم﴾. تقديره: من أن جاءهم، وحذف حرف الجر مع «أن» و«أنّ» مطرد.

(٥) قوله: (فيه وضع الظاهر). أي في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ بدلًا من أن يقال: وقالوا. وذلك لنقطة بلاغية.

يسع الخلق كلَّهم إله واحد؟[١] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي: عجيب[٢].

٦- ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، ﴿أَنِ امْشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض[٣]: امشوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ منا.

٧- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى[٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ كذب.

---

(١) قوله: أي: كيف يسع). روي هذا عن قتادة قال: «عجب المشركون أن دعوا إلى الله وحده وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعًا إله واحد: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة». رواه ابن جرير. وروى عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآيات ما حاصله: «مرض أبو طالب فجاءه رسول الله ﷺ يعوده، وعنده المشركون، فقال أبو طالب: يا ابن أخي ما لقومك يشكونك، قال: «**يا عمّ أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية**»، قال: ما هي؟ قال: «**لا إله إلا الله**»، فقاموا وهم يقولون: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق.. ونزل القرآن: ﴿صٓ ...﴾ حتى قوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ ...﴾». ورواه الترمذي.

(٢) قوله: (أي: عجيب). ظاهره أنهما واحد، وبه فسر القرطبي، لكن نقل عن الخليل: «أن العُجاب: الذي قد تجاوز حد العجب».اهـ.

(٣) قوله: (أي: يقول بعضهم...). فيه إشارة إلى أن ﴿أَنِ﴾ تفسيرية، وهي التي سبقت بجملة فيها معنى القول دون حروفه، فجملة ﴿وَانطَلَقَ﴾ مضمنة معنى القول.

(٤) قوله: (ملة عيسى). وبها فسر ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والقرظي، والكلبي، والسديّ. وملة عيسى آخر الملل، والنصارى يجعلون مع الله إلهًا. وقال مجاهد، وقتادة في رواية: «يعنون بالملة ملة قريش».

(٨)- ﴿أَءُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين[١] وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرُ﴾ أي: القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، أي: لم ينزل عليه[٢] قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۖ﴾ وحيي، أي: القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم[٣] ﴿يَذُوقُواْ عَذَابِ (٨)﴾ ولو ذاقوه لصدّقوا النبي ﷺ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذ.

(٩)- ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ (٩)﴾ من النبوة وغيرها. فيعطونها من شاؤوا.

(١٠)- ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ﴾ إن زعموا ذلك[٤] ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِي

---

(١) قوله: (بتحقيق...) ذكر أربع قراءات:

- التحقيق بلا إدخال الهمزة: قراءة الجمهور.
- التسهيل مع الإدخال: أبو جعفر وقالون.
- والتسهيل بدون إدخال: ورش وابن كثير، ورويس، والتسهيل بدون إدخال ومعه: أبو عمر.
- ولهشام: التحقيق مع الإدخال وبدونه، والتسهيل مع الإدخال؛ فمجموع القراءات أربع قراءات.

(٢) قوله: (أي: لم ينزل عليه) أفاد أن الاستفهام للإنكار. وقد كذبوا في قولهم: وليس بأشرفنا لأنه صلى الله عليه وسلم من أشرفهم نسبًا.

(٣) قوله: (لم). أفاد أن ﴿لَّمَّا﴾ هنا نافية جازمة. و﴿يَذُوقُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بها، وعلامة الجزم حذف النون. و«لما» الجازمة تشارك «لم» في أربعة وتفارقها في أربعة فصلناها في «الثلاثيات».

كما أن «لما» تأتي نافية وشرطية واستثنائية، مفصلة في الشرح الثري على الثلاثيات.

(٤) قوله: (إن زعموا ذلك...). قدره ليفيد أن ﴿فَلْيَرْتَقُواْ﴾ جواب لهذا الشرط المحذوف، الذي دل عليه الاستفهام السابق.

﴿ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ الموصلة إلى السماء[١] فليأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا[٢]، و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار[٣].

۝١١- ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي: جندهم جند حقير[٤] ﴿هُنَالِكَ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة «جُندٌ»، ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ صفة «جُندٌ» أيضًا، أي: كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء.

۝١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث «قَوْمُ» باعتبار المعنى[٥] ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو

---

(١) قوله: (الموصلة إلى السماء) قال مجاهد: «طرق السماء وأبوابها»، والسبب في اللغة: كلّ ما يتوصل به إلى المطلوب من حبل وغيره. قاله القرطبي.

(٢) وقوله: (فليأتوا بالوحي...). أفاد به المفسر أن هذا أمر توبيخ وتعجيز، كما قاله القرطبي: «أي جوابًا لقومهم: أأنزل عليه الذكر من بيننا».

(٣) قوله: (و«أم» في الموضعين...). يعني أن «أم» هنا منقطعة تضمنت معنى الاستفهام التوبيخي.

(٤) قوله: (جندهم...). ظاهر كلامه أن ﴿مَّا﴾ هنا صفة لـ﴿جُندٌ﴾ للتحقير، أو حرف زائدة لإفادة التحقير، و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى موقف المشركين من التكذيب، ظرف لمحذوف نعت ﴿جُندٌ﴾ أي: كائن هنالك. و﴿مَهْزُومٌ﴾ نعت لـ﴿جُندٌ﴾ وكذلك ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، وظاهر إعراب ابن جرير أن ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى بدر، وهو متعلق بـ﴿مَهْزُومٌ﴾، أي: مهزوم في بدر، كما وقع. وعلى كل قول ﴿جُندٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم جند.

(٥) قوله: (باعتبار المعنى). من المعروف عند النحاة أنه إذا كان الفاعل اسم جنس جاز تأنيث الفعل وتذكيره، التأنيث باعتباره جماعة، والتذكير باعتباره جمعًا. وقد تقدم مرارًا.

﴿ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢﴾ كان يتد[١] لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه.

١٣- ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ أي: الغيضة[٢] وهم قوم شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣﴾.

١٤- ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدًا[٣] منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ ١٤﴾.

١٥- ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ هي نفخة القيامة[٤] تحل بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ بفتح الفاء وضمها[٥]: رجوع.

---

(١) قوله: (كان يتد) مضارع: وَتَدَ كوعَدَ يعدُ، أي: يضرب على الأرض أربعة أوتاد... وهذا المعنى مرويّ عن الربيع بن أنس، والسدي فيما رواه ابن جرير. وعزاه القرطبي إلى مقاتل، والكلبي. وقال الضحاك: «﴿ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: البنيان»، وعن ابن عباس: «ملاعب من أوتاد يلعب له عليها».

(٢) قوله: (الغيضة) كما تقدم في الشعراء.

(٣) قوله: (لأنهم...). تعليل لكون كل من الأحزاب كذَّب الرُّسُلَ، مع أن كل حزبٍ كذّب رسوله فقط، وذلك لأن تكذيب رسولٍ واحد تكذيب لجميع الرسل. و﴿إِن﴾ نافية كما أشار إليه المفسر.

(٤) قوله: (هي نفخة القيامة). وبها فسر ابن جرير، حيث قال: «يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور».اهـ.

(٥) قوله: (بفتح الفاء...) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم الفاء. والباقون: بفتحها، وهما لغتان، حكى القرطبي عن الجوهري: «الفَواق والفُواق: ما بين الحلبتين من =

﴿١٦﴾- ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل[١]: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ» الخ [الحاقة: ١٩]، ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ قالوا ذلك استهزاءً[٢].

﴿١٧﴾- قال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا[٣]، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ رجاع إلى مرضاة الله.

= الوقت؛ لأنها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ ثم تحلب».اهـ. والمراد هنا الرجعة، وبها فسر ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ليس لتلك الصيحة من ارتداد ورجوع. وعن السدي: «ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا»، كما في ابن جرير.

(١) قوله: (لما نزل...). هذا المعنى ذكره ابن جرير في أوجه أخرى، ولم يعزه. وروى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: «﴿قِطَّنَا﴾: عذابنا»، وعن ابن جبير: «نصيبنا من الجنة»، واختار ابن جرير: «أنهم سألوا تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر».اهـ.
والقط في اللغة: النصيب، أو الكتاب المكتوب فيه الجائزة. قاله القرطبي.
وقال الفراء: «القط في كلام العرب: الخطب والنصيب»، وقال أبو عبيدة، والكسائي: «القط: الكتاب بالجوائز والجمع: القطوط».اهـ.

(٢) وقوله: (قالوا ذلك استهزاءً...). كما قال ابن كثير: «ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد أمر الله رسوله بالصبر على أذاهم وبشره بالنصر في الآيات التالية».اهـ. ملخصًا.

(٣) قوله: (كان يصوم...). هذا في «الصحيحين»، قال ﷺ: «**أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى، وأنه كان أوابًا**».اهـ. [«فتح الباري» (٣/ ٢٠)، ومسلم (٢/ ٨١٦)].

(١٨)- ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾[١] بتسبيحه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨)﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها.

(١٩)- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿ٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾ من الجبال والطير[٢] ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩)﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح.

(٢٠)- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوّيناه بالحرس والجنود[٣]، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور[٤] ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠)﴾ البيان الصافي في كل قصد[٥].

---

(١) ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ كما مضى في سورة سبأ. قال ابن كثير: «إذا مرّ به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه يترنم بقراءة الزبور، لا يستطيع الذهاب، بل يقف في الهواء ويسبح معه، وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له».اهـ.

(٢) قوله: (من الجبال...). فيه إشارة إلى أن التنوين في ﴿كُلٌّ﴾ تنوين عوض.

(٣) قوله: (بالحرس...). هذا التفسير عزاه ابن جرير إلى السدي، وذكره القرطبي وغيره، وأما عددَ الحرس -ثلاثون ألفًا- فقد عزاه القرطبي إلى ابن عباس، قال: «كان داود أشد ملوك الأرض سلطانًا، كان يحرس محرابه كل ليلة نيف وثلاثون ألف رجل...». إلخ. وقيل معنى: شددنا ملكه: بالهيبة وإلقاء الرعب عنه. ورجح ابن جرير كون المعنى أعمّ من الأمرين.

(٤) قوله: (النبوة). فسر بها السدي.

وقوله: (والإصابة في الأمور) موافق لما روي عن مجاهد: «العدل»، وأبي العالية: «العلم بكتاب الله».

(٥) وقوله: (البيان الصافي). عزا القرطبي نحوًا من هذا إلى ابن عباس،قال: «بيان الكلام»، وروى ابن جرير عنه: «أعطي الفهم». وعن السدي: «علم القضاء»، وكل ذلك متقاربة ومتلازمة.

﴿٢١﴾- ﴿ ۞ وَهَلْ ﴾ معنى الاستفهام هنا: التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾[1] محراب داود، أي: مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي: خبرهم وقصتهم.

﴿٢٢﴾- ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ ﴾ نحن[2] ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل: فريقان[3]، ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر. وهما ملكان جاءا في صورة خصمين، وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض لتنبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة[4]، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها

---

(١) ﴿تَسَوَّرُواْ﴾ أي: تسلقوا وأتوه من أعلى سوره. كما قاله القرطبي.

(٢) قوله: (نحن) أفاد به أن ﴿خَصْمَانِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وسبب فزعه منهم؛ لأنهما دخلا عليه من غير الباب المعتاد، أو لأنهما دخلا عليه ليلًا في غير وقت نظره بين الناس. ذكر ذلك ابن جرير.

(٣) قوله: (قيل: فريقان). كما قال البيضاوي: «فوجان»، ولكن قال القرطبي: «ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يراد به هٰهنا الملكان»اهـ. والخصم يطلق على الواحد والاثنين والجماعة؛ لأن أصله مصدر، كما قاله المفسر، وذكره القرطبي وغيره.

(٤) قوله: (وكان له). أي: لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقد ذكر المفسرون هنا قصة غريبة عن النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورووها عن ابن عباس، والسدي وغيرهما. وحاصل القصة: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقع بصره على امرأة، فأعجبته، فأرسل زوجها -اسمها أوريا بن حنان- للجهاد حتى استشهد فتزوج تلك المرأة بعد عدتها، فأنجبت له سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فدخل عليه ملكان على صورة الخصمين، كما قص الله تعالى. قال ابن كثير: «ذكر المفسرون هٰهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب =

﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تجُرْ[١] ﴿وَاهْدِنَا﴾ ارشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾﴾ وسط الطريق الصواب.

﴿٢٣﴾- ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ أي: على ديني[٢] ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يعبّر بها[٣] عن المرأة ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: الجدال، وأقره الآخر على ذلك[٤].

﴿٢٤﴾- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمها[٥] ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾

= اتباعه، لكن روى ابن أبي حاتم حديثًا لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف في الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على تلاوة هذه القصة وأن يردّ علمها إلى الله...».اهـ. ولا شك أن تلك القصة على ما ذكروها لا تناسب مقام النبوة.

(١) قوله: (تجُرْ). مضارع مجزوم من جار يجورُ، أي: ظلم. فهو بضم الجيم وسكون الراء على وزن: لا تَقُلْ.

(٢) قوله: (أي: علي ديني) أي: الأخوة هنا الأخوة الدينية، وبها ذكره المفسر فسره ابن جرير، والقرطبي وغيرهما.

(٣) قوله: (يعبر بها...). أي: النعجة أصلها: الشاة، ويعبر بها عن المرأة، أي: تطلق النعجة على المرأة استعارة. ووجه الشبه: السكون وضعف الجانب، كما أفاده القرطبي، وقال: «وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة؛ لأن الكل مركوب».اهـ.

(٤) قوله: (وأقره الآخر على ذلك). أفاد به أن حكم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ المذكور هنا كان بعد إقرار المدعى عليه بالدعوى؛ لأن الحكم لا يصدر إلا إذا أقرّ المدعى عليه أو أثبت المدعي دعواه بالبينة.

(٥) قوله: (ليضمها) أفاد أن «سؤال» ضمن معنى الضمّ، ولذا عدّي بـ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾.

الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه فتنبه داود، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أوقعناه في فتنة، أي: بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدًا[1] ﴿وَأَنَابَ ۩ (٢٤)﴾.

(٢٥)- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٢٥)﴾ مرجع في الآخرة.

---

(١) قوله: (أي: ساجدًا). وبه فسر ابن جرير وغيره. قال البيضاوي: «على تسمية السجود ركوعًا؛ لأنه مبدؤه، أو خر للسجود راكعًا أي: مصليًّا، كأنه أحرم بركعتي الاستغفار».

تنبيهان:

الأول: هنا يشرع السجود؛ ولكن هذه سجدة شكر لا سجدة تلاوة، فتشرع في خارج الصلاة، وتبطل الصلاة بها، وعليه الشافعية، والدليل عليه ما رواه النسائي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: إن النبي ﷺ سجد في «صٓ» وقال: «سجدها داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ توبة، ونسجدها شكرًا». قال ابن كثير، ورجال إسناده كلهم ثقات.

الثاني: تقدم قول ابن كثير عن هذه القصة من أن ما روي فيها من التفاصيل لم تثبت. وقال البيضاوي: «وغاية ما فيه إن صح: أن داود لعله خطب مخطوبة رجل، أو استنزله عن زوجته، وكان ذلك معتادًا فيما بينهم، وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى، وقال: وما قيل من أنه أرسل زوجها للجهاد... هذا افتراء، ولذا قال عليٌّ: من حدث بحديث داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين».اهـ. ملخصًا، وقال أبو حيان: «الظاهر أن النعجة هنا على حقيقتها، ولا ضرورة إلى جعلها كناية عن المرأة».اهـ. ونقل الدرويش عن بعضهم: «إن المخاصمة كانت بين خصمين حقيقيين، وإنما فزع داود لدخولهما على غير وقت القضاء، والعتاب عليه لأنه حكم بظلم أحدهما قبل تمام سماع الدعوى وقول المدعى عليه». والله أعلم.

﴿٢٦﴾- ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تُدبر أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: هوى نفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده[1] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ بنسيانهم[2] ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان[3]، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

﴿٢٧﴾- ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: عبثًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ وادٍ[4] ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾.

---

(١) (أي: عن الدلائل). فسر به ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وفسّره في الموضع التالي: بالإيمان بالله، نظرًا للمناسب في كل مقام؛ لأن ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صادق بكل ذلك، وفسره القرطبي بطريق الجنة، وفاعل ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ الضمير المستتر العائد إلى الهوى، و«يضلّ» منصوب بـ«أن» مضمرة.

(٢) قوله: (بنسيانهم). أشار إلى أن «ما» مصدرية.

(٣) وقوله: (المرتب عليه). يعني: مترتب على نسيانهم يوم الحساب، ترك إيمانهم؛ لأن بين الإيمان بالله والإيمان بيوم الحساب ملازمة، فترتب العذاب الشديد على نسيان يوم الحساب يكون بسبب ترك إيمانهم بالله أيضًا، وعلى تفسيره يكون ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ مفعولًا لـ﴿نَسُوا۟﴾، ويصح إعرابه ظرفًا للـ﴿عَذَابٌ﴾. أي: لهم عذاب شديد يوم الحساب، بسبب نسيانهم، أي: تركهم الإيمان، فيكون مفعول ﴿نَسُوا۟﴾ محذوفًا. وعلى هذا جرى ابن جرير.

فائدة: قال القرطبي: «ما ذكر في هذه الآية قيل: أعطيه لما أكرمه الله بالنبوة، وقيل: بعد أن تاب عليه».اهـ. ولم يعز القولين.

(٤) قوله: (وادٍ). يعني: إن ﴿وَيْلٌ﴾ اسم لوادٍ في النار، وأصله: مصدر لا فعل له من لفظه بمعنى: الهلاك. و﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ نعت لـ﴿وَيْلٌ﴾ أو حال منه. وتقدم تفسيره في سورة البقرة وغيرها.

٢٨- ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ نزل[١] لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نُعطَى في الآخرة مثل ما تُعطَوْن، و«أَمْ» بمعنى: همزة الإنكار[٢].

٢٩- ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ أصله: يتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ أصحاب العقول.

٣٠- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي: سليمان[٣] ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات.

٣١- ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل، جمع صافنة، وهي القائمة[٤] على ثلاث، وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من

---

(١) قوله: (نزل). أي: الآية السابقة. وأكثر إطلاق المفسر (نزلتْ) إذا كان المراد الآية السابقة، و(نزل) إذا كان الآية التالية. وما ذكره من سبب النزول لم أجد مصرحًا به، ولكن قال القرطبي: «وهو ردّ على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شيء واحد».اهـ. وقال أيضًا: «في هذا رد على المرجئة لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد كالصالح أو أرفع درجة».اهـ.

(٢) قوله: (و﴿أَمْ﴾ بمعنى:...). يعني أن ﴿أَمْ﴾ هنا منقطعة تتضمن معنى الاستفهام الإنكاري كما سبق له نظائر. ويحتمل كون مراده أن الهمزة للاستفهام الإنكاري والميم مزيدة.

(٣) قوله: (أي: سليمان). قدره ليكون مخصوصًا بالمدح، حذف لدلالة المقام عليه.

(٤) قوله: (وهي القائمة...). وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وروى عن قتادة: «صفونها قيامها وبسطها قوائمها»، ونقلها القرطبي وغيره.

صفَنَ يصفِنُ صفُونًا ﴿ٱلْجِيَادُ ۝٣١﴾ جمع جواد، وهو السابق[١]، المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس[٢] عُرِضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر، فاغتم.

٣٢- ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت[٣] ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي: الشمس[٤] ﴿بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

٣٣- ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسيف ﴿بِٱلسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ أي: ذبحها[٥] وقطع أرجلها تقربًا إلى

---

(١) قوله: (وهو السابق). فسر بنحو ذلك ابن جرير، ورواه عن مجاهد، قال: «الجواد: السرّاعُ»، وقال القرطبي: «الفرس إذا كان شديد الخضرة»، وقيل: الطويل العنق، مأخوذ من الجيد وهو العنق».اهـ. ملخصًا.

(٢) قوله: (وكانت ألف فرس). هذا العدد نقله القرطبي عن الكلبي، ومقاتل، قال الكلبي: «غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس»، وقال مقاتل: «ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس»، وعن الحسن: «أنها كانت خيلًا أخرجت من البحر لها أجنحة»، وروى ابن جرير عن إبراهيم التيمي: «كانت عشرين فرسًا ذات أجنحة».اهـ.

(٣) قوله: (أردت). أشار إلى أن ﴿أَحْبَبْتُ﴾ ضمن معنى: أردت أو آثرت، فيكون «حب» مفعولًا به و﴿عَن﴾ بمعنى: على، أي: آثرت وأردت حب الخيل على ذكر الله. على ما قاله. وهذا أحد الأوجه في الإعراب.

(٤) قوله: (الشمس). أي: الضمير في ﴿تَوَارَتْ﴾ عائد إلى الشمس وإن لم تكن مذكورة، لعلمها بسياق الكلام، وعلى هذا أكثر المفسرين كما قال القرطبي.

(٥) قوله: (أي: ذبحها) فيكون المسح بالسوق والأعناق كناية عن الذبح من قوله: مسح =

الله حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

٣٤- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه[1] بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة

= علاوته: إذا ضرب عنقه. قاله ابن جرير. وروى ابن جرير عن ابن عباس: «معناه: جعل سليمان يمسح عراقيبها وأعراقها»، أي: بيده حبًّا لها، وليس بمعنى: ذبحها، واختاره ابن جرير؛ لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا ويتلف مالًا بغير سبب.

تنبيه: ما مشى عليه المفسر عليه أكثر المفسرين، من أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ انشغل عن صلاة العصر بالخيل، فذبحها وتصدق بلحمها تقربًا إلى الله، وذهب ابن جرير إلى أنه انشغل عن الصلاة ولكن لم يذبحها، بل معنى المسح بالسوق والأعناق: أنه مسح بيده عليها حبًّا لها، كما روي عن ابن عباس. وضعفه ابن كثير بأن الذبح والتصدق قد يكون ذلك في شريعته، وذكر القرطبي معنًى آخر وهو أن الضمير في ﴿تَوَارَتْ﴾ راجع إلى الخيل لا إلى الشمس، أي: عرضها حتى توارت هي بسبب جريها؛ لأنه ليس للشمس ذكر في الآية، وعلى هذا لا يكون هناك قضاء صلاة ولا عقر فرسٍ، وهذا المعنى نقله عن النحاس، وهذا المعنى وإن كان مخالفًا لما عليه جمهور المفسرين جيد، واعتمده كثير من المفسرين المتأخرين.

(١) قوله: (ابتليناه...). ما ذكره المفسر من قصة الخاتم والجني وذهاب ملكه وغير ذلك كل ذلك ملخص ما ذكره المفسرون كابن جرير، والقرطبي وغيرهما، ورووه عن أئمة التفسير كابن عباس، وقتادة، والسدي وغيرهم. بعض ما روي عنهم موجز وبعضه مفصّل.

والقول الأقرب في ذلك ما قاله ابن كثير حيث يقول: «لم يبين الله تعالى حقيقة هذا الجسد الذي ألقاه على كرسيه، فنحن نؤمن أن الله اختبره بإلقاء الجسد على كرسيه، ولا نعرف ما هو، وكل ما قيل حوله فهو من الإسرائيليات، لا نعرف صدقه من كذبه، والله أعلم».اهـ.

هواها، وكانت تعبد الصنم في داره[١] من غير علمه، وكان مُلْكُهُ في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جنيٌّ في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجني[٢]، وهو: صخر أو غيره، وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه[٣]

---

(١) قوله: (وكانت تعبد الصنم...). نقل القرطبي عن وهب بن منبه سبب ذلك: أن سليمان سبى بنت ملك غزاه في البحر، فكانت تحزن على أبيها حزنًا شديدًا، فطلبت أن يصنع لها تمثالًا على صورة أبيها، فصنع لها ذلك، فعظمته وعبدته من دون أن يعلم سليمان».اهـ. ملخصًا، والله أعلم. ونقل عن الزمخشري أن سليمان ملك قبل الفتنة عشرين سنة، وبعدها كذلك عشرين سنة».اهـ.

(٢) قوله: (هو ذلك الجنّي). روي عن ابن عباس وغيره، واسمه: صخر، كما روي عن ابن عباس، وقيل غير ذلك.

(٣) قوله: (فأنكروه). وفيما روى ابن جرير عن السدّي: «أن سليمان مرّ بالبحر جائعًا، فوجد صيادين، فاستطعمهم، فأعطوه حوتين، فوجد في بطن أحدهما خاتمه».اهـ. وكان الشيطان الذي جلس كرسيه ألقى الخاتم في البحر فابتلعُه هذا السّمك، فلما حصل على الخاتم رجعت هيبته وعاد إلى ملكه».اهـ. ملخصًا.

ونقل القرطبي في سبب ابتلاء سليمان أقوالًا، فمنها ما نقله عن ابن عباس: «أنه اختصم عنده فريقان أحدهما كان من أهل زوجته، فأحبّ أن يكون الحكم لهم، فابتلي بسبب ذلك»، وعن ابن المسيب: «أن سليمان احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين الناس، فابتلي بسبب ذلك».اهـ. والله أعلم بحقيقة الحال.

ورجح البيضاوي أن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه هو ولده الناقص، كما في «الصحيحين»: قال رسول الله ﷺ: **«قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة جاءت** =

﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه.

﴿٣٥﴾- ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾ لا يكون[1] ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: سواي نحو: «فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ»[2] [الجاثية: ٢٣]، أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿٣٦﴾- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ[3] ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لينة[4] ﴿حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ أراد[5].

= بشق رجل...». [(٣٢٤٢)، كتاب الأنبياء] الحديث، فهذا المراد بالجسد، ويكون هذا المراد بالفتنة، وهذا أليق وأقرب من تلك القصص التي لا نعلم حقيقتها، والله أعلم.

(١) قوله: (لا يكون). هذا التفسير ذكره ابن جرير وجهًا، وروى عن قتادة قال: «ملكًا لا أُسْلَبُهُ كما سلبته».اهـ.

(٢) قوله: (نحو ﴿فَمَن يَهْدِيهِ...﴾). المراد بذكر هذه الآية بيان استعمال «من بعد» بمعنى: سوى.

(٣) ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ﴾. ذكر الفاء تفيد أن تسخير الريح والشياطين كان بعد ذلك الابتلاء، وقد صرح ابن جرير، وابن كثير: «أن تسخير الريح كان مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة فتصدق بها»، وقال ابن كثير أيضًا: «في تفسير قوله ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: بعد هذا الاختبار أناب إليه تعالى، ودعا وطلب منه المغفرة وطلب حكمًا لا ينبغي لأحد بعده...».اهـ.

تنبيه: وإن قيل: طلب الملك مذموم، فكيف طلبه سليمان؟ فالجواب: أن طلبه كان لأجل إتمام المعجزة؛ لأن ذلك الزمان كان زمان ملك وقهر وكل معجزة تكون مناسبة لذلك الزمان، فناسب أن يسأل معجزة تكون مقنعة ومؤثرة في زمانه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. أفاده بعض مشايخنا.

(٤) وقوله: (لينة). فسر به ابن زيد، وعن ابن عباس: «مطيعة»، ومجاهد: «طيبة». و ﴿رُخَآءً﴾ وصف من: رَخَا، وهو هنا منصوب على الحال.

(٥) وقوله: (أراد) فسر به ابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغيرهم.

٣٧- ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٖ ٣٧﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

٣٨- ﴿وَءَاخَرِينَ﴾[1] منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم.

٣٩- وقلنا له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك[2].

٤٠- ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ تقدم مثله.

٤١- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ أي: بأني[3] ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ ضر ﴿وَعَذَابٍ ٤١﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبًا معه تعالى.

٤٢- وقيل له: ﴿ٱرۡكُضۡ﴾ اضرب[4] ﴿بِرِجۡلِكَۖ﴾ الأرض فضرب، فنبعت عين ماء[5]، فقيل: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾ تشرب منه،

---

(١) ﴿وَءَاخَرِينَ﴾. قال قتادة: «هم مردة الشياطين».

(٢) قوله: (لا حساب عليك...) روي نحوه عن الحسن، والضحاك، وعكرمة وغيرهم.

(٣) قوله: (بأني). الباء للتعدية حذفت لأن حذف حرف الجر مطرد مع «أن» و«أنّ» كما تقدم. وقد سبق قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بشيء من التفصيل في تفسير سورة الأنبياء، راجع الآية (٨٣) وما بعدها.

(٤) قوله: (اضرب) فسر ابن جرير نحوه قال: «أي: حركها وادفعها برجلك»، وعن قتادة: «ضرب برجله الأرض، أرضًا يقال لها: الجابية».اهـ. وهي قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان. [«معجم البلدان»].

(٥) قوله: (فنبعت عين ماء) ظاهره أنها عين واحدة، كما يفيده كلام القرطبي، وهو ظاهر =

فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

(٤٣)- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي: أحيا الله له[١] من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة[٢] ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ (٤٣)﴾ لأصحاب العقول.

(٤٤)- ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حزمة من حشيش أو قِضْبان[٣] ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف[٤] ليضربنَّها مائة ضربة لإبطائها عليه يومًا ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة[٥] ﴿إِنَّا

= الآية، ولكن قال ابن جرير، وروى عن قتادة: «ضرب برجله الأرض، فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى».

(١) قوله: (أي: أحيا الله...). كما تقدم في سورة الأنبياء (٨٣، ٨٤).

(٢) قوله: (نعمة). فسر الرحمة بالنعمة؛ لأن الرحمة هنا هي الرحمة المتعدية.

(٣) قوله: (حزمة). قاله ابن عباس. وقال ابن جرير: «الضغث: ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق».اهـ.

(٤) قوله: (وكان قد حلف). نقل القرطبي في سبب هذه الحلف أربعة أقوال: منها ما حكاه ابن عباس: «أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنها».اهـ.

ومنها: ما حكاه سعيد بن المسيب: «أنها جاءت بزيادة على ما كانت تأتيه من الخير فخاف خيانتها فحلف».

ومنها ما قيل: إنها باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئًا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام ولذا حلف... والله أعلم.

(٥) قوله: (فضربها ضربة واحدة...). كما روي ذلك عن أئمة التفسير.

وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيوب[١] ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾﴾ رجاع إلى الله تعالى.

﴿٤٥﴾- ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة[٢]: «عَبۡدَنَا»، و«إِبۡرَٰهِيمَ» بيان له وما بعده عطف على «عَبۡدَنَا».

﴿٤٦﴾- ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ هي[٣] ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة: بالإضافة، وهي للبيان.

﴿٤٧﴾- ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ﴾ المختارين ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ جمع خيّر بالتشديد[٤].

﴿٤٨﴾- ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾ هو نبي[٥]، واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾

---

(١) قوله: (أيوب) مخصوص بالمدح.

(٢) قوله: (وفي قراءة:...). قرأ ابن كثير: ﴿عَبۡدَنَا﴾: بالإفراد. والباقون بصيغة الجمع: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾، ووجه الإفراد ما ذكره المفسر. ووجه الجمع: أن ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ بدل وما بعده معطوف عليه. و﴿ٱلۡأَيۡدِي﴾: جمع يدٍ، بمعنى: القوة مجازًا مرسلًا.

(٣) قوله: (هي) أفاد أن ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وعلى قراءة الإضافة تكون الإضافة بيانية. كما قال المفسر: وهي للبيان، أي: الإضافة للبيان. والإضافة قراءة نافع، وهشام، وأبي جعفر. والباقون: بتنوين «خالصة»، وعلى التنوين يجوز إعراب ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف كما قدره المفسر أو بدلًا أو عطف بيان.

(٤) قوله: (جمع خيّر). على وزن فيعل. وقيل هو جمع خَيْر بتخفيف الياء: كشر وأشرار. ذكره البيضاوي.

(٥) قوله: (هو نبيّ...) تقدم ذكر اليسع في سورة الأنعام (٨٦)، كما تقدم ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء (٨٥).

اختلف في نبوته، قيل: كفل مئة نبيّ فرّوا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم[(١)] ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿٤٩﴾- ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾ مرجع في الآخرة.

﴿٥٠﴾- ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل أو عطف بيان لـ«لَحُسْنَ مَـَٔابٍ»، ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ منها[(٢)].

﴿٥١﴾- ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾.

﴿٥٢﴾- ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ أسنانهن واحدة[(٣)]، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة[(٤)]، جمع تِرب.

﴿٥٣﴾- ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتًا[(٥)] ﴿لِيَوْمِ

---

(١) قوله: (أي: كلهم). أفاد أن التنوين في ﴿وَكُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه.

(٢) قوله: (منها). أي: من جنات عدن، والجار والمجرور حال من ﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾، و﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال من ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ نائب فاعل لـ﴿مُّفَتَّحَةً﴾. وقدر المفسر (منها) ليحصل الربط بين الحال ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ وبين صاحبها ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، والمعنى: مفتحة لهم أبوابها.

(٣) قوله: (أسنانهن واحدة) أي: أعمارهن متساوية.

(٤) وقوله: (بنات ثلاث وثلاثين...). ذكره القرطبي بدون عزو، ونقل ابن جرير عن بعضهم في معنى الأتراب: «متواخيات، لا يتباغضن ولايتعادين ولا يتغايرن ولا يتحاسدن».اهـ. وقول المفسر: تِرب: بكسر التاء.

(٥) قوله: (بالغيبة...). قراءتان: بصيغة الغيبة يعني: بالياء: ﴿يُوعَدُونَ﴾. وبالخطاب: ﴿تُوعَدُونَ﴾. قرأ بالغيبة: ابن كثير، وأبو عمرو. وبالخطاب: الباقون. وعلى الخطاب يكون فيه التفات من الغيبة كما هو واضح.

﴿ٱلۡحِسَابِ ٥٣﴾ أي: لأجله[١].

٥٤- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ٥٤﴾ أي: انقطاع، والجملة[٢] حال من «لَرِزۡقُنَا»، أو خبر ثان لـ«إِنَّ»، أي: دائمًا أو دائم[٣].

٥٥- ﴿هَٰذَاۚ﴾ المذكور للمؤمنين[٤] ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ٥٥﴾.

٥٦- ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦﴾ الفراش.

٥٧- ﴿هَٰذَا﴾[٥] أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ﴾ أي: ماء حار مُحْرق ﴿وَغَسَّاقٞ ٥٧﴾ بالتخفيف والتشديد[٦]: ما يسيل من صديد أهل النار.

---

(١) قوله: (لأجله). جرى المفسر على أن اللام للتعليل، ويحتمل كونها للظرفية كما مشى على ذلك القرطبي، فقال: «أي: في يوم الحساب».اهـ.

(٢) قوله: (والجملة...). أي: جملة ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾.

(٣) وقوله: (أي: دائمًا...). راجع إلى احتمال الحال، و(دائم) إلى احتمال الخبر الثاني. وذلك واضح.

(٤) قوله: (المذكور للمؤمنين). المذكور: بيان للمشار إليه، وللمؤمنين خبر لهذا. فيكون هذا مبتدأ حذف خبره. ويحتمل كونه خبرًا حذف مبتدؤه، أي: الأمر هذا، كما نقله القرطبي عن الزجاج.

(٥) ﴿هَٰذَا﴾. اسم الإشارة مبتدأ، وجملة ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ معترضة لا محل لها من الإعراب، و﴿حَمِيمٞ﴾ خبر المبتدأ، وهذا أحد الأوجه في إعراب الآية، وقد ذكر المعربون لها أوجهًا كثيرة إعرابية.

(٦) قوله: (بالتخفيف والتشديد). قرأ بتشديد السين: ﴿وَغَسَّاقٞ﴾: حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف. وبتخفيفها: ﴿وَغَسَاقٞ﴾: الباقون. الغسّاق صيغة مبالغة. وغساق بالتخفيف مصدر كالعذاب والنكال، بمعنى اسم الفاعل. مِنْ غسقِ الجرحُ يغسِقُ إذا خرج منه ماء =

٥٨- ﴿وَأُخَرُ﴾ بالجمع والإفراد[١] ﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزۡوَٰجٌ ٥٨﴾ أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

٥٩- ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم[٢]: ﴿هَٰذَا فَوۡجٌ﴾ جمع ﴿مُّقۡتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمۡۖ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾ أي: لا سعة عليهم[٣] ﴿إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ٥٩﴾.

٦٠- ﴿قَالُواْ﴾ أي: الأتباع ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ﴾ أي: الكفر[٤] ﴿لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٦٠﴾ لنا ولكم: النار.

= أصفر. أفاده القرطبي. وقول المفسر: (ما يسيل...). تفسير للغساق على الوجهين، وهذا التفسير مروي عن ابن زيد، وقتادة. وقال السدي: «هو الحميم الذي قد انتهى حرّه»، ونقل القرطبي عن ابن عباس: «هو الزمهرير»، كما نقل عن مقاتل: «هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده».اهـ.

(١) قوله: (بالجمع...). قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بصيغة الجمع: ﴿وَأُخَرُ﴾. والباقون: بصيغة الإفراد: ﴿وَءَاخَرُ﴾.

(٢) قوله: (ويقال لهم...). القائل: خزنة النار، كما نقله القرطبي عن ابن عباس، قال: «هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة: هذا فوج، يعني: الأتباع، مقتحم معكم، أي: داخل النار معكم، فقالت السادة: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ﴾».اهـ. وهذا حاصل ما قاله المفسر.

(٣) وقوله: (أي: لا سعة...). يفيد أن المرحب مصدر ميمي، بمعنى: الرحب، ويصح كونه ظرف مكان، ومعنى «لا مرحبًا به» أي: لا رحبت عليه الأرض ولا اتسعت. كما نقله القرطبي عن أبي عبيدة.

(٤) قوله: (الكفر). تفسير للضمير الغائب: الهاء. وقال ابن جرير: «أنتم قدمتم سُكْنَى هذا المكان»، فجعل الضمير عائدًا إلى مكان النار، وكلاهما متلازم.

٦١- ﴿قَالُواْ﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ أي: مثل عذابه على كفره[١] ﴿فِي ٱلنَّارِ ٦١﴾.

٦٢- ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة[٢]، وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢﴾.

٦٣- ﴿ٱتَّخَذۡنَٰهُمۡ سُخۡرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها[٣]، أي: كنا نسخر بهم في الدنيا[٤]، والياء للنسب. أي: أمفقودون هم[٥] ﴿أَمۡ زَاغَتۡ﴾ مالت ﴿عَنۡهُمُ

---

(١) قوله: (أي: مثل عذابه). أي: عذابًا على كفره وعذابًا على إضلاله، كما يعلم من القرطبي، ونقل عن ابن مسعود: «عذابًا ضعفًا: الحيات والأفاعي».اهـ.

(٢) قوله: (كفار مكة). روى ابن جرير ذلك عن مجاهد، قال: «ذلك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة، وذكر أناسًا: صهيبًا وعمارًا وخبّابًا، كنا نعدهم من الأشرار في الدنيا»، وفي رواية عنه، قال: «قالوا: أين سلمان؟ أين خباب؟ أين بلال؟...».اهـ.

(٣) قوله: (بضم السين...). قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف: بضم السين. والباقون: بكسرها. والكلمة سبقت في سورة المؤمنون الآية (١١٠).

(٤) وقوله: (أي: كنا نسخر...). هذا تفسير لـ﴿ ٱتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بدون همزة الاستفهام: وهي قراءة أبي عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف. وقرأ الباقون: بهمزة الاستفهام المفتوحة. فتكون الجملة ﴿ٱتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾.

(٥) وقوله: (أي: أمفقودون). تفسير لـ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾، وفيه إشارة إلى أن ﴿أَمۡ﴾ متصلة. والمعنى: أهم مفقودون في النار، أي: ليسوا معنا، أم هم معنا ولكن لا نراهم. وهذا التفسير ذكره الزمخشري وغيره.

وتفسير آخر: على أن ﴿أَمۡ﴾ منقطعة إضرابية، اتخذناهم سخريًا في الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار، أي: لم نعلم مكانهم في الدنيا. وهذا مرويّ عن الحسن، قال: «كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم الأبصار»، وهذا يناسب على القراءة بدون همزة الاستفهام كما ذكره القرطبي، أي على قراءة ﴿ٱتَّخَذۡنَٰهُمۡ﴾ بهمزة الوصل.

﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣﴾ فلم نرهم. وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان.

٦٤- ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤﴾ كما تقدم.

٦٥- ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ﴾ مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ﴾[1] ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾ لخلقه.

٦٦- ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ٦٦﴾ لأوليائه.

٦٧- ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧﴾.

٦٨- ﴿أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ٦٨﴾ أي: القرآن الذي أنبأتكم به[2] وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي. وهو قوله[3]:

٦٩- ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ أي: الملائكة[4] ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى: «إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ» [البقرة: ٣٠].

---

(١) ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ﴾. الإله هنا بالمعنى الشرعي الخاص، أي: المستحق للعبادة، لا بالمعنى اللغوي العام، أي: المعبود مطلقًا، كما هو واضح.

(٢) قوله: (أي: القرآن). تفسير للضمير ﴿هُوَ﴾.

(٣) قوله: (وهو قوله...). أي: الأمر الذي لا يعلم إلا بالوحي، فالضمير ﴿هُوَ﴾ راجع إلى ما لا يعلم إلا بوحي.

(٤) قوله: (أي: الملائكة). قاله ابن عباس وغيره. قال ابن عباس: «الملأ الأعلى: الملائكة حين شووروا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة».اهـ. ومثله عن قتادة وغيره. قال ابن جرير في معنى الآية... يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي له».اهـ.

(٧٠)- ﴿إِن﴾ ما[١] ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي: أني[٢] ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)﴾ بيّن الإنذار.

(٧١)- اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١)﴾ وهو آدم.

(٧٢)- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت[٣] ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيًّا، وإضافة الروح[٤] إليه تشريف لآدم، والروح: جسم لطيف[٥] يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا۟[٦] لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢)﴾ سجود تحية بانحناء.

---

(١) قوله: (ما). يشير إلى أن «إن» نافية.

(٢) وقوله: (أي: أني» تفسير للمراد بـ﴿أَنَّمَآ أَنَا۠﴾. وهذا تفسير إجمالي، وإلا فإن «أنما» تفيد الحصر على المشهور، ويمكن أن يجري المفسر على أنها لا تفيد الحصر كما هو رأي بعض النحويين. ثم الحصر هنا واقع في موضعين: ١- الحصر بالنفي والاستثناء. ٢- والحصر بـ«إنما». وكلاهما حصر إضافي، والله أعلم.

(٣) قوله: (أجريت). فسر به النفخ؛ لأن المراد بالنفخ هنا الإحياء، لا حقيقة النفخ بخلاف عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن جبريل نفخ في درع مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولم أجد من نبه على ذلك في كلام المتقدمين.

(٤) وقوله: (وإضافة الروح...). أي في قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِي﴾، نحو: بيت الله، ناقة الله.

(٥) وقوله: (والروح: جسم لطيف...) إلخ. عرف المفسر الروح هنا بتعريف يوافق المفهوم الشرعي، ويخالف ما عليه الفلاسفة من أنها جوهر مجرّد يدبّر الحيوان...إلخ. ولكن الأولى ترك تعريفها لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ لم يعرفها، فهذا مما خالف السيوطي شيخه المحلي في هذا التفسير.

(٦) ﴿فَقَعُوا۟﴾. الفاء جوابية، وقعوا: أمر من وقع يقع، وزنه: علُوا، بحذف فاء الكلمة، والآية تدل على أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود قبل خلق آدم، كما نبه عليه ابن كثير، حيث قال: «وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته...إلخ».اهـ.

٧٣- ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فيه تأكيدان[١].

٧٤- ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجِنّ كان بين الملائكة ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في علم الله تعالى[٢].

٧٥- ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: توليت خلقه[٣]، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود[٤]، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتكبرين، فتكبرتَ عن السجود لكونك منهم؟

٧٦- ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾.

٧٧- ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ مطرود.

---

(١) قوله: (تأكيدان). وهما: ﴿كُلُّهُمْ﴾ و﴿أَجْمَعُونَ﴾ كما هو واضح.

(٢) قوله: (في علم الله). كما قاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) قوله: (أي: توليت خلقه). يشير إلى أن الخلق باليدين كناية عن تولي الخلق بدون واسطة، ويكون هذا تشريفًا لآدم؛ لأن الله هو خالق كل شيء. ونقل القرطبي عن مجاهد ما يقرب هذا المعنى، قال: «اليد هنا بمعنى: التأكد والصلة». وعلى هذا يكون فيه نوع من تأويل صفة اليد، والسلف يثبتون لله تعالى يدين كما تليقان به تعالى. روى ابن جرير عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم»، ثم قال لكل شيء: كن، فكان».اهـ. ورواه السيوطي في «الدر المنثور».

(٤) قوله: (الآن...). يفيد أن ﴿أَمْ﴾ هنا متصلة، والهمزة للاستفهام التوبيخي للتعيين، ومعنى (الآن) مستفاد من لفظ الفعل ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بدون ذكر «كان». بخلاف الجملة المعطوفة: (أي: كنت...). فيكون حاصل المعنى: ما الذي منعك عن السجود أهو الاستكبار الحادث أم الاستكبار الذي كان بك؟ والله أعلم.

٧٨- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ الجزاء.

٧٩- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي: الناس.

٨٠- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٨١- ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ وقت النفخة الأولى.

٨٢- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

٨٣- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: المؤمنين.

٨٤- ﴿قَالَ فَٱلْحَقَّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ بنصبهما[1]، ورفع الأول ونصب الثاني. فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم ورفعُه على أنه مبتدأ محذوف الخبر،

---

(١) قوله: (بنصبهما...). ذكر المفسر هنا قراءتين:

الأولى: نصبهما: ﴿فَٱلْحَقَّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

والثانية: رفع الأول ونصب الثاني: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾. وهذه قراءة عاصم، وحمزة، وخلف. والأولى أي: نصبهما: قراءة الباقين.

أما نصب الثاني فعلى أنه مفعول به مقدم لـ﴿أَقُولُ﴾، ونصب الأول ذكر المفسر له ثلاثة أوجه:

الأول: بالفعل المذكور، وهو: ﴿أَقُولُ﴾، فيكون الحق الثاني توكيدًا لفظيًّا مع الواو العاطفة الزائدة، وهذا الوجه لم أره معزوًّا.

الثاني: أنه مفعول مطلق أو مفعول به لفعل محذوف، أي: أحق الحق، أي: أثبته: عزاه القرطبي إلى أبي عليّ.

الثالث: أنه منصوب بنزع الخافض، أي: حرف القسم، والتقدير: فبالحقّ فيكون المراد بالحق هو الله تعالى، وهذا الوجه أيضًا عزي إلى أبي عليّ. ويجوز نصبه على الإغراء، أي: الزموا الحق، ذكره ابن جرير، والقرطبي. أما الرفع ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ فعلى أنه مبتدأ حذف خبره، أو خبره: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ بمعنى: الحق أن املأ... ذكرهما القرطبي وغيره.

أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم[١]:

٨٥- ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: الناس ﴿أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾.

٨٦- ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ جُعل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي[٢].

٨٧- ﴿إِنۡ هُوَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ موعظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ الإنس والجن والعقلاء، دون الملائكة[٣].

٨٨- ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه[٤] ﴿بَعۡدَ حِينِۭ ٨٨﴾ أي: يوم القيامة[٥]، و«علم» بمعنى: عرف[٦]، واللام قبلها لام قسم مقدر، أي: والله.



---

(١) قوله: (وجواب القسم). أي: إذا كان ﴿فَٱلۡحَقُّ﴾ قسمًا فجوابه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾، وأما إذا أعربناه منصوبًا بفعل محذوف فيكون ﴿لَأَمۡلَأَنَّ﴾ جوابًا لقسم مقدّر، كما أشار إليه القرطبي.
تنبيه: ذكر قصة خلق آدم وسجود الملائكة في سورة البقرة والأعراف والحجر وسبحان والكهف وهٰهنا.

(٢) قوله: (المتقولين). روى ابن جرير نحو هذا المعنى عن ابن زيد، قال: «وما أنا من المتكلفين اتخرّص وأتكلّف ما لم يأمرني به الله».اهـ.

(٣) قوله: (دون الملائكة). كما قال ابن جرير وغيره: «من الجن والإنس».اهـ. وذلك لأن التكليف بالقرآن للإنس والجن دون الملائكة، والله أعلم.

(٤) قوله: (خبر صدقه). أي: صدق هذا الحديث.

(٥) وقوله: (أي: يوم القيامة). قاله ابن زيد. وقال قتادة: «بعد الموت». وقال السدي: «يوم بدر». والله أعلم.

(٦) قوله: (بمعنى: عرف). أي: فله مفعول واحد، وهو ﴿نَبَأَهُۥ﴾، وإذا كان بمعنى: اعتقد ينصب مفعولين، كما هو معروف.

فهرس السور

السورة **الصفحة**

